

محمد نضال الحافظ

# الحقيقة بين البراءة والسياسة

التوراة - إنجيل - القرآن الكريم - نوستراداموس

منتدي اقرأ الثقافي

[www.iqra.ahlamontada.com](http://www.iqra.ahlamontada.com)



منتدي اقرأ الثقافي

---

*www.iqra.ahlamontada.com*

**الحقيقة**  
**بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالسِّيَاسَةِ**  
التُّورَاةُ . الْأَنْجِيلُ . الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ . نُوْسْتِرَادَامُوسُ



## لِهُوَ كُلُّ حِكْمَةٍ مُّتَبَدِّلٌ

الكتاب: الحقيقة بين النبوة والسياسة التوراة، الأنجليل، القرآن الكريم، نوستراداموس

المؤلف: د. محمد نضال الحافظ

الإصدار الثاني 2008 م

مُحْفَوظٌ  
جَمِيعَ احْقَوْقَيْنَ

لدار صفحات للدراسات والنشر

سورية - دمشق - ص. ب: 3397

تلفاكس: 00963 11 22 33 013

الغلاف: هلا خلوصي

جوال: 00963 933 902 764

عدد النسخ: 1000

عدد الصفحات: 400

هاتف: 00963 11 22 13 095

الإشراف العام: يزن يعقوب

جوال: 00963 933 418 181

[www.darsafahat.com](http://www.darsafahat.com)

[info@garsafahat.com](mailto:info@garsafahat.com)

مُحَمَّدٌ نَضَالُ الْحَافِظُ

الحقيقة

بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالسِّيَاسَةِ

التوراة - الأنجليل - القرآن الكريم - نوستراداموس



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

## الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
9	المقدمة
13	الباب الأول : بداية ونهاية
15	الفصل الأول : الغربون وهوسُ النبوات التوراتية والإنجيلية
16	منْ هو نوستراداموس ؟
17	نصوص من نبوءات نوستراداموس من كتاب الطيب الفرنسي
25	الفصل الثاني : أحداث آخر الزمان في أحاديث خاتم الأنبياء
29	الفصل الثالث : في القرآن الكريم
29	تعريف بسورة الإسراء
34	أقوال المفسّرين في المعونتين أولاً وثانياً
38	تميّش القرآن والإسلام
40	الفصل الرابع : تفاصيل النبوة
42	الصورة الكاملة في الوقت الحاضر
48	في الأرض
51	﴿عِبَادًا لِنَا﴾
71	خاتمة السورة
74	﴿إِلَّا يَخْتَلِفُ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ مَنْ أَنَّاسٌ﴾
76	مجيء اليهود من الشتات
83	الخلاصة
85	الباب الثاني : سقف العلوُ الكبير
87	الفصل الأول : بنو إسرائيل في القرآن الكريم
87	إبراهيم عليه السلام
88	مسألة بناء البيت الحرام والمسجد الأقصى
89	يعقوب ويوسف عليهما السلام
92	موسى عليه السلام
106	داود عليه السلام يؤسس أول دولة يهودية في القدس
108	سليمان عليه السلام يوطد أركان الدولة
114	هل تحقق العلوُ الأول لبني إسرائيل في فلسطين ؟
116	وهل تتحقق الإفساد الأول ؟
118	وهل تتحقق البعث الأول ؟

120	وهل دخلوا الأرض المقدسة ؟
124	الفصل الثاني : اليهود في التوراة والللمود
124	ماهية التوراة
127	سفر الشنتية آخر الأسفار المنسوبة لموسى ويضم في ثياته نصوص النبوة
129	النصوص الخاصة بالمرة الأولى
130	النصوص الخاصة بالمرة الثانية
133	موسى عليه السلام يُخبر بنص النبوة قبل وفاته
133	حيثيات نفاذ الوعد الأول في الأسفار الأخرى
138	تحذيرات الأنبياء من الإفساد
144	النبي البابلي
148	الفصل الثالث : النبوءات التوراتية بين الماضي والمستقبل
156	نبوءات المرة الأولى والثانية في سفر إرميا
158	نبوءات حزقيال المستقبلية
163	خراب الدولة / مدينة لها القوة والمال
166	خراب هائل في الأرض
169	رؤى دانيال ونبوءاته
170	فساد إسرائيل وإفسادها يوكدان حتمية فنائها
171	بعض رؤى ونبوءات الأنبياء الصغار
176	الحرب العالمية التوراتية الثالثة
177	ملخص ما تُقصّح عنه النصوص
180	النبوءات التوراتية وأثرها في تشكيل القناعات والعقائد اليهودية المشوهة
180	قراءة في العقائد اليهودية
183	ما يعتقد اليهود بالنسبة لوجودهم الحالي في فلسطين
187	الباب الثالث : سياسة الفساد والإفساد
189	الفصل الأول : المؤامرة اليهودية على العالم
192	ماهية الللمود ومعتقدات اليهود
196	المؤامرة الأولى في تاريخبني إسرائيل
197	فصول المؤامرة الأولى
202	اليهود والمُلك المادي

206	أكبر وأخطر مؤامرة في تاريخ اليهود
208	بروتوكولات حكماء صهيون
213	الرؤساء الأمريكيون الأوائل يُحدّرون من الخطر اليهودي
214	الحرب العالمية الثانية درس من دروس التآمر اليهودي العالمي
218	تأخر موسم الحصاد اليهودي للمحصول العالمي
220	ميكانيكيات وأدوات العمل المستخدمة لتنفيذ برامج المخطط الشيطاني
220	مجلس الأمن
221	المنظمات الإنسانية في الأمم المتحدة
222	صندوق النقد الدولي
223	العولمة
230	الفصل الثاني : النبوءات الإنجيلية بين الماضي والمستقبل
233	إنجيل يوحنا
234	إنجيل متى
237	رؤيا يوحنا
241	الفصل الثالث : السياسة الأمريكية ونبوءات التوراة والإنجيل
244	كتاب (آخر أعظم كرة أرضية) ومؤلفه (هال ندسي)
245	وقفة مع البشر الإنجيلي (جيри فولوبل)
246	الرئيس الأمريكي (ريغان) كان أحد فرسان هرمجدون النووية
249	هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مطلب إلهي منصوص عليه في التوراة
250	نشأة المسيحية الصهيونية
256	تقرير معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى لعام 2001م
267	الباب الرابع : خطوات إلى الأقصى
269	الفصل الأول : الكتب المقدسة تصف أصحاب البعث الثاني وتخبر بدمار بابل
274	مسى النبوة التي قضى بها رب
283	الفصل الثاني : «وَلَيَدْخُلُوا الْمَسِيْدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةً»
283	حقيقة ما يضممه الغرب للعراق
285	هل من الممكن أن يكون هناك ضربة نووية للعراق ؟
288	هل يكون العراق هو من سيدخل المسجد الأقصى ؟
289	معطيات الواقع الحالي تشير إلى الانفجار في وقت قريب
294	صفة جيش البعث في التوراة

295	اليهودي وصفة الجبن الملازمة له عبر العصور
302	الوعد والموعد والواقع
304	الفصل الثالث : «وَلَيَتَرِوْا مَا عَلَوْا تَتَبَرِّرا»
305	زوال العُلوُّ اليهودي في أمريكا بعد فلسطين
306	الهدنة بين العرب وبني الأصفر آخر السنة قبل الساعة
309	المذاهب النصرانية
311	الفصل الرابع : «وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا»
311	أمثلة على التوافق العدد الكلمة في القرآن
315	هل بدأ يوم القيمة ؟
317	الباب الخامس : الإنذار الأخير
319	الفصل الأول : «فَإِنَّمَا يَسْرَئِلُهُ بِإِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»
319	تعريف بسورة الدخان
319	أقوال بعض المفسرين في آيات سورة الدخان
336	صفات الدخان
341	الفصل الثاني : «فَأَزَقَّنَا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ»
341	الدخان يغطي القاهرة
354	السحابة وسقوط الطائرة وتهديد السودان حلقات متکاملة لإرهابنا
359	الفصل الثالث : «بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ»
359	وليمة لأعشاب البحر
359	مقطفات من مقالات د. محمد عباس في رواية وليمة لأعشاب البحر
367	بيان مجمع البحوث الإسلامية
368	تقرير عن رواية (وليمة لأعشاب البحر)
373	خليل عبد الكريم
373	الإسلام الشيعي
379	بين الإبداع والحرية
385	الفصل الرابع : «يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى»
385	ماهية هذه البطasha
393	«وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِسَنَةِ مِمَّا تَعُدُّونَ»
397	الفصل الخامس : الطوفان الأخير وطرق النجاة

# مُقْتَلٌ مَّةٌ

الحمد لله الذي ابتدأ بالحمد كتابه ، والصلوة والسلام على رسوله وخاتم أنبيائه وعلى آله وأصحابه ، وبعد :

تنشر في أيامنا هذه الأحاديث الكثيرة التي تتناول موضوع النبوءات ، وينتشر معها اهتمام واسع من قبل الكثرين بما جاءت به تلك النبوءات ، وهذا الأمر ليس بجديد ، فعلى مر العصور اهتمت فئات من الناس بها ، وعلى اختلاف أسلوباتهم وألوانهم وحتى دياناتهم ، إذ ليس هناك ديانة خلت من نص هنا أو قول هناك فيما سيكون من بعض أحوال المستقبل وأهله ، ولعل الكثير يعلم كيف كان بعض الحكام يخصصون لأهل تلك الأقوال حيزاً واسعاً في مجالسهم ، وأعمالهم ، وحروبهم ، وحتى عقولهم .

وتشغل النبوءات المستقبلية في عصرنا الحاضر حيزاً واسعاً من فكر بعض كبار رجالات السياسة والدين والعلم ، وعامة الشعوب الغربية وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا واليهود في مختلف أنحاء العالم ، ولعل ما أفرزته الحضارة من تقدم كبير في مجال الاتصالات ، وبالأخص شبكة الإنترنت ، جعلت بمقدور كل باحث الوصول في بحر موادها ، والاطلاع على المساحة الشاسعة المخصصة لدراسة تلك النبوءات وتحليلها ، والمتشرة في شتى بقاع الأرض ، والتي تصل في أعدادها إلى أرقام مخيفة ، تُعدُّ ب什راتآلاف الواقع ، وأكثرها يُركّز على النبوءات التي جاء بها نوستراداموس ، ومعركة هرمجدون ، وال الحرب العالمية الثالثة . والتي سنأتي على تفاصيل كل منها في هذا الكتاب .

والامر قد يبقى مجرد اهتمامات شخصية ، دينية أو دنيوية ، على مستوى الفرد العادي أو رجل السياسة وحتى رجال المناصب ، ولكن الخطورة تكمن في إفحام تلك النبوءات وتفاسيرها ، التي هي في أغلبها مشوهة ومسيءة ، ميدان الحياة العملية بنواحيها السياسية والاقتصادية والتجارية ، والأمر الأكثر خطورة ، هو في جعل من تلك النبوءات أهدافاً ينبغي الوصول إليها . وينبغي تجنيد الطاقات والجهود كلها في سبيل تحقيقها ، من خلال العمل

الخيث والجهد المضاعف، على المستوىين الفردي والجماعي، وباستخدام الوسائل المتاحة كلها.

كل ذلك إذا كان التشويه قد أصاب التفسير لتلك النبوة، ولكن، ما مدى خطورة هذا الأمر إذا وصل التشويه والتحريف إلى النصوص المقدسة ذاتها التي جاءت بتلك النبوة؟!، وكان من يسعى إلى تطبيقها وتنفيذها، هو من رجال المناصب !!.

وعلى النقيض تماماً فالمهتمون بالنباءات في أيامنا هذه من العرب والمسلمين، وأغلبهم من العامة قد دفعوا هذه النباءات باتجاه الأماني، وركنوا إليها، وتركوا السعي والعمل باتجاه تحقيق الأهداف، ونول المراد، وكأنهم تناسوا أن الروم قد عادوا من بعد غلبيهم، وهزموا الفرس بعد أن أعدوا للحرب عدتها، وجهزوا للقتال حديثهم، ولم يجلسوا ويتظروا مرور الـ بعض سنين التي بشر بها الله بأن الروم من بعد غلبيهم سيغلبون في بضع سنين وذلك في سورة الروم من القرآن الكريم.

وما أشبه حال أولئك بحال الناسك صاحب جرة السمن أو العسل في حكايات كليلة ودمنة، فقد اقتني قطعان الماشية، والقصور، والجواري والغلمان، حتى أصبح لديه ولد نجيب، من امرأة صالحة، أراد أن يؤدبها أحسن تأديب، وذلك كله في خياله، وهو مضطجع يحلم، فكسر جرة السمن والعسل، فقعد ملوماً محسراً، لا قراراً ببني، ولا بقيت له حتى الجرة.

فالحقيقة الكبرى والقانون الأكيد الذي تناه الكثيرون، والذي وضعه الله في الأرض وهو قانون الأخذ بالسبب، ومن ثم التوكل عليه، لا يريد البعض سماعه أو تطبيقه أو حتى الاعتراف به، على الرغم من أن الله - سبحانه - أوضح في الكثير من الموضع في الكتب السماوية وعلى لسان أبياته أن الإيمان يجب أن يقترن بالعمل والعمل الصالح، حتى تتحقق النتيجة، ويكون الكسب . ومن أبسط الأمثلة على ذلك وأوضحتها، ما جاء في قصة السيدة مريم ابنة عمران عندما جاءها المخاض بجوار النخلة، وهي تلد نبي الله عيسى عليه السلام، فطلب منها الله - عز وجل - أن تهتز شجرة النخيل ليسقط عليها الرطب فتأكل منه . فانتظر إلى حالها ، وانتظر إلى ضخامة شجرة النخيل وتخيل مقدار القوة اللازمة لهزها ! ، لتجد أن هذا الطلب جاء تطبيقاً للقانون السابق ، فهي تقوم وعلى مقدار قوتها بعملية الهز ، ومن ثم الله - تعالى - يُسقط عليها الرطب ، وهو قادر على إسقاطه دون أي جهد ، ويختلط من يعتقد أن قوتها هي التي أسقطت الرطب . فاتباع السبب أولاً ، ومن ثم طلب النتيجة ، مع اليقين بأن

تتحقق النتيجة بيد الله تعالى، وينطبق هذا على حال العرب والمسلمين اليوم، الذين إذا أرادوا أن يغيّر الله ما بهم، فعليهم أن يبدؤوا بأنفسهم، ويغيّروا ما فيها.

فمن الأهمية والحال كهذا إن لم يكنأسوءاً، سبّغور هذا الموضوع، للوقوف على الحقائق وكشفها، وقد اجتمع لي العديد من المصادر التي بحثت في ذلك، وبالخصوص ما ينشر على شبكة الإنترنت على شكل مقالات أو أبحاث متاثرة هنا وهناك، وأبرزها موقع وعد الآخرة، والذي يعرض من خلاله الأخ خالد عبد الواحد كتابه "نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية" والذي وضع فيه يده على الجرح (كما يُقال)، ويدعو فيه إلى صناعة فلك النجاة. وهذا الكتاب كان من الضروري أن يرى النور، ليكون في متناول كل قارئ. فقمت بجمع ذلك وترتيب الفقرات، وتسهيل المقدّمات، وتعيم المختصّات، وضبط النصوص، وتَّبع الأسانيد، وإضافة ما رأيتُ أن من الصواب إضافته، وخصوصاً ما استجدَّ من أحداث أخيرة على الساحة الدوليّة، وحذف ما رأيتُ أن من الصواب حذفه. ليكون "الخشبة" الأولى في صناعة تلك النجاة، جزا الله عنا الداعي كل خير، وحسب نيته، وثبتَ فزاده وإيانا على دينه وطاعته، ورزقنا وعامة المسلمين حُسن الخاتمة.

وإننا إذ نعرض في هذه الكتاب مجمل ما قيل في النبواءات المختلفة في الكتب السماوية، وألسنة الأنبياء، والتي عرضت لأحوال آخر الزمان، وبالخصوصبني إسرائيل وما ستؤول إليه نهايّتهم، وعلاقة بعض ذلك بما يدور على أرض الواقع، نؤكد على أن لا يفهم القارئ أن هذا الكتاب كشف للغيب، أو علم بالمستقبل، ولكنه عرض لوجهات نظر، قد تصيب، وقد تخطى. وإلى الله ترجع الأمور. ونؤكد كذلك. وعلى اعتبار ما سيرد في هذا الكتاب من متعلقاتبني إسرائيل - على أن هذا الكتاب لا يُعدُّ بحال من الأحوال، اعترافاً بإسرائيل، أو يؤدي بأي وسيلة من الوسائل للاعتراف بها.

هذا، وندعو الله - تعالى - أن ينفعنا به، وأن يرزقنا به علمًا نافعاً وعملًا صالحًا، كما ندعوه أن يرزقنا الإخلاص في عملنا هذا والصبر عليه، والله تعالى من وراء القصد.

## المؤلف



## **الباب الأول**

### **بداية ونهاية**

**الفصل الأول :**

**الغرييون وهوس النبوءات التوراتية والإنجيلية**

**الفصل الثاني :**

**أحداث آخر الزمان في أحاديث خاتم الأنبياء**

**الفصل الثالث :**

**في القرآن الكريم**

**الفصل الرابع :**

**تفاصيل النبوءة**



## الفصل الأول

### الغربيون وهمَّ النبوءات التوراتية والإنجيلية

يعتقد اليهود ونصارى الغرب، أن قيام دولة لليهود للمرة الثانية في فلسطين هو علامة لقرب ظهور الملك المنتظر بالنسبة لليهود، وللمجيء الثاني للمسيح بالنسبة للنصارى، ولذلك، يعكف الكثير من النصارى واليهود - على اختلاف تخصصاتهم العلمية والمهنية - في السنوات الأخيرة على دراسة وتحليل وتفسير النبوءات التوراتية والإنجيلية التي تُخبر عن أحداث آخر الزمان، وخاصة فيما يتعلق بنهاية إسرائيل، ودمار العالم الغربي، وعودة الإسلام، في نهاية المطاف، لواجهة الصدارة. ونطاق هذه البحوث في الغالب، يدور حول ما جاء في التوراة والإنجيل من نصوص نبوية، وما قدّم فيها من كتب ومؤلفات مؤخرًا تفسّر هذه النصوص، والكتاب الأكثر شهرة في هذا المجال هو كتاب (نباءات نوستراداموس) الفاضل، والسوق الرائجة لأطروحتهم في هذا المجال، هي شبكة الإنترنت.

وإذا أردت أن تعرف مقدار ما تشغله هذه النبوءات المستقبلية من فكر كبار رجالات السياسة والدين والعلم، وعامة الشعوب الغربية، وفي مقدمتها الأمريكية والبريطانية والفرنسية، وحتى عامة النصارى واليهود في شتى بقاع الأرض، فما عليك إلا أن تزور شبكة الإنترنت، وأن تقوم بالبحث - على سبيل المثال - عن إحدى الكلمات التالية:

(الحرب العالمية الثالثة)، (هرمجدون)، (نوستراداموس)، (نبأة)، (معجزة)، (توراة)، لتجد أن هناك عشرات الآلاف من الواقع التي تعرض الأبحاث والكتب والدراسات التي تبحث في تفسير النصوص التوراتية والإنجيلية. ومن هذه الواقع:

- نبأة الكاثوليكي نوستراداموس بالحرب العالمية الثالثة (1999م - 2030م).  
- هرمجدون، الحرب العالمية الثالثة، عدو المسيح (الدجّال)، العودة الثانية للمسيح.

- مصادر لأبحاث نوستراداموس.  
- مجتمع نوستراداموس في أمريكا.

- المركز العالمي للدراسات نوستراداموس .
- وصف لنوستراداموس ، نبوءاته ، وتفسيرات البروفيسور Vlaicu Ionescu .
- نوستراداموس ، صدام حسين ، هرمجدون .
- كتاب للكاتب البريطاني (ستورم مينيسترizable) ، يبحث في النصوص النبوية التوراتية .
- وغيرها الكثير الكثير .

## من هو (نوستراداموس) ؟

هو مسيحي كاثوليكي فرنسي ، ذو أصل يهودي ، عاش في الفترة (1503 - 1566م) ، أَلْف أحد أشهر كتب النبوءات التوراتية والإنجيلية . يقول هذا المتبئ في مقدمة كتابه : إن مصدر نبوءاته هو مجموعة من الكتب والمجلدات القديمة التي كان قد ورثها عن أجداده اليهود ، وكانت مخبأة منذ قرون عديدة ، وعلى ما يبدو أنه استطاع من خلالها الكشف عن الرموز التوراتية اللغظية والعددية التي استخدمها مؤلفو التوراة من الكهنة والأحجار ، ومن ثم قام بقراءة الأحداث الواردة في النبوءات ، ووضعها في كتاب على شكل رسائل تeshire ، وأبيات شعرية سماها الرباعيات ، استخدم فيها الكثير من الاستعارات والرموز الواضحة الدلالة أحياناً ، والمضللة والمحيرة أغلب الأحيان .

وقد اجتهد كثير من الباحثين الغربيين ، وخاصة في العصر الحديث ، وأجهدوا أنفسهم بمحاولات مضنية لحل رموزه وطلاسمه ، ومحاولات مضنية لمطابقتها ، لما جرى ويجري وسيجري على أرض الواقع ، للدرجة أنك لو بحثت عن لفظ Nostradamus في أحد محركات البحث على شبكة الإنترنت ، ستجد أكثر من (50) ألف موقع لمراكم وجمعيات وكتب ودراسات ، تبحث في أمر نبوءاته وتتجه في مطابقتها مع الواقع ، في محاولة لاستقراء المستقبل ، وخاصة فيما يتعلق بأحداث النهاية ، وخاصة الحرب العالمية الثالثة ، ونهاية الحضارة الغربية .

ومن أشهر الكتب في تفسير نبوءاته ، وفك رموزه وطلاسمه ، هو كتاب (نبوءات نوستراداموس) ، الذي ألفه الطبيب الفرنسي (دو فونبرون) ، المتوفى عام 1959م ، وقد طُبع هذا الكتاب عدة مرات ، أعوام 38 و 39 و 1940م ، ومن ثم أعيد طبعه بعد عدة سنوات من خلال ابن المؤلف ، وما أضافه ابن إلى الطبعة الجديدة من الكتاب نص مخطوط بقلم أبيه الطبيب ، كتبه قبل وفاته باربعة أشهر بعنوان : (بحث في الأحداث القادمة) .

وهذا نصه:

ـ يجب النظر - بصورة منفصلة - إلى الأحداث وتابعها الزمني ، إن ترتيبها من حيث الزمان لا يمكن تصوّره ، إلا ضمن عملية افتراضية ، إذ إن المعطيات المتعلقة بها شديدة التشذير ، بحيث لا يمكن أن تؤدي إلى استنتاجات أكيدة كلياً ... إن جميع النبوءات القيمة ، متركزة على الحقبة التي ستغدو فيها الحضارة الغربية مهدّدة بالدمار . والواقع الأساسية لهذه الأزمة العالمية هي كالتالي : الحرب والثورة العامتان ، تدمير باريس الكلّي بالنار ، وتدمير جزء من مرسيليا بتلاطم لأمواج البحر ، هزات أرضية مخيفة ، وباء طاعون يقضي على ثلثي البشرية ، البابا المطرود من روما ، انشقاق كنسي ... يبدو أن هذه الأحداث ستبدأ بالحرب بين الشرق والغرب ، أما ذريعتها فستكون في الشرق الأوسط (العراق ، إيران ، أو فلسطين) ومن المرجح أن تجري على مراحلتين ، على غرار حرب 1945-39 ... في تلك اللحظة يظهر نجم مذنب سوف يمرّ على مقربة من الأرض ، للدرجة أنها ستتجاوز شعرة المحمل بالحصى ، هذه النيازك الجوية التي ستكون بمثابة انتقام السماء العجائبي ، سوف تسقط على أمكنة محدّدة ، حيث ستكون محشّدة قوات الثورة الحمراء ، والأسطول الروسي في البحر المتوسط ... من المرجح أن تدمير باريس سيتم في المرحلة الثانية من النزاع ، قبل وقت قصير من طرد البابا من روما ... .

### نصوص من نبوءات (نوستراداموس) من كتاب الطبيب الفرنسي:

في الرسالة إلى هنري الثاني ورد ما نصه:

ـ «سوف تم حملة جديدة ، ما وراء البحر المتوسط لإنقاذ الأندلس ، التي يُهدّدها الهوض الأول للمحمديين . (إشارة للاستعمار الغربي للبلاد العربية) .

ـ والمكان الذي كان به مسكن إبراهيم في الماضي البعيد سوف تهاجمه رسّل المسيح .

ـ ومدينة (سيشم) ، أي فلسطين سوف تُحيط بها وتهاجمها - من كل الجهات - جيوش غربية قوية جداً ، ستحصد من قوة أساطيلهم . وفي هذا الملك سوف يحدث حزن عظيم ، تُقفر مدنه الكبرى .

ـ والذين يعودون إليها ، أولئك الذين سيُمارس الله غضبَه ضدهم (أي اليهود في فلسطين) ، والمكان المقدس لن يؤوي - بعد ذلك - سوى عدد صغير جداً من الكفار (يقصد المسلمين) ، أوه ! في أي حزن فاجع ستكون عندئذ النساء الحالى اللواتي سمعنعن نمرة أحشائهن من الهرب ... وخلال كل هذا التقدير الكرونولوجي (المتداً طولياً عبر الزمن) ، المعد

إلى الكتابات المقدّسة، سيتوله اضطهاد رجال الكنيسة، من خلال تحالف قادة الشمال العسكريين، وهذا الاضطهاد سيدوم 11 عاماً غير مكتملة، وستسقط خلالها الدول الشماليّة الرئيسيّة بعد أن تُنجز تلك السنوات من الاضطهاد، سيأتي حليفها الجنوبي، الذي سيضطهد رجال الكنيسة على مدى ثلاثة أعوام ويقسوة أشد... إلى حد أن دم رجال الدين الحقيقيين سيسبح في كل مكان ...

وللمرة الأخيرة أيضاً سترجف كل المالك المسيحيّة، وكذلك مالك الكفار خلال 25 عاماً، ستكون الحروب والمعارك أكثر دموية من أي وقت مضى، وسوف تُحرق المدن والقصور وكل المباني الأخرى، وسيتم هجرها وتدميرها، مع إهراق عظيم لدماء العذارى والأمهات والأرامل المغتصبات، والأطفال الرُّضع الذين سُيُّرُّى بهم على جدران المدن، وتُحطم عظامهم، الكثير من الشرور سيتم ارتكابها بفعل الشيطان، الأمير الجهنمي، بحيث كل العالم الكاثوليكي تقريباً سيتعرّض للخراب، للإبادة قبل أن تتم هذه الأحداث، ستُدوّي في الفضاء طيور غربة...، وستختفي بعد قليل، بفعل الكارثة النهاية للعالم.. ومن ثم ستقوم حقبة جديدة، عهد ذهبي سيأمر به الخالق. وعندها سيبدأ بين الله والبشر سلام شامل ...».

وفي نهاية الفصل (11) من الكتاب يخلص المؤلف إلى القول: «كل الشرق - إذن - سيفتقد من جديد ضدَّ الغرب، وحبره الأعظم الأخير بطرس الروماني ...».

- نجد أن المؤلف من خلال فهمه لمجمل نصوص (نوستراداموس)، يخلص إلى أن الشعوب الشرقيّة بما فيها من إثنيات متعددة، ستتحد ضدَّ الغرب في مواجهة مصيرية نهائية.

وفي بدايات الفصل (14) على لسان المتنبي:

١ - ٩ «من الشرق سيأتي العمل الغادر. الذي سيُصِيب إيطاليا وورثة رومولوس. بصحبة الأسطول الليبي . ارتجعوا يا سكان مالطا والجزر القريبة المقفرة».

- نجد أن المتنبي يصف انتفاضة الشرق، بالعمل الغادر، الذي سيطّبع بإيطاليا وورثة الإمبراطورية الرومانية، ونجد أنه يذكر ليبيا بالاسم مؤكداً تحالفها مع الشرق، مثيراً أربع الغربيين من هذا العمل .

وفي الفصل (27)، يقول المؤلف:

«بِمَقْدَارٍ مَا نَبْتَعِدُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، يَغْدُو مِنَ الصُّعُوبَةِ بِمَا كَانَ أَنْ تُرْبِطَ بَيْنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي سَتَعِيشُهَا الْبَشَرِيَّةُ فِي انْهِدَارِهَا الْأَقْصَى . إِلَّا أَنَّ التَّكْرَارَ الْمُتَوَالِّ لِلتَّارِيخِ مُتَشَابِهٌ، وَعَلَى شَبَكَهُ

المتجددة باستمرار، يمكن أن تُطَرَّز سلفاً المعركة الأخيرة والمخيفة، التي سيظفر بها الشرق البربرى على الغرب المسيحي.

- هنا يلخص المؤلف صفة البربرية بالشرق، ويؤكد انتصار هذا الشرق المتواحش، على الغرب المسيحي المساالم والمحض.

مستفدين من الانقسامات التي سيثيرها المسيح الدجال، ومن الضعف والفووضى الناتجة عن مذاهبه، ينجح العرب والآسيويون والمغول في اجتياح أوروبا، بعضهم عبر إيطاليا وإسبانيا، كما هي العادة، والآخرون عبر القارة والجتو، في حين تنهار فرنسا والكنيسة، ويتعرض البابا بالذات إلى الاغتيال وسط الفساد العام، تظهر ظواهر مرعبة في السماء.

- نجد أن المتنبي، يُحدّد في هذا النص ماهية الشعوب الشرقية التي يقصدها، ويضع العرب على رأس القائمة، ويؤكد نجاحهم في اجتياح معظم دول أوروبا، برأ وبحراً وجواً.

في عام الكسوفين الكاملين، من طرف لآخر طرف في العالم القديم، تحصل أمور غريبة: تظلم الشمس، ويفقد القمر نوره، وضجيج البحر واللوج سيجعل الناس يبسون رعباً، لأنّه سيصل الطوفان التكفيري الجديد (عودة الخلافة الإسلامية)، ليختتم فجأة العصر الذي بدأ مع زمن نوح «.

- في هذا النص، يُحدّد المتنبي فلكياً، نقطة البداية لأحداث مسلسل الرعب الأخير الذي يصفه في كتابه، بكسوف كلي كبير للشمس، متبعاً بخسوف كلي للقمر.

يؤكد المؤلف حتمية وقوع مواجهة أخيرة، بين الغرب والشرق، وعلى حتمية ظفر الشرق بها، وكتيبة لهذه المواجهة، ستنهار فرنسا (التي كانت تمثل الدولة الصليبية العظمى، في العصر الذي عاش فيه المتنبي، أما الآن فأميركا هي الدولة العظمى، وراعية الحملات الصليبية الجديدة على الشرق)، وستنهار الكنيسة (يعنى انهيار الدين، بظهور الدين الإسلامي من جديد). ويعزو المؤلف نجاح الشرق في غزوه أوروبا إلى ما أثاره المسيح الدجال، من ضعف وفوضى وانقسام، وليس غضباً إلهياً، ورغبة إلهية في إظهار الحق وإزهاق الباطل. والمسيح الدجال هو لفظ، يطلقه مفسرو النبوءات التوراتية على شخص مفسد ومخرب، سيظهر في المكان المقدس، معاد لليهود وللمسيح وأتباعه، سيقود الشرق في معركته الأخيرة معهم، وينسبون إليه كل ما يُوصف في التوراة من إفساد، حتى إفساد الدولة اليهودية الحالية الموصوف بالتوراة، وبذلك أصبح الإفساد اليهودي الإسرائيلي، الذي حذر منه التوراة ووصفه بدقة متناهية، منسوحاً إلى شخص المسيح الدجال الذي لم يظهر بعد، لتكون إسرائيل وحلفاؤها

بنائى عن الغضب والعقاب الإلهين اللذين سينسكنان على الدّجَّال وأتباعه، وأتباعه هم من العرب والروس والمغول، حسب اعتقادهم.

وفيما يلي بعض النصوص ، التي استقى منها المؤلف هذه الأفكار:

### العدوان على العراق:

10 - 86 «سيأتي ملك أوروبا مثل غريفون ... ثرافقه جماعة الشمال ... سيقود حشداً كبيراً من الحمر والبيض ... وسيرون ضدّ ملك بابل».

1 - 55 «في ظل المناخ الذي سيواجه بابل ... سيكون الدم المراق غزيراً ... والأرض والبحر والجو والسماء جائزات ... بفعل البدع والمجاعة والحكومات والطاعون والغوضى».

### أمريكا ومهاجمة نيويورك:

9 - 44 «اهربوا ، اهربوا يا سكان جنيف أجمعين... عهدمكم النهيبي سيغدو عهداً حديدياً...».

- هذه الدعوة للهرب من جنيف ، هي في الأصل دعوة للهرب من بابل في النصوص التوراتية ، ليتبين لنا أن لفظ بابل استخدمه كَبَّةُ التوراة للتعبير عن دولة أو مدينة ذات مال وجمال وسطوة ستظهر مستقبلاً ، كما كانت جنيف في عصر نوستراداموس الذي لم يُعاصر العصر الذهبي لأمريكا وعاصمتها التجارية (نيويورك) .

10 - 67 «في العام الذي سيشتعل فيه الزمن وال الحرب معاً ... سيكون ثمة مسار كبير للمقدوف في الهواء الجاف ... يحترق المكان الكبير بنيران آتية من بعيد ... يرى الناس القحط والعاصفة ، تحصل حروب وغزوات».

1 - 26 «الصاعقة العظيمة ستسقط في وضح النهار».

11 - 87 «النار المركزية التي تجعل الأرض تهتز...ستتجلى حول المدينة الجديدة (نيويورك)».

10 - 49 «بستان العالم قرب المدينة الجديدة ... سيُؤخذ وينُطَسُ في البحيرة الغالية».

6 - 97 «سماء خط التوازي 45 ، ستحرق تقترب النار من المدينة الجديدة العظيمة ...»

### مشاهد من الحرب العالمية الثالثة:

2 - 70 «سيف السماء يمتد فوق العالم ... يجري إعدام عظيم لمن سيموتون وهم يتخطاًطبون».

- 2- 18- مطر جديد مفاجئ وعنيف ... تساقط من السماء على البحر، الحجارة والنار ...  
قوت بغنة الجيوش السبعة البرية والبحرية .
- 2- 56- من لم ينجح الطاعون والسلاح في الإجهاز عليهم ... سيُضرّون من أعلى السماء . . .
- 2- 86- خلال الغرق الذي سيتم قرب البحر الأدربياتيكي ... ستهتز الأرض لتميت من كانوا يحومون في الهواء . . .
- 3- 83- الجح والسماء والأرض ستُظلم وتتضطرب... حينئذ سيتضرع الكافر لله وقدسيّه .

### **بريطانيا وفرنسا وحقيقة دول أوروبا:**

- 9- 55- أية حرب مخيفة ستهيأ في الغرب ... وفي العام التالي سيأتي الطاعون ... رهياً إلى حد أنه على الشبان والعجزة والقطعان ... سيكون للدم والنار سلطة في فرنسا ...
- 8- 16- في روما، حيث كُلّي القدرة بني هيكله ... سيكون طوفان كبير ومفاجئ ... بحيث ما من مكان، وما من أرض ستسمح باقائه ... ستمر المياه من فوق الأولمب فيزول .
- 3- 32- القبر الكبير للشعب البريطاني ... سيكون على وشك الانفتاح ... حين تز مجر الحرب قرب حدود ألمانيا ... وفي بلاد مانتو (إيطاليا) .
- 3- 70- بريطانيا العظمى، أي إنكلترا ... تتعرض لثورة عنيفة (تفمرها المياه) . . .
- 8- 15- نحو الشمال تعزيزات كبرى من الحشود البشرية (روسيا)... تضرب أوروبا والعالم أجمع تقريباً... خلال الكسوفين، تقوم بمطاردة مهمة... وتدخل هنغاريا في الحياة والموت .
- وما يعطي مصداقية، لنبوءات هذا المتبيّن، واهتمامًا منقطع النظير بها لدى الغربيين، هو تحقق الكثير منها حسب اعتقادهم، بالرغم من إيهامها وعموميتها، ووصفه الدقيق - قبل (450) سنة تقريباً - للأسلحة ووسائل النقل التي استُخدمت في الحروب العالمية، والتي لم تكن موجودة أصلًا في عصره. وهذا مما يعزّز مخاوف هؤلاء من صدق نبوءاته، بشأن دمار الحضارة الغربية برمتها من قبل الشرقيين كما يُعلن عن ذلك بصرامة.

من خلال هذه النصوص والنصوص التوراتية الأصلية، تبيّن للكثير من الباحثين الأميركيين والبريطانيين والفرنسيين المشغولين بنبوءات (نوستراداموس) أن المقصود بالمدينة الجديدة التي سيلحقها الدمار والخراب هي (نيويورك) بشكل خاص، وأمريكا بشكل عام.

### خروج قائد من مكة، وظهور الدين الإسلامي من جديد:

وهو الأمر الذي يُرعب نصارى ويهود الغرب، ويقض مضاجعهم، وهو المبرّ الوحيد لحربيهم الشعواء التي يشنّوها ضدّ الإسلام ومن يُمثّله، دون كلامٍ أو مللٍ، بدفع من أخبار اليهود وكهنتهم، في كواليس ودهاليز السياسة الغربية، كما كانوا يُذَيّلون لكافار قريش سوءً أفعالهم، في كواليس ودهاليز السياسة في مكة، خوفاً من ظهور أمر الدولة الخمديّة الأولى:

5- 55. من الجزيرة العربية السعيدة ... سيولد قائد مسلم كبير ... يهزم إسبانيا ويحتل غرناطة ... يصدُّ المسلمين الصليب ... يخون البلاد واحدٌ من قرطبة .

5- 25. أمّام الأمير العربي، بعد الحرب الملكية الفرنسية ... تسقط علامة الكنيسة في البحر ... يأتون من جهة فارس مليوناً ... حين يستولي الشيطان على مصر واستتبول .

2- 29. سُيُغادر الشرقي مقره ... يجتاز جبال الابيين ويدخل فرنسا ... يعبر الثلوج الخالدة (جبال الألب) ... ويضرب كل واحد بعصاه .

9- 100. سُيجري كسب المعركة البحريّة ليلاً ... يكون ذلك خراب الغرب ... سيكون ثمة ميثاق أحمر، تتلطخ الكنيسة بالدم ... يشهد المهزوم إفلات النصر منه، ويستشيط غضباً .

2- 93. قريباً من نهر التير، تُهدَّد آلة الموت ... بعد فيضان عظيم بقليل ... يقع البابا في الأسر ... يحرقون القصر والفاتيكان .

إن هناك قائد مسلم كبير، يولد في الجزيرة العربية، وأن هذا القائد سيتصرّ في حروبه، موحّداً بذلك جميع دول العالم الإسلامي ومن ثم سيجتاح أوروبا كاملة، بجيشه الجنرارة البالغة في نص (1) مليون، وفي نص آخر (200) مليون مقاتل، مسبباً سقوط الحضارة المسيحية اليهودية واندثارها. لذلك تجد الغرب يسعى شيئاً، لرأد أيام بادرة تلوح في الأفق، لإحياء الخلافة الإسلامية .

### الصحوة الإسلامية:

يقول مؤلف الكتاب: إذا كانت أوروبا، وفرنسا بوجه خاص، بقيت بمنأى عن أي غزو من جانب العالم العربي، منذ أيام (شارلمان)، فالحرب الكبرى ستشهد عودتهم المؤذية، هذا ما

سماه (نوستراداموس) في الرسالة إلى هنري الثاني، "العودة المحمدية الأولى". حيث يقول (نوستراداموس) :

3- 4- حين سيقترب تمرد المسلمين، لن تكون بعيدين جداً عن هذا وذاك ... البرد والقطط والخطر على الحدود ... حتى حيث بدأ الوحي الإلهي .

4- 39- ... لأن إمبراطورية الهلال ستخرج من سباتها ... .

6- 42- سيجري التخلّي عن السلطة للكلام الفتن ... لإمبراطورية الهلال التي ستفرض نفسها ... وتندّر ايتها إلى ما فوق الإيطاليين ... ستكون في يد شخص يتظاهر بالحكمة .

5- 73- سيتم اضطهاد كنيسة الله ... وتصادر الأبنية الدينية ... سيُعرى الولد أمه ... وسيتفق العرب مع البولنديين .

10- 33- الجماعة القاسية ذات الرداء الطويل (المسلمون) ... ستأتي مخبثة خناجرها... يستولي قائدتها على فلورنسا ومكان اللهم المزدوجة (روما) ... قائماً بفتحه مع القتلة والخالدين .

- تؤكد هذه النصوص أن الأمة الإسلامية ستفرض نفسها كدولة عظمى ، وعلى مساحة واسعة من الأرض تشمل أجزاء من أوروبا الغربية ، ويُخبر (نوستراداموس) بخيث ودهاء يهوديين ، بأنهم ؛ أي المسلمين الغادرون القساة القتلة ، سيضطهدون كنيسة الله ، ويستولون على إيطاليا كلها . وهذه إحدى الصور التي شكلتها التبوعات التوراتية والإنجيلية عن الإسلام والمسلمين بشكل عام وبدون استثناء لأي عربي أو مسلم . وهذه الصور أجاد في تشويعها والتخييف منها ، والتحريض على محاربتها ، مفسر و هذه التبوعات قدّيماً وحديثاً ، حتى أصبحت من المسلمات العقدية لدى عامة الغربيين ، فلا عجب ولا غرابة ، من حمل الغربيين لهذا العداء العقائدي المزمن للعرب والمسلمين ، وهذا ما يُخبرهم به مفسر الكتاب المقدس .

**نَزَولُ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَتَسْلِمُهُ لِمَقَالِيدِ الْحُكْمِ:**

4- 77- إمبراطورية الهلال (المسلمون) ، وإيطاليا المسالة (النصارى) ... يتحد فيما الحكمان ، على يد ملك العالم المسيحي (المسيح عليه السلام) ... .

يؤكد هذا النص صراحة على اتحاد حكم المسلمين مع حكم السيد المسيح عليه السلام ، وفيما يبتعد الباحثون والمفسرون عن سبب هذا الاتحاد ، نرى أن سبيه الواضح والوحيد ، هو اتحاد الدين تحت لواء الإسلام الذي ينزل مؤمناً به نبي الله عيسى عليه السلام .

إن أخطر ما فعلته هذه الكتب، هو أنها خلقت لدى نصارى الغرب عقائد جديدة مرتبكة ومشوّهة فيما يتعلق بشكل خاص بال المسلمين والعرب، ودورهم القادم في دمار الحضارة الغربية، حتى أنstemهم تعاليم المسيح نفسه، التي ما زالت تدعوا إلى التسامح والتعايش المسلمين، بالرغم من إعادة صياغتها من قبل اليهود، مما خلق لديهم حالة من الرعب والقلق من كل ما هو إسلامي وعربي، بمساعدة حثيثة من خباء اليهود الذين يؤمنون بأن استمرارية وجودهم وبقائهم، ونجاح مخططاتهم الشيطانية، تعتمد في الأساس على القضاء على الأديان التي يُحاربها الله بها، ويعلمون أن الدّاء عليهم هو القرآن العظيم، الذي لا بدّ له في يوم من الأيام - إنْ بقي الأمر على حاله، ولم يتم مسحه من قلوب وعقول حملته، ومسخ تعاليمه وتشويهها كما شوه آباؤهم وأجدادهم التوراة والإنجيل - سيعث فيهم الحياة من جديد.

## الفصل الثاني

### أحداث آخر الزمان في أحاديث خاتم الأنبياء

#### غريبة الإسلام:

ما رواه أبو داود عن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْأُمَّةُ أَنْ تَدَعُوا عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَعُوا الْأَكْلَةَ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ فَلَهُ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ. قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكُمْ كُثُرٌ غُثَاءُ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوكُمُ الْمَهَابَةُ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ».

وفيما رواه مسلم عن ابن عمر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ عَرَبِيًّا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسَاجِدِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَاةَ فِي جُحْرِهَا».

ستشهد الأمة الإسلامية، عصرًا حالك السواد، من كثرة الظلم والجحود والفساد، يتميز بوجود قلة مؤمنة صابرة متمسكة بدينها، تكون غريبة في دار الإسلام لا حول لها ولا قوة، تنتظر حتى يأتي الله بأمر من عنده، وكثرة طاغية فاسدة ومفسدة متمسكة بدنياهما، هم غشاء كغثاء السيل، لا يجدون مكانة وليس لهم وزن في نظر أعدائهم.

#### جيش يغزو الكعبة:

جاء فيما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ». قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوْلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاثُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: يُخْسَفُ بِأَوْلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ، ثُمَّ يُعَثُّونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

وفي رواية مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: عَبَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ، (قُلْنَا): يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُؤْمِنُونَ بِالْبَيْتِ، يَرْجُلُ مِنْ قُرْيَشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفُوا

بِهِمْ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمِعُ النَّاسَ، قَالَ: نَعَمْ فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّيْلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلِكًا وَاحِدًا، وَيَصْنَدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَعْنِيهِمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ).

وعن أُمّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَسْنَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعاً فِي بَيْتِي إِذْ احْتَفَرَ جَالِسًا وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ، فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأَمِّي مَا شَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَسْتَرْجِعُ؟ قَالَ: (جَيْشٌ مِنْ أُمَّتِي يَجْيِئُونَ مِنْ قَبْلِ الشَّامِ، يُؤْمُونُ الَّتِي لِرَجُلٍ يَمْتَعُ اللَّهُ مِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْنَاءِ مِنْ ذِي الْحُلْيَةِ خُسِّفُ بِهِمْ، وَمَصَادِرُهُمْ شَتَّى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَخْسُفُ بِهِمْ جَمِيعًا وَمَصَادِرُهُمْ شَتَّى، قَالَ: إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ جُبِرَ تَلَاثًا). رواه أحمد.

هذه الأحاديث الثلاثة متواقة من حيث النص والمضمون، غير أن الحديث الثالث، أضاف عبارة توضح مخرج ذلك الجيش. ومع أن أحد الرواية ضعيف، إلا أن تلك الإضافة (من قبل الشام) تتفق والتفسير المنطقى، للأحداث الموصوفة لاحقاً.

لنخلص إلى ما يلي: أن جيشاً سيغزو مكة. وهذا الجيش من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ويعجب رسول الله، ويحق له العجب، فما ألم إليه أمر أمة الإسلام هذه الأيام يشير ما هو أكثر من العجب والشفقة، حتى في نفوس أعدائنا.

ومقصد هذا الجيش رجل من قريش يلْجأ إلى الحرم، وغايته وأدبُرَة الخلافة الإسلامية في مهدها، خوفاً من أن تزلزل أركان عبادة الحياة الدنيا. يُخسف بهذا الجيش في الصحراء قبل وصوله إلى مكة. ومخرج هذا الجيش من قبل الشام !

### عمران بيت المقدس يعقبه خراب المدينة المنورة:

عَنْ مُعَاذِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عُمَرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ يَشْرِبُ، وَخَرَابٌ يَشْرِبُ خُرُوجُ الْمَلَحَّةِ، وَخُرُوجُ الْمَلَحَّةِ فَتْحٌ قُسْطَنْطِينِيَّةٌ، وَفَتْحٌ قُسْطَنْطِينِيَّةٌ خُرُوجُ الدَّجَالِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى قَخْدَ الَّذِي حَدَّهُ أَوْ مَنَكَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا لَحْقٌ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا، أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلِي). رواه أبو داود، وأخرجه أحمد، وصححه الألباني.

تعمر بيت المقدس في آخر الزمان، برجوعها إلى الحكم العربي، واتخاذها عاصمة للحكم، فيرسل حاكماً إليها جيشاً إلى الكعبة، عند ظهور أمر الرجل الذي يعتقد أن يكون المهدي، فيخرب المدينة المنورة في طريقه إلى مكة، ومن ثم يُخسف بجيشه قبل أن يصلها بالقرب من ذي الحلة، وهي ميقات إحرام أهل المدينة، بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، وبينها وبين مكة مسيرة عشرة أيام.

## تسلسل الفتوحات:

عَنْ نَافِعٍ بْنِ عَبْدِهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَأْرِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَعْزُزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ لَا نَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني.

يظهر بوضوح في هذا الحديث أن كل واحد من هذه الأمور أمارة لوقوع ما بعده، كما هو الحال في الحديث السابق، وكل منها يتقاطع مع الآخر في نقطتين، هما؛ أولاً: غزو الروم، ويقابلها خروج الملائكة، ثانياً: غزو الدجال، ويقابلها خروج الدجال، ويضيف الحديث الأول ثلاثة أحداث، هي عمران بيت المقدس، وخراب يثرب، وفتح القدس.

## الخلافة في بيت المقدس:

عن ابن حوالة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَكَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَائِيَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ، مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ) رواه أحمد، وأخرجه أبو داود والحاكم، وصححه الألباني.

نستخلص من هذا الحديث ما يلي:

الخلافة تنزل في بيت المقدس آخر الزمان. ونزلوها هناك يعني بدء ظهور الفتنة والکوارث الطبيعية ودنو الساعة.

لابد لنا من أن نشير إلى أن عبارة (نزول الخلافة)، ربما تشمل الحكم العربي للقدس، الذي تكثر فيه الفتنة والمحروب والاقتتال، والموصوف بالظلم والجحود، قبل ظهور المهدى.

## نطق الحجر والشجر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَيِّرَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمٌ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلَقْتِي فَقَاتَلَهُ، إِلَّا غَرَقَدَ قِيلَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ) رواه مسلم وأحمد بالنصل نفسه، وصححه الألباني، وأخرجه البخاري والترمذى والنمسائي وأبو داود وابن ماجه بنصوص أخرى.

هذا الحديث رُوي بعدة نصوص، وهذا النص أشهرها وأكثرها تداولاً بين العامة، ويخبر بأن المسلمين سوف يقتلون اليهود، وسوف يبني الحجر والشجر المسلمين باليهود المختبئين وراءهم. ومن الأرجح أن يتزامن هذا الحدث مع وجود عيسى عليه السلام.

ونرى، وبناءً على ما تقدم، تغيب كامل لليهود كدولة، قبل ظهور خلافة المهدى، بل وإن القدس محررة، وأن من سيقوم بتحريرها هو جيش عربي، وأن صاحب هذا الجيش سيتخذ منها عاصمة لملكه، ومن ثم تدين له بلاد الشام والعراق، وأن فترة حكمه أو حكم من يخلفه، ستكون حافلة بالظلم والجور، وعند ظهور أمر المهدى في مكة، يبعث حاكم مدينة القدس جيشاً إلى الجزيرة، لا قبل للمهدى وجماعته به، فيخرب المدينة المنورة، لدى مروره بها متوجهًا إلى مكة، فيخسّف الله بهم الأرض. وأنذاك يظهر أمر المهدى، فيهب إلى قتاله من رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، من أمة محمد عليه الصلة والسلام، خوفاً من عودة دين أكل الزمان عليه وشرب، يدعوه إلى إخراجهم من غيّهم وضلالهم، وحرمانهم مما يتلذذون به من الشهوات والحرمات التي استحلوها واستباحوها في هذا العصر، فاستعبدتهم، فلا فكاك لهم منها، ولا يرضون عنها بديلاً.

فتكون أولى مواجهات المهدى، مع جيش آخر، يُجمع له من جزيرة العرب، فيتتصر عليهم حرباً، وبعد أن يستتب له أمر الجزيرة يخرج إلى أهل الشام. فيتسلم مقايد الحكم فيها تسلیماً عن طيب خاطر، أو استسلاماً خوفاً ورهبة، ويَتَّخِذُ مدينة القدس عاصمة لخلافته، ومن ثم يخرج إلى إيران فيفتحها، ويعود إلى بلاد الشام. ومن ثم تكون الروم (نصارى الشرق) قد جمعت جيشاً عرماً، قوامه قرابة المليون نفر، فيخرج لللاقاتها، فتقع الملحمة الكبرى الفاصلة بين الحق والباطل، بالقرب من دمشق، فيكون النصر في النهاية، حليف المهدى ومن معه من المسلمين. ومن ثم يخرج إلى القسطنطينية (استبول)، فيفتحها بالتهليل والتکبير من غير قتال، وقرباً من نهاية حكمه يخرج الدجال، فيبعث في الأرض فتنه وفساداً، ويُحصار المهدى وصحابه في الشام، فينزل عيسى عليه السلام، فيهرب الدجال ومن تبعه من اليهود إلى القدس، وهناك يلحقون به فيقتله عليه السلام، ويتولى المسلمين أمر البقية الباقية من اليهود، فينطق الحجر والشجر، فيبيدونهم عن بكرة أبيهم، والله أعلم.

## الفصل الثالث

### في القرآن الكريم

ونبدأ في سورة الإسراء والتي تسمى سورة بنى إسرائيل، وهي تتحدث في مطلعها عن نبوءة أنزلها الله على موسى - عليه السلام - في التوراة، وهي تنص على إفسادتين لبني إسرائيل في الأرض المباركة، على صورة مجتمعية أو ما يسمى اليوم على صورة دولة، ويكون ذلك عن علو واستكبار، فما هي سورة الإسراء ؟ وماذا قال المفسرون فيها ؟ وما الذي أوردوه من روایات وآثار عن الإفساد والعلو في الأرض ووعدي الأولى والآخرة ؟ .

#### تعريف بسورة الإسراء:

قال الألوسي في تفسيره : «سورة بنى إسرائيل ، (وهو الاسم التوفيقي لها) ، وتسمى الإسراء وسبحان أيضاً ، وهي - كما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير ، رضي الله تعالى عنهم مكية ، وكونها كذلك بتمامها قول الجمهور . وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أنه قال : «إن التوراة كلها في خمس عشرة آية ، من سورة بنى إسرائيل ، وذكر تعالى فيها عصيانهم وإفسادهم ، وتخريب مسجدهم واستفزازهم النبي ، وإرادتهم إخراجه من المدينة ، وسؤالهم إياه عن الروح ، ثم ختمها . جل شأنه .» . بيّن موسى عليه السلام - التسع ، وخطابه مع فرعون ، وأخبر تعالى أن فرعون أراد أن يستهزء بهم من الأرض ، فأهلك ، وورث بنو إسرائيل من بعده ، وفي ذلك تعريض بهم ، أنهم سينالهم ما نال فرعون ، حيث أرادوا بالنبي ما أراد فرعون بموسى - عليه السلام . وأصحابه ، ولما كانت هذه السورة مصدراً بقصة تخريب المسجد الأقصى ، افتتحت بذكر إسراء المصطفى تشريفاً له . أي المسجد الأقصى - بحلول ركابه الشريف فيه ، جبراً لما وقع من تخريبه » .

#### الآيات:

قال تعالى : « وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١﴾ فَإِذَا جَاءَهُمْ وَغَدُّ أُولَئِمَّا يَعْتَذِرُنَّ عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَئِنَّا بِأَنَّا شَدِيدُونَ فَجَاءُوكُمْ خَلَلَ الدَّيَارِ وَكَانَ وَغَدًّا مُفْعُولاً ﴿٢﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْتٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ

نَفِيرًا ﴿إِنَّ أَخْسَنَهُ أَخْسَنَ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنَّ أَسَأَتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيُسْتَعْوَدُونَ وَجُوهُكُمْ  
وَلَيَنْدَخلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْ مَرَّةٌ وَلَيَتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَشْيِيرًا ﴾ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْتَحِكُمْ وَإِنْ عَدْثُمْ  
عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكُفَّارِ حَصِيرًا ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ إِنْ يَهْدِي لِلّّٰهِ مَنْ هُنَّ أَفَوْمٌ وَيَبْغِيُّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ الظَّلِيلَ حَتَّى أَنْ لَمْ يَأْتِهِمْ أَجْرًا كَيْبِرًا ﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾  
وَيَدْعُ إِلَيْنَا إِنْسَانٌ بِالشَّرِّ دُعَاءً هُوَ بِالْخَيْرِ وَكَانَ إِلَيْنَا إِنْسَانٌ عَجُولًا ﴾ وَجَعَلْنَا الْأَلَيْلَ وَالنَّهَارَ إِيَّاهُنَّ فَمَحْوَنَا إِيَّاهُ  
الْأَلَيْلِ وَجَعَلْنَا إِيَّاهُ الْأَنَّهَارِ مُبَصِّرًا لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ الشَّيْنَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ  
فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (12 الإسراء).

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَيْبِرًا﴾ .

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ: وأوحينا إليهم في التوراة وحياناً مقتضياً مبتوناً.

لِتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ: لفسدنا في الأرض، جواب قسم محدود، المراد بالأرض الجنس، أو أرض الشام وبيت المقدس، ومررتين إفسادتين.

وَلَتَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَيْبِرًا: ولتسكرون عن طاعة الله، من قوله أن فرعون علا في الأرض، والمراد به البغي والظلم والغلبة، لتسكرون عن طاعة الله تعالى، أو لتغلبن الناس بالظلم والعدوان، وتغطرطن في ذلك إفراطاً مجاوزاً للحد، وأصل معنى العلو الارتفاع، وهو ضد السفل وتجوز به عن التكبر، والاستيلاء على وجه الظلم.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِمَّا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّهَا أُولَئِنَّ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خَلَلَ الْدَّيَارِ  
وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً﴾ .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِمَّا: والوعد بمعنى الموعود، مراد به العقاب، وفي الكلام تقدير، أي فإذا حان وقت حلول العقاب الموعود، وقيل الوعد بمعنى الوعيد، وفيه تقدير أيضاً، وقيل بمعنى الوعد الذي يُراد به الوقت، أي فإذا حان موعد عقاب أولى الإفسادتين.

بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّهَا: البعث بالتخلية وعدم النفع (البيضاوي)، وقال الزمخشري:  
ـ خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم، وفيه دسيسة اعتزال، وقال ابن عطية: ـ يتحمل أن يكون الله - تعالى - أرسل إلى ملك أولئك العباد رسولاً، يأمره بغزوبني إسرائيل، فتكون البعثة بأمر منه تعالى ـ .

أُولَئِنَّ بَأْسٍ شَدِيدٍ: ذوي قوة وبطش في الحروب، والباس والأساء في النكابية، ومن هنا قيل، إن وصف البأس بالشديد مبالغة.

فَجَاسُوا خَلَلَ الْدِيَارِ : قال الجوهرى الجوس مصدر، وقولك جاسوا خلال الديار، أي تخللوها كما يجوس الرجل للأخبار، أي يطلبها ، أي عاثوا، وأفسدوا، وقتلوا، وتخللوا الأزقة بلغة جذام ، بمعنى الغلبة والدخول قهراً، وقال الزجاج : طافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه ، والجوس طلب الشيء باستقصاء ، وقال الألوسي : والجمهور على أن في هذهبعثة ، خرب هؤلاء العباد بيت المقدس ، ووقع القتل النربع والجلاء والأسر فيبني إسرائيل ، وحرقت التوراة .

وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا : قضاء كائنا لا خلف فيه ، وكان وعد عقابهم لابد أن يفعل ، أي لابد من كونه ، مقضايا أي مفروغا منه .  
﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْتُكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا .

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ : ثم للعطف ، وتفيد التراخي في الزمن ، يقول الألوسي .  
جعل رددنا ، موضع رد ، فعبر عن المستقبل بالماضي ، ويضيف في تفسير قوله تعالى (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ) ، أي رددنا الإنسان أسفل سافلين من النار ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير منون بعد البعث والجزاء ، وهذه الكرة بعد الجولة الأولى ، أي الرجعة والدولة والغلبة ، على الذين بعثوا عليكم .

وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ : أعطاهم الله الأموال والأولاد .

وَجَعَلْتُكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا : والنفير أي القوم الذين يجتمعون ، ليصيروا إلى أعدائهم فيحاربهم ، وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو ، أي أكثر رجالاً من عدوكم ، والنفير من ينفر مع الرجل من عشيرته .

﴿ إِنَّ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لَا نَفْسٌ كَمَّرَ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْتَوْأُ وَجُوهُكُمْ وَلَيَذْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أُولَئِكُمْ مَرَّةٌ وَلَيُتَبَرُّو مَا عَلَوْا تَتَبَرِّرُ .

إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أساءتم فالله : وهذا الخطاب قيل أنه لبني إسرائيل الملابحين ، لما ذكر في هذه الآيات ، وقيل لبني إسرائيل الكاثرين في زمن محمد صلى الله عليه وآلله وسلم ، ومعناه إعلامهم ما حل بسلفهم فليرتقوا مثل ذلك ، وأن إحسان الأعمال وإساءتها مختص بهم ، والآية تضمنت ذلك ، وفيها من الترغيب بالإحسان ، والترهيب من الإساءة ، ما لا يخفى فتأمل .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ : أي حضر وقت ما وعدوا من عقوبة المرة الأخيرة ، وجواب إذا محدوف تقديره بعثاتهم لدلالة جواب إذا الأولى عليه ، فالظاهر فإذا جاء وإذا جاء للدلالة ،

على أنْ مجِيءَ وعد عقاب المرة الآخرة، لم يترافق عن كثرةهم واجتماعهم، دلالة على شدة شكيمتهم في كفران النعم، وأنهم كلما ازدادوا عدداً وعدة، زادوا عدواناً وعزّة، إلى أن تكاملت أسباب الثروة والكثرة، فاجأهم الله - عزَّ وجلَّ - على الغرفة، نعوذ بالله - سبحانه - من مباغطة عذابه.

**لِيُسْوِعُوا وُجُوهَكُمْ**: اللام لام كي، وليسوا متعلقاً بفعل حذف للدلالة ما سبق عليه، وهو جواب إذا، أي بعثاهم ليسوا وجوهكم، أي ليجعل العباد المبعوثون، آثار المساعدة والكآبة بادية في وجوهكم، إشارة إلى أنه جمع عليهم ألم النفس والبدن.

**وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ**: اللام لام كي، والضمير للعباد أولى البأس الشديد، والمسجد مسجد بيت المقدس، قال الألوسي: «فإن المراد به بيت المقدس، وداود - عليه السلام - ابتدأ ببنائه بعد قتل جالوت وإيتائه النبوة، ولم يتممه، وأتته سليمان عليه السلام، فلم يكن قبل داود عليه السلام مسجد حتى يدخلوه أول مرة، ودفع بأن حقيقة المسجد الأرض لا البناء، أو يحمل قوله تعالى دخلوه على الاستخدام، والحق أن المسجد كان موجوداً قبل داود عليه السلام».

**كَمَا دَخَلُوا أَوْلَ مَرَّةٍ**: كما دخلوه أي دخولاً كائناً، كدخولهم إياه أول مرة، قال الألوسي: «والمراد من التشبيه أنهم يدخلونه بالسيف والقهر والغلبة والإذلال، وفيه أيضاً أن هذا يبعد قول من ذهب إلى أن أولى المرتدين لم يكن فيها قتال ولا قتل ولا نهب».

**وَلَيُتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَتَبَرِّيَا**: أي يدمروا ويخرموا، والتبار الهلاك، وليتبرروا أي يدمروا وبهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم، أو مدة علوهم، أي ما علوا عليه من الأقطار وملكته من البلاد، وقيل ما ظرفية، والمعنى مدة علوهم وغلوتهم على البلاد، تتبريراً أي تدميراً، ذكر المصدر إزالة للشك وتحقيقاً للخبر، ما علوا مفعول لتبرروا، أي ليهلكوا كل شيء غلوبه واستولوا عليه، أو بمعنى مدة علوهم.

﴿عَسَى رَبُّكَ أَنْ يَرْجُحَكُمْ وَإِنْ عَدْتُمْ عُدُنًا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكُفَّارِ حَصِيرًا﴾.

**عَسَى رَبُّكَ أَنْ يَرْجُحَكُمْ**: لبقاء بني إسرائيل عسى ربكم، إن أطعتم في أنفسكم واستقمنتم أن يرحمكم، وهذه العودة ليست برجوع دولة، وإنما هي بأن يرحم المطبع منهم، وكان من الطاعة اتباعهم ليعيسى ومحمد عليهمما السلام.

(ذلك لأن المتقدمين من المفسرين اعتبروا أن تحصل المرتدين كان قبل بعثهما عليهما السلام).  
**وَإِنْ عَدْتُمْ عُدُنًا**: وإن عدم للإفساد بعد الذي تقدم، عدنا عليكم بالعقوبة، فعقابناكم في الدنيا بمثل ما عاقبناكم به في المرتدين.

وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكُفَّارِ حَصِيرًا : أي محبوسون في جهنم لا يخلصون منها.

«إِنَّ هَذَا الْقَرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَبَيْشِرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» .

إِنَّ هَذَا الْقَرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ : أي إلى الطريقة التي هي أصوب، وقيل الكلمة التي

هي أعدل.

وَبَيْشِرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا : أي يُشرَّبُ بما اشتمل عليه من الوعد بالخير، آجلاً وعاجلاً للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، ويراد بالتبشير مطلق الإخبار، أو يكون المراد منه معناه الحقيقى، ويكون الكلام مشتملاً على تبشير المؤمنين بپشارتين، الأولى ما لهم من الثواب، والثانية ما لأعدائهم من العقاب.

«وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْنَدُنَا هُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» .

وهو عذاب جهنم، أي أعدنا و هيأنا لهم، فيما كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة، عذاباً مؤلماً وهو أبلغ من الزجر، لما أن إتيان العذاب من حيث لا يحتسب أفعى وأفعى، ولعل أهل الكتاب داخلون في هذا الحكم، لأنهم لا يقولون بالجزاء الجسماني، ويعتقدون في الآخرة أشياء لا أصل لها، فلم يؤمنوا بالآخرة وأحكامها المشروحة، في هذا القرآن حقيقة الإيمان، والعطف على أن لهم أجراً كبيراً، فيكون إعداد العذاب الأليم للذين لا يؤمنون بالآخرة مبشرًا به، كثبوت الأجرا الكبير للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، ومصدية العدو سرور يُشرَّبُ به، فكانه قيل يبشر المؤمنين بثوابهم وعقاب أعدائهم، ويجوز أن تكون البشارة مجازاً مرسلًا، بمعنى مطلق الأخبار الشامل للأخبار بما فيه سرور للمؤمنين.

«وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالشَّرِّ دُعَاءً بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا» .

ويَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالشَّرِّ: ويدعو الإنسان على ماله ووالده ونفسه بالشر، فيقول عند الغضب: اللهم العنده وأهله ونحوهما.

دُعَاءُهُ بِالْخَيْرِ: أي كدعاته ربه بالخير، أن يهب له النعمه والعايفه، ولو استجاب الله دعاه على نفسه لهلك.

وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا: بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه، قاله جماعة من أهل التفسير، وقال ابن عباس: ضجراً لا صبر له على النساء والضراء.

**﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّتْهُ تَفْصِيلًا﴾**

أي كل ما تفتقرون إليه في أمر دينكم ودنياكم، فَصَلَّتْهُ تَفْصِيلًا: بينما تبيناً لا يلتبس معه بغیره، أي بينما بياناً غير ملتبس، فأزحنا عللکم، وما تركنا لكم حجة علينا.

### **أقوال المفسرين في المبعوثين أولاً وثانياً:**

#### **من تفسير القرطبي:**

بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد، هم أهل بابل، وكان عليهم بختنصر في المرة الأولى، حين كذبوا إرميا، وجرحوه، وحبسوه، قال ابن عباس وغيره، وقال قتادة: أرسل عليهم جالوت فقتلهم، فهو وقومه أولو بأس شديد، وقال مجاهد: جاءهم جند من فارس، يتجلسون أخبارهم ومعهم بختنصر، فوعى حديثهم من بين أصحابه، ثم رجعوا إلى فارس ولم يكن قتال، وهذا في المرة الأولى، فكان منهم جوس خلال الديار لا قتل، ذكره القشيري أبو نصر، وذكر المهدوي: عن مجاهد أنه جاءهم بختنصر، فهزمه بنو إسرائيل، ثم جاءهم ثانية، فقتلهم ودمرهم تدميراً، ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ذكره النحاس، وقال محمد بن إسحاق في خبر فيه طول: إن المهزوم ستحارب ملك بابل، جاء ومعه ستة عشرة ألف راية تحت كل راية ألف فارس، فنزل حول بيت المقدس فهزمه الله تعالى، فرجعوا إلى بابل، ثم مات ستحارب بعد سبع سنين، واستخلف بختنصر، وعظمت الأحداث فيبني إسرائيل، واستحلوا المحرم، وقتلوا نبيهم شعيبا، ف جاءهم بختنصر، ودخل هو وجنوده بيت المقدس، وقتل بني إسرائيل حتى أفنائهم، وقال ابن عباس وابن مسعود: أول الفساد قتل زكريا، وقال ابن إسحاق: فسادهم في المرة الأولى قتل شعيباً نبي الله في الشجرة، وذكر ابن إسحاق: أن بعض العلماء، أخبره أن زكريا مات موتاً ولم يقتل، وإنما المقتول شعيباً، وقال سعيد بن جبير: في قوله تعالى **﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَئِكَ مِنْ شَوِيهِ فَجَاسُوا خَلَلَ الْدِيَارِ﴾** هو ستحارب من أهل نينوى بالموصل ملك بابل، وهذا خلاف ما قال ابن إسحاق، فالله أعلم، وقيل: إنهم العمالقة، وكانوا كفاراً قاله الحسن.

#### **من تفسير ابن كثير:**

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف، في هؤلاء المسلطين عليهم منْ هم، فمن ابن عباس وقتادة: أنه جالوت الجزمي وجنوده، سلط عليهم أولاً، ثم أديلو عليه بعد ذلك، وقتل داود جالوت، ولهذا قال **﴿ثُمَّ رَدَّنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾** الآية، وعن سعيد بن جبير أنه ملك

الموصل سنجاريب وجندوه، وعنہ أيضاً عن غيره: أنه بختنصر ملك بابل، وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية، لم أر تطويل الكتاب بذلك، لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقهم، ومنها ما قد يتحمل أن يكون صحيحاً، ونحن في غنية عنها ولله الحمد، وفيما قصَّ الله علينا في كتابه غنية عمّا سواه من بقية الكتب قبله، ولم يوحجا الله ولا رسوله إليهم، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبقوا سلط الله عليهم عدوهم، فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم، وأذلهم وقهراهم جزاء وفاقاً، «وَمَا زَبَّكَ بِظَلَّمِ الْعَيْدِ»، فإنهم كانوا قد تمردوا، وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء، وقد روى ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، قال: سمعتُ سعيد بن المسيب، يقول: ظهر بختنصر على الشام فخراب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق فوجد بها دمأ يغلي على كبا، فسألهم ما هذا الدم؟ فقالوا أدركتنا آباءنا على هذا، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر، قال: فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم، فسكن، وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم، حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة، وأخذ معه منهم خلقاً كثيراً أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم، وجرت أمور وكواطن يطول ذكرها، والله أعلم.

#### من تفسير الطبرى:

فكان أول الفسادين قتل زكريا، فأبعث الله عليهم ملك النبط، فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم، ثم إن بني إسرائيل تجهزوا فغزوا النبط، فأصابوا منهم، واستنقذوا ما في أيديهم، قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض متين، قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكاف، ملكاً من ملوك النبط في الأولى، وسلط عليهم بختنصر في الثانية.

ثم اختلف أهل التأويل، في الذين عنى الله بقوله أولي بأس شديد، فيما كان من فعلهم، في المرة الأولى في بني إسرائيل، حين بعنوا عليهم، ومن الذين بعث عليهم في المرة الأخيرة، وما كان من صنعتهم بهم، فقال بعضهم: كان الذي بعث الله عليهم في المرة الأولى جالوت، وهو من أهل الجزيرة، وفيما روى عن ابن عباس قوله: بعث الله عليهم جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذل، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكاً، يقاتلون في سبيل الله، فأبعث الله طالوت، فقاتلوا جالوت، فنصر الله بني إسرائيل، وقتل جالوت بيدي داود، ورجع الله إلى بني إسرائيل ملوكهم، وقال آخرون: بل بعث عليهم في المرة الأولى سنجاريب، وفيما روى عن سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام فخراب

بيت المقدس وقتلهم، وقال آخرون: يعني بذلك قوماً من أهل فارس، قالوا ولم يكن في المرة الأولى قتال، (ثم رددنا لكم...) وفي قول ابن عباس، الذي رواه عطية عنه، هي إدلة الله إياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوه، وكان مجيناً وعد المرة الأخيرة عند قتلهم يحيى، بعث عليهم بختنصر، وخرب بيت المقدس، وأمر به أن تُطرح فيه الجيف، وأعانه على خرابه الروم، فلما خرب ذهب معه بوجوهه بنى إسرائيل وأشرافهم، وذهب بدانیال وعليا وعزاريا وميشائيل، وهؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء.

وفيما رُوي عن سعيد بن جبير، قال: بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب، قال: فرَّ اللَّهُ لَهُمُ الْكَرَّةُ عَلَيْهِمْ كَمَا أَخْبَرَ، قال: ثُمَّ عَصَوْرَاهُمْ، وَعَادُوا مَا نَهَا عَنْهُ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ بِخَتْنَاصَرِ، فَقَتَلَ الْمَقَاتِلَةَ وَسَبَى النَّذْرِيَّةَ، وَأَخْذَ مَا وَجَدَ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَدَخَلُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَدَخَلُوهُ، فَتَبَرُّوهُ، وَخَرَبُوهُ، فَرَحِمُهُمْ، فَرَدَ إِلَيْهِمْ مَلْكُهُمْ، وَخَلَصَ مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ ذُرْيَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ مَلِكَ فَارِسَ بِبَابِ جِيشًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ بِخَتْنَاصَرِ، فَأَتَوْا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَدَمْرُوهُمْ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْآخِرَةُ وَوْعِدَهَا. وعن قتادة قوله: بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ، بِخَتْنَاصَرِ الْمَجْوَسِيِّ الْبَابِلِيِّ، أَبْغَضَ خَلْقَ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَسَبَّ، وَقُتِلَ، وَخَرَبَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَسَامَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ، وَفِيمَا رُوِيَّ عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ قَالَ: فَلَمَّا أَفْسَدُوا، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ، بِخَتْنَاصَرِ فَخْرَبَ الْمَسَاجِدِ.

#### من تفسير البغوي:

قال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى، ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا المحaram، وقال ابن إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى قتل إشعيا في الشجرة وارتکابهم المعاصي، «بَعَثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا»، قال قتادة: يعني جالوت الجزري وجندوه، وهو الذي قتله داود وقال سعيد بن جبير: يعني سنحاريب من أهل نينوى، وقال ابن إسحاق: بختنصر البابلي وأصحابه، وهو الأظهر، «فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ» وذلك قصدتهم قتل عيسى عليه السلام، حين رفع، وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فسلط عليهم الفرس والروم خردوش وطيطوس، حتى قتلواهم، وسبوهم، ونفوهם عن ديارهم.

#### من تفسير الشوكاني:

والمرة الأولى، قتل شعيا، أو حبس أرميا، أو مخالفة أحكام التوراة، والثانية قتل يحيى بن زكريا، والعزم على قتل عيسى، (عبدالله) قيل هو بختنصر وجندوه، وقيل جالوت، وقيل جند من فارس، وقيل جند من بابل، والمرة الأخيرة، هي قتلهم يحيى ابن

ذكر يا ( وإن عدتم ) قال أهل السير ، ثم إنهم عادوا إلى ما لا ينبغي ، وهو تكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكمان ما ورد من بعثه في التوراة والإنجيل ، فعاد الله إلى عقوتهم على أيدي العرب ، فجرى علىبني قريظة والنضير وبني قينقاع وخبير ، ماجرى من القتل والسبى ، والإجلاء وضرب الجزية ، على منْ بقي منهم ، وضرب الذلة والمسكتة .

### من تفسير الألوسي:

واختلف في تعين هؤلاء العباد في إفسادهم الأول ، فعن ابن عباس وقادة ، هم جالوت الجزري وجندوه ، وقال ابن جبیر وابن إسحاق هم ستحارب ملك بابل وجندوه ، وقيل هم العمالقة ، وفي الأعلام للسهيلي ، هم بختنصر عامل لهراسف ، أحد ملوك الفرس الكيانية ، على بابل والروم وجندوه ، بعثوا عليهم حين كذبوا آرميا وجرحوه وحبسوه ، قيل وهو الحق .

واختلف في تعين هؤلاء العباد الملعونين ، بعد أن ذكروا قتل يحيى عليه السلام في إفسادهم الأخير ، فقال غير واحد إنهم بختنصر وجندوه ، وتعقبه السهيلي وقال بأنه لا يصح ، لأن قتل يحيى بعد رفع عيسى عليهم السلام ، وبختنصر كان قبل عيسى عليه السلام بزمن طويل ، وقيل الإسكندر وجندوه ، وتعقبه أيضاً وقال : بأن بين الإسكندر وعيسى عليه السلام نحواً من ثلاثةمائة سنة ، ثم قال لكنه إذا قيل إن إفسادهم في المرة الأخيرة بقتل شعيا ، جاز أن يكون الملعون عليهم بختنصر ومن معه ، لأنه كان حيئاً حيئاً ، والذي ذهب إليه اليهود أن الملعون أولًا بختنصر ، وكان في زمن آرميا عليه السلام ، وقد أنثرهم مجئه صريحاً بعد أن نهاهم عن الفساد وعبادة الأصنام ، كما نطق به كتابه ، فحبسوه في بئر وجرحوه ، وكان تخريه لبيت المقدس في السنة التاسعة عشر من حكمه ، وبين ذلك وهبوط آدم ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثمانين وثلاثين سنة ، ويقي خراباً سبعين سنة ، ثم إن أسييانوس قيصر الروم وجه وزيره طيطوس إلى خرابه ، فخرقه سنة ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وعشرين ، فيكون بين العشرين عندهم أربعمائة وتسعون سنة ، وتفصيل الكلام في ذلك في كتبهم ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

وقال الألوسي : «نعم ما قيل إن معرفة الأقوام الملعونين ، بأعيانهم وتاريخ البعث ونحوه ، مما لا يتعلّق به كبير غرض ، إذ المقصود أنه لما كثرت معااصيهم سلط الله تعالى عليهم من يتقمّن منهم مرة بعد أخرى ، وظاهر الآيات يقتضي اتحاد الملعونين أولاً وثانياً» .

ونقول : إن هذه النبوءة تحكي واقعاً نعاصره الآن ، بكل تفاصيله «وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَهُ تَفْصِيلًا» ومعرفة وتحديد المرتدين ، أمر في غاية الأهمية . والعبرة الأخيرة للألوسي - رحمه الله - في النص السابق ، التي أكد فيها «الحادي الملعونين أولاً وثانياً» ، وهو المفسّر الوحيد من القدماء ،

الذى أشار صراحة إلى هذا الأمر، هي عبارة جوهرية في هذا البحث، يؤكدها تبع الضمائر الواردة في الآيات، وبما أن المبعوثين عليهم أولاً وثانياً متحدين، فذلك يعني أن معرفتنا لن بُعث عليهم أولاً، ستقودنا بالضرورة لمعرفة من سيعث عليهم ثانياً، ويكشف لنا عن الكثير مما أحاط هذه النبوة من غموض.

كان هذا عرضاً لجمل ما قاله المفسرون، أجلهم الله ورحمهم جميعاً، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أحداً منهم، لم يعاصر قيام دولة لليهود للمرة الثانية، وكان أكثرهم حداة، هو الألوسي الذي توفي سنة 1227 هجري، واللاحظ من أقوالهم أنهم أجمعوا على أن تحقق المرتين كان قبل الإسلام، ونسبة إحدى المرتين إلى البابليين وبقيادة بختنصر (نبوخذنصر) على الأغلب، وهو الحدث المشهور تارياً بما يسمى (النبي البابلي).

ومعظم ما تقدم من روايات هي أخبار موقوفة على أصحابها، وأصلها أهل التوراة، حيث أنها المصدر الوحيد لثل هذه الروايات، فامتلأت التفاسير منها، وهي ليست مما يرجع إليه من الأحكام، التي يجب بها العمل، فتُحرى في صحتها أو كذبها، لذلك تساهل كثير من المفسرين في نقلها، وهي في بعض منها أقرب إلى الخرافات.

أما المعاصرون من المفسرين فقد أعاد أغلبهم نسخ أقوال القدماء بشكل مختصر، وأضافوها إلى كتبهم، ولم يأتوا بجديد إلا اللهم الشيخ سعيد حوى رحمة الله والذي أتى وعلى سبيل الاحتمال الموسوم بالشك - بما يوافق ما نذهب إليه.

أما أناس هذه الأيام، من علم أو لم يعلم، فقد جاءوا بتفسيرات وأقوال شتى في هذه الآيات، منها ما وافق تفسيرات القدماء وأقوالهم من جانب، وخالفها في جانب آخر، ومنها ما خالفها جملة وتفصيلاً.

## تهميش القرآن والإسلام !

القرآن في العادة، لا يُقرأ من قبل عامة المسلمين، هذه الأيام، إلا من رحم ربى، وإن فُرئ، فهي قراءة بلا تفكّر أو تدبر، حتى أصبحنا إذا سمعناه يصدر من أحد البيوت، في حي أو شارع قريب، تساءلنا فيما إذا كان أحدهم قد مات، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعْصُمُ الظَّالِمُونَ عَلَى يَدِنَّيهِ يَقُولُ يَلْتَئِمُ أَخْنَدُثُ مَعَ الرَّسُولِ سِيَلًا ﴾ ﴿يَوْمَ لَتَبَيَّنَ لَمَنْ أَخْنَدَ فَلَأَنَّا خَلِيلًا ﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الْذِكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَنُ لِلإِنْسَنِ حَذْلًا ﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبَّ إِنْ قَوَى أَخْنَدُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (30 الفرقان). وهجر القرآن نبوةً، وقد تحققت في زماننا هذا، وأنى لنا

هذا، فالتفكير والتدبر في أمور الحياة الدنيا أشغلنا وأغنانا عن الآخرة، التي ما خلا من القرآن  
موضع إلا وذكرنا بها، وهذا أخشى ما نخشاه، لأننا لا نريد أن نتذكّر لكيلا تتألم من المصير  
المرعب الذي نسجناه بأيدينا، والذي -إنْ تذكّرناه- لم يغمض لنا جفن، ولم ترق لنا عين.

نحن -كمسلمين- مرتبتون عاطفياً بالمسجد الأقصى، ومرتبتون عاطفياً بالبطولات  
الإسلامية وأبطالها، ومرتبتون عاطفياً بالخلافة الإسلامية وخلفائها، لأنها توفر لنا شعوراً بالعزّة  
والكرامة طالما افتقدناه، ونحن بمساس الحاجة إليه هذه الأيام. وفي المقابل نحن أبعدُ مَا نكون عن  
الإسلام في حياتنا العملية، ولو نظرنا في أعماق أعماقنا لوجدنا أننا نرفض الإسلام كأسلوب  
للحياة، لأن الإسلام -بكل بساطة- يرفض مظاهر الحياة الدنيا كلها التي يتمسّك بها الآن معظم  
المسلمين، ويسعون لإيقانها، ويحرصون على إدامتها والاستزادة منها ما أمكنهم ذلك.

نص هذه النبوة موجود في كتب اليهود، فما الذي قام به زعماؤهم العلمانيون  
والمتدينون، عندما أرادوا أن يقيموا لهم دولة؟ أخذوا من النبوة الجزء الخاص بالعودة من  
الشتات ورد السبي، وفسّروها على أن الله أراد لهم ذلك، بغضّ النظر عن فسادهم  
وإفسادهم، وأخفوا النصوص التي تحدّر من العقوبة التي تنتظرون، ليُضفوا على عودتهم إلى  
فلسطين بعدَ دينياً توراتياً، ليكسبوا التأييد والدعم الماديين والمعنويين، سياسياً واقتصادياً  
وعسكرياً، من اليهود والنصارى على حد سواء.

نحن أيضاً نملك نصَّ النبوة نفسها، وملزمون بتحرير الأقصى، وقد يشعر بعضنا بالعجز  
وقصر ذات اليد، فيقوم بإضفاء الْبُعْدِ الديني على عملية التحرير، بحصرها بخلافة إسلامية،  
مستبعداً احتمالية أن يتم هذا الأمر خارج هذا الإطار العاطفي، فبدأ يُفسّر المعطيات حسب ما  
يتوافق مع هذا التوجّه، وأخرون شعروا باليأس المطلق، فنسوا أمر التحرير بشكل كامل،  
بغضّ النظر عن وجود نبوة أو حتى قرآن رعما، واتجهوا نحو النظر إلى الكائن الذي بدأ  
يستفحّل في المنطقة فربّوا على كتفه !! والقليل لا زال ينظر بشغف، مؤمناً بأن نبوة تلاشى  
ذلك الكائن قادمة، واضعاً يداً على خدّه، وبعض القليل مما أعلم بهي واقفاً كشوكة في حلقة.

## الفصل الرابع

### تفاصيل النبوة

قال تعالى : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ » (76 النمل) ، هذه الآية الكريمة تؤكد أن هذا القرآن - فضلاً عن مخاطبته للبشر كافة - جاء ليقص على بنى إسرائيل ، أي ليُخاطبهم ويوضح لهم بشكل خاص كثيراً مما اختلفوا فيه ، من أمور الدين والدنيا والآخرة . فهو يحكي تاريخهم ، ويعرض مواقفهم من أنبيائهم ، ومشاهد من كفرهم وعصيانهم وعدوانهم ، والعذابات التي أنزلها الله بهم ، ويكشف طبائعهم ، ويفضح سرائرهم ، ويُفند أقوالهم ، ويُحدّرّهم ، ويُحلّرّهم ، ويُبَيِّن لهم حقيقة ما جاء به رسالتهم وأنبياؤهم من وحي ، بعد أن طمسه وشوّهت معالله أقلام أحبارهم .

ويقول سبحانه في الآية (12) من سورة الإسراء ، « وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّتْهُ تَفْصِيلًا » ، أي أن كل شيءٍ ما سبق هذا القول من آيات ، قد يتبينه سبحانه ، بياناً واضحاً لا لبس فيه . وهذا القول البليغ ، عندما تقرؤه مراراً وتكراراً ، تجد أن له وقعاً خاصاً في نفسك ، والآيات التي تسبق هذا القول ، تخبرنا عن أمر يتعلّق بنبي إسرائيل ، من حيث إفسادهم وعلوّهم وعقابهم . وقد جاء هذا القول (بالفعل ومفعوله المطلق للمبالغة في التأكيد) مرة واحدة في القرآن ، في هذا الموضع بالذات ، تعقيباً على مجمل ما جاء قبله من آيات ، ولم يأت عاماً كما في قوله تعالى « كَتَبْ فَصِّلَتْ إِيمَانَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (3 فصلت) ، أو في قوله تعالى « وَلَقَدْ جَفَّنَهُمْ بِكَتَبِ فَصَلَّتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (52 الأعراف) .

وإن دلّ هذا على شيء ، فإنما يدلّ على أن ما تحدث عنه هذه الآيات أمر غاية في الأهمية ، ولذلك فصله سبحانه تفصيلاً ، وأبانه بياناً لا يختبره شكًّا أو نقول ، وأن هذا التفصيل جاء لعظم هذا الأمر . كما يرى الشيخ محمد متولي الشعراوي ، وأن معرفته بكل دقائقه وتفاصيله لا بدّ إلا أن يكون فيه الكثير من النفع والفائدة لمن يُخاطبهم القرآن ، وما كان بيانه وتفاصيله عبثاً . وما كان هذا الفصل إلا للتعرّف بهذه الدقائق والتفاصيل .

لو أنعمت النظر في مجمل سورة الإسراء لوجدت أنها تناوّلت ما بين أسلوبي الإخبار

والمخاطبة، ولو أنعمتَ النظرَ في مقدمة السورة ستجد أنها جاءت إخبارية ومُخاطبة لل المسلمين، بصفة عامة، وإخبارية ومُخاطبة لبني إسرائيل، بصفة خاصة.

**والسؤال الأول:** لماذا أعيد نصُّ النبوة بأسلوب المخاطبة لبني إسرائيل في عصر أمّة الإسلام؟

مقدمة السورة (الآيات 1 - 3) جاءت كتمهيد، فهي تذكر المسجد الأقصى، وتبين قدسيته عند الله، وبالتالي، عند المسلمين، وتذكّر كتاب موسى عليه السلام، وتذكّر بني إسرائيل بما جاء فيه، وبالذات عدم الشرك بالله، واتّخاذ وكلاء من دونه، ويمن الله عليهم ويدركهم بنجاة أسلافهم من الطوفان، وبالوقت نفسه يحذرهم من الهلاك، من خلال ذكر نوح عليه السلام، وأنّه ما كان لنوح ومنْ معه النجاة لولا إقراره بالعبودية لله (عبدًا) أولاً، وقيامه بالعبادة لله (وشكوراً ثانياً).

**السؤال الثاني:** لماذا التمهيد، وبهذا الشكل المروع لبني إسرائيل ؟

هناك قول بأن المرتين كلتيهما وقعا قبل الإسلام، وبالنظر إلى أن نصَّ النبوة كاملاً لم يأت بأسلوب الإخبار، وإلى قوله تعالى «إِنْ عَدْتُمْ عُذْنَا». فكان المرة الثانية هي في أيامنا هذه " كما نرى " وهي باقية ومتكررة إلى يوم الدين وعلى هذا التوالي ولا تقتصر على وقت محدد قبل الإسلام أو بعده، وإنما هي متعلقة بموقف معين أو عمل معين، فما إن يتحقق العود إلى العلو والإفساد يأتي العود بالعقوبة في الدنيا قبل الآخرة. وقد أخبرنا سبحانه في مواضع أخرى في القرآن بأنه غضب عليهم، ولعنهم، وضرب عليهم الذلة والمسكينة، وتوعدهم بأن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيمة.

**السؤال الثالث:** ما هو الأمر الذي خرج عن كل ما تقدم ، فأراد سبحانه لفت أنظارنا إليه ، مبيناً أهميته ، ومنهاً إليه ؟

إن في كل مرة كان هناك علواً وإفساداً في الأرض ، وفي الآية التي فصلت المرتين عن بعضهما " حيث لم تقل - فإذا جاء وعد كل منها - أو - فإذا جاء وعدهما - " نرى بأن المرة الثانية هي بعد الإسلام ، وعدم تحديد وقت كل إفساد يؤكد ما ذهبنا إليه من أن النبوة - إن لم تكن بعد الإسلام - فهي صالحة لكل زمان . فقد قال الشيخ الشعراوي في معرض تفسيره لسورة الكهف بأن الله - تعالى - لم يُحدّد عدد أصحاب الكهف أو أسماءهم ، لأن تلك القصة تصلح لكل فتية آمنوا بربهم ، وخافوا على إيمانهم مهما كان عددهم أو جنسهم ، فقاموا بهجرون الكفر والضلال فينصرهم الله ، بينما حَدَّدَ في سورة التحريم الآية / 12 / «الَّتِي أَخْصَنَتْ فَرَزْجَهَا فَفَخَنَتْ فِيهِ مِنْ رُؤْحَنَا» بالاسم وهي مريم بنت عمران ، لأن هذا الأمر يقتصر عليها .

**السؤال الرابع:** لماذا فصلت وقصلت الآيات، كلّ مرة على حدة؟

الآية الرابعة أجملت ثلاثة شروط من شروط المرتين، وهي الأرض (المقدسة) والعلو والإفساد، والأية الخامسة أفردت وأوجزت الحديث عن الوعد (العقاب) الأول، فذكرتبعث والجلوس وصفة العباد، وجاءت الأفعال كلها بصيغة الماضي. والأية السادسة فصلت مظاهر العلو الثاني من لحظة النشوء حتى اكمال مقوماته، من حيث القدرة العسكرية والبشرية والاقتصادية، وجاءت الأفعال كلها بصيغة الماضي، مع حملها لصفة الاستقبال.

**السؤال الخامس:** لماذا جاءت أفعال وعد الأولى بصيغة الماضي؟ ولماذا جاءت أفعال وعد الآخرة بصيغة الاستقبال؟

**السؤال السادس:** لماذا جاء التخيير ما بين الإحسان أو الإساءة، بعد اكتمال مظاهر العلو الثاني، وقبل الحديث عن عقاب وعد الآخرة، ولم يأتِ عند الحديث عن وعد الأولى؟

**السؤال السابع:** لماذا أخرجت كيفية مجئهم، عند مجيء وعد الآخرة من نصّ النبوة؟ ولماذا أفردت في نهاية السورة؟

**السؤال الثامن:** لماذا أعيد ذكر بنى إسرائيل وقصتهم مع فرعون في نهاية السورة، الآيات (101-104)؟

### الصورة الكاملة في الوقت الحاضر :

يقول الله تعالى في سورة الإسراء: «سُبْحَنَ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَى بِعْنَوْنَ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكَنَا حَوْلَهُ، لِتُرِيهِ مِنْ وَاءِتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» .

تُشير هذه الآية، بذكر المسجد الحرام، إلى نقطة البداية لانتشار رسالة الإسلام التي أنعم الله وأكرم بها نبيه محمد عليه الصلاة والسلام. وبذكر المسجد الأقصى، تُشير من طرف خفي إلى أنّ مسك الختام لهذه الرسالة، آخر الزمان، سيكون في بيت المقدس بإذن الله. وهذا مما يوحى بأنّ قيام دولة لليهود، هو أحد أشراط الساعة، والله أعلم. وأهم ما جاءت به الآية هو تعريف المسجد بوصفه بالأقصى، أي الأبعد، وبالذي باركنا حوله، وهو المسجد الذي سيكون موضوع ما يلي هذه الآية من آيات.

«وَاءَتِنَا مُوسَى الْكِتَبَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَنْجِذُوا مِنْ دُونِ وَكِيلًا» .

في هذه الآية، يحذر الله بنى إسرائيل من الاتكال على غيره «لَا يَنْجِذِدُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَفَرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَشْفُوا مِنْهُمْ نُفَذَّ

وَيُحَذِّرُكُمْ أَلَّهُ نَفْسَهُ ﴿28﴾ (آل عمران) ويدركُهم فيها بما أنزله عليهم من الهدى، ليكون لهم نوراً يهتدون به، ومن ضمته هذه النبوة، التي أعادها إلى أذهانهم مخاطباً إياهم بضمونها، وكما وردت في الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام، ويحذرهم من اتخاذ أولياء من دونه، من الإنس والجن على حد سواء.

فاختاروا الولاء لغير الله، وتمسكتوا، وحققوا مآربهم منذ البداية بالفساد والإفساد، بما خططوا له بعكرهم، ونفذه غيرهم، من فتن وحروب سبقة وهيات الظروف، وتسبّبت في وجودهم في فلسطين. ولما تمكنوا استعلوا، واستكثروا فيها، استمروا بالفساد والإفساد، وسامموا أهلها سوء العذاب، فاستحقوا غضب الله، واستوجوا العقاب، فتوافق أمرهم مع ما ذهب إليه النص القرآني بذكر إفسادهم في الأرض بحملها أولاً، ومن ثم جاء ذكر علوهم الكبير الذي نشهده هذه الأيام، في قوله تعالى: «لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُمُنَّ عَلُوًا كَبِيرًا».

﴿ذُرِّيَّةٌ مَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ .

يقول ابن كثير: «تقديره يا ذرية من حملنا مع نوح، فيه تهيج وتنبيه على المنفعة، وهذا النداء موجه لبني إسرائيل، وبالإضافة لما قاله ابن كثير، نلمس تهديداً وتحذيراً خفياً لبني إسرائيل، من وراء ذكر نوح عليه السلام، فعادة ما كان سبحانه وتعالى يمن عليهم بتذكيرهم بنعمة النجاة من فرعون وقومه، «وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَرْزَرَ فَأَجْهَبْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا إِلَى قَرْبَتِنَا وَأَنْشَدْنَا نَظَرِنَا ﴿50﴾ البقرة) إلا في هذا الموضع، وهي المرة الوحيدة في القرآن التي يمن عليهم فيها، بأنهم سلاة من حمل مع نوح عليه السلام، أي من الذين أنجاهم الله من الطوفان، حثّا لهم على الإيمان به، والعبادة والشكر له كما كان يفعل نوح والذين حملهم معه، وأن فعل هؤلاء هو الذي أنجاهم من الهلاك، فإن لم يفعلوا كما فعلوا، حلّ بهم ما حلّ بقوم نوح. وذكر نوح في هذا الموضع وتكرار ذكره، في الآية (١٧ الإسراء) «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرِبِّكَ يَدْنُوبُ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا» يوجب التمعن في سورة نوح.

يقول الله تعالى في سورة نوح: «..... أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَرِيدُ ..... إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخَرُ ..... فَلَمَّا يَرِدَهُمْ دُعَاءً إِلَى فِرَارٍ ..... جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي أَذَاغِيمٍ وَأَسْتَغْشَوْنَا بَيْنَهُمْ وَأَصْرَوْا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا ..... وَيُمْدِدُهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَهُمْ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاحَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَهْنَرًا ..... مَا لَكُمْ لَا تَزْجُونَ لَهُ وَقَارًا ..... قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَيْنِي وَأَتَبْغُوا مِنْ لَهُ يَرِدَهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ..... وَمَكَرُوا مُكْرَا كُبَارًا ..... وَقَدْ أَضْلَلُوا كَثِيرًا ..... رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَفِرِينَ دَيَارًا ..... وَلَا تَرِدَ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٩﴾» .

اقرأ هذه الآيات وتفكر وتدبّر ( .. أولاً إنذار .. ولا تأخير .. فرار .. إصرار واستكبار .. إمداد بأموال وأولاد .. وجنات وأنهار .. استهزاء وسخرية .. عصيان .. عبادة القوة والمال .. المكر الكبير .. الإضلal .. الكفر .. وأخيراً تبار ..).

وهذا هو حالبني إسرائيل .. وهذا هو الإفساد في الأرض .. ورد الله عليه أوله إنذار .. فإنْ كان هناك استكبار وإصرار .. كان هناك تبار . يقول سبحانه: ﴿مَنِ اهتَدَى فَإِنَّمَا يَهتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَلَا تَرِزُّ وَازِرَةٌ وَرَزْ أَخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْغُث رَسُولًا﴾ (15 الإسراء).

والرسول قد بعث، منذ أكثر من ألف وأربعين سنة، وقد أتاهم بالإذنار في كتاب ربه، (وصحيفة الإنذار) الموجهة لهم هي (سورةبني إسرائيل) ومن أول حرف فيها وحتى آخر حرف، حيث قال فيها: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُتَرْفِهِا﴾ وقد ساد الآن فيها قطاع الطرق واللصوص والقتلة وأسفل مجرميها ( .. فَفَسَقُوا فِيهَا .. ) فاغتالوا أصالتها، وقدسيّة أرضها، ووقار شيخوخها، وسكنية عبادها، وحياء حرائرها، وأحلام طفولتها، وحتى طهارة ساجدها ( .. فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ .. )، وهذا هو (قول) رب العزة، (... لِيُسْتَوْا وَجُوهُهُمْ ...) وهذا هو ( فعله ) ( .. فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦ الإسراء﴾ وهذا هو (تعقيمه) (... وَكَفَى بِرِبِّكَ يُدْنِبُ عَبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿١٧ الإسراء﴾ وهذه هي (خاتمه) ﴿ وَقُلْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَيْهِ مِنَ الْذِلِّ وَكَبِيرًا تَكْبِيرًا ﴿١١١ الإسراء﴾).

اقتصرت مقدمة السورة على ثلاث آيات فقط، حملت من المعاني ما يشحد الفكر والوجودان، ويعمل على تهيج العقل وتنبيهه من غفلته، لاستقبال واستيعاب ما سيأتي من عرض، لنبوءة ستغير مجرى التاريخ في يوم أو بضعة أيام. وهذه النبوءة تعني كل من سمع برسالات السماء، وتقسم في صميم معتقداتهم، وأكثراهم تأثراً هم أصحاب البيانات الثلاث، والذي يمتلك كل منهم مخزوناً عقائدياً، فيما يخص عودة اليهود إلى الأرض المقدسة، يلتقي مع أحدها ويتعارض مع الآخر في التفاصيل والأحداث.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَقَعْنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.  
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ:

ورد جذر الفعل قضى في القرآن (63) مرة، ومشتقات هذا الفعل حملت عدة معانٍ، وعادة ما يأتي هذا الفعل ليفيد تمام العمل الوارد نصاً في السياق، أو المفهوم ضمناً، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنِسَكَكُمْ﴾ (200 البقرة)، بمعنى أنجزتم مناسككم وانتهيتم منها،

وقوله تعالى في شأن لوط وقومه «وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ دَابِرَ هَذِهِ لَا مَقْطُوعٌ مُضِبِّحٌ» (الحجر)، أي أخبرناه بالأمر، على وجه الانتهاء منه، إذ لا رجعة عنه، فلا نقاش ولا جدال فيه، «وَلَا تَعْجَلْ بِالْفَرْءَ إِنْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» (114 طه)، أي من قبل أن تُخبر بوجهه، على وجه التام.

وقوله تعالى: «وَقَضَيْنَا إِلَيْنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ» أي أنا كنت قد أخبرنا بني إسرائيل في كتابهم -أي أن مضمون هذا الخبر موجود في كتابهم نصاً حتى هذه اللحظة- بما سيأتي تفصيله فيما يلي، من شأن إفسادهم وعلوهم في الأرض، وهذا الخطاب، في هذه العبارة، موجّه في الحقيقة لمن هم من غير بني إسرائيل، ممّن ليس لديهم علم أو اطلاع على هذا الأمر، ليطلعهم الله على هذا الأمر، وما كان الله ليُخْبِرُ عنه إلا لعظيم شأنه، وذلك من سابق علم علام الغيوب بما سيكون منهم مستقبلاً، وليس ما قضاه عليهم يعني الأمر أو الحكم، فحاشا له أن يأمر بالإفساد في الأرض أو أن يقضي به.

**﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَتَّنَ وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُواً كَبِيرًا﴾:**

هنا حصل التفات من الحديث عن الغائب، وهم بني إسرائيل ككل، في قوله تعالى: «وَقَضَيْنَا إِلَيْنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ» ومن ثم عاد سبحانه، لتوجيه الحديث إلى الحاضر المخاطب، وهم بنو إسرائيل (المعاصرون) لرسالة الإسلام، وذلك بسرد التبوعة، بالأسلوب والعبارات نفسها، التي أنزلت عليهم في كتابهم، قبل 3آلاف، زمن موسى عليه السلام. فجاءت نصوصها مخاطبة لبني إسرائيل، ولكن، بألفاظ عربية جزلة موجزة، كما وأضيف إليها تعقيبات، لتبيّن وتؤكّد بعض ما تتحقق منها، قبل إنزالها في سورة الإسراء مرة أخرى، على محمد عليه الصلاة والسلام. فبدأت بقوله تعالى: (لَتُفْسِدُنَّ... وَلَتَعْلَمُنَّ...).

في هذا الموضع قرآن سبحانه، ما بين الإفساد والعلو في المرتين، في قوله: «لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَتَّنَ وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُواً كَبِيرًا» (الإسراء) ولم يوضح التفاصيل، ولتكون لدينا القدرة على معرفة شكل هذا الإفساد وهذا العلو، دعنا نعم النظر في الآيات التالية، حيث اقترن فيها الأمران معاً، في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كقوله تعالى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْنَاهَا شَيْئاً يَسْتَضِيفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْرِجُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَخْنِي - بَنَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ الْمُفْسِدِينَ» (القصص)، قوله: «وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَقْنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ طُلْمَأً وَعُلُواً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْقَةَ الْمُفْسِدِينَ» (النمل) حيث جاءت هذه الآية، تعقيباً على فرعون وقومه لما أعملوا وأفسدوا، وجحدوا بآيات الله، فكان جراوهم الهلاك غرقاً.

وقوله: «**إِنَّكَ أَدْرَأَ الْآخِرَةَ بِعَمَلِهِ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقَبَةُ لِلْمُتَقِنِينَ**» (83 القصص) توضح هذه الآية بأن جزاء من لم يُرد العلو والإفساد، سواء كان قادرًا على ذلك أم لم يكن، هو أن يكون لهم حسن ثواب الدنيا والآخرة، والعاقبة للمتقين بإذن الله، وذلك تعقيباً على قارون وصنعيه وما حل به وبكتوزه، حيث قال تعالى فيما آتاه من المال والقوة: «**وَإِنَّمَا أَتَيْنَاهُ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنْتَهِي بِالْعَصْبَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ وَنَسِبُهَا إِلَى نَفْسِهِ**» (قال إنما أتتنيه، على علمي عندي أولئك يعلمون أن الله قد أهلك من قبله من القرويين من هو أشد منه قوة وأكثر جماعا)، فعلا واستكبر «**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ**» (76)، فأهلك الله «**فَخَسَفَنَا بِهِ وَبِذَارِهِ الْأَرْضَ**» (81 القصص)، ليجعله عبرة لغيره.

والملفت للنظر، أن اقتران العلو بالإفساد، جاء في أربع آيات فقط من مجلد القرآن، وكلها ذات علاقة ببني إسرائيل، وقد تقدم ذكرها أعلاه.

والقرآن كما نعلم أُنزل للناس كافة، منذ اليوم الأول لبعثة نبينا، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن ضمن هؤلاء بنى إسرائيل الذين عاصروا هذه الرسالة وهذا القرآن، وقد ذكرهم الله وما زال يذكرهم في معجزته الخالدة بما حصل لفرعون وقارون، وهم أشد الناس قرباً لهم، لما علوا وأفسدوا في الأرض، وأنهم إن أصرروا على الإفساد في الأرض، مضت فيهم سنة الأولين «**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَى سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ** فَلَمَّا تَجَدُ لِسُنْتَ اللَّهِ تَبَدِيلًا وَلَمَّا تَجَدُ لِسُنْتَ اللَّهِ تَحْوِيلًا» (43 فاطر)، وقال في سورة الإسراء: «**سُنَّةُ مَنْ فَدَ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنْتَنَا تَحْوِيلًا**» لينالهم ما نال سابقيهم، من العذاب في الدنيا والآخرة، وأن لا مناص لهم للنجاة من سخطه وغضبه، إلا بالعودة إليه والإبادة له.

علو بني إسرائيل في المرة الأولى لم تتضح تفاصيله في سورة الإسراء، لكنها جلية واضحة في موضع آخر من القرآن، وسيأتي الحديث عنها في حينه، أما ما نحن بصدده الآن، هو توضيح مفهوم العلو، ولدينا مثالان هما فرعون وقومه وقارون وكنتوزه، ويعا إن العلو المقصود هنا، هو علوهم كامة وليس كأفراد، فالخير يقع على علو فرعون وقومه، وهذه آيات تعرّضت لبعض من مظاهر هذا العلو ومقوماته، قال تعالى: «**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُوتُ أَيْسَنِ لِمَلْكِ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبَصِّرُونَ**» (51 الزخرف) وعلى لسان مؤمن آل فرعون «**يَنْقُوتِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهِيرَتِنَ فِي الْأَرْضِ**» (29 غافر)، وقال: «**وَقَالَ مُوسَى رَبِّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» (88 يونس)، وقال: «**وَأَتَرْكَ الْبَخْرَ رَهْرَأْ إِنَّهُمْ جُنُدٌ مُغْرَقُونَ كَمَّ تَرَكُوا مِنْ جَنَاحِنَ وَعَيْنِ وَرُزُوعٍ وَمَقَامِ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَنِيَهُنَّ**» (27 الدخان) وبالقليل من التدبر في الآيات السابقة.

نجد أنّ مقومات عُلُوٌّ فرعون وملئِهِ، وهو عليه القوم، ويتمثلهم في زماننا رجال الحكم والقضاء والدولة، ورجال السياسة والمال والاقتصاد والوجهاء ورؤوس الناس، تتمثل فيما يلي: ملك مصر والسيادة على أهلها، والقوة والمنعة والظهور في الأرض، وامتلاك الزينة والأموال، والجනات والعيون، والأنهار الجارية، والزرع والمقام الكريم، والنعم المختلفة.

**مفهوم العلو:** هو مظاهر من مظاهر الحياة، بمعنى الاستعلاء والارتفاع والتكبر والتجبر، من خلال امتلاك مقومات مادية، كالارض والمال والقوة، مما يمكّن الظلمة والمفسدين من سيادة الناس وسياستهم، والتحكم في تصريف شؤونهم، على وجه من الظلم والبغى.

أما مفهوم الإفساد؛ فهو يتمثل في بعض ما قيل من آيات في فرعون وقومه، قال تعالى:  
﴿وَإِنْ فَرَّعُونَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (83 يونس)، وقال: ﴿إِنَّ فَرَّعَوْنَ عَلَىٰ فِي  
الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْئًا يَسْتَصْعِفُ طَابِقَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَخْتِي  
نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (4 القصص)، وقال: ﴿إِلَىٰ فَرَّعَوْنَ وَمَلَائِكِهِ  
فَاسْتَكْبِرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِيَّاً﴾ (46 المؤمنون)، وقال: ﴿إِلَىٰ فَرَّعَوْنَ وَقَوْمِهِ  
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (12 النمل)، وقال: ﴿فَأَرْزَنَهُ  
الْآيَةَ الْكُبُرَىٰ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ فَحَسْنَ فَنَادَىٰ  
فَقَالَ أَنَا زَيْكُمُ الْأَغْلَىٰ﴾ (24 النازعات)، وقال: ﴿وَقَالَ فَرَّعَوْنُ يَنَاهَا الْمَلَأُ مَا عِلِّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾  
﴿فَاسْتَحْفَفَ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (54 الزخرف) «وَأَصْلَلَ  
فَرَّعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَذِي﴾ (79 طه).

ومظاهر إفساده تمثل فيما يلي: جعل أهل مصر فرقاً وطوائف متنابذة، واستضعفاف طائفة منهم (بني إسرائيل)، بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، والإسراف في كل أمره، والاستكبار والفسق، وتكميم الرسل، ومعصية الله وجحود آياته، وادعاء الريوبوينة والألوهية، واستخفاف الناس وإضلالهم.

**مفهوم الإفساد:** استضعف الناس وتفرقهم وتصنيفهم، وإثارة الفتنة فيما بينهم، والقتل وسفك الدماء، وتکذیب الرسل، وتکذیب آيات الله وجودها، ومعصية الله ورسله، واستخفاف عقول الناس وتضليلهم وإضلالهم، وإنكار ربوبيّة الله، وإنكار أحقيته في العبادة

لعلُّو وإفساد فرعون ومائته، وما علينا إلا أن نبحث، في ماضي بني إسرائيل وحاضرهم، عن أي حالة ترافق فيها مثل هذا العلوُّ ومثل هذا الإفساد، كما هو الحال بالنسبة لفرعون وقومه. ولن نذهب بعيداً، فإدحاهما موصوفة في القرآن الكريم وبالتفصيل أيضاً. والآخرى شاهدها بأم أعيننا على أرض الواقع، منذ أكثر من خمسين عاماً.

### في الأرض :

قرن سبعهانه تعالى بين الإفساد والعلو للمرتدين كلتيهما بالأرض، ولفظ الأرض هنا اسم جنس، وجاءت كذلك لتشمل الجزء والكل والخاص والعام، حيث قال في الآية (4): «لَتُقْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَتَيْنِ وَلَتَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا» ولم يحدد مكاناً بعينه، وعاد سبحانه وحدَّد موقع العقاب في المرتدين، حين قال في الآية (7): «إِلَيْسُنُوا وُجُوهَكُمْ وَلَيَذْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ» حيث ربط ما بين العقاب والمسجد، لنفهم من ذلك أن العقاب الموعود به بنو إسرائيل والمقصود هنا، سيفندُ فيهم في المرتدين، خلال تواجدهم في فلسطين (الأرض المقدسة)، وذكر المسجد للإشارة إلى المكان. وهذا المسجد تم تعريفه في بداية سورة الإسراء، في قوله تعالى: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكَنَا حَوْلَهُ» وقوله الذي باركنا حوله، أي ما يليه من الأرض، ولم يقل باركتنا فيه، أي لم تُحصر البركة في المسجد فقط، بل شملت ما حوله من الأرض.

والملاحظ أن ذِكرَ الإفساد حُصر في المرتدين، وأن ذِكرَ الإفساد سبق ذكر العلوُّ، وأن العلوُّ لم يُحصر في المرتدين، بل أفرد ووصف بالكبير. وبما أن التركيز هنا على المرة الثانية، فذلك يوحى بأن الإفساد في المرتدين متطابق، وبأن تحصيلهم للعلوُّ، على الأقل في المرة الثانية، سيتأتى عن طريق الإفساد، وأن العلوُّ الثاني أكبر من الأول، لذلك تأخر ذِكرُ العلوُّ وصفته، عن كلمة مرتدين للاختلاف. ذلك لأن إفساد بني إسرائيل المتأتي عن العلوُّ، اقتصر على حدود فلسطين في المرة الأولى، وهذا ما يُثبته القرآن والتوراة. وأما إفسادهم وعلوهم الأخير في فلسطين، والذي نعيشه الآن، سبقه ورافقه إفساد وعلوٌّ، شمل مشارق الأرض ومحاذيبها. والله أعلم. وبما أن العقاب سيحلُّ بهم في الأرض المقدسة، يترتب على ذلك حتمية سبق وقوع الإفساد والعلوُّ فيها، حتى ولو سبق منهم الإفساد والعلوُّ في الأرض على عمومها، أو تزامن مع إفسادهم وعلوهم، في الأرض المقدسة، لذلك جاء الحديث مجملأً في الآية (4) وهي الآية الأولى من قصة الإفسادتين، فذِكرُ الإفساد والعلوُّ، لاشترط وقوعهما في المرتدين، ولم يأتِ بأي تفاصيل لأيٍ من المرتدين فيها.

**وخلصة القول:** إن الأرض التي س يتم فيها علو بني إسرائيل وإفسادهم هي الأرض على عمومها في المرة الثانية، وفلسطين بشكل خاص في المرتين. وإن عقابهم في المرتين سيكون في الأرض المقدسة خاصة، وزوال علوهم في المرة الثانية، من الأرض على عمومها، والله أعلم.

**مرتدين:**

المرة، هي الفعلة الواحدة، من شيء يمكن تكراره، والجمع مرار، واعتقدنا أن نجمعها على مرات. وقد أوضح سبحانه -بما لا يدع مجالاً للشك- أنهما مرتان بصريح النحو.

وعندما تقول: مرة، ومرتان، وثلاث مرات، فأنـتـ في الواقع، تـعـدـ فعلة واحدة تـتـكرـرـ، ولها صفة الاستمرار، كالعمرـةـ والـحـجـ مثـلاـ لـتـقـولـ اـعـتـمـرـ مـرـةـ، وـمـرـتـينـ، وـثـلـاثـ، وـالـعـمـرـةـ لـهـاـ شـرـوـطـ وـمـنـاسـكـ خـاصـةـ بـهـاـ، تـيـزـهـاـ مـنـ غـيرـهـاـ كـالـحـجـ مـثـلاـ، وـلـاـ يـصـحـ أـنـ تـعـدـ أـفـعـالـ مـخـلـفـةـ عـلـىـ أـنـهـاـ مـرـاتـ، كـأـنـ تـقـولـ مـثـلاـ. عـنـدـمـاـ تـعـمـرـ مـرـةـ، وـتـحـجـ مـرـةـ. اـعـتـمـرـ مـرـتـينـ، أوـ حـجـجـتـ مـرـتـينـ. وـلـاـ يـصـحـ أـنـ تـسـمـيـ فـعـلـةـ غـيرـ مـكـتـمـلـةـ الشـرـوـطـ وـالـمـواـصـفـاتـ عـلـىـ أـنـهـاـ مـرـةـ، كـعـمـرـةـ بلا طـوـافـ أوـ سـعـيـ.

**وخلصة القول:** إن المرتين تكرار لفعلة واحدة، ت تلك الشروط والمواصفات أنفسها، وبما أن إفساد بني إسرائيل في الأرض بدأ منذ نشأتهم، قبل حوالي (3)آلاف سنة، واستمر لغاية هذه اللحظة، كان من الضروري لنا أن نستتبع من هذه الآيات شروطاً ومواصفات تجعل من السهولة بمكان، تحديد المرتين ويدقة متانة، وتحديد موقعهما من حيث الزمان والمكان، وأول شرط من الشروط هو الإفساد المترن بالعلو، والشرط الثاني أن يكون في الأرض المقدسة دون غيرها.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِنَّهُمْ بِعَنْتَاعِيْكُمْ عِبَادَ النَّارِ أُولَئِنَّ يَأْسِ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خَلَلَ الدَّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾  
فـإـذـاـ جـاءـ وـعـدـ أـولـئـهـمـاـ:

جاء؛ أي مجيء الوقت المعين أو الموعد المحدد، والوعد، أي الموعودين به من العقاب والهلاك، والمعنى إجمالاً هو مجيء زمن الاستحقاق، لنفذ الوعيد بالعقاب والهلاك، ومجيء الوعيد متعلق بتحقق الشروط الثلاثة في الآية السابقة، ويتوضح هذا المعنى في قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَؤْعِدًا» (59 الكهف)، أي ربط الهلاك بموعيد معين، لا يتأخر ولا يتقدم، كما في قوله تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» (34 الأعراف). وسرعة مجيء موعد الهلاك وإبطاؤه تعتمد على درجة الظلم، وتتجدد ذلك في قوله تعالى: «وَتِلْكَ الْقَرْنَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا» (59 الكهف)، قوله: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرْنَى

حتى يبعث في أمها رسولاً ينثوا عليهم، ابنتنا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقَرْبَى إِلَّا وَأَهْلَهَا ظَلِيلُونَ》 (59 القصص)، والظلم المقصود هنا هو الظلم الأعمي، مع توافر الإصرار. إذ كلما زادت درجة الظلم، وزادت وتيرة اقترافه أسرع إلى الأمم قدرها المختوم، لتمضي فيها سنن الله، التي لا تحول ولا تبدل.

بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ:

قال تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ شَرِيكَهُ رَسُولًا مِّنْهُمْ» (2 الجمعة)، وقال: «ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لِغَلَقِكُمْ تَشْكُرُونَ» (56 البقرة)، وقال: «فَبَعَثْنَا اللَّهُ عَزَّ ابْنَاهُ بَعْثَةً فِي الْأَرْضِ» (31 المائدة)، «فَإِذَا جَاءَهُ وَعْدُ أُولَئِمَّا بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّهَا» (5 الإسراء) ومن خلال التدبر في الآيات السابقة نجد أن المبعوث من قبله - سبحانه - ليس له القدرة على بعث نفسه، وذلك على حالين:

الأولى: هي وجود الإرادة الإلهية وانعدام الإرادة البشرية، فالرسل - عليهم السلام - يتلقى الرسالة عن طريق الوحي - يتقللون من حال الغفلة والسكنون إلى حال الهدایة والدعوة، والموتى يتقللون بنفخ الروح فيهم من حال الموت إلى حال الحياة. وفي هذه الحالة يكون التدخل الإلهي ظاهراً، بإحداث البعث عن طريق إرسال الروح والوحى، سواء كانت وسيلة البعث مادية أو معنوية.

والثانية: هي وجود الإرادتين كليهما، مع تعليق الإرادة الثانية بالأولى، فالآباء يملكون الإرادة في بعث أنفسهم لتصريف أمورهم الدنيوية، ولكنها إرادة معلقة بالمشيئة أو الإرادة الإلهية، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فإن توافقت الإرادة البشرية للقيام بأمر ما مع الإرادة الإلهية وقع ذلك الأمر، وإن لم تتوافق لم يقع، قال تعالى: «وَمَا نَشَاءُ إِنَّ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِ حِكْمَةً» (30 الإنسان). وفي هذه الحالة يكون التدخل الإلهي غير ظاهر، حيث أنه يتم عن طريق التمكين، بإزالة المعوقات والثبيطات وإيجاد التسهيلات والمحفزات، سواء كانت الوسائل مادية أو معنوية.

وفي الحالتين كليهما يكون البعث من عند الله، ولذلك تسب سبحانه بعث أولئك العباد إلى نفسه، لأن الله سيمكن لهم الأسباب والسبل عند خروجهم لتحقيق وعده فيبني إسرائيل . وأما هؤلاء العباد فسيخرجون من تلقاء أنفسهم، ورغبة منهم في ذلك، بدفع من أسبابهم الخاصة . قال تعالى: «وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَا يَعْدُوا لَهُمْ عَذَّةٌ وَلَكِنْ كَرَهَ اللَّهُ أَنْ يُعَانِهِمْ فَبَطَّهُمْ وَقَلَّ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَبِيدِينَ» (46 التوبه).

أي لو أرادوا الخروج، لأعدوا عدّة الخروج، ولكنهم لم يُعدوا العدة، لأن رغبة الخروج لديهم معدومة أصلًا. وبما أن إرادتهم معدومة، كره الله انبعاثهم، فبطّهم كي لا يخرجوا مكرهين حياءً أو رباءً، خشية تأثيرهم السلبي على الخارجين. وفي المقابل، فإنَّ من وُجد لديه الإرادة والرغبة في الخروج، كان الأولى بيازالة المُثبّطات، وإحاطته بالمحفّزات لتمكينه من الانبعاث والخروج.

**مفهوم البعث:** هو انتقال، أو انقلاب، أو تحول، أو تغيير من حالة إلى أخرى، نتيجة مُسبِّب خارجي، مادي أو معنوي.

وخلاصة القول: إنَّ عملية البعث هنا، معلقة بالمشيئة الإلهية، وموعد البعث منوط بهذه المشيئة، وإن هؤلاء المبعوثين، ولو تولدت فيهم الإرادة، ومهما حاولوا الانقضاض، مواراً وتكراراً على بني إسرائيل، للقضاء عليهم وإنفائهم، فلن يتمكنوا من ذلك، حتى مجيء ذلك الموعد.

## عِبَادًا لَّنَا:

معظم الناس هذه الأيام، يعتقدون اعتقاداً جازماً لا شك فيه بأن هؤلاء العباد المشار إليهم، في هذه العبارة، هم عباد مؤمنون، بل من أولياء الله المخلصين. وبيان خطأ هذا المعتقد، ستناقش هذا الأمر من عدة وجوه، وبما أن هذه العبارة، أحد أهم مرتکزات الفهم الخاطئ، للنبوة التي جاءت بها آيات سورة الإسراء، ستتناولها بالشرح والتفصيل بما يتاسب مع حجم المساحة التي احتلتها في أذهان الناس:

### أولاً: رأي المفسرين القدماء:

هذه العبارة، لم يكن فهم معناها ومجازها مشكلة للمفسّرين القدماء، وهم الأكثر قرباً وفهمًا للألفاظ العربية وتركيباتها اللغوية، ولو طالعت تفسيراتهم للعبارة وأراءهم في أصحاب البعث الأول والثاني، التي أجملناها في الفصل السابق، لوجدت أنهم -بلا استثناء- لم يعيروها أدنى انتباه، وبما أنهم، جزموا بأن تحقق الوعدين قد تم قبل الإسلام فهم على الأقل، لم يثبتوا لهم صفة الإيمان، حيث أن بني إسرائيل آنذاك كانوا من أهل الكتاب، وكل من حولهم كانوا من عبدة الأوثان. بل على العكس من ذلك، نجد أنهم -بلا استثناء- كانوا قد أثبتو لهم صفة الكفر.

## ثانياً: الكلمة عباد نكرة، وإضافتها للجار وال مجرور لم توضح ماهية المعتقد:

لو أنعمنا النظر في تركيتيها لوجدنا أنه سبحانه نكر هؤلاء العباد، ولم ينسبهم إلى نفسه حتى بضمير متصل، كأن يقول عبادنا، وأضافها إلى الجار والمجرور (لنا)، لفهم أن تكيرهم، كان غاية بحد ذاته، والإضافة للجار والمجرور، جاءت هنا للتفيذ ملكية الله لهم فقط، وليس لها علاقة ببيان ماهية المعتقد. وذلك ليعلم بنو إسرائيل، أن هذا البعث من عند الله، ويتمنى منه سبحانه، فكل ما يجري على الأرض - بخيره وشره - لا يكون إلا بمشيئة الله - جل وعلا - ويتقدّر منه.

## ثالثاً: الفرق بين العبودية والعبادة:

لعلم أن أصل العبودية الخضوع والذل، كرهاً أكثر منها طوعية، وأصل العبادة الطاعة والولاء، طوعية ورغبة لا كراهة فيها.

وتحب العبودية على الخلق بالربوبية أو بالملكية، بدافع من الخلق والإيجاد، الموجب لحق الملكية، للخالق على المخلوق، واقرأ سورة الملك إن شئت فهي تُفصلُ الأمر ، ونجدها في قوله تعالى : « قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَنْبَيْ رِبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ » (164 الأنعام) أي صاحب كل شيء ، وقوله : « وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا » (17 المائدة) أي مالك للسماءات والأرض ، وقوله : « خَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ » (102 الأنعام) مما يعقل ولا يعقل ، والخلق هو الدافع للربوبية والملكية ، ولذلك قال جَلَّ شأنه : « إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَى أَرْجُنَتِنِ عَبْدًا » (93 مريم) من الملائكة حتى الذرة من التراب ، رغمًا عن أنوفهم لا خيار لهم ، بدافع ما سبق من خلقه إياهم ، قال تعالى : « ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْنَا أَتَيْنَا طَাپِيعِينَ » (11 فصلت) ، طوعاً من قبيل العبادة ، ولو لم تأتيا طوعاً ، لكن ذلك كرهاً من قبيل العبودية ، حيث قال تعالى : « تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مَنْ شَاءَ إِلَّا يُسْبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَئِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِحُهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » (44 الإسراء).

ويندرج تحت العبودية بالربوبية عبودية الرق بداع الشراء أو ما شابه ، التي توجب الملكية وحق التصرف بشؤون العبد كلها ، ومن هنا جاءت تسمية الرقيق بالعبد ، كما في قوله تعالى : « وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَتُنَّ بِهِمْ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَزْجِعْ إِلَى رِبِّكَ فَسَلَّمَ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطْعَنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبَّنِي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ » (50 يوسف) والملك هو ملك مصر ، وهو رب الرسول أي صاحبه وسيده ، والرسول هو الفتى نفسه الذي قال : « إِنِّي أَرَيْتَنِي أَعْصِرُ خَمْرًا » ، وربوبية الملك لهذا الفتى جاءت بداع الملكية .

ونجده - سبحانه - يدعو إلى الإقرار بالربوبية والخلق ووحدانية الألوهية أولاً، ومن ثم يأمر بالخضوع له، وإن فراده سبحانه بالعبادة والاتكال عليه، في قوله: «ذَلِكُمْ أَلَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ» (102 الأنعام). فلا تستقيم العبادة إلا بإقرار، أما العبادة بالتألية - بمعنى اتخاذ آلهة - فتجدها في قوله تعالى: «هَنُؤُلَاءِ قَوْمًا أَنْهَدُوا بَنِ دُونِهِ إِلَهَهُمْ» (15 الكهف)، أو إليها دون سواه، وكما في قوله: «أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهُنَّ أَشَدُ مُسْلِمِينَ» (108 الأنبياء)، ومن ثم تقديم فروض الطاعة والتقديس والولاء، كما في قوله: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَنَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (56 الذاريات)، وقوله: «أَنْهَدُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهَبْتُهُمْ أَنْ يَأْتُوكُمْ مِنْ دُونِنِ أَلَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَيْهَا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُبَحْتُهُمْ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (31 التوبه)، فهي تشمل الخلق جميعهم أيضاً، والناس كلهم على وجه البساطة في الحقيقة، لهم آلهة يعبدونها، سواء كانوا من أهل الكتب السماوية أووثنيين أو ملحدين، فكلهم يمارسون العبادة. أما المؤمنون بالله فهم من نسبت عبادتهم لله، وليس من نسبوا بذواتهم فقط. قال تعالى: «صَبَقَةَ أَلَّهِ وَمَنْ أَخْسَنَ مِنْ أَلَّهِ صَبَقَةَ وَنَحْنُ لَهُ عَبْدُونِ» (138 البقرة).

الربوبية لله أولاً، ولا يستقيم الحال بإقرار الربوبية لله وحدها دون القيام بالعبادة. وهذا ما كان عليه كفار قريش، حيث أنهم أقرروا بربوبية الله لهم، ولكنهم أشركوا بالعبادة، قال تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّمَا يُؤْفَكُونَ» (87 الزخرف)، بينما عبادتهم للأصنام قالوا فيها: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى أَلَّهِ زُلْفَى» (3 الزمر).

ومن ذلك يُسمى من يرزع تحت العبودية كرهاً عبداً، فلا خيار في لا يكون، فهو مرغم، ويُسمى من يقوم بواجبات العبادة طائعاً عبداً، فال الخيار في أن يكون أو لا يكون، عائد إليه، وأشد الكفر، هو ما أنكر العبودية والعبادة لله معاً، وشتان ما بين المسميين.

#### رابعاً: الإفراد والجمع:

عباد وعييد كلمتان متراdicفان، ومفردهما عبد، والعبد لغة ضدّ أو تقىض الحرّ، فكلمتا (عبد) و (عييد) هما صيغة الجمع من الكلمة (عبد)، وذلك بدلالة النص القرآني في قوله تعالى: «فَوَجَدَا عَبْدَنَا مِنْ عِبَادِنَا أَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» (65 الكهف)، ولو قال: (عبدان من عباداً) لاختلف الأمر، وتدبّر قوله تعالى: «ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» (3 الإسراء)، نجد أنه سبحانه يُخبر أن نوح عليه السلام، كان عبداً أولاً، وعبدان بالشكر لله ثانياً.

أما كلمة (عبد)، وهو القائم بالعبادة، فصيغة الجمع منها هي (عبدون)، وذلك بدلالة قوله تعالى: «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبَدْتُ» (5 الكافرون).

خامساً: ترافق كلمتي عباد وعبد في المعنى والاستخدام:

وقد أطلق سبحانه لفظ عباد على العبيد بمعنى رقيق، ونجد ذلك في قوله تعالى: «وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَنِيْ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عَبَادَكُمْ وَإِمَامَكُمْ» (32 النور)، نجد أن الضمير المتصل (كم) في كلمة (عبادكم) يعود على المؤمنين المخاطبين بالنص، وما لا يعقل، أو من المستحيل أن يقول بأن كلمة (عبد) جاءت لغة من العبادة، فهي لا تحمل هذا المعنى على الإطلاق، ولو بدلالة هذه الآية فقط.

وأما الترافق في الاستخدام، فقد جاء في قوله: «وَمَا آتَ اللَّهُ بِرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَبَادِ» (31 غافر) وقوله: «وَمَا زَرَتُكُمْ بِظُلْمٍ لِّلْعَبَدِ» (46 فصلت) وقوله: «قَالَ الَّذِينَ أَسْتَعْتَبُهُمْ إِنَّا كُلُّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعَبَادِ» (48 غافر)، نجد أن المعنى المستفاد من عباد وعبد، هو جملة خلق الله، مؤمنهم وكافرهم على السواء.

سادساً: الكلمة عباد نكرة، ولا يعرفها إلا ما يأتي بعدها من سياق:

تشمل العبودية كل من في السماوات والأرض، وما بينهما من الخلق، وتشمل العبادة كل من يملك العقل والإرادة من خلقه، ومنهم على سبيل المثال الملائكة والإنس والجن، وهم المطالبون والمكلفوون، يأفراده - جَلَّ وعلا - بالألوهية والعبادة، والمحاسبون عليها، فإن جاءت كلمتا عباد أو عبد معرفتين أو غير معرفتين بألف التعريف، أو بالإضافة، فهما تفيدان جملة الخلق، كقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعَبَادِ» (48 غافر). ولا تفيد أي معنى آخر على الإطلاق، إلا إذا أضيف إليهما ما يفيد ذلك: كقوله تعالى: «إِنَّهُ مِنْ عَبَادَنَا الْمُؤْمِنِينَ» (81 الصافات) ليُبرِزَ فيهم سبحانه صفة الإيمان، فهم عباده المؤمنون، وفيها حثٌ على الإيمان به. أو دلَّ السياق على غير ذلك من نفي أو إثبات لصفة دون غيرها، لتناسب الموقف، كقوله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عَبَادِهِ الْعَلَمَتُوْا» (28 فاطر) ليُبرِزَ فيهم صفة العلم، وحصر خشية الله بن يتصرف بالعلم، فهم عباده العلماء، وفيها حثٌ على طلب العلم، وقوله: «أَنْتَ أَضَلَّتْ عَبَادِي هَتُّلَّاً أَمْ هُمْ ضَلَّوْا أَسْبِيلَ» (17 الفرقان) دلَّ السياق على ضلالهم، فهم عباده الضالون، وفيها تحذير من الضلال، وقوله: «فُلْنَ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» (53 الزمر) دلَّ السياق على إسرافهم، فهم عباده المسرفون، وكلهم نسبهم الله إلى نفسه، بالإضافة ضمير متصل يعود عليه سبحانه.

**سابعاً: التركيب اللغوي للعبارة جيء به لتخصيص جزء من كل بصفة معينة:**

ولتوبيح ذلك لاحظ الفرق بين أن تقول (هذا بيتنا) وذاك (بيت لنا)، يفهم المستمع من العبارة الأولى أن هذا البيت ملك لكم وخاصّتكم وأنّكم مقيمون فيه، وأما الثانية؛ فيفهم منها المستمع أن ذلك البيت ملك لكم، وأنّكم غير مقيمين فيه، وربما يكون فارغاً أو مؤجراً. ومن هنا نجد أن عبارة (بيت لنا)، تعني أنّ بيتكم هذا هو واحد من جملة بيوت تملكونها، ولا تعني شيئاً آخر على الإطلاق، وأنّك زدته تكيراً بمثل هذا اللفظ. وأنك لو قلتَ (ذاك بيت لنا ذو غرف كثيرة)، نفهم أنك أبرزتَ فيه صفة معينة، اخترصَ بها دون غيره، من البيوت التي تملكونها، وهي احتواه على غرف كثيرة، وميزته من باقي بيوتكم، التي في معظمها ذات غرف قليلة. وكذلك الأمر بالنسبة لعبارة (عبدالنا)، التي جاءت منكرة أيضاً لإبراز صفتهم، (أولي بأس شديد)، التي يتميّزون بها من غيرهم، من جملة عباد الله مؤمنهم وكافرهم، ولم يأتِ السياق بتصرّيف أو تلميح عن ماهية معتقدهم.

**وأخيراً: تدبر هذه الآيات:**

﴿وَقَالَ لِأَنْجَدَنَ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مُفْرُوضًا﴾ (118 النساء) (أي أن من جملة العباد المنسوبين إلى الله هناك نصيب لإبليس).

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ أَتَبْعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (42 الحجر) (أي أن سلطان إبليس محصور فقط على أتباعه من الغاوين، الذين هم من جملة العباد المنسوبين إلى الله).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَا يَسْتَجِيبُوْ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (194 الأعراف) (أي أنتم وهم، أي العابد والمعبود، سواء في كونكم عباد).

﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آتَيْتُمْ﴾ (31 إبراهيم) (أي أن الخطاب لعبادى الذين آمنوا، دون عبادي الذين كفروا).

﴿تِلْكَ الْجُنَاحُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (63 مریم) (وأن النار لم يكن تقياً من عبادنا).

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنَّ خَيْرُ الْرَّاجِحِينَ﴾. (109 المؤمنون) (أي وكان هناك فريق من عبادي يقولون غير ذلك).

﴿فَلَمَّا يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَانٍ سُنُّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَفَرُونَ﴾ (85 غافر) (أي في مجمل عباده، والخاسرون منهم، هم الكافرون دون المؤمنين).

﴿نَهِيَ بِعَمَلِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادَتِهِ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (52 الشورى) (أي وهنَاكَ مَنْ لَمْ يَنْهَا مِنْ عِبَادَتِهِ).

﴿إِنَّ كُلُّ مَنِ في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَى رَحْمَنَ عَبْدَهُ﴾ (93 مريم) (مؤمنهم وكافرهم بلا استثناء).

وفي الحديث الصحيح الطويل الذي رواه مسلم وأخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجة وأحمد، جاء ما جاء نصه: ... إِذَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادَتِي، لَا يَدَانِ لَأَحَدٍ يَقْتَالُهُمْ، فَحَرَّزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ (جبل القدس)، وَبَعَثَ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ... يرد التركيب اللغوي نفسه لعبارة (عبدًا لنا)، وهو (عبدًا لـي) والمقصود به هم يأجوج وهم مأجوج، الذين قال فيهم سبحانه: ﴿قَالُوا يَنْدَا الْقَرْنَتَنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهُنَّ تَمْجِعُ لَكُوكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْتَنَا وَبَيْتَهُمْ سَدًا﴾ (94 الكهف).

**وخلالصة القول:** إن الكلمة (عبدًا)، جاءت نكرة، وكلمة (لنا) لم تعرفها، وإنما جاءت هنا لتأكيد الملكية فقط، والخلق كلهم ملك لله، ليؤكد سبحانه لهنَي إسرائيل أن هذا البعض سيكون من عنده، وبما أن هؤلاء العباد ملكه فهم رهن إشارته وطوع بناته ويملك حق التصرف بشؤونهم، فإن شاءَ بَعَثَ، وإن شاءَ أَمْسَكَ. وأكثر المعاني دقةً لهذه العبارة (لنا)، هو أنهم (طائفة من خلقنا) لا أكثر من ذلك ولا أقل، وأهم ما يميز هؤلاء الخلق من غيرهم أنهم (أولي بأس شديد) فقط لا غير.

وإن ورود لفظ (عبد) في القرآن لم يقتصر على أولياء الله وأحبائه، وإنما جاء هذا اللفظ في الخطاب القرآني، مَنَّا على العباد بنعمة خلقه إياهم، ورفقه ولطفه بهم، مطاعهم وعاصيهم، والكلمات (عابدي، عبادنا، وعباده) عادة ما تأتي كتهية، لما سيأتي بعدها، من صفة مميزة، أو سياق يدل على صفة، وهي المراد إبرازها أصلًا، فإن كانت صفة محمودة كالإيمان والعلم فقد أبرزت تحبيًّا بها، وإن كانت صفة مذمومة كالضلالة والإسراف فقد أبرزت تنفيًّا منها.

وأما صفة البأس الشديد، فقد أبرزت تهديداً وتحذيراً وتخويفاً لبني إسرائيل، من سوء عاقبتهم بوقوعهم بين أيدي مثل أولئك الخلق الذين لن يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة، لعلهم يتنهون ويرجعون ويرتدعون عمّا هم عليه من فساد وإفساد.

**أولي بأس شديدٍ :**

وصف الله هؤلاء العباد، بأولي بأس الشديد، وبالبأس. كما قدّمه معظم المفسّرين - هو القوة والبطش في الحروب، والشدة جاءت زيادة في المبالغة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ﴾ (25 الحديد)، فانظر وتفكّر في معدن الحديد، فهو يحمل في جوهره

صفتين قلما تجدهما في معدن آخر. وهما؛ أولاً: أنه يحافظ على طبيعته، مهما عظم عليه الطريقَ واشتدَّ، ولا يحترقُ أي يتحول إلى مادة أخرى، مهما ازدادت شدة التيران عليه، وإن انصرَّ عاد إلى سابق عهده عند البرودة، وهذه الصفة إنْ وُجدت في البشر فهي الجلدُ والصبر عند وقوع البلاء. وثانياً: أنه عند تشكيله وشحذه فهو قويٌ قاتل وقاطع، لذلك قيل "لا يفلُ الحديد إلا الحديد"، وهذه الصفة إنْ وُجدت في البشر فهي القوة والبطش عند مواجهة الأعداء.

وفي قوله تعالى: «وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا» (84 النساء) نجد أنه سبحانه قد وصف نفسه بالصفة ذاتها، وبما أنَّ الباس الشديد تعني القوة والبطش فأين تُستعمل هذه القوة وهذا البطش من قبله سبحانه؟ وفي أي الواقع والمواقف يصف ربُّ العزة نفسه بهاتين الصفتين؟ القوة والبطش؟ دعنا تتبع هذه الصفات والعلاقة ما بينها في الآيات التالية «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ» (12 البروج) «يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكَبِيرَ إِنَّا مُنتَقِمُونَ» (16 الدخان) نجد أنَّ الشدة ارتبطت بالبطش، والبطش بالانتقام.

«إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (52 الأنفال) «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» (40 الحج) «فَأَخَذَنَّهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ» (42 القمر) «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى وَهِيَ طَائِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» (102 هود) «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتَقَامِيٍّ» (4 آل عمران)، ونجده أنَّ الشدة ارتبطت بالقوة، والقوة بالعزَّة، والعزَّة بالأخذ، والأخذ بالشدة، والشدة بالعزَّة، والعزَّة بالانتقام.

وما نقدم نجد أنَّ الموقف الذي يستدعيه جَلَّ وعلا لإظهار بأسه الشديد هو موقف الانتقام، وأنَّ الانتقام لا يأتي إلا مِنْ هو قويٌّ وعزيزٌ.

وخلاله القول: إنَّ هؤلاء العباد الملعوبين من قبله سبحانه علىبني إسرائيل، اختارهم الله لتنفيذ مهمته، وهي إإنزال أبشع انتقام إلهي ممكن فيبني إسرائيل، لذلك تطلب الأمر أن يكونوا أولي بأس شديد، ويتمتعوا بالقوه والعزَّة، ذوي صبر وجَلَدٍ عند وقوع البلاء، وقوه وبطش عند اللقاء، بغضِّ النظر عن إيمانهم أو كفرهم، زيادة في التنكيل وإمعاناً في الإذلال لبني إسرائيل، وما عدا ذلك من صفات العباد لا تصلح لتنفيذ هذه المهمة. والفتورات التي اتخذت الطابع الإسلامي قدّيماً وحديثاً لم تحمل الطابع الانتقامي بإهلاك الحرف والنسل، الذي سيكون عليه الأمر الذي تصفه الآيات.

فَجَاسُوا خَلَلَ الْدِيَارِ:

لم ترد كلمة (جاسوا)، أو أي من مشتقات مصدرها (جوس) في مجمل القرآن، إلا مرة

واحدة فقط في هذا الموضع، وعما قيل فيها في معجم لسان العرب: "الجوس هو مصدر جاس جوساً، وجوسان تردد، فجاسوا خلال الديار: ترددوا بينها للغارة والجوسان؛ أي قتلوكم بين بيتكم؛ بمعنى يذهبون ويغيثون؛ فطافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه؛ تخللوا فطلبوا ما فيها، والجوسان: الطوفان بالليل، ورجل جواس أي يجوس كل شيء يدوسه، والجوس: طلب الشيء باستقصاء، وكل موضع خالطته ووطته، فقد جسته".

ولو جمعنا كل ما قيل فيها من معاني، وأعدنا تشكيل هذه المعاني وصياغتها، لترجنا بالمشهد التالي: (أغاروا عليكم - ليلاً على الأرجح - ودخلوا دياركم، ووطشوا أرضكم ليقتلوكم وينكلوا بكم، وترددوا فيها ذهاباً وإياباً، وطافوا خلالها شرقاً وغرباً، وتخللوا أزقتكم، واتحروا بيتكم، بحثاً وقصاصاً، لعلهم يجدون منهم مَنْ بقي حياً ليقتلوه).

نلاحظ هنا أن الله - جلت قدرته - أوجز في وصف فعل هؤلاء العباد آية إيجاز، ليصف كل ما فعلوه في كلمة واحدة فقط، هي الكلمة (جاسوا) لتصف مشهداً كاملاً، ولم تكن الإضافة (خلال الديار) إلا لتوضيح ما كان قد جис. والعبارة جاءت لتصف ما قام به عباد البُعث الأول عند بعثهم، قال تعالى (فجاسوا) بصيغة الماضي، أي أن الجوس، قد وقع في الماضي، ولم يقل (ليجوسوا) بصيغة الاستقبال، كما هو الحال في أفعال البُعث الثاني، التي ستقع في المستقبل.

وخلاصة القول: إن هذا الجوس قد وقع في الماضي، وكان غاية في البشاعة، واستباح في هؤلاء العباد حُرماتهم جميعها، من أرض ومال وعرض، فوقع فيهم القتل والنهب والسيء. وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً:

هذا الخبر جاء كتعقيب على الوعد الأول، ليؤكد سبحانه تَحَقُّقَ المرة الأولى، بِعُلُوها وإنسادها وبعثها، قبل نزول هذه الآيات. حيث جاءت صيغة اسم المفعول (مَفْعُولاً) من الفعل (فَعَلَ)، للدلالة على تمام الفعل، بمعنى وكان وعداً (قد فَعِلَ) فيما مضى من الزمان. ولم تأت بأي حال من الأحوال بمعنى (مقضياً)، كما قدمه معظم المفسّرين القدماء، ومنهم القرطبي، حيث قال فيها: "وكان وعداً مفعولاً، أي قضاء كاتنا لا خلف فيه"، على اعتبار أن نفاذ الوعدين كان قبل الإسلام. وقد جاءت هذه العبارة، كجملة معتبرة، بحيث لو قمت بإسقاطها من السياق، ومن ثم قرأت الآيتين (4 و 5)، كما يلي: (... بعثنا عليكم عبادنا لنا أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار. ثم رددنا لكم الكراهة عليهم، وأمدناكم ...) لوجدت أن السياق لم يتأثر بحذفها، فخبر نفاذ الوعد الأول انتهى عند ذكر الجوس، أي أن الجوس قد

وقع بعد البعث . وجاء التعقيب على الوعد ، بالجملة المترضة (وكان وعداً مفعولاً) لبيان وتأكيد أن الوعد بالبعث الذي تقدم ذكره ، قد تحقق فعلاً ، وكانت نتيجته هي الجوس ، ومن ثم يبدأ النص بالإخبار عن الوعد الثاني .

قال تعالى : « وَسَلَّمُهُمْ عَنِ الْفَرِيزَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً أَبْغَرَ إِذْ يَعْتَذِرُونَ فِي السَّبَّتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِسَنَاتِهِمْ يَوْمَ سَتَّهُمْ شُرُّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْتَشْفُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ... فَلَمَّا عَتَّوْا عَنْ مَا نَهَا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُنُوكًا قِرَدَةً حَسِيبِينَ » (166 الأعراف) وهذه الحادثة كما نعلم وقعت فيبني إسرائيل قبل مئات السنين ، والآن انظر قوله تعالى : « يَتَأْمِلُونَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِذْ أَمْتُوا مِمَّا تَرَكْنَا مُصْدِقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْعِمَسْ وُجُوهَهَا فَنَرَدَهَا عَلَى أَذْبَارِهَا أَوْ تَلْعَبُهُمْ كَمَا لَعَنَا أَحْخَبَ السَّبَّتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ » (48 النساء) .

جاءت الجملة المترضة (وكان أمر الله مفعولاً) زيادة للإيضاح ، ولتؤكد . بما لا يدع مجالاً للشك أو الظن ، لبني إسرائيل المعاصرين لرسالة الإسلام ، والمتشككين منهم والذين خاتتهم ذاكرتهم ، وغير المصدقين بصحة هذا الأمر ، الذي كان الله قد أجراه في أسلفهم . أن هذا الأمر - وهو المسخ - قد مضى في أسلفهم حقيقة ، فجاء تعقيبه تعالى على ما تقدم ، من لعن ومسخ لأسلامهم ، بقوله : (وكان أمر الله مفعولاً) لإزالة الشك ، ولتأكيد أن الله قادر على تكرار ذلك الأمر ، إن لم يؤمنوا بما أنزل من القرآن على وجه التهديد والتحذير .

وخلالصة القول : إن الوعد الأول بالبعث ، كان قد مضى وانقضى قبل نزول هذه الآيات ، وإن تعقيبيه عز وجل بقوله (وكان وعداً مفعولاً) ، جاء لتذكير اليهود الحاليين وتحذيرهم ، وإنباء المسلمين غير العالمين ، بوقوع ذلك فيبني إسرائيل ، بأنه قد وقع فعلاً ، ويشرى لهم بأن الوعيد الثاني سيتحقق كما تحقق الوعيد الأول ، وأن الله لا يخلف الميعاد ، وما عليهم إلا الصبر والاستمرار في كفاحهم ضد اليهود ، وحسن الظن بالله وبوعده . وعد الآخرة . قال تعالى : « وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحْلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْتَلِفُ أَيْمَانًا » (31 الرعد) .

« ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَتْ وَجَعَنَتْكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا » .  
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ :

قال تعالى : « ثُمَّ رَدَدْنَا أَسْفَلَ سَفِيلِينَ » أي ثم ردَّنا الإنسان أسفل سافلين من النار ، وهذا لا يحصل إلا بعد البعث والحساب ، بدلاًلة الاستثناء في تكميلة السياق ، في قوله تعالى : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أُخْرُوٌ غَيْرُ مَمْتُونِ » (6 التين) ، وبالتالي ، تكون

(ثم ردّناه) بالماضي، جاءت بمعنى أيضاً (ثم نرده) بالمستقبل. وجاءت كلمة (ردّنا) بمعنى أعدنا من إعادة، (والكرة) مصدرها كرّ، و فعلها كرّ، والكرّ والفرّ تقنية عسكرية، ويقولون: الحرب كرّ وفرّ وهي تعني الفعل المضاد للفعل السابق، فالغلبة كانت للعباد، والهزيمة لبني إسرائيل، ورد الكرة لهم هو العكس تماماً، كالصورة في المرأة، أي الغلبة والتفوق العسكري لبني إسرائيل. وليس المقصود بالكرة العودة إلى فلسطين، وانتصار اليهود في حربهم ضدّ الدول العربية، لقوله، (الكرة عليهم) أي الغلبة العسكرية على العباد أنفسهم دون غيرهم. فالضمير المتصل (هم) في (عليهم)، يعود على العباد المبعوثين عليهم، الذين سبق ذكرهم، وجميع الضمائر المتصلة (كم) في هذه الآية، تعود على بنى إسرائيل.

قال تعالى على لسان الكافر حين يرى العذاب: «لَوْأَنَّ لِكَرَّةَ فَأُكُوتَ مِنَ الْمُخْسِنِينَ» (58 الزمر)، فالفعل الذي سبق هو مجتبه من الدين إلى الآخرة، فتمنى الكرة، وهي العودة من الآخرة إلى الحياة الدنيا، ليكون من المحسنين.

وخلاصة القول: إن المقصود هو أن يُوقع اليهود بأولئك العباد، ما كان أولئك العباد قد أوقعوه في أسلافهم من قبل، من استباحة للأرض والمال والعرض، بعد استكمال مظاهر العلو الثاني، بالاستقواء على أولئك العباد والاعتداء عليهم.

**وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا:**

وأمدداً في (السان العربي). مصدرها مدد؛ ومدّه غيره وأمده؛ وأمدناهم بغيرنا؛ والمدد هم العساكر التي تلحق بالمغازي، والإمداد أن يُرسل الرجل للرجل مددًا، يقول أمدداً فلاناً بجيشه، قال تعالى: «يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةَ أَلْفِي» (125 آل عمران). وفي الجمل تعني الزيادة والكثرة، في المساعدة العسكرية المقدمة من قبل الغير، من مال وأفراد وعتاد أثناء الحرب، عندما يكون الجيش أقرب للهزيمة منه إلى النصر.

والنفير هم القوم ينفرون معك، ويتنافرون في القتال، ومنه قوله تعالى: «أَنْفِرُوا أَخْفَافًا وَثَقَالًا وَجْهِهِنَّ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (41 التوبه). جاء في (كتاب النبوة والسياسة) للكاتبة الأمريكية (غريس هالسل): "لقد أغرقنا إسرائيل بالأسلحة: جعلنا من دولة الثلاثة ملايين يهودي، مارداً عسكرياً أكبر من أي دولة منفردة، مثل ألمانيا أو إنكلترا أو فرنسا، وأقوى من 21 دولة عربية مجتمعة، عدد سكانها 150 مليون نسمة".

“إن إسرائيل.. هي المستفيد الأول بلا منازع من برنامج مساعداتنا.. تحصل على ثلث مجمل المساعدات الأمريكية الخارجية”.

وتقول الكاتبة تعقيباً على انتصار إسرائيل في حرب 1967، “لم يعط أحد أى فضل للولايات المتحدة، لأنها زودت إسرائيل بالأسلحة والتكنولوجيا والدولارات، وحتى بالعناصر العسكرية الأمريكية التي ساعدت الإسرائيليين في تلك الحرب. لقد ربحت إسرائيل لأن الولايات المتحدة كانت تؤيدوها بلا حدود”.

وتقول أيضاً إن نسبة العسكريين إلى المدنيين في إسرائيل، هي (1 عسكري من كل 22 مدني)، وهي أعلى نسبة في العالم.

وتقول أيضاً على لسان الأستاذ في الجامعة العبرية (إسرائيل شاهاك) “إن دافع الضرائب الأمريكي أرسل إلى إسرائيل في عام 1985، خمسة مليارات دولار”. واستمرت أمريكا بدفع هذه القيمة سنوياً لغاية الآن، فضلاً عن المساعدات المادية والعينية الأخرى.

وفي قوله تعالى: «ثُمَّرَدَنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَنَنَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا»، ثلاثة أفعال، جاءت جميعها بصيغة الماضي، وهي (رَدَنَا لكم، أَمْدَنَاكم، جعلناكم)، وحملت جميعها أيضاً صفة الاستقبال، بمعنى (ونزَّلكم، ونَمْدُّكم، ونجعلكم)، ولكن، باختلاف الزمان، فهذه الأفعال جاءت لتأخذ صفة الاستقبال، قبل قيام دولة اليهود، فتفيد معنى (ونزَّلكم، ونَمْدُّكم، ونجعلكم)، وتأخذ بعد قيام دولة اليهود صفة الماضي، (رَدَنَا لكم، وأَمْدَنَاكم، وجعلناكم).

كان المفسرون القدماء أكثر قرباً من وأكثر فهماً للفردات اللغة العربية، ومع ذلك، لم يعطوا هذه الآيات حقها من التفسير والتفصيل مما ساهم في إخفاء هذا الأمر العظيم حتى هذه الأيام، ومرد ذلك أنهم لم يعاصروا الدولة الحالية لليهود. ولو فُسرت هذه الآيات تفسيراً دقيقاً كما الآن، لكشفت هذه النبوة لل المسلمين الكثير من الواقع، ولكن ضرراً هذا الكشف عنها للمسلمين أكثر من نفعه، ولكن، لم يشا الله بذلك رحمة المسلمين، حتى لا يتملكهم اليأس والقنوط والتسليم بالأمر الواقع، بما أن الله قد أخبر بذلك، وهو الحق وقوله حق.

ولو حصل أن علم المسلمين بتفاصيل هذه النبوة مسبقاً فربما ترك معظم الفلسطينيين بلادهم، مع إطلاق أول رصاصة من قبل برابرة هذا العصر، إلا منْ أوتي الحكمـة ورحـمـ ربـيـ، ولحرـمـ المسلمين شرف الشهادة، ونيل الأذى في سبيل الله، لقوله تعالى: «إِنْ يَمْسَكُمْ فَرَحْ مَقْدَسَ الْقَوْمَ فَرَحْ بِتَلْهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُذَوِّلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَعْلَمَ مِنْكُمْ

**شَهِدَ آءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُ الظَّالِمِينَ** (آل عمران) ولقوله: «مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَعْزَابٍ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغِبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمًا وَلَا نَصْبٌ وَلَا حَمْصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغْيِطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنْتَلُوْنَ مِنْ عَذَّبٍ نَّيْلًا إِلَّا حُبِّ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَخْرَى الْمُخْسِنِينَ» (التوبه). ولكن عدم معرفة الفلسطينيين آنذاك بقيام دولة لليهود مستقبلاً، أبقى الأمل بإمكانية منع إقامتها حياً في نفوس أهلها، فبقي الكثير منهم فيها، واستمرَّ باب الجهاد في سبيل الله مشرعاً على مصراعيه، وبقي سجلُ شرف الشهادة في سبيل الله مفتوحاً إلى يوم القيمة لمن يرغب منهم في تدوين اسمه، ولتكون منهم بإذن الله تلك الطائفة التي أخبر عنها رسول الحق عليه الصلاة والسلام.

أما بالنسبة لليهود، فهل كُشفت لهم هذه النبوة؟ أقول: نعم، بلا شك، ألم يقل سبحانه: «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِتْرَوِيلَ فِي الْكِتَبِ»؟ وكُشفت لهم أيضاً نبوءات أخرى، ويعرفون تفاصيلها كما يعرفون أبناءهم، قال تعالى: «ثُمَّ اتَّيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَخْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِعَلَّهُمْ يَلْقَاءُ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ» (الأنعام) «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْآلَوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذُّهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرُ قَوْمَكَ يَا حَذْدُوا بِأَخْسَنَهَا سَأُورِكُّ ذَارَ الْفَسِيقِينَ» (الأعراف) وقد كشفها الله لهم ليعلم ما سيكون منهم، فعلم العقلاً يزيدهم تواضعاً وخضوعاً وامتثالاً، وعلم الذين لا يعلقون زادهم جهلاً واستكباراً وطغياناً وعصياناً وعدواناً، وسنوضح لاحقاً ما كان منهم، بناءً على معرفتهم لما جاء في كتبهم من نبوءات، بإذن الله.

أما لماذا كُشفت الآن؟ نقول: إنه لا جدوى من إخفائها الآن، فقد اكتملت معالمة القدر من ظروف وملابسات، وفسر الواقع جزءاً كبيراً من نصوصها، وكل شيء أصبح واضحاً للعيان، «وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا» (الأنعام) وعلم سبحانه ما أراد أن يعلم؛ مما كان من المسلمين، واتخذ، وسيتخذ منهم ما أراد أن يتخد، وما كان من اليهود، وسيأخذ منهم ما شاء أن يأخذ خطباً لنار جهنم، ويشن المصير «وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا» (الإسراء). ونقول: إن عودة اليهود إلى فلسطين حق، فالذى أخبر عن ذلك هو الحق، وإن إخراج أهلها منها حق، بعد أن مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِضْعَافُ بِالْأَرْضِ، كما استضعف الذين من قبلهم، فأورثوا الأرض من بعد، فقد أخرج رسوله من قبل بالحق، «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ» ( الأنفال) وفي إحدى سنته الكونية لمن يخرج الناس من ديارهم قال الله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِرْسَلْنَاهُمْ لَتُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَتَهْلِكُنَّ الظَّالِمِينَ» (إبراهيم).

وهذه رسالة رب العزة، إلى أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ومن سورة (محمد) : «فَلَا تَهِنُوا وَتَذَكَّرُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْشُدُ الأَغْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْجُمُ أَعْنَلَكُمْ .. . وَإِنْ تَتَوَلُوا يَسْتَبِيلُونَ فَزَمَانًا غَيْرَكُمْ نَهْ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ» ، وإن لم نكن نستحق الانتساب لأمة (محمد) عليه أفضل الصلاة والتسليم، قوله وعملاً، فسنة الاستبدال واقعة بنا لا محالة.

**وخلصة القول:** إنه . وبعد نفاذ الوعد الأول فيكم ، من قبل هؤلاء العباد ، وقتلهم وقهيرهم لكم ، وزوال دولتكم ، وتشتتكم في الأرض بعدها من الزمن ، طالت أو قصرت - تقديرها ثم - ستعودون إلى الأرض المقدسة ، وتعود لكم السطوة عليهم ، وغمدكم بالأفراد المدربين على القتال والمساعدات المالية والعسكرية ، وجعلكم أكثر عدداً وعتاداً . وهذا من قبيل «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَذَارُهَا بَيْنَ النَّاسِ» (آل عمران) ، بإجراء القضاء والقدر ، وليس من قبيل المكافأة ، لبني إسرائيل على إحسانهم ونيلهم رضاه سبحانه كما يدعون في توراتهم وكما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين .

«إِنَّ أَخْسَنَتُمْ أَخْسَنَتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأَتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْتَوْهُوْجُوهُكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أُولَئِكُمْ مَرَّةً وَلَيُتَبَرُّوْمَا عَلَوْا شَيْئاً» .  
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أساءتم فلهم :

وهذا على سبيل التخيير ، ولتفادي الجبرية على من يملك العقل والإرادة ، ولدفع الظلم عن نفسه جل وعلا ، حيث قال : «مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَأَهُ فَعَلَيْهَا وَمَا زَبَّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبْدِ» (46 فصلت) ، وجاءت في ظاهرها ، تحمل الكثير من الترغيب ، والكثير من الترهيب ، وفي باطنها التهديد والتحذير مما يليها ، لكيلا يكون لهم على الله حجة ، بأنه لم يحترمهم وينذرهم ، قبل إنزال عقاب وعد الآخرة فيهم . أما دفع تهمة الإفساد عن النفس ، فليست بالأمانى ومحسوب الكلام ، ولكن ، إلى ما اقرفته الأيدي ، حيث قال الله سبحانه : «لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانَى أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً بِخَبْرِهِ وَلَا يَحْمِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَ وَلَا تَصِيرُ إِلَيْهِمْ» ( النساء 123) .

والتجدد من الإفساد إلى الإصلاح ، ومن الإساءة إلى الإحسان ، لا يأتي عبثاً ، بل يحتاج إلى الكثير من الجهد والعمل ، فالبداية تكون بتحصيل العلم والمعرفة بالله ، بالتفكير والتدبر في ملوكوت السماوات والأرض ، ومن ثم الإيمان بوجوده وقدرته على الخلق والإيجاد ، ومن ثم رد الجميل لصاحب الفضل والمنة ، بإقرار ربوبيته وملكنته لنا ، ومن ثم الطاعة والتسليم والانصياع ، ومن ثم تحصيل المعرفة بمراده منخلق ، كما جاء في كتابه «وَمَا خَلَقْتُ أَجْنَانَ

وَالْإِنْسَانُ إِلَّا يَعْبُدُونَ» (٥٦ الذاريات)، وبالتالي، البحث الحديث لمعرفة ما يُنال به الرضا ويُدفع به الغضب، ومن ثم العمل بما تعلم، فإن لم يكن حباً في ملك الملوك، ليكن ولاءً لسبق الفضل، وإن لم يكن طمعاً في الجنة فخوفاً من النار، ولا يغرنك حال المسلمين، فالإسلام شيءٌ وبعض المسلمين اليوم شيءٌ آخر، فلا يمكن أن يكونوا مثيلين عن الإسلام، والإسلام حقيقة يدركه من يعتقه وينفذ أوامره وينتهي عن نواهيه، وهذا الذي يمثل الإسلام.

فانظر بربك إلى ربك ما أعدله، أنعم عليك وأوجدك أولاً، وسيدخلك الجنة إلى الأبد ثانياً، لتكون ممَّن قالوا: «وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْزَانَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ فَيُقْعَمُ أَجْرُ الْعَمَلِينَ» (٧٤ الزمر)، لا من الدين قالوا: «يَنْوِي لَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَلَمِيْرِيْنَ» (٩٧ الأنبياء).

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَنْفُسُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُوَيْبٍ مِنْ وَالِّي» (١١ الرعد)، فالتغير يبدأ من العبد وينتهي عنده، قال تعالى: «وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ يَنْقُولْنِي لِمَ تُؤَذِّنِي وَقَدْ تَلَمَّوْتَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (٥ الصاف)، حيث سبق الزيغ منهم، فازاغ الله قلوبهم، أفلأ يستحق الأمر شيئاً من العنا...؟! وتقنية التغير تبدأ من النفس، فحتى يتغير ما بنا علينا بتغيير أنفسنا والعودة إلى جنب الله.

فِإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ :

فيما روی عنه عليه الصلاة والسلام، مما قال في دعائه "أنت الأول فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر ليس بعده شيءٌ" ، والآخر والآخر تقىض المتقدم والمقدمة، ومن معجم مختار الصحاح: الآخر بكسر الخاء بعد الأول وهو صفة، تقول جاء آخرًا أي آخرًا، وتقديره فاعل، والأئمَّة آخرة والجمع أواخر.

وخلالص القول: إنها المرة الثانية في الترتيب، والأخيرة في عدد المرات، ولا ثالثة بعدها، وإنما هناك أخرى، ولكنها تختلف في أنها ليست مرة، ولا يصح أن نسميها مرة ثالثة، فهي لا تمتلك شروط المرتين السابقتين.

"-بعثاهم عليكم - :

هذه العبارة، غير موجودة أصلاً في نص الآية، وهي جواب شرط إذا الخاص بوعد الآخرة، وقد حُذفت، لدلالة جواب شرط إذا الخاص بوعد أولاهما . ولتوسيع عمل (إذا)

وما يعنيه شرطها وجوابها نقول نستعمل (إذا) عادة، إذا أردنا تعليق فعل معين (ويُسمى جواب شرط إذا)، بفعل آخر (ويُسمى شرط إذا)، كأن تقول لزوجتك على سبيل المثال: «إذا حصلت على ترقية في نهاية الشهر، اشتريت لك ذلك الخاتم»، فالذى ذهبت إليه في الواقع، هو أنك علقت عملية شراء الخاتم، الذي رغبت فيه زوجتك بعملية حصولك على الترقية الموعود بها آخر الشهر، فإن لم تكن هناك ترقية، فلن تحصل زوجتك المسكينة على الخاتم. فشرط (إذا) هو (الحصول على الترقية)، وجواب الشرط هو (شراء الخاتم). وبعبارة أخرى نقول إن حصول زوجتك على الخاتم متعلق بالحصول على الترقية.

وبإعادة عبارة (بعثتهم عليكم) المذكورة، يصبح النص كما يلي (فإذا جاء وعد الآخرة- بعثتهم عليكم- ليسُوْءُوا وُجُوهَكُمْ وَلَا يَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ). وعبارة (ليسوا وجوهكم) ليست جواباً للشرط، لارتباطها بلام كي، حيث جاءت العبارة لتعليق البعث وتوضيح الغاية منه. وضمير الغائب (هم) في (بعثتهم) يعود على العباد أنفسهم، وضمير المخاطب (كم) في (عليكم)، يعود على بنى إسرائيل.

**وخلصة القول:** إن هذه المرة هي الأخيرة من المرتين، وأن تحقق البعث متعلق بمجيء الموعد المحدد، وبما أن الضمير في كلمة (بعثتهم) يعود على العباد أنفسهم، فإن عباد البعث الثاني، هم عباد البعث الأول أنفسهم.

**لِيُسْتَأْنِوْءُ وُجُوهَكُمْ:**

إساءة الوجه، أن يُفعل بالإنسان ما يكره، وأساءه نقىض سرّه. وفي الواقع أن فعل الإساءة لن يقع على الوجه بشكل مباشر، وإنما على المظاهر والمقومات المادية، التي مكتنفهم من العلو والاستكبار والاستعلاء على الناس، وضمير الغائب (واو الجماعة) في (ليسوا)، يعود على العباد أنفسهم، وضمير المخاطب (كم) في (وجوهكم)، يعود على بنى إسرائيل. والذي سيظهر على الوجه، هو تعابير الاستياء، التي تتنج في الغالب، عن مشاعر تجيش بها النفس البشرية، كالألم والحسنة والغيفظ والحزن والذل، عندما تتعرض للأذى النفسي، الذي غالباً ما يكون ناتج، عن فقدان مادي لما هو جيد، أو كسب ما هو سئ، أو كلامها، وتعتمد درجة الاستياء على درجة فقد أو الكسب، والذي سيفقه اليهود هو السيادة والغنى والقوة.

ونجد وصفاً لتعابير وجه، يشعر صاحبه بسوء ألم به، لحرمانه من الذكر، بولادة الأنثى، التي ستجلب له العار مستقبلاً، في قوله تعالى: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِداً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٩﴾ يَتَوَزَّعُ مِنَ الْقَوْمِ مَمْسُوِّةً مَا بُشِّرَ بِهِ» (59 النحل)، ونجد وصفاً آخر لتعابير وجوه

الذين افترفوا السيئات عندما استيقنوا أن لا مفر ولا عاصم من أمر الله، وأنهم سينالون جزاء سيئاتهم، فتملكتهم مشاعر اليأس والقنوط من النجاة، في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَسَبُوا الْسَّيِّئَاتِ حَرَاءٌ سَيِّئَةٌ بِعِتْدِهَا وَتَرَهُقُهُمْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَنَّ اللَّهُ مِنْ عَاصِمٍ كَانَمَا أَغْشَيْتُ وَجْهَهُمْ قَطْعًا مِنْ أَلْيَلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَخْتَبَ أَنَّارٍ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ» (27 يونس).

تحوي عبارة (ليسوا وجوهكم)، أن ما سينزل بهم من عقاب، على أيدي هؤلاء العباد، شديد الواقع، وبالغ الأثر والتأثير في نفوسهم، مما سيعكس بالضرورة آثار المساءة على وجوههم. للدرجة أنه - سبحانه - أورد التعبير نفسه في صفة حال الكفار عند رؤيتهم لعذاب جهنم، في قوله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقَبَلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ» (27 الملك). فالعقاب الذي سيحل باليهود قريباً، ليس له نظير، ولا يمكن أن يأتي هذا العقاب، إلا من قبل أناس أشداء أصحاب باس، يتحققون أمر الله.

قال تعالى: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُشْرِفُونَ إِنَّمَا جَرَأُوا الَّذِينَ حَمَارُوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصْلَبُوا أَوْ يُنْقَطَعَ أَنْدِيَهُمْ وَأَرْجَاهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَرُوا مِنِ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خَزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (33 المائدة).

تبين الآية الأولى عظم مكانة النفس البشرية عند الله، إذ ليس لأحد كان، إزهاق أرواح الناس سوى خالقها، فهو الذي يحيي ويميت، ومن أزهاق روحًا بغير نفس أبي قصاصاً، أو لمنع الفساد في الأرض، كإقامة الحدود الموجبة للقتل، فكانما قتل الناس جميعاً، ومن قام بهذا الأمر، خارج نطاق ما تقدم من موجبات القتل، فقد أعلن حرمه على الله. وأن من أعلن حرمه على الله، في الآية الثانية، حصر جراوه من قبل رب العزة، بأربعة خيارات، تنفذ فيه في الحياة الدنيا، من قبل منْ أوكله الله بذلك.

والملاحظ أن هذا البيان جاء عاماً، ولكنه ارتبط ببني إسرائيل بشكل خاص، مما يوحى أن عقابهم في المرتين، شمل وسيشمل على ما يbedo هذه الخيارات مجتمعة، بالقتل والصلب والتنكيل والسببي، وبما أن النتيجة النهائية لهذا العقاب، هي زوال علوهم في فلسطين، فهذا يعني رحيل منْ بقي حياً فراراً، عن فلسطين نهائياً، يحرر أذبال الخيبة والهزيمة. وستفيض قلوب اليهود كلهم في أرجاء العالم كافة، بمشاعر الذل والخزي والعار والهوان، مما يدعوه

القاصي والداني، للشماتة بهم وَمَنْ يشدّ على أيديهم. وهذا ما تزكّه الآيات الكريمة بأن جراءهم سيكون من جنس عملهم.

وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ:

يعتقد الكثير من المسلمين هذه الأيام، أن ذكر المسجد في هذا الموضع، يتربّ عليه أنّ من سيدخله، وأن تحريره مقصورةً على حملة لواء الإسلام، أو بتعبير أدق أولياء الله وخاصته، يوحدهم ويقودهم خليفة يفوقهم ولاءً لله ولدينه، وفي الأذهان صورة ابن الخطاب رضي الله وأرضاه عنه، وصلاح الدين رحمة الله، ومنْ من لا يتنى ذلك.

ولكنْ، لو عدنا بالذاكرة، إلى دخوليَّ عمر وصلاح الدينَ، ستتجددُ أنهما لا يتفقانَ مع ما جاء في سورة الإسراء، لسبعين، الأول؛ كان الدخول على النصارى في المرتين، والثاني؛ أن الجوس للديار لم يقع فيهما، وكذلك الإساءة لوجوه اليهود. بالإضافة إلى أن الدخول في المرتين، كان فتحاً وليس عقاباً لأحد.

ويبدو وكأن المسألة، هي لفظ المسجد الذي أورده تعالى، للتعریف والتأكيد، على أن الأرض التي ذُکرت في الآية (4)، هي الأرض التي تحوي المسجد؛ أي مدينة القدس.

والسؤال هنا هل المساجد خاصة بال المسلمين فقط ؟ بكل تأكيد نعم ، ولكن ، لفظ المسجد لا ! نحن نعلم أن حادثة الإسراء كانت في مكة ، وأن سورة الإسراء أُنزلت فيها أيضاً ، وأن الله سبحانه وتعالى - لما سماه بالمسجد الأقصى لم يكن للMuslimين فيه ناقة ولا بعير ، ولم يكن قائماً أصلاً . وعبادة السجود لله كانت قد سبقت ، منذ آدم عليه السلام ، إلى يومنا هذا ، فاقرأ قوله تعالى : «أَولَئِكَ الَّذِينَ أَنْتَمُ اللَّهَ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِدَمَ وَمِنْ حَمَلَنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِنْ هَدِينَا وَأَجْتَبَنَا إِذَا تَنَّى عَلَيْهِمْ إِذَا يَأْتِيُ الْحَمْنَ حَرُوا سُجَّدًا وَبِكَيَا» (58 مريم) وقوله تعالى : «لَيْسُوا سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَاتِلَةٌ يَتَّلَوْنَ إِذَا يَأْتِيَ اللَّهُ مَاءَنَاءَ أَلَّيْلٍ وَهُمْ يَسْجُدُونَ» (آل عمران) وكل مكان اتخذوه للسجود ، سماه الله في القرآن مسجداً ، والمقصود المكان وليس ، النساء .

انظر قوله تعالى: «فَقَالُوا أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُتْيَنًا رَبِّهِمْ أَعْلَمُ بِهِذَا قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَخَذُنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا» (21 الكهف). فالذين علبوا على أمرهم، أقاموا عليهم مكاناً للعبادة. وجاءت تسمية القرآن له بالمسجد، على اعتبارهم له، والقصد من بنائه، أما أنه مسجد خاص بال المسلمين فلا، وبالرغم من ذلك سمّاه القرآن مسجداً، لأنهم اتخذوه مكاناً للعبادة، التي أحد أركانها السجود. وضمير الغائب (واو الجماعة) في (وليدخلوا)، يعود على المبعوثين.

**وخلصة القول:** إن هؤلاء المبعوثين لم يتبيّن، بنص صريح ولا بتلميح - بأنهم من خاصة عباد الله . وأن الله نكّر لهم وقدّر تكثيرهم ، لأمر اقتضته الحكمة الإلهية . وأن معتقدهم غير واضح من حيث الإيمان أو الكفر ، وأنهم أولى قوة ويطش في الحروب . وأن عبارة (وليدخلوا المسجد) جاءت لتوكيد دخولهم ، لقلب الأرض المقدسة ، وسيطرتهم عليها بالكامل .

**كَمَا دَخَلُوا أَوْلَ مَرَّةٍ:**

قوله تعالى : ( كَمَا دَخَلُوا أَوْلَ مَرَّةٍ ) ، هو تشبيه للدخول الثاني بالأول ، وفي العادة عندما يروي شخص لآخر قصة وقع فيها ذكر حديث يحتاج إلى وصف ، سواء كان هذا الحديث قد وقع ولم يشهده المستمع ، أوسيقع في المستقبل ، فبدلاً من أن يستغرق الراوي في وصف هذا الحديث وسرد حياته ، على حساب مجمل أحداث القصة ، يعمد الراوي إلى تشبيه الحديث المراد وصفه بحدث آخر مأثور ومحبوب من الماضي أو الحاضر ، لتقريب صفة الحديث موضوع الخطاب لذهن المستمع ، ومن ثم يكمل سرد بقية الأحداث .

قال تعالى : « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الْرِّبَوًا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَنُ مِنَ الْمَسِّ » ( البقرة 275) حيث شبه سبحانه سبحانه قيام أكل الربا يوم القيمة ، مجھول الصفة بالنسبة لنا ، وهو حديث سيقع مستقبلاً ، بقيام المسوس أي المجنون ، وهو حديث مشهد قدرأيناه ونراه في الماضي والحاضر ، مراراً وتكراراً ، ومأثور ومحبوب لذهن المستمع ، ونستطيع استرجاع ذلك المشهد من الذاكرة لنرى مشهداً مؤلماً ومخزيأ ، لأكل الربا عند بعثه ، يتميز به من غيره ، فيقوم مفزوغاً متحفزاً مشوشأ ، لا يهدأ له بال ، ولا تستكين له حال .

**واستخدام التشبيه في الآية (7) أفاد أمرین :**

**أولاً:** أن دخول المسجد ، أي بيت المقدس حاصل في المرتين ، وهذا يدحض قول مَنْ ذهب إلى أن أيَّ من المرتين ، كانت أو ستكون في غير بيت المقدس .

**وثانياً:** تشابه صفة الدخول في المرتين الأولى والأخيرة بالدخول عنوة . لقوله تعالى في وصف الدخول الأول : ( فَجَاسُوا خِلَالَ الْدِيَارِ ) وهذا يدحض قول مَنْ ذهب إلى أن المرة الأولى كانت لل المسلمين ، كون دخولهم إليها ، لم يحمل صفة الجوس .

ولكي يستقيم فهم هذه العبارة نود أن نشير إلى أن الخطاب لبني إسرائيل ، لم ينقطع ، بل ما زال موجهاً إليهم ، فالمحاطب في قوله تعالى : ( كَمَا دَخَلُوا أَوْلَ مَرَّةٍ ) هم بنو إسرائيل . واقرأ هذه الصياغة للنص ، (فإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ - بعثناهم عليكم - لِيَسْوُءُوكُمْ ، وَلَيَدْخُلُوكُمْ .

عليكم - المسجد، كما دخلوا - عليكم - أول مرة / انقطاع الخطاب والعودة إلى الجمهور / وليتبرروا ما علوا تثبيراً).

وهذا يعني أن المعرفة، بصفة الدخول الأول، محصورة ببني إسرائيل فقط، وهذا يقودنا إلى أن معرفة اليهود المعاصرين المخاطبين، لصفة هذا الدخول بالضرورة، تحصلت لهم مما لديهم من كتب تحكي تاريخهم، ومجمل تاريخهم القديم موثق في التوراة، ويعلم سبحانه أن آباءهم القدماء قد وثقوا صفة الدخول في كتبهم، فلذلك، شبه الدخول الثاني لهم بما يعرفون. وإن أردت معرفة صفتة كمسلم، لا بد لك من الرجوع إلى كتبهم، وهذا الفهم يقودنا إلى مراجعة تاريخهم كاملاً، لتعرف إلى صفة الدخول الأول كما وردت في الآية (٥)، وهذا ما سنفعله لاحقاً.

والحقيقة أن هذا الحديث المفجع والرهيب الذي نزل بهم كان له بالغ الأثر في نفوسهم، حيث شكل لهم الكثير من العقد، فضلاً عما كان لديهم في السابق. جعلت منهم شعباً مجرماً حاقداً، على البشرية جموعاً، وعلى أولئك العباد الذين ساموهم سوء العذاب في المرة الأولى. وما جاء التشيه هنا إلا للتذكير بهم بحدث يعرفونه جيداً. وأما فيما يخص عقاب الوعد الأول فقد وردت إشارات كافية في هذه الآيات، وفي مواضع أخرى في القرآن، تدل على تحققها قبل الإسلام.

وليتبرروا ما علوا تثبيراً :

في المعجم : قال ابن جنی : لا يقال له تبر، حتى يكون في تراب معدنه، أو مكسوراً، قال الزجاج : والتبار الهلاك ، وتبره تبيراً أي كسره وأهله ، وتبره أي كسره وأذهبه ، وفي التنزيل العزيز « وَلَا تَرِدَ الظَّالَمِينَ إِلَّا تَبَارًا » (٢٨ نوح) قال الزجاج : معناه إلا هلاكاً، ولذلك، سُمِي كل مُكسر تبراً، وفي قوله عز وجل : « وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَخْنَثَبَ الرَّسْنَ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ٤٣ وَكُلًاً صَرَّتْنَا لَهُ الْأَمْثَلَ وَكُلًاً تَبَرَّنَا تَبَيِّرًا » (٣٩ الفرقان) قال : التبر التدمير ، وكل شيء كسرته وفته فقد تبرته .

والمعنى العام للعبارة هو (وليدمرروا ما علوا تدميراً). وقد جاءت صيغة المفعول المطلق (تبيراً)، زيادة في المبالغة، وتأكيداً للفعل (وليتبرروا). وسواء كانت (ما) ظرفية، أو اسم موصول، يعني (الذي)، لتشمل المكان والزمان والكم.

هنا حصل انقطاع في الخطاب الموجه لبني إسرائيل. وأصبح الحديث موجهاً للجمهور، مضيفاً تعقيباً حول مصير علو بني إسرائيل، فالضمير واو الجماعة في (علوا) عائد على بني إسرائيل أنفسهم. والعبارة (وليتبرروا ما علوا تبيراً) جاءت للتعقيب على ما فعله بنو إسرائيل

أنفسهم، بمقومات هذا العلو، مما كان سبباً في زواله. ليُصبح المراد هو أن علوَّبني إسرائيل، حمل في أحشائه بذرة دماره منذ نشأته، بعدم الولاء لله، وعدم اكتراثهم، بحثه لهم على الإحسان وتحذيره لهم من الإساءة. بل اعتمدوا على غير الله، في تحصيل هذا العلو، وإدامته وحمايته من الزوال، بالفساد والإفساد والإنتم والعدوان.

ليتبين لنا أن الحديث عن الوعد الثاني انتهى بقوله: (كَمَا ذَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ). وأن عبارة (ولَيَتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَشِيرًا) جاءت تعقيباً على قوله تعالى في بداية القصة: (وَتَعْلَمُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) في الآية (4)، ليؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، أن هذا العلو الموصوف بالكبير في الأرض، والذي تحصل عليه بنو إسرائيل بعدهم عن الله، سيصبح هباءً مثاراً بما كسبته أيديهم.

ومن تعريفنا السابق لمفهوم العلو، نجد أن العلو مظاهر من مظاهر الحياة، كما الغنى الذي يتحصل بامتلاك المال الوفير، وكما الفقر الذي يتحصل بامتلاك المال القليل، ويتم تحصيله من خلال امتلاك مقومات مادية، تمثل في السيادة على الأرض وأهلها، وسياستهم والتحكم في مختلف شؤونهم، والقدرة بامتلاك القوة، والغنى بامتلاك المال والموارد المادية الأخرى.

ويمى أن العلو مظاهر، والمظاهر لا تُدمر تدميراً، وإنما تزول زوالاً بفقدان أسبابها ومقوياتها، كما أُزيل علوُّ فرعون، بتدمير ما امتلك من مقومات علوه، في قوله تعالى: «وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَضْعِفُ فَرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَغْرِشُونَ» (الآعراف 137). ونلاحظ أن الله - تبارك وتعالى - لم يأتِ بالمصدر (علوهم)، ليقول (وليتبروا علوهم تشيراً)، وإنما قال (وليتبروا ما)، لأن المقصود تدميره هنا ليس العلو بحد ذاته، وإنما تدمير (ما) علا عليه أو به أو فيه بنو إسرائيل بامتلاكه والسيطرة عليه، مما مكنته من الإفساد في الأرض، أي تدمير كل ما يقع تحت كلمة (ما)، مما يتلکونه من مقومات لعلوهم. لتشمل المكان والزمان والكم لهذا العلو، الموصوفة بالتفصيل في الآيتين (4 و 6)، لذلك جاء التعقيب، بعد نهاية ذكر عقاب وعد الآخرة بإساءة الوجه، ويدخول المسجد. وجاء هذا التعقيب متأخراً عنهما، لأن زوال العلو بشكل نهائي، سيكون كعاقبة أو نتيجة، لنفذ وعد الآخرة فيهم.

وربما يذهب بعضهم إلى أن هذه العبارة، جاءت للتعليق على ما فعله هؤلاء العباد، بعلوّبني إسرائيل في وعد الآخرة، على اعتبار أن الضمير وا الجماعة في (وليتبروا) عائد على العباد. ولكن هذا غير صحيح، لأن ذلك يعني استمرارية الخطاب، فلو أن الخطاب لبني إسرائيل استمرَّ لجاءت العبارة على النحو التالي (وليتبروا - ما علوتم - تشيراً)، هذا من جانب، ومن جانب آخر، لم يذكر في التعقيب شيء يخصُّ وعد الآخرة، بذكر كلمة وعد مثلاً، كما

جاء في التعقيب على الوعد الأولى، بقوله (وكان وعداً مفعولاً)، وإنما جاء التعقيب الأخير على بنى إسرائيل المذكورين بالاسم في الآية الرابعة، لعود ضمير الغائب وأو الجماعة عليهم، في كلمة (وليتبروا)، وكذلك على علُوهم الكبير، الموصوف في الآية الرابعة أيضاً، لاتصال ضمير الغائب العائد عليهم (واو)، في كلمة (علوا).

ولو فرضنا جدلاً استمرارية الخطاب، فهل يعقل أن يُدمر المسلمون ما تحصلوا عليه من مقومات العلو الصهيوني، بعد أن يكونوا قد أوقعوا فيهم، القتل والتنكيل والسب والتفي، وقت لهم السيطرة الكاملة على الأرض بدخول القدس؟! طبعاً لا. بل على العكس تماماً، سيكونون بمساس الحاجة، لما تحصلوا عليه سالماً من مال وعتاد.

وخلاصة القول: إن كل ما علا بنو إسرائيل عليه أو به أو فيه، سيصله الدمار لا محالة، لعموم لفظ العلو، حتى علوهم في الغرب، إذ أن الذي أبقى علوهم قائماً ومستمراً في فلسطين هو علوهم في الغرب. ولذلك، يصبح دمار علوهم في الغرب أمر محتماً، وبذلك تنتفي تماماً قدرتهم على العلو مرة أخرى، إذ أن هذا العلو، هو علوهم الأخير في الأرض، وأن أفعالهم ستكون سبباً في زوال علوهم هذا، وستجد مزيد من تفصيل هذه العبارة لاحقاً.

### خاتمة السورة:

«وَقُلْنَا مِنْ يَقْدِيرُهُ لِيَنِّي إِسْرَائِيلَ أَسْكَنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لِفِيقًا ﴿١﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلَنَا وَبِالْحَقِّ نَزَلُ وَمَا أَنْزَلْنَاكُمْ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٢﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْسَهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثُرٍ وَنَزَّلَنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿٣﴾ قُلْ مَا مِنْ أَبْيَهُ أَوْلَأَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ مَمْزُونٌ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿٤﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ وَمَحْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَنْكُونُ وَيَرِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿٦﴾».

### مختصر ما قيل في هذه الآيات، في تفسير الألوسي:

ـ (جئنا بكم لفيفاً): أي مختلطين، وفسره ابن عباس (جميعاً)، وبكم: جاءت لتغليب المخاطبين على الغائبين، (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل): عود إلى شرح حال القرآن الكريم، فهو مرتبط بقوله تعالى، (لئن اجتمع الإنْسُ والجَنُّ)، وهكذا طريقة العرب في كلامها تأخذ في شيء، وتستطرد منه إلى آخر، ثم إلى آخر، ثم تعود إلى ما ذكرته أولاً، والحديث شجون، فضمير الغائب للقرآن، وقد حمله بعضهم على هذا، أو للوعد المذكور آنفاً، أي وعد الآخرة الذي ذُكر في الآية السابقة.

والمراد بالحق الأول؛ على ما قيل الحكمة الإلهية المقتضية لإزاله، وبالثاني؛ ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام ونحوها، أي ما أزلناه إلا ملتبساً بالحق المقتضى لإزاله، وما نزل إلا ملتبساً بالحق الذي اشتمل عليه، وقيل الحق في الموضعين الأمر المحفوظ الثابت، (وما أرسلناك إلا مبشرًا)؛ للمطیع بالثواب (ونذيرًا)؛ وللعاشي من العقاب، فلا عليك إلا التبشير والإذنار لا هداية الكفارة المفترحين.

(وقد انقسم فرقنا)؛ أي أزلناه منجماً مفرقاً (على مكث)؛ أي تؤدة وتأنَّ، فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم، (ونزلناه تنزيلاً)؛ على حسب الحوادث والمصالح، قل للذين كفروا (آمنوا به) أي بالقرآن، (أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله)؛ أي العلماء الذين قرؤوا الكتب السالفة، من قبل تَنْزُل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي، وأمارات النبوة، وعُمِّلُوا من تمييز الحق والباطل، والمحقق والمُبطل، أو رأوا نعمتك ونعتك ما أزل إليك.

(إذا يتلى) أي القرآن، (عليهم يخرون للأذقان)؛ يسقطون بسرعة على وجوههم (سجداً) تعظيمًا لأمر الله تعالى، أو شكرًا لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك، وقال صاحب الفرائد، المراد بالبالغة في التحامل على الجبهة والأتف، حتى كأنهم يلصقون الأذقان بالأرض، وهو وجه حسن جداً، أي يقعون على الأرض عند التحقيق، والمراد تصوير تلك الحالة.

(ويقولون)؛ أي في سجودهم أو مطلقاً: (سبحان ربنا) عن خلف وعده، أو عمما يفعل الكفارة من التكذيب، (إن كان وعد ربنا لمفعولاً)، (ويخرون للأذقان يكون)؛ كرر الخرور للأذقان لاختلاف السبب، فإن الأول لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكر لإنجاز الوعد، والثاني لما آثر فيهم من مواعظ القرآن، أي ساجدين باكين من خشية الله تعالى، ولما كان البكاء ناشئاً من الخشية الناشئة من التفكير، الذي يتجدد، جيء بالجملة الفعلية (يكون) المقيدة للتتجدد، (ويزيد لهم)؛ القرآن بسماعهم له، (خشوعاً) لما يزيد them علمًا ويقيناً بأمر الله تعالى، على ما حصل عندهم من الأدلة". من تفسير الألوسي.

جعنا بكم لفيفاً:

هذا ما قيل في (السان العربي) في كلمة لفيف (مجتمع ملتف من كل مكان)، واللفيف؛ (القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحداً)، واللفيف؛ (ما اجتمع من الناس من قبائل شتى)، واللفيف؛ (الجمع العظيم من أخلاط شتى؛ فيهم الشريف والدنيء والمطیع والعاصي والقوي والضعيف). واللاحظ أن معانى الكلمة جاءت بمعنى جمع لا جميع، والحقيقة أن الذي تم على أرض الواقع هو الجمجمة والجمع من أماكن شتى. وأن مجئهم جميعاً

لن يتحقق، لأنهم يتمتعون بصفات طفifieة، لا تمكنهم من ترك الدول الغربية الغنية، والعودة إلى فلسطين.

أما الآيات (104 - 109)، وكما عقب سبحانه بعد ذكره لوعد الآخرة في بداية السورة. جاءت بعد ذكره تعالى لوعد الآخرة، في نهاية السورة، تعقيباً على إزالته هذا الوعد بنصه في القرآن، كما أُنزل في كتاب موسى - عليه السلام - من قبل، حيث قال سبحانه: «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَا وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَّا بَيِّنَرًا وَذِيرًا ﴿٩﴾ وَقَرَءَ إِنَّا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثِرٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا» أي وبالحق الذي أوجبه الحكمة الإلهية، أُنزلنا خبر هذا الوعد في القرآن، الذي نزله على عبده تنزيلاً، وفرقه ليقرأ على الناس على مكث وبالحق والصدق والخبر اليقين جاء هذا القرآن، بهذا الوعد. مما سيكون من شأنبني إسرائيل - بتفاصيله وملابساته كلها، بما لا يدع مجالاً للشك أو التقول.

والحكمة الإلهية التي اقتضت إزالته، كما جاء من نص الآيات، هي:

أولاً: زف البشرى للمؤمنين الصابرين المرابطين المتمسكون بدينهم المخلصين له «وَبَيْتَرِ  
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» (٩ الإسراء)، بأن الله لن يخلف وعده  
الذي وعد، وأن ما وعدهم الله، لا محالة واقع ولو بعد حين، ليحthem على التمسك بدينهم  
والتحلى بالصبر، وعدم الاستعجال لأمر الله والركون لل Yas ، فكلما ادلهم الخطوب  
بالمؤمنين وضاقت السبل - كما هذه الأيام - كان الفرج قاب قوسين أو أدنى «حَتَّىٰ إِذَا آتَيْتَهُمْ  
آرْرُسُلُ وَظَنَّتُوا أَهْمَمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا فَنُجِيَّ مَنْ نَشَاءَ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ»  
(١١٠ يوسف).

وثانياً: إنذار لبني إسرائيل (الذين لا يؤمنون بالآخرة)، والمكذبين والمتشككين ممنْ  
غرتهم الحياة، وأمنوا بما يقوله الواقع، مع عدم قراءتهم له بشكل صحيح، أكثر من إيمانهم  
بالله، وما جاء في كتابه الذي أُنزل، من غضب الله عليهم، وتحذيرًا لهم من عقابه في الدنيا  
والآخرة «وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (١٠ الإسراء).

وثالثاً: تحصل الإيمان لكن لم يؤمن بعد، وتتجدد إيمان المؤمنين، وزيادة في اطمئنان  
قلوبهم، عند نفاذ هذا الوعد، كما جاءت صفتة في القرآن. حيث قال سبحانه للناس كافة،  
على وجه التبكيت والتهديد شديد اللهجة، «قُلْ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِهِ مَنْ لَا تُؤْمِنُوا» من أمر هذا الوعد  
وهذا القرآن، أن هذا الوعد لا محالة واقع، وإيمانكم به وبالقرآن وعدمه سواء. وأن منْ كانوا  
قد علموه، وسبق لهم الإيمان به وتصديقهم له قبل تتحققه، «إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ»،

لِإِيمَانِهِمْ يَمْنَأُ نُزُلَهُ وَصِدْقُ مَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ، سِيَكُونُ هَذَا حَالَهُمْ، عَنْدَ تَحْقِيقِهِ وَبَعْدَ تَحْقِيقِهِ «إِذَا  
يُتَّلِّيَ عَلَيْهِمْ حَمْرَوْنَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿٦﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَغُدُّ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً»، أَيْ  
أَنَّهُمْ إِذَا تُتَّلِّيَ عَلَيْهِمْ ذِكْرُ هَذَا الْوَعْدِ، عَنْدَ وَبَعْدَ تَحْقِيقِهِ، خَرَوْا لِلأَذْقَانِ سَجَدًا، قَائِلِينَ: (سُبْحَانَ  
رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَغُدُّ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً)، وَسِيَكُونُ هَذَا حَالَهُمْ مَرَةً ثَلَوْمَرَةً، كَلَمَا تُتَّلِّي عَلَيْهِمْ آيَاتُ هَذَا  
الْوَعْدِ «وَخَيْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَنْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا» وَمَا إِنْ يَقُولُوا، حَتَّى لا تَكَادُ تَحْمِلُهُمْ  
أَرْجُلُهُمْ، وَتَغْلِبُ عَلَيْهِمْ مشاعِرُهُمْ، مِنْ شَدَّةِ التَّصْدِيقِ وَشَدَّةِ الإِيمَانِ، فَيَعِودُوا يَقْعُوا  
سَاجِدِينَ خَاشِعِينَ، لِمَنْ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ.  
﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْجِعُكُمْ إِنْ غَدْثُمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِ حَصِيرًا﴾.

عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْجِعُكُمْ:

بعد نفاذ الْوَعْدِ الثَّانِي، يُوجَّه سُبْحَانُهُ الْخُطَابُ، لِلْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَّةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ نَجَّوْا  
مِنْ هَذَا العَذَابِ، وَلَمْ يَطْلُمُهُمْ عَقَابُ وَعْدِ الْآخِرَةِ، لِعَلَيْهِمْ يَعْتَدُونَ مَا حَصَلَ، بَعْدَ أَنْ رَأَوْا مَا  
رَأَوْا، مَا حَلَّ فِي بَنِي قَوْمِهِمْ، لَمَّا عَلَّوْا وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ. فَلَعْلُهُمْ يَعُودُونَ إِلَى اللَّهِ،  
وَيَصْلَحُونَ أُمُورَهُمْ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَرْحَمُهُمْ. قَالَ تَعَالَى: «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ  
إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنْ رَحْتَ اللَّهَ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ» (56 الْأَعْرَافَ)، وَعِوْدُهُمْ  
إِلَى اللَّهِ تَعْنِي إِعْتِاقَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ النَّبِيِّينَ لِمَا أَتَيْتُكُمْ مِّنْ  
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتُنَصَّرُنَّهُ» قَالَ أَفَرَزْتُكُمْ وَأَخَذْتُمْ  
عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَزْنَا قَالَ فَأَشَهَّدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٧﴾ ... وَمَنْ يَتَنَعَّمْ غَيْرُ الْإِسْلَامِ  
دِينَنَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿٨﴾ ... «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَلَنْ  
الَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (89 آل عمران). وَهَذَا مَا لَمْ يَفْعُلُوهُ سَابِقًا، وَقَدْ لَا يَفْعُلُوهُ مُسْتَبِلًا.

إِنْ عَدْتُمْ عَدْنَا:

فَإِذَا اسْتَمِرُوا بِالْإِفْسَادِ، وَعَادُوا إِلَيْهِ مَرَةً أُخْرَى، وَهُذَا مَحْمُولٌ عَلَى الشَّرْطِ، فَإِنْ عَادُوا  
لِلْإِفْسَادِ بَعْدَ تَحْقِيقِ الْوَعْدِ الثَّانِي، عَادَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْعَقَابِ.

﴿إِلَّا يَحْبَلِ مِنَ اللَّهِ وَحْبَلِي مِنْ النَّاسِ﴾:

قالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ: «وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْذِلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَأْءَ وَيَغْضَبُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِنَبَيَّنَا اللَّهَ وَيَقْتَلُونَ النَّبِيِّنَ يَغْتَرِي الْعَوْنَى ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ»،  
هَذِهِ الْآيَةُ تُوضِّحُ حَكْمًا إِلَهِيًّا مُلْزَمًا، كَانَ فِيمَا سَبَقَ، قَدْ صَدَرَ بِحَقِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَنْدَ كُفْرِهِمْ

وقتلهم الأنبياء، ونلاحظ أن المسكنة عُطفت على الذلة مباشرة، وأنهما تلازمًا في الواقع تحت الضرب، في قوله تعالى: «وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ».

وفي سورة آل عمران، أعيد النص السابق نفسه، في قوله تعالى: «وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَئِنَّ مَا تُقْفِرُوا إِلَّا يَخْتَلِي مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ مِنَ النَّاسِ وَبَأْنَاهُ وَيَغْصَبُ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِنَبَاتِنَتِ اللَّهِ وَيَقْتَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ»، ولكن، بفضل الذلة عن المسكنة، مع ضرب كل منها على حدة أولًا، ومن ثم إضافة الاستثناء التالي «إِلَّا يَخْتَلِي مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ مِنَ النَّاسِ»، من ضرب الذلة دون المسكنة ثانيةً. ومن هنا نستطيع القول، بأن الذلة ستُرفع عنهم في حالتين: الحالة الأولى بجعل من الله، والحالـة الثانية بجعل من الناس، وأن المسكنة ستبقى ملزمة لهم، في حال رُفعت الذلة عنهم أم لم تُرفع.

جاء في معجم لسان العرب، الذلُّ نقىض العزة، وقوله تعالى «وَذَلِكَ قُطْوفُهَا تَذَلِّلاً»، بمعنى سُوِّيت عناقيدها ودُلِّيت أي خُفِّضت، وتذَلَّلَ له أي خَضَعَ له، وأن المعنى المستفاد من الذل هو الصغار والخضوع والانخاض، والنقيض لهذه الصفات، هو الاستكبار والسطوة والارتفاع.

وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ: أي أُلزموا الذلة والصغر، فلا منعة لهم، بمعنى لا قوة لهم لمنع الغير من استباحة دمائهم وأموالهم وأهليهم. وثبتت فيهم هذه الصفة، ولا زمتهم على مر العصور، ولا خلاص لهم منها، والسبب في ضربها عليهم هو استحقاقهم لغضب الله عليهم، لكرفهم بآياته وقتلهم الأنبياء، بالإضافة لما كان من عصيانهم لأوامره واعتدائهم على حدوده. أَيْنَ مَا تُقْفِرُوا: أينما وُجدوا.

هنا لا بد لنا من وقفة مع هذه العبارة، حيث يقول سبحانه: «وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقْفِرُوا إِلَّا يَخْتَلِي مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ مِنَ النَّاسِ»، فالذلة ملزمة لهم، أينما أقاموا أو ارتحلوا، وهذه الذلة ستُرفع عنهم مرتين، لستبدل بالعلو، أينما أقاموا أو ارتحلوا، على امتداد سطح كوكب الأرض، فالعلو اليهودي مرتين حدث عارض في تاريخهم ومصيره إلى الزوال، أو حالة استثنائية سيعيشها عامة الشعب اليهودي مرتين أينما وُجدوا، وستزول هذه الحالة عن عامة الشعب اليهودي كذلك، عندما ياذن رب العزة بزوال علوهم، في المرة الثانية، وليعود كل يهود العالم أفراداً وجماعات، في شتى بقاع الأرض، إلى حالة الذلة، التي هي في الأصل، الحالة التي يستحقون بمنظور رب العزة.

والسؤال الآن، لماذا كان هذا الفصل وهذا الاستثناء؟

إِلَّا يَجْبُلُ مِنَ اللَّهِ، وَجَبَلُ مِنَ النَّاسِ: الاستثناء هنا يفيد رفع حالة الذلة، لتصبح حالهم من (الذل والصغر والخضوع والانخفاض) إلى العكس تماماً، أي (العز والاستكبار والسطوة والارتفاع)، وهذا ما يفيد معنى العلوّ، وهذا الاستثناء يوضح أن العلوّ سيكون على حالين، وأن العلوّ الأول، كان بحجل الله، أي باتكالهم على الله، في نشأته وتمكينه من خلال الوحي والنبوة، وأن العلوّ الثاني، سيكون بحجل الناس، أي باتكالهم على الناس، في نشأته وتمكينه من خلال المساعدات المالية والعسكرية.

وتعنّ في جمال ودقة التعبير القرآني، واستخدام الكلمة (حجل) في هذا المقام، فالحجل يُرْفَع به دلو الماء، من قعر البئر إلى قمته، فهو وسيلة لانتشال الشيء، من أدنى حالاته وإيصاله إلى أعلىها، ومن قوله -عليه الصلاة والسلام- لصاحب الناقة: «اعْقِلْ وَتَوَكَّلْ»، نجد أنه وسيلة ربط لإحكام الشيء وإيقائه على حاله.

تعلم أن الله قد حذرهم من اتخاذ وكلاه غيره، في افتتاحية السورة قائلاً: «أَلَا تَتَخَذُوا مِنْ ذُرِّنِ وَكِيلًا». في العلوّ الأول لهم، كانوا قد طلبوا العون من الله، لإقامة الدولة في الأرض المقدسة، وكان اتكالهم على الله لإدامة وجودها، «إِذْ قَالُوا لِيَتَّقِيَّ هُمْ أَبَعْثَتَنَا مِلَكًا نَّقْبِلُ فِي سَبِيلٍ» (246 البقرة)، فأتاهم الله ما طلبوا «وَلَقَدْ أَتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الظَّيْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَنَالَمِينَ» (16 الجاثية) فجمع لهم الملك والنبوة، في داود وسيمان عليهمما السلام. وأما في العلوّ الثاني، كانوا قد طلبوا العون من (بلفور) لإقامة الدولة، والاتكال على بريطانيا لإنجادها، وعلى أمريكا لإدامة وجودها، فكان لهم ما أرادوا، «فَنَمَرَدَنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْتَنَاتٍ وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا» (6 الإسراء).

ولول يأت هذا الاستثناء في سورة آل عمران، ويقي على حاله كما هو في سورة البقرة، لتناقض ذلك مع قوله تعالى في سورة الإسراء، «لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُوًا كَثِيرًا»، سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

وَضَرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ: أي الحاجة للغير والتسول بلا خجل.

مجيء اليهود من الشتات:

يظن بعضهم، بناءً على عبارة جثنا بكم لفيفاً، أن وعد الآخرة ما زال بعيداً عن التحقق، كون تجمّع بنى إسرائيل في فلسطين لم يكتمل بعد، فالكثير منهم -تقريباً النصف- ما زال في دول

العالم، وهم لن يهاجروا إلى فلسطين، إلا في حالة واحدة؛ إذا أجبروا على ذلك مُكرهين، أو دُمر العالم بأسره، ولم يبق إلا فلسطين ليهاجروا إليها، وهذا غير وارد في المنظور القريب.

فاليهود كائنات طفيلية لا تستطيع العيش بمعزل عن الآخرين من غير اليهود، ويبدون المساعدة الخارجية من الدول الغربية، والتسلّل الدائم والمستمر. وهذه هي المسكتة التي ضربها الله عليهم، ولازتمهم على مرّ تارихهم الطويل، في غناهم وفقرهم وفي ذلهم وعلوّهم. ولا أدلّ على ذلك من التسويق المستمر، للحرقة النازية المبالغ فيها، والتي جعلوا منها، ومن تهمة معاداة السامية، مسمار حجا في حلق الشعوب الغربية، لابتزازها ونهب خيراتها وخاصة ألمانيا، فهم عالة على كلّ منْ آواهم، وهذا ما يشهد به تاريخهم، وكأن سبياً. بالإضافة إلى غدرهم ومكرهم ومؤامراتهم -في اضطهادهم، من قتل ونهب ونفي وتهجير.

واليهود هم أول من ابتكر الرياح ويعيشون به وعليه، والآن هم يملكون معظم بيوت المال العالمية إنْ لم تكن كلها، حتى البنوك المركزية الأمريكية والبريطانية، وحق إصدار النقد فيها، فهل من المعقول أنْ يتركوا العجل الذهبي، وينغادروا جنة إلههم بمحضر إرادتهم؟! طبعاً لا، فهذا ضرب من الخيال. لذلك، أستطيع الجزم -ما تقدّم- بأنَّ تجمعهم في فلسطين بكلّهم وكليلهم لن يكون، وللعلم؛ فإنَّ معظم المهاجرين اليهود كانوا من بلدان أوروبا الشرقية المعروفة بفقراها، وأما الغربيون فأعدادهم قليلة جداً. فضلاً عن ذلك، لم يأتِ في مجلمل معاني (لفيما) ما يُفيد، تجمع اليهود كلّهم في فلسطين، كشرط لتحقيق وعد الآخرة، والمعنى المستفاد منها هو الاختلاط في الأصول، والجمع من أماكن مختلفة، وهذا قد تحصل، فالدول التي هاجروا منها، شملت معظم أرجاء المعمورة وهي غنية عن التعريف، وهذا هو المراد.

أما فيما يخصُّ السنن الإلهية في القرى الظالمة فقد وردت في هذا البحث الكثير من الآيات التي توضحها، فلا أسرع من الانتقام الإلهي ليحل بها. وظلم اليهود وعلوّهم واستكبارهم وعنجهيتهم وعنصرتهم، ومحاربتهم لله ورسوله وأوليائه، وقتل الأبرياء العزل وهدم البيوت، واستلاب الأرضي واقتلاع أشجارها واستيطانها، ومنعهم مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وتدعيسها فاق كل تصور وأوجب عقابه سبحانه لهم منذ زمن بعيد. إلا أن الحكيم العليم -جلت قدرته وعظم شأنه - ضرب لهم موعداً لنُخلفوه.

تعني عملية ربط نفاذ وعد الآخرة، بتجمع اليهود كلّهم في فلسطين، أن وعد الآخرة، لن يتحقق حتى قيام الساعة، وهذا مخالف لما نراه على أرض الواقع، حيث وصل الظلم اليهودي أقصى مداه، ومخالف أيضاً لما تحكيه النصوص، إذ إن هناك عودة أخرى للإفساد

وهناك عقاب آخر، سينطق فيه الحجر والشجر، قبل قيام الساعة، التي أصبحت أشراطها الكبرى على الأبواب، والناس في غفلة من أمرهم.

### ما تُخبر عنه الآيات، ليس نصراً للإسلام، وإنما عقاب وعداب لليهود:

قال تعالى: «وَإِذْ تَأْذَنْ رَبُّكَ لِيَنْعَثِنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» (الأعراف) تقرر هذه الآية الكريمة بأن الله سبحانه على بنى إسرائيل من يسومهم سوء العذاب إلى قيام الساعة. إذن هناك استمرارية للبعث، وهناك استمرارية للعقاب، وقد وقع العذاب عليهم على أيدي وثنين ونصارى ومسلمين، على مرّ تاريخهم الطويل. مما يؤكّد أن العذاب الخاص بوعدي المرتدين، هو حالة استثنائية خاصة مختلفة، عما تقرّر الآية أعلاه، وأن الذين سيُوقّعون بهم أناس استثنائيون أيضاً، وهذا الاستثناء جاء لما يملكونه من صفات، على رأسها صفة البأس الشديد، لأن إفساد بنى إسرائيل المترن بالعلو في المرتدين كليهما، أعظم من أي إفساد سابق أو لاحق، مما يتطلّب بعث أناس هم أهل، لما يريده الله لبني إسرائيل، من العذاب الشديد.

أنزلت نصوص هذه النبوة على موسى عليه السلام، قبل 3آلاف سنة تقريباً من الآن، وقبل 1600 سنة من مجيء الإسلام تقريباً، وكشفت نصوصها لبني إسرائيل بعد نكوصهم عن الدخول إلى فلسطين، وقبل سنوات التحرير والته. وهي في الواقع، تحكي حالتين استثنائيتين من تاريخ بنى إسرائيل، يتحصل لهم فيما علوّاً معيّن في فلسطين، يشترط فيما - سبحانه - الإحسان وتجنب الإساءة، فإن أحسناً أحسن إليهم، وإن أساءوا أزال علوّهم، وعذبهم في الدنيا والآخرة. ووعدهم بإطالة أمد هذا العلو إليهم، طالما هم محسنون، والإساءة إليهم بعقابهم وإزالة هذا العلو، طالما هم يسيرون ويصرّون على الإساءة.

ولعلمه المسبق بإفسادهم بعد التمكن من العلو فيها في المرتدين، أخبرهم سبحانه بما سيكون منهم مستقبلاً، مؤكداً ذلك بقسم تستشعر من خلاله التحدّي الإلهي لهم، كونهم دائبين على تحديه، بمحاربة رسّله وأوليائه وشرائعه. وأنهم كلما علوا في الأرض، سيفسدون فيها، بالرغم من تحذيرهم هذا، مُعلنين حربهم عليه سبحانه. فينالون غضبه وسخطه عليهم، مما يستوجب العقاب. وعندما يتحصل ذلك منهم، وعدهم ربهم بأن يبعث عليهم - في كل مرة - عباداً له أولي بأس شديد، ليغدوهم إلى موقعهم الحقيقي من الإعراب بين الأمم.

لنؤكّد هنا على أن ما تُخبر عنه سورة الإسراء حسراً هو وعدٌ بعقاب وعداب لليهود لإضافتهم واستعلائهم في الأرض، بغضّ النظر عن أي اعتبارات أخرى، وفي التعقيب على

هذا الخبر، كانت إحدى الحكم الإلهية للإخبار عنه، هي زف البشرى للمؤمنين. أما نصر المؤمنين، من أهل فلسطين، الذين نصروا الله بصرهم ورباطهم وثباتهم، فالإخبار عنه والوعد به، جاء في مواضع أخرى من القرآن، فلا الخلط بين الأمرين.

## منْ هُمْ هُؤلَاءِ الْعَبَادُ وَلِمَا هُمْ وَمَا الَّذِي يَجْرِي فِي الْحَقِيقَةِ؟

يؤكد النص القرآني، في الآيات من (5-7) من سورة الإسراء، أن العقاب الإلهي لبني إسرائيل سيحل بهم على أيدي عباده. طائفة من خلقه، سخرهم الله جلت قدرته، من أجل القيام بهذه المهمة العظيمة، واختارهم لهذه المهمة لاتصافهم بالباس الشديد. وطبيعة هذه المهمة هي الانتقام، وهذا الانتقام الإلهي الطبيع، وصفته شديد الواقع والتاثير. وبالتالي، من الضرورة بما كان، أن يتلذذ أولئك العباد مخزوناً هائلاً وكماً ضخماً من الحقد والكراهية الموجة لبني إسرائيل لسبب أو لآخر، مما أوجد لديهم رغبة شديدة وملحة في الانتقام منهم، حتى يتوافق ذلك مع مقتضى الإرادة الإلهية في الانتقام، ولتحل ذلك العذاب في أبغض صوره، كما لو أنه أنزل عليهم من السماء. وتتحيز الآيات بأن هناك علاقة عدائية ما بين اليهود وأولئك العباد نشأت منذ نهاية علوهم الأول، وتجددت مع بداية علوهم الثاني، واستمرت وتزايدت مع مرور الزمن، وأن سبق العداء والاعتداء اليهودي على أولئك العباد، سيكون السبب في خروج أولئك العباد عليهم.

أخبر سبحانه بأن عقابه لبني إسرائيل، سيكون من فعل البشر، والسلوك البشري -في بعض من جوانبه- هو مجموعة من الحوادث المتكررة. وما نحن بصدده في هذا المقام، هو القانون الفيزيائي (لكل فعل رد فعل معاكس له بالاتجاه)، ولكن، ليس مساو له بالمقدار، فرد الفعل في السلوك البشري تتدخل فيه عوامل كثيرة تغير من مقدار رد الفعل. ومن قراءتنا للنص القرآني وفهمنا له، نجد أن هذا العقاب الإلهي، سينفذ في بني إسرائيل على أيدي بشر، وسيكون غاية في البطش والتكميل والإذلال.

وهذا السلوك البشري لا يقوم به إلا من كان يعتمل في صدورهم رغبة شديدة في الانتقام. ورغبة الانتقام لدى البشر لا تنشأ عبثاً، فغالباً ما تكون رد فعل لفعل سابق. يعني أن الرغبة في الانتقام لدى شخص ما، تنتج عادة لسبق الاعتداء من قبل شخص آخر، فغالباً ما يتسبب الشخص المعتدى في إيقاع الأذى، بالشخص المعتدى عليه، سواء كان هذا العدوان جسدياً أو نفسياً، مما يُشكل خطراً وتهديداً على كيان المعتدى عليه برمته، من حيث الأمان والسلامة النفسية والجسدية، فيُشكل هذا العدوان استفزازاً واستثارة، تجعل المعتدى عليه،

يعيش حالة من التوتر والقلق، تؤدي به أخيراً إلى القيام برد العدوان بعدوان أشد قسوة وأكثر إيلاماً وتنكلاً، حتى يتخلص المعتدى عليه من تلك الحالة، بالإضافة إلى رد اعتباره أمام نفسه وأمام الآخرين، ولدرء خطر تكرار العدوان من قبل المعتدى نفسه أو من قبل غيره.

وفي كثير من الأحيان، يتكرر السلوك البشري نفسه لشخص ما عند تعرضه لنفس المثير، في أوقات مختلفة. وفي أحيان كثيرة يتشابه سلوك شخص ما للدرجة التطابق مع سلوك شخص آخر تعرض للموقف نفسه، وإن اختلف، فالاختلاف إما أن يكون:

أولاً: في درجة الشدة للفعل نفسه من (شتم، أو ضرب، أو إيذاء بلغ، أو قتل).

ثانياً: في درجة الشدة لرد الفعل من (اكتتاب، أو امتعاض، أو شتم، أو ضرب، أو إيذاء بلغ، أو قتل).

ثالثاً: في طبيعة الشخص المعتدى عليه (إإنْ كان ذليلاً ربيعاً يكتسب، وإنْ كان جباناً ربيعاً يتعضض، وإنْ كان قوياً فيه لين ربما يشتم أو يضرب، وإنْ كان عزيزاً وقوياً ربما يؤذى، أو يقتل وينكل).

وسورة الإسراء أعطت صورة من صور سلوك أولئك العباد في التعامل معبني إسرائيل. وتصوير السلوك البشري يظهر في مواضع كثيرة أثناء السرد القرآني للقصة، الذي يعتمد التصوير بایجاز شديد، ليقى على كاهل القارئ، تخيل بقية تفاصيل القصة، التي اختفت بسبب الإيجاز.

ما تحصل لدينا من ملامح لسلوك هؤلاء العباد، ومن أحداث من خلال الآيات، هو ما يلي:  
صفة البأس الشديد: اتصف هؤلاء العباد بالقوة والبطش في الحروب.

رد الكراة: قيامبني إسرائيل بالاعتداء على هؤلاء العباد، بعد تحصلهم على العلو الكبير.

مجيء الوعد: متعلق بعظم الظلم والإفساد في الأرض، فكلما ازدادت وتيرته اقترب.

البعث: الخروج للغزو والغارة يقترب كلما ازدادت وتيرة الاستفزاز والتهديد وتناقضت المعتقدات والموانع.

دخول المسجد: سلب مقومات العلو اليهودي في فلسطين.

إساءة الوجه: عظيم الانتقام وبشاعته، بالإيذاء والقتل والتكميل والتهجير والسببي.

## **الملامح الخفية التي تظهر:**

ضرورة اعتداء بني إسرائيل على أولئك العباد، بإضرارهم وإيذائهم بشكل بالغ الأثر.  
تولد حالة من التوتر والقلق والقهر، لدى أولئك العباد يُخلفها ذلك العداون.  
تولد الإرادة والرغبة في الانتقام، لدى أولئك العباد، برد الصاع صاعين، لدفع الأذى  
والضرر، ورد الاعتبار.

العمل والاستعداد والانتظار ريثما تأتي اللحظة المناسبة التي تُمكّنهم من الانقضاض.

واليآن، لنطرح الأسئلة التالية :

من هم الذين يتلذّبون صفة الصبر والجلد عند وقوع البلاء، والقوة والبطش عند  
مواجهة الأعداء ؟

من هم الذين هُزِموا من قبل اليهود عند نشوء دولتهم، والوحيدون الذي استمر اليهود،  
في إيذائهم والاعتداء عليهم، بشكل مباشر وغير مباشر، وما زالوا حتى يومنا هذا،  
وسيستمرون في إيذاءهم حتى يُجبروهم على الخروج عليهم ؟

من هم الذين تظهر لديهم رغبة شديدة وملحة في الانتقام منهم، والقضاء عليهم وإنها  
وجودهم، وما بقي عليه إلا أن يُهبي الله له، أسباب الخروج والانبعاث ؟

من هم الذين بُعثروا عليهم في المرة الأولى، ودمروا ملكتهم في فلسطين بالذات ؟ وأين  
تقع الأرض التي خرجوا منها الآن ؟

## **شروط ومواصفات المرة:**

والآن، لنجاول استباط الشروط والمواصفات التي يجب توافرها في المرة الواحدة  
ليصبح لدينا مقياس ينأى بنا عن التخبط والعشوائية والاجتهاد الخاطئ، نستطيع - من خلاله -  
تقسيم كل حالة من الحالات المعروضة بين أيدينا لأجل التحقق وبدقة متناهية من كونها إحدى  
المرتين أم لا :

المكان : الأرض المقدسة - فلسطين.

العلو : الاستعلاء - امتلاك الأرض والمال والقوة .

النشأة والاستمرارية : تواكلية؛ إدحاماً بالتواكل على الله، والأخرى بالتواكل  
على الناس.

صفة الإفساد: أعمي جماعي؛ القتل وسفك الدماء، إخراج الناس من ديارهم، محاربة الله وما جاء به رسله.

صفة العقاب: انتقام إلهي؛ الدخول بالغلبة قسراً وقهرأ، وهدم مقومات الدولة، وإفقاء شعبها، والشتات لمن ينجو منهم.

صفة المبعوثين: أقوباء وأعزاء، ولا يقبلون بأقل من رد الصاع صاعين، ومخرجهم من الأرض نفسها في المرتدين.

المجيء: مختلف؛ دخول فلسطين كامة في الأولى، دخولها كجماعات متفرقة من الشتات في الثانية.

الوعد: الأول؛ تحقق قبل نزول سورة الإسراء، والثاني سيتحقق في مستقبل الأمة الإسلامية. والله أعلم.

هل من المكن أن يبعث الله الكفارة ويسلطهم على من شاء من عباده؟

هذا السؤال كان قد أورده الزمخشري في الكشاف، حيث قال: «(عبادنا)، وقرئ عبادانا، وأكثر ما يقال عباد الله، وعيده الناس، سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر ... فإن قلتَ كيف جاز أن يبعث الله الكفارة، ويسلطهم عليهم؟ قلتُ: معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نعهم، على أن الله أستد بعث الكفارة إلى نفسه، فهو قوله تعالى: «وَكَذَّلِكَ ثُوَّلَ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (129 الأنعام).»

ولا ننسى أن الكلام في المسألة أعلاه محمول على أن البعض قد تخلصاً قبل نزول الآيات، حيث أجمعت الروايات كلها على كفر المبعوثين، فجاء الكلام ردآ على من قد ينكر على الله بعث الكفارة على فسقة أهل الكتاب، ويحصر ذلك بالمؤمنين وهمأ وظناً واتباعاً للهوى، مقدراً بأن في ذلك كل المصلحة والمنفعة، ملزماً رب العزة برأيه.

وبالإضافة لما تقدم، نسوق بعض الأدلة من القرآن والسنة، على تسليط الله الناس بعضهم على بعض، دون بيان ماهية المعتقد من حيث الإيمان أو الكفر، وحتى نصرة الدين بالفجار:

قال تعالى: «وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَعَلَّ كَيْنَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» (251 البقرة).

وقال أيضاً: «وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدَمَتْ صَوَامِعٌ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌ عَزِيزٌ» (40 الحج).

وما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال في معرض حديثه: (... وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)، وأخرجه مسلم وأحمد والدارمي.

فإذا كان الحكيم العليم ينصر دينه بالغجر، أفلأ يُعذب الكفار بالكافر؟!!  
أولم يُسلط الله التار على فسقة المسلمين قدماً، ويُسلط الأتراك والنصارى واليهود على  
فسقة المسلمين حديثاً، أم أن هذا التسلیط كان من عند غير الله؟!!  
والسؤال هل هناك منفعة أو مصلحة تُرجى من بعث الريح والحجارة، أو بعث الطير  
والضفادع، على الأقوام السابقة، طلما أن الغاية هي عقاب الظلمة والمفسدين؟!!

### الخلاصة:

إفسادبني إسرائيل وعلوهم سيكون كامة، على شكل دولة لهم في فلسطين لمرتين فقط،  
لا ثالث لها.

البعث من عند الله، وأنه عقاب وعذاب لبني إسرائيل لإفسادهم في الأرض، في  
الدرجة الأولى.

هذا البعث متعلق بموعد، والمؤشر على قرب أجله هو ازدياد وتيرة الظلم والإفساد اليهودي.  
غاية هذا البعث، هي الانتقام منبني إسرائيل في الدرجة الأولى، وليس مكافأة  
لصلاح المبعوثين.

الوعد الأول كان قد أُنجز فيما مضى، وقبل مجيء الإسلام، بل قبل عيسى عليه السلام.  
تحقق الوعد الثاني اشتُرط فيه قبل تحققه: مجئهم من الشتات؛ هزيمة اليهود للمبعوثين  
وال الحق الأذى بهم؛ اعتماد اليهود على المساعدات المادية والبشرية؛ تفوق اليهود عسكرياً  
على أعدائهم.

للبعث الثاني سبب، وهو سبق الاعتداء اليهودي على المبعوثين، وأن خروج المبعوثين  
عليهم سيكون لرفع الضرر والانتقام لأنفسهم.

المبعوثون عليهم في المرة الثانية هم المبعوثون أنفسهم عليهم في المرة الأولى.

هذا البعث سيكون مُفاجئاً لهم، وهم في قمة عُلوّهم وتجبرهم، وسيأتيهم من حيث لا يحتسبوا، وسيتم قتل اليهود والتكميل بهم، ومن ثم دخول فلسطين والسيطرة عليها، مع انعدام قدرة اليهود على صد المبعوثين.

الدخول الأول يعرفه اليهود، كمعرفتهم لأولادهم، وليس لل المسلمين معرفة بصفته، كونهم لم يُعاصروه إلا من خلال كتب اليهود.

تدمير مقومات عُلوّهم في مشارق الأرض وغاربها أمر حتمي، ولو بعد حين.

ماهية المعتقد للمبعوثين مُبهمة، فمن الجائز أن يكونوا كفرة أو مسلمين أو مؤمنين أو من أولياء الله المخلصين، في المرتين كلتيهما، أو في مرة دون الأخرى، وأن أهم ما يُميزهم في المرتين كلتيهما، هو اتصافهم بالباس الشديد.

## **الباب الثاني**

### **سقف العلو الكبير**

**الفصل الأول:**

**بني إسرائيل في القرآن الكريم**

**الفصل الثاني:**

**اليهود في التوراة والتلمود**

**الفصل الثالث:**

**النباءات التوراتية بين الماضي والمستقبل**



## الفصل الأول:

### بنو إسرائيل في القرآن الكريم

إن هناك الكثير من الواقع المهمة، والمفاهيم المغلوطة في تاريخ بنى إسرائيل، وبخاصة ماهية الأحداث التي حصلت معهم وموقعها من حيث الزمان والمكان، والتي ذكرت متفرقة في القرآن، وبلا ترتيب في أغلب الأحيان، وكذلك فيما يتعلق بأنبياء بنى إسرائيل وتعاقبهم، لذلك كان لا بدًّ من البحث لكشف بعض الواقع وتصحيح بعض المفاهيم، ولنبدأ بتاريخهم من إبراهيم عليه السلام.

#### إبراهيم عليه السلام:

حسبما ورد عن أهل الكتاب أن إبراهيم - عليه السلام - كان مقیماً في بلدة أور في جنوب العراق، «فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ فَالَّوْا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِقُوهُ فَأَجْبَحَهُ اللَّهُ مِنْ أَنَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَتَبَلَّقُونَ» (24 العنكبوت)، «فَتَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (26 العنكبوت)، «وَجَبَّسَهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَّكَنَا فِيهَا لِلْغَنَمِينَ» (71 الأنبياء).

ومن ثم انتقل إبراهيم ولوط عليهم السلام، وهو الوحد الذي آمن له من قومه، إلى فلسطين. وسكن لوط - عليه السلام - قرية (سدوم وعمورة) حسب تسمية التوراة، في موضع البحر الميت حالياً، واستمر إبراهيم - عليه السلام - على الأرجح، إلى المدينة المسماة باسمه لغاية الآن. وهي الخليل جنوبي القدس - وسكن فيها، وظاهر النص القرآني، يفيد بأنهم أهل يكونوا متزوجين، ولو كانوا متزوجين، لذُكرَ أهلهما عند النجاة، كما اقترب ذكر الأهل مع الأنبياء في كل من حالات النجاة والهجرة التي وردت في القرآن، كما في الآية «وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» (76 الأنبياء)، والآية «قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطًا قَالُوا أَخْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنْنَجِيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَنِيْمِ» (32 العنكبوت)، والآية «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ» (29 القصص)، ليفيد ذلك أنهما هاجرا منفردين وفي مقبل العمر، وأن الزواج حصل بعد الإقامة، وعلى الأرجح، من الأقوام أنفسهم الذين دخلوا عليهم، وعايشوهم كأفراد، والله أعلم.

قال تعالى على لسان إبراهيم : «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبْرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّنِي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» (39 إبراهيم)، ومررت سنون طويلة، وبعد أن تقدم إبراهيم - عليه السلام - في العمر، وهبه الله - جل وعلا - إسماعيل أولاً من هاجر، فأسكنه وأمه في مكة، ومن ثم رُزق بياضحاق في شيخوخته، من سارة التي أصبحت عجوزاً، ومن ثم ولد يعقوب لإسحاق عليهما السلام، قال تعالى : «وَأَمَّا أُنَّةُ فَأَتَمَّهُ فَصَحِّكَتْ فَبَشَّرْتَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» (٧٢) قالت يتوسلة أللّه وآنا عجوز وهذا بعلٍ شيخاً إنَّ هذَا الشَّيْءُ عَجِيبٌ» (72 هود).

### مسألة بناء البيت الحرام والمسجد الأقصى :

قال تعالى : «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيَكَةَ مُبَارَّكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ» (٩٦ آل عمران). وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع أولاً؟ قال : (المسجد الحرام)، قلت : ثم أي؟ قال : ثم المسجد الأقصى، قلت : كم كان بينهما؟ قال : أربعون، ثم قال : حيثما أدركك الصلاة فصل، وألأرض لك مسجد» رواه البخاري، وأخرجه مسلم والنائي وأبي ماجة وأحمد. جاء في شرح السندي، لنفس المتن عند ابن ماجة، مانصه : قوله (وضع أول) بالبناء على الضمة، (قال أربعون عاماً) قالوا : ليس المراد بناء إبراهيم للمسجد الحرام، وبناء سليمان للمسجد الأقصى، فإن بينهما مدة طويلة بلا ريب، بل المراد بناؤها قبل هذين البناءين، والله أعلم .

ومن معاني (الوضع)، في لسان العرب : «الموضع معروفة، وواحدها موضع، والموضع هو اسم المكان، وفي الحديث : «ينزل عيسى بن مريم فيضع الجزية»، فتوسيع الجزية وتسقط، وفي الحديث : «ويضع العلم» أي يهدمه، ويلصقه بالأرض، ووضع الشيء وضع أي اختلقه، وأوجده، ووضع الشيء في المكان، أثبته فيه .

ولم تأت (وضع) بأي حال من الأحوال بمعنى (بني)، وذلك يفيد بأن الوضع كان للقواعد فقط. وقد روى أن آدم - عليه السلام - هو أول من بنى الكعبة، واتخذت مكاناً لعبادة الله، ومن ثم تحول الموضع لعبادة الأصنام، وأزيالت معالم ذلك البناء بفعل الطوفان زمن نوح عليه السلام، واختفت هذه القواعد نتيجة تراكم الأتربة، على مر السنين. وإعراب (وضع) في الموصعين كليهما، هو فعل ماض مبني للمجهول، أي أن فاعل الوضع غير معلوم في النص، وجاءت بمعنى تعين وتحديد مكان البيت، وهناك روايات بأن الملائكة كشفت لآدم عن موضعه، عندما بناه لأول مرة. وبلغة مساحي الأرضي، نستطيع القول إن (وضع)، جاءت بمعنى تحديد وإسقاط إحداثيات الموقع على الأرض، وتبسيط حدوده.

ولا يختلف اثنان على أن مَنْ أَعْادَ بَنَاءَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ هُمَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَإِذْ بَوَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكَ بِنِي شَيْئًا وَطَهَرْنِي بِنِيَّتِي لِلطَّاهِيفِ وَالْقَابِيمِينَ وَالرُّكُوعَ السُّجُودَ » (26 الْحَجَّ)، بَوَأْنَا؛ أَيْ كَشَفْنَا، وَأَظَهَرْنَا لِهِ مَوْضِعَهُ، وَمَكَانَهُ مَنْهُ وَأَذْنَاهُ فِي بَنَائِهِ، وَمِنْ ثُمَّ كَانَ الْبَنَاءُ بِرَفْعِهِ فَوْقَ الْقَوَاعِدِ، فِي قَوْلِهِ : « وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ » (127 الْبَقَرَةُ)، وَالْغَايَةُ مِنْ بَنَائِهِ هُوَ جَعْلُهُ مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ، بِمَا تَشْمِلُهُ مِنْ طَوَافٍ وَقِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ، لِمَنْ يَسْتَجِيِّوْا الرِّسَالَةُ الْإِسْلَامُ، كَمَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ أَعْلَاهُ، الَّتِي كَانَ يَحْمِلُهَا إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْمُقِيمُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ « وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا » (54 مُرِيمٌ).

### يعقوب ويوسف عليهما السلام:

قال تعالى : « وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِنْ هَذِينَا وَأَخْجَبَنَا إِذَا تُشْلَى عَلَيْهِمْ أَيْمَنُ الْرَّحْمَنِ حَرَّوْا سُجْدَةً وَبِكِيرًا » (58 مُرِيمٌ)، ويعقوب - عليه السلام - هو إسرائيل ، والمقصود ببني إسرائيل ، هم نسل يعقوب عليه السلام ، وحسب ما ترويه التوراة ، أنه ترك مقام أبيه إسحاق في فلسطين ، وهاجر إلى خاله في العراق ، ورعنى عنده الغنم عدّة سنين ، وتزوج اثنتين من بناته ، وعاد إلى فلسطين مرة أخرى ، وقد رُزِّقَ - عليه السلام - باثني عشر ابناً ، وأبرزهم يوسف عليه السلام ، في قوله تعالى : « إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » (4 يوسف) ، وقوله : « وَرَفَعَ أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَحَرَّوْا لَهُ سُجْدَةً » (100 يوسف). أي : أجلس أباه وأمه إلى جواره ، احتراماً وتقديراً وتوقيراً ، ومن ثم سجد له أخوه الأحد عشر ، دون أبيه ، ففي الآية (4) كانت الرؤيا الأولى للأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ، ومن ثم كانت الرؤيا الثانية ، لسجود الأحد عشر كوكباً ، دون الشمس والقمر ، وهذا ما تؤكده الآية (100) ، حيث رفع الآباء إلى العرش ، ومن ثم وقع السجود من الأخوة .

أما مَكَانُ سُكْنَى يعقوب عليه السلام فَمِنْ قَوْلِهِ - تَعَالَى - عَلَى لِسَانِ يُوسُفَ : « وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ » (100 يوسف) ، يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ سَكَنُوا الصَّحْرَاءَ ، وَعَاشُوا حِيَاتَ الْبَدَوِيَّةِ ، وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنْ مَهْنَةَ الْبَدَوِيِّ هِيَ تَرْبِيَةُ الْمَوَاسِيِّ ، وَتِبَادُلُ مَنْتَجَاتِهِ مَعَ أَهْلِ الْحَضْرَةِ ، وَمِنْ قَوْلِهِ عَلَى لِسَانِ أَخْوَهُ يُوسُفَ أَيْضًا : « وَسَقَلَ الْقَرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ » (82 يوسف) وَالْقَرْبَةُ هِيَ مَكَانُ تَوَاجِدِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي مِصْرَ ، حِيثُ تَرَكُوا الْأَخْ الشَّقِيقَ لِيُوسُفَ ، وَقَوْلُهُمْ هَذَا وَتَرَدُّهُمْ لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ مَرَّةٍ عَلَى مِصْرٍ يَدْلِلُ عَلَى قَرِيبِهِمْ مِنْهَا ، وَقَوْلُهُمْ : « وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا » يَدْلِلُ أَنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى مِصْرَ ، وَرَجَعُوا فِي قَافْلَةٍ ، وَأَفْرَادُهَا

يقطنون معهم أو بالقرب منهم. والأرجح أن تكون هذه الصحراء التي كانوا يقيمون فيها قربة إلى مصر، وربما تكون صحراء النقب، جنوب فلسطين وفي منطقة بئر السبع بالذات، حيث سكنت بدو فلسطين، وهو الأرجح، والله أعلم.

الانتقال إلى مصر:

وبعد أن تبأ يوسف عليه السلام في مصر منصباً يوازي منصب وزير الخزينة أو المالية في عصرنا الحالي، انتقل يعقوب وبنوه للحاق به في مصر، قال تعالى: «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوئِيهِ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ۖ ءَامِينٌ ۝ . . . ۝ رَبِّ قَدْ ءاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ» (101 يوسف)، ودخلوها معززين مكرمين آمنين، وقوله (آمنين) يوحى بأن ليس كل من دخل مصر آنذاك ليقيم فيها من الغرباء والدخلاء، سيكون آمناً على نفسه من الاضطهاد والاستبعاد.

## بعض مظاهر الحكم المصرى:

قصة يوسف - عليه السلام - أشهر من أن تُعرف ، لذلك سنوردها باختصار ، ونركّز على بعض ما خفي منها . حيث كانت مصر آنذاك إحدى كُبريات المالك القديمة ، بدلالة قوله تعالى : « وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْعَفُ بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي » ( 54 يوسف ) ، ونظام الحكم فيها ملكي وراثي ، ويقال إن الفراعنة لم يكونوا ملوك مصر في زمن يوسف عليه السلام ، فسواء كان هذا أو ذاك ، فنحن نصف الأوضاع في مصر بشكل عام . حيث يبدو أن المجتمع المصري كان يتألف من أربع طبقات :

**الطبقة الأولى:** العائلة الملكية، التي هي في مصاف الآلهة من حيث الحقوق والامتيازات.

**الطبقة الثانية:** الأشراف من المصريين، الموكيل إليهم الأعمال التنفيذية، ويتمتعون بامتيازات استثنائية، من وزراء وما شابه، وهم علىية القوم، وسمّاهم سبطانه (ملاً فرعون) في قوله: «وَقَالَ مُوسَى رَبِّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (88 يونس). ومنهم العزيز صاحب يوسف عليه السلام، وهامان الذي كان يشغل ما يشبه منصب رئيس الوزراء في عصرنا هذا، قال تعالى: «وَقَالَ فِرْعَوْنٌ يَهْمِنْ أَبْنَ لِصَرْخَأَلْقَلْ أَبْلَغْ أَلْأَشْبَتْ» (36 غافر).

وانضوى يوسف - عليه السلام - ضمن هذه الطبقة، مع أنه كان من الغرباء، كونهم كانوا ب أساس الحاجة لعلمه وحكمته، لإدارة شؤون البلاد الاقتصادية، في سنين الجفاف، لا لشيء

آخر. بعد أن أصبح عليه السلام من المقربين للملك، «وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَقُولُ بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي  
فَلَمَّا كَلَمَهُ، قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» (54 يوسف) حيث كان عبداً ملوكاً لذلك العزيز،  
الذي قال عنه يوسف - عليه السلام - عندما رُوِودَ عن نفسه للوقوع في الزنا، مَنْ زوجة من  
أكرمه وأحسن مقامه: «إِنَّهُ أَنْتَ أَحْسَنُ مَثَوَى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» (23 يوسف) أي لن  
أظلم نفسي بمعصية الله، ولن أظلم زوجك بنكران معروفه معي، إذ قال لها زوجها عند شرائه  
«وَقَالَ الَّذِي أَشَرَنَا مِنْ مَضْطَرٍ لِأَمْرَاتِهِ أَكْرَمِي مَتَوْنَهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ تَنْجِذَهُ، وَلَدَّا» (21  
يوسف)، ولفظ رب في الآية السابقة جاء بمعنى صاحب أو مالك، ولفظ العزيز هو لقب يطلق  
على الأشراف، ذوي المناصب الرفيعة، وقد خوطب به يوسف - عليه السلام - من قبل أخته  
في الآية (88). ويبدو أن المجتمع المصري كان مختلفاً على نفسه، ولا يخالط الغرباء من منظور  
الفوقة والاستعلاء، وبخاف الغرباء ويخشاهم، وبالتالي؛ كان يبنهم.

**والطبقة الثالثة:** عامة المصريين، وهم يعملون بالوظائف العامة والخاصة،  
وامتيازاتهم عادية، وشملت هذه الطبقة - نسبياً - بني إسرائيل في زمن يوسف عليه السلام.

**والطبقة الرابعة:** العبيد عن طريق الشراء وما شابه، وأغلبهم من غير المصريين، بلا  
حقوق وبلا امتيازات، بل على العكس ليس لهم إلا المهانة والازدراء، ويعملون بقوتهم  
اليومي في الزراعة والبناء والخدمة، ومن ضمنها صاحبِي السجن، وشملت بني إسرائيل، بعد  
يوسف عليه السلام، حتى زمن موسى عليه السلام. والمخطئ من هؤلاء العبيد في حق  
المصريين كان مصيره السجن أو العذاب الشديد أو القتل، ويبدون محاكمة على الأرجح،  
وخاصة إذا كان خصمه مصرياً، حتى ولو اتهم زوراً وبهتاناً.

وأما الموضع الجغرافي لعاصمة الملك، ويدلالة هذه الآيات «وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ، قَالَ  
يَقُولُ أَيْسَى لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبَصِّرُونَ» (51 الزخرف)، «وَاتَّرَكَ  
الْبَخْرَرُهُوا إِلَيْهِمْ جُنْدَ مُغْرِقُونَ كَمَا تَرَكُوا مِنْ جَنَّتِهِمْ وَعَيْنِهِمْ وَرُزْرُوعِهِمْ كَرِيمِهِمْ وَنَعْمَةِ  
كَانُوا فِيهَا فَيَكْهِيْنَ» (27 الدخان)، فهو يقع على مجرى نهر النيل، في أخصب الأراضي  
المصرية، أما سُكُنَى فرعون وآلته (أي عائلته) كانت خارج المدينة، بمعزل عن الشعب، وقصره  
مقام على ضفاف النيل.

هل كان يوسف داعية إلى الله في مصر؟ نقول: نعم، وقد بدأ الدعوة في السجن،  
عندما قال لصاحبِي السجن: «يَصَاحِبِي الْسِّجْنَ، أَزْبَابَتْ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ أَلَّا حِدْ أَلْقَهَا  
مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوَيْهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُرُ وَإِبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمَ

إِلَّا إِلَهٌ أَكَّلَ أَكَلَنَ الْقِيمُ وَلَيْكَ أَكَثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (40 يوسف)، واستمرت دعوته حتى ماته، قال تعالى على لسان مؤمن آن فرعون: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْيَتِيمِ فَمَا زَلْتُمْ فِي شَكٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضْلِلُ اللَّهُ مِنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرَتَابٌ» (34 غافر) وهو يعني أهل مصر، وكان يوسف عليه السلام - يدعو إلى الله - تعالى - بالقسط ، فما أطاعوه تلك الطاعة ، إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ، ولهذا قال مؤمن آن فرعون : (فَمَا زلتُمْ فِي شَكٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ ، قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ) ، وطال الأمد بقوم فرعون وبيني إسرائيل ، فَضَلُّوا إِلَّا قليلاً ، وكان منهم مؤمن آن فرعون الذي كان يكتم إيمانه ، وعلى لسانه جاءت هذه الآية ، ومنهم أيضاً أهل موسى عليه السلام .

### أحوال بني إسرائيل في مصر بعد وفاة يوسف . عليه السلام .

وحتى خروجهم منها :

بعد زوال سندهم لدى فرعون ، أصبح حالهم حال العبيد . وربما يكون ذلك في زمن فرعون نفسه ، أو مَنْ مَلَكَ بعده بعد وفاة يوسف عليه السلام ، لزوال المصلحة والنفع الذي تأتى من علم يوسف ، وحكمته في الإدارة والاقتصاد . واستمر حالهم كذلك حتى خروجهم مع موسى عليه السلام ، وحسب ما يُروى أن المدة - ما بين دخولهم إلى مصر ، وخروجهم منها - هي أربعين سنة ، والله أعلم ، وحالهم في تلك الفترة الزمنية يصفه القرآن بما يلي : « إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْئًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَيْعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » (4 القصص) ، « وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ مِنْ إِلَيْ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذْهِنُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَخْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ » (49 البقرة) ، « وَلَقَدْ جَعَلْنَا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ » (30 الدخان) ، وازداد العذاب والاضطهاد لهم ببعث موسى - عليه السلام - إلى فرعون وقومه .

### موسى عليه السلام :

والحكمة الإلهية التي أرادها الله من بعث موسى - عليه السلام - هي ما ابتدأ به رب العزة سورة القصص ، بقوله : « وَرَبِّيْدُ أَنْ نَمَّنَ عَلَى الَّذِيْرَنَ أَسْتَضْعِفُوْا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَبْيَمَةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِيْنَ ② وَنَمَّكَنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرُبِّيْ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَ وَجَنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُوْنَ » (6 القصص) والقصة بتمامها مفصلة في سورة القصص وسورة طه ، وقصة موسى

معروفة ومألوفة لدينا، حيث ولد عليه السلام، وألقته أمه في النيل، خوفاً من ذبحه، فالتقطه آل فرعون، واعتنوا به. حتى إذا بلغ أشده، قتل مصرياً، فاءمر به ملأ فرعون، فقاد مصر متوجهًا إلى مدين، ولم يكن قد لقي بلاء قبل ذلك، فقد كان ربياً منعماً في آل فرعون، ولم يكن - عليه السلام - قد أوحى إليه بعد، وإنما كان مسلماً، على دين آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

### الموقع الجغرافي لمدين:

قيل فيها في المعاجم: إنها تقع قرب بحر القلزم (البحر الأحمر) محاذية لتبوك، وتقع بين وادي القرى والشام، وقيل: اتجاه تبوك بين المدينة والشام، وقيل: هي كفر سندة من أعمال طبرية، وقيل: بلد بالشام معلوم تلقاء غزة، وفي (البداية والنهاية): «كان أهل مدين قوماً عرباً، ومدين هي قرية من أرض معان، من أطراف الشام، على يلي ناحية الحجاز، قريباً من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعد قوم لوط بمنطقة قريبة».

والقول الأخير هو الأرجح، فهي تقع شرقى نهر الأردن، في السفح المطل على فلسطين، قبالة أريحا، حيث المكان المسماى بوادي شعيب حالياً، والذي يقع فيه مقام النبي شعيب عليه السلام، في جبال محافظة البلقاء الأردنية، وهي أرض خصبة تصلح لزراعة القثانيات، وفيها الأشجار المثمرة، وعيون الماء، ويزيد ما ذهبنا إليه قوله تعالى، على لسان شعيب مخاطباً قومه: «وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِيَعْلَمُ» (89 هود)، والمقصود هنا البُعد المكاني، حيث المسافة بين قرية شعيب والبحر الميت (بحيرة لوط)، لا تتجاوز (20) كم، أما البُعد الزماني بين لوط وشعيب، فيُقدر بـ ثمانين سنة، حيث أن لوطاً عاصر إبراهيم، وشعيباً عاصر موسى، عليهم السلام.

وكما ورد في الروايات، كان أهل مدين يقطعون السبيل، ويختفون المارة، وهم أصحاب الآيكة؛ أي الأشجار المختلفة والمتباينة. وهي صفة موجودة أيضاً في تلك المنطقة. وكانوا من أسوء الناس معاملة، يخسون المكيال والميزان، ويطفقون فيهما، يأخذون بالزائد، ويدفعون بالناقص، فآمن بشعيب بعضهم، وكفر أكثرهم، «فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظِّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (189 الشعراء) «فَأَخْذَهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي ذَارِهِمْ جَثَمِينَ» (91 الأعراف)، ولم تُدمِر ديارهم، بل بقيت على حالها، ويقال إن ذلك كان في يوم شديد الحر، فبعث الله ظلالاً من الغمام، في بقعة قريبة من مكان سُكناهم، فذهبوا ليستظلوا بها، فنزل بهم العذاب، ويفي في القرية منْ آمن لشعيب. عليه السلام. من قومه، وهو قلة.

## مقام موسى في مدين:

﴿وَلَمَّا نَوَجَهَ بِلْفَاءَ مَدِينَ﴾ ، خرج موسى من مصر وحيداً، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ أَتَسْبِيلُ﴾ (22 القصص) ، ولم يكن يملك من أمره إلا حُسْنَ ظنه بربه عز وجل، حتى صار إلى مدين. فلبث موسى عليه السلام (10-8) سنين في أهلها، لقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنِكِحَكَ إِخْدَى أَبْنَتِي هَتَّبَنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنَيْ حَاجَجٍ فَإِنَّ أَتَمَّتَ عَشْرًا فَيُنَعِّذُكَ﴾ (27 القصص) وتزوج فيها، ورعى الغنم، وتعرف إلى أهلها، وعرف سهولها وجبالها ووديانها، ﴿فَلَبِثْتُ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدِينَ﴾ (40 طه).

## العودة إلى مصر:

وبعد أن قضى المدة المطلوبة منه، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُؤْمَنَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (29 القصص) غادرها مع أهلها وما تحصل عليه من أغnam تسيره أقدار ربه . وكان خط مسيرةه، والله أعلم، باتجاه الجنوب، شرق البحر الميت باتجاه مصر، حيث انحدر بأهله إلى وادي عربة جنوب البحر الميت ، فضل الطريق، وهناك أتاه هاتف السماء ، لذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَنَّتْ عَلَىٰ قَدَرِي يَئُمُّوْمَى﴾ (40 طه) إلى موضع الوحي ، في الوقت المقدر . فأوكله الله بحمل الرسالة إلى فرعون ، وأمره بالتوجه إلى مصر ، ومن هناك سار . بخط شبه مستقيم . مجذزاً صحراء النقب جنوب فلسطين ، وصحراء سيناء باتجاه بوابة مصر البرية من الشرق ، ومن ثم سار جنوباً باتجاه القاهرة ، حيث إقامة فرعون وقومه .

## تحديد الموقع الجغرافي للمكان الذي أُوحى فيه إلى موسى عليه السلام:

نزل الوحي إلى موسى مرتين ؛ الوحي الأول: هو الذي كلف به موسى بحمل الرسالة ، وما بعث به إلى فرعون وبني إسرائيل ، بعد خروجه من مدين ، والوحى الثاني: هو الشريعة الجديدة التي كُتُبَتْ في الألواح لبني إسرائيل ، بعد خروجهم من مصر ، ويعتقد الكثيرون أن الوحي نزل على موسى ، على جبل سيناء الواقع في صحراء سيناء المصرية ، وهذا غير صحيح ، حيث لم يوجد أي نص في القرآن يفيد ذلك . الواقع أن هذه تسمية الصحراء المصرية بصحراء سيناء ، استندت إلى ما جاء في التوراة ، مع أن التوراة لم تحدد موقع الصحراء أو الجبل .

وتذكر التوراة في سفر الخروج ، أن بنى إسرائيل مرُوا على التوالي ، بثلاث صحاري ، هي الواردة في النص التالي بالترتيب :

١٥: ٢٢: ثُمَّ ارْتَحَل مُوسَى بِإِسْرَائِيل مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ صَحَرَاءِ شُورِ،  
٢٧: ثُمَّ بَلَغُوا إِيلِيمَ ... ١٦: ١: ثُمَّ اتَّقْلَدُوا مِنْ إِيلِيمٍ حَتَّى أَقْبَلُوا عَلَى صَحَرَاءِ سِينِ، الْوَاقِعَةَ بَيْنِ  
إِيلِيمٍ وَسِينَاءَ .

وجاء في نص آخر: ١٧: ١: وتنقل بنو إسرائيل على مراحل، من صحراء سين ... إلى أن خيموا في رفيديم ... ١٩: ٢: فقد ارتحل الإسرائيليون من رفيديم إلى أن جاؤوا إلى برية سيناء، فنزلوا مقابل الجبل، فصعد موسى للثoul أمام الله، فناداه الرب من الجبل ... ٢٠: ونزل الرب على قمة جبل سيناء ... .

وهذه النصوص تشير إلى أن جبل سيناء، هو اسم الجبل الذي أوحى بجانبه إلى موسى، وأن برية سيناء هي تسمية للمكان الواقع مقابل جبل سيناء، وأن برية سيناء هي الأبعد عن مصر، كونها كانت آخر الصحراء التي مرّوا بها، أثناء مسيرهم، باتجاه بوابة الأرض المقدسة شرقي نهر الأردن، والترجمات العربية للتوراة لا تميّز بين القفر، أي الخلاء غير المأهول بالسكان، وبين الصحراء الواقعة.

و جاء في التوراة ١٦: ٣٥: واقتات الإسرائيليون بالمن طوال أربعين سنة، حتى جاؤوا إلى تخوم أرض كنعان العامرة بالسكان . وهذا النص الكاذب والمضلّل يقول إن المن والسلوى كانت تنزل عليهم طيلة أربعين سنة، قبل وصولهم إلى مشارف فلسطين، أي قبل أن يُطلب منهم الدخول إلى الأرض المقدسة، وقبل أن يحكم عليهم بسنوات التحرير والتيه الأربعين . والصحيح أن المن والسلوى كانت تنزل عليهم خلال مسیرهم في الصحراء، وهي مدة قصيرة، أما سنوات التحرير والتيه الأربعين - سنوات الغضب الإلهي - فلم يكن يتنزل عليهم شيء .

وتسمية الصحراء المصرية بسيناء، وذكر التوراة أن بنى إسرائيل عاشوا فيها أربعين سنة يأكلون المَنَّ والسلوى، ضللت حتى اليهود أنفسهم، الذين بحثوا ونقبو فيها طويلاً عن أي أثر لمقامهم فيها ولكن؛ دون جدوى، مما اضطر بعض الباحثين اليهود مؤخراً إلى تكذيب معظم روایات التوراة، ونشر الكثير من آرائهم ونتائج أبحاثهم في الصحف.

اسم، والكلمات (طور وسيناء وسينين) ألفاظ أعمجية، وما تقدّم نستطيع القول بأن (طور سيناء) اسم جبل معروف لبني إسرائيل، بمعنى (جبل الغابة)، وهو في الحقيقة، اسم الجبل الذي أُوحى بجانبه إلى موسى، حسب تسمية التوراة له، وقد عُرف هذا الجبل من خلال القرآن، بأنه يُبَنِّيَتُ الْتِينَ وَالزَّيْتُونَ. والمقصود بكلمة (الطور) المعرفة بـألف ولام، أينما جاءت في القرآن، هو طور سيناء أو سينين، والطور هو سلسلة جبال فلسطين التي تریض على تلالها مدينة القدس، والتي هي في الأصل جبل واحد، يمتد من مدينة نابلس شمالاً إلى مدينة الخليل جنوباً.

قال تعالى : « فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الْطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكَثُوا إِنِّي أَنْشَطُ نَارًا لَعَلِيٍّ ءَاتِيْكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ أَنَارٍ لَعَلَّكُمْ تَضَطَّلُوْنَ » (29 القصص) قلنا إن موسى - عليه السلام - كان قد ضل طريقه بعد خروجه من مدين باتجاه مصر ، لقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : « لَعَلِيٍّ ءَاتِيْكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ » فوجد نفسه في أحد الأودية . ودخوله إلى الوادي كان عن طريق انحداره ، بoward فرعى جنوب البحر الميت ، وكان ذلك ليلاً ، وفي طقس بارد جداً . وأثناء التخييم هناك كان يلتفت يمنة ويسرة ، بحثاً عن الدفء والهدایة ، فأنس ناراً من جانب الجبل ، فاتجه إليها بعد أن استاذن أهله ، ليأتياهم بجذوة منها لأجل الدفء ، أو يجد من يرشده إلى طريقه ، ولكنه لم يجد ناراً ، ولم يجد في المكان أحداً .

### نور لا نار:

« فَلَمَّا آتَنَاهَا » ، أي النار ، وقف تحتها « فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ » (30 القصص) وفي الواقع لم تكن ناراً ، بل كانت نوراً في شجرة ، وهي الشجرة الموصوفة في قوله سبحانه : « شَجَرَةٌ مُبَرَّكَةٌ زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّ وَلَوْلَمْ تَمَسَّسْتُهُ نَارٌ » (35 السور) ، وهي (شجرة) ، (وزيتونة) ، (ومباركة) ، أي تقع في بقعة من الأرض ، ينبع فيها شجر الزيتون وهي أرض مباركة ، وقوله « لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ » ، أي لا في الجانب الشرقي من وادي عربة ، ولا في الجانب الغربي منه ، فهي في منتصف الوادي تقريباً ، وقوله « يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّ وَلَوْلَمْ تَمَسَّسْتُهُ نَارٌ » ، أي لها وهج من نور ، وليس ذلك من اشتغال نار فيها فهي مضيئة من تلقاء نفسها ، وقوله « يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّ » ، أي أن الإضاءة ناجمة عن زيت الشجرة ، فلا يكون ذلك إلا وهي مشمرة ، فالزيت يوجد في الشمر ، وتشكل الزيت في الشمر ، لا يكون إلا في بداية فصل الشتاء ، ويفيد ذلك طلب موسى - عليه السلام - للدفء ليتأكد لنا أن دخوله إلى بطن وادي عربة كان في فصل الشتاء ، وأن الشجرة التي نودي من تحتها في الوادي المقدس ، هي الشجرة

الموصوفة نفسها في سورة النور، وأعتقد بأن هذه الشجرة قائمة في ذلك المكان إلى اليوم، في منطقة موحشة ومقرفة وغير مأهولة تُضيئ كلما أثمرت ، في فصل الشتاء.

«فَلَمَّا أَتَنَاهَا» وقف حائزًا أمامها، يتفكر في أمرها، حيث أنه لم يجد ما جاء يسعى إليه، فلا نار ولا ناس يُشعرونها، وأنباء شروده، وفي سكون الليل، «نُودِيَ بِنَمْوَى» (11 طه) «من شَنْطَبِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ» (30 القصص)، أي من الجانب الأيمن من الوادي، «مِنْ جَانِبِ الظُّرُورِ الْأَيْمَنِ» (52 مريم)، أي من الجانب الأيمن للجبل، وليس الأيسر، «جَانِبِ الْقُرْبَى» (44 القصص)، أي الجبل الغربي، وهذا تحديد جغرافي بالغ الدقة لمكان الوحي.

أناه النداء باسمه مِنْ يعرفه، وذلك ما آنس موسى، ليلاً سكون ذلك الليل الموحش، ويقطع عليه شروده وتأمله، ولا أخاله إلا قد أجهل عليه السلام، ولما التفت إلى مصدر النداء، خطابه رب العزة قائلاً: «إِنِّي أَنَا رَبُّكَ» مطمئنًا إياه ومعرفًا بنفسه، «فَاخْلُقْ نَعْلِيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوْيٌ» (12 طه) فأمره بخلع نعليه. إذ هو في حضرة ملك الملوك. ليتجه حافي القدمين، سائراً في الجانب المقدس من الوادي، صوب الجبل، قال تعالى: «وَقَرَبَتْهُ نَحْيَا» (52 مريم) أي كان الكلام مناجاة، والمناجاة عادة تستدعي القرب.

نحن نعلم أن الأرض المباركة والمقدسة هي أرض فلسطين، وبما أن الوادي الذي نزل فيه موسى وادٍ مقدس، فلابد له من أن يكون واقعًا في الأرض المقدسة، وبما أن الشجرة نبت في بقعة مباركة، فلابد لها من أن تكون قائمة في الأرض المباركة، وبما أن شجرة سوره النور زيتونة مباركة ومميزة، فلابد لها من أن تكون هي الشجرة التي رأها موسى فظن نورها ناراً في بطن وادي عربة، والله أعلم.

وعندما اقترب موسى، بما فيه الكفاية لبدء المناجاة، ناجاه ربـه قائلاً: «وَأَنَا آخِرْتُكَ فَآتَيْتُكَ لِمَا يُوْحَىٰ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾» (14 طه) فأمره بتوحيدـه، وإفرادـه بالعبادة، وإقامة الصلاة، ومن ثم منحـه آيتها العصـا والـيد، وكلـفـه بحمل الرسـالة، والـذهـاب لـدـعـوة بـنـي إـسـرـائـيل إـلـى اللهـ، «أَذْهَبْتَ إـلـى فـرـعـونَ إـنـهُ طـغـى» (24 طه). وفي الصـباح عـاين مـوسـى عـلـيـه السـلام المـكان، وحـفـظـه عـن ظـهـر قـلـبـ، فـهـو المـكان الـذـي تـغـيرـ فيـه مـجـرى حـيـاته عـلـيـه السـلام، وـلـم يـكـن يـعـلـمـ. عـلـيـه السـلامـ. ما يـدـبـرـه رـبـ العـزـةـ من أـقـدـارـ ستـأـتـيـ بهـ إـلـى هـذـا المـكانـ فـقادـ الأـيـامـ، عـنـد خـروـجـه بـقـومـه مـن مـصـرـ، مـتـجـهـاـ إـلـى بوـاـةـ الـأـرـضـ المـقدـسـةـ، حـيـثـ كـانـ فـي أـرـضـ مـدـيـنـ.

## موسى في مصر:

مكث موسى في مصر مدة ليست قصيرة، يدعوه فرعون وقومه وبني إسرائيل أيضاً، «أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبُوءَ الْقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بَيْوَكَا وَاجْعَلُوا بَيْوَكُمْ قَتْلَةً وَأَقِيمُوا الْصَّلَاةَ وَنَذِرُ الْمُؤْمِنِينَ» (87 يونس) فأمره سبحانه ببناء البيوت، وجعلها بالتجاه بيت المقدس، وأمره إياهم بإقامة الصلاة فيها، ما كان إلا لطول مقامه، ولو كان مقامهم قصيراً أو عارضاً، لما أمرهم بذلك. والجدل بين موسى - عليه السلام - وفرعون أخذ زمناً طويلاً، بدءاً باللقاء الأول الذي عرض فيه موسى رسالته، وما أيدتها به من آيات العصا واليد. ولقاء يوم الزينة حيث التقى موسى بالسحررة، وبناء الصرح «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْلِمُ الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْلِي يَهْمَنْ عَلَى الْطِينِ فَأَجْعَلْلِي صَرْخَالْغَلْيِ أَطْلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَلِيَ لَأْتُنْهُ مِنْ الْكَنْدِبِينَ» (38 القصص).

## بناء الأهرامات:

الصرح هو البناء الضخم والمرتفع، ويبدو أن الأهرامات الثلاث، هي ما أمر هامان ببنائها، من قبل فرعون، لينظر إلى إله موسى . وفيما بعد اتخذت تلك الصرح مقابر ومدافن.

إذ أن مادة بناء الأهرامات هي من الطين المشوي، الدلالة قوله تعالى: «فَأَوْقِدْلِي يَهْمَنْ عَلَى الْطِينِ» ، إذ يخبر سبحانه . وما إعلامه لنا بذلك عيناً . بأنهم كانوا يستخدمون الطين في البناء، وليس الحجارة كما يعتقد علماء الآثار الذين حاولوا جاهدين لتفسير الآلة المعقدة والمستحيلة في رفع تلك الصخور ذات القطع الكبير إلى قمة الهرم حيث لم يكن لديهم رافعات عملاقة . وهذا الخبر يكشف حقيقة، ربما لم تخطر ببال علماء الآثار من قبل ، ويجعل كيفية البناء غاية السهولة ، حيث كان عبيد فرعون ومنهم بنو إسرائيل ، ينقلون الطين . وليس الصخور والحجارة . ويضعونه في قوالب مثبتة على الهرم نفسه ، وكل لبنة في موقعها ، وينتظرون اللَّيْنَ حتى يتلمسن ، ليزعموا القوالب ، وكلما أخذوا مرحلة قاماوا بثبيت القوالب مرة أخرى على ما تم إنجازه ، وبدؤوا بنقل الطين ليغرغوه فيها ، وهكذا دواليك ، حتى يكتمل بناء الهرم . ومن الداخل نجد أن قلب الهرم مفرغ ، ونجد أن هناك سراديب طويلة غير نافذة ، تتوزع بالاتجاهات كافة ، والغاية منها توزيع الحرارة عند إشعال النار في قلب الهرم لشيّ الطين الجاف ، وهي عملية تحتاج إلى وقت طويل نظرياً ، ولكن ؟ مع كثرة العبيد فالأمر مختلف ، والآلية بسيطة وليس معقدة ، ولا توحى بأن الفراعنة كانوا جباروة وأشداء ، فَبُنَاءُ الْأَهْرَامِ هُم العبيد وليس الفراعنة أنفسهم ، وربما يكون شيء الطين قد تم على مراحل ، وليس دفعة واحدة . وهذه الفكرة مطروحة للمختصين لنفيها أو إثباتها .

وبالإضافة إلى تلك الأحداث التي وقعت أثناء تواجد موسى في مصر ما وقع في قوم فرعون من البلاء الذي أنزله الله، وكلما كشف عنهم بلاءً أرسل عليهم آخر، «فَأَزْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْطُوفَانَ وَالْجِرَادَ وَالْقَمَلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ إِيَّسِتِ مُفَصَّلَتِ فَاسْتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ» (133) (الأعراف). وستجد ما مر بقوم فرعون من وقائعـ أثناء تواجد موسى في مصرـ قد سُرِّدت يا يجاز في الآيات (136 - 103) من سورة الأعراف، والآيات (90 - 85) من سورة النمل، ومواضع أخرى متفرقة في القرآن الكريم.

وفي نهاية المطاف «وَقَالَ مُوسَى رَبِّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الْأَدُنِيَّةِ رَبِّنَا لَيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبِّنَا أَطْمِسْنَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» (88) (يونس) أي الغرق، فاستجابت دعوة موسى، وهذا بالضبط ما حصل مع فرعون، يقول تعالى: «وَجَزَوْنَا بَنَى إِسْرَائِيلَ الْبَخْرَ فَاتَّبَعُهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُمُ الْغَرقُ قَالَ أَمْتَأْنَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُ الْأَنْذِيَّ أَمْتَأْنَتِهِ بَنَوَ إِسْرَائِيلَ وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (90) (يونس) ولو أنعمت النظر في قوله، لتبيّنت أنه لم يؤمن، لقوله «الْأَنْذِيَّ أَمْتَأْنَتِهِ بَنَوَ إِسْرَائِيلَ»، وأغلبية بني إسرائيل لم تكن تؤمن بالله، ولم يقل الله أو إله موسى تكبراً وعلواً.

فمن أصر على المعصية وانتهاك حدود الله بأشكالها كافة، والكفر بأشكاله كافة، وعن علم بها وبعقوبتها، ومني النفس بقول (لا إله إلا الله) عند الموت معلناً التوبية، أنه لن يوفق بقولها آنذاك، لأن قولها يوجب الجنة، وهي لم تكتب لهؤلاء. ووجوب الجنة يحتاج لدفع الشمن، وتوفير الشمن اللازم لها يحتاج إلى جد واجتهاد وصبر لا محدود، وأن من كانت تلك الكلمة آخر عهده بالدنيا، كُبِّتْ لِهِ الْجَنَّةُ، وما أصعب تذكرها وقولها، أما هؤلاء فإن تذكّرها، تلعموا بها فلم تؤدّ معناها، فلا توبية مع إصرار، قال تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَّةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (135) (آل عمران).

### خروج موسى ببني إسرائيل من مصر:

قال تعالى: «وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَمْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَمْ طَرِيقًا فِي الْبَخْرِ يَسِّرْ لَكَ مَخْنَفُ دَرَكًا وَلَا غَنْشَى» (77) (طه) تبيّن من ذلك أنّ خروج موسى بقومه إلى البحر كان بمحض ربه، ونرى بأنه اتجه صوب البحر الأحمر مباشرةً، أقصى الشمال من خليج السويس، وبعد أن خرج بقومه من البحر اتجه شرقاً وشمالاً بخط شبه مستقيم، متجاوزاً صحراء سيناء وصحراء النقب، حيث المدخل الجنوبي لوادي عربة، وسار شمالاً في بطن الوادي، حتى الجبل المعهود

جنوب البحر الميت، ليستقبل الوحي بناءً على الموعد المسبق، الذي ضرب بينه وبين ربه، بعد النجاة من فرعون وقومه، قال تعالى: «يَبْيَقِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْبَيْتُكُمْ مِنْ عَدُوٍّ كَثِيرًا وَأَعْذَّتُكُمْ جَاهِدَاتِ الظُّرُورِ الْأَيْمَنِ» (80 طه)، وهذه الآية تدل على عدم مكونتهم لفترة طويلة، في أي من صحراء سيناء أو النقب، وأن وجهتهم كانت حيث المكان الموعود، وكان موسى يستعجل المسير وهم يطئون، وبعد تلقيه الوحي، وما كان منهم معاصي في بطن الوادي، صعد بقومه إلى المرتفعات الشرقية، ودخل الأردن عن طريق الوادي الذي نزل به في المرة السابقة، ملتقاً حول مملكة الآدميين وملكة الموأبيين شرقى البحر الميت، ليصل إلى مكان إقامته السابق، حيث كان سفيراً لبني إسرائيل - ولم يكن يعلم بذلك آنذاك - في مدينة قرية شعيب عليه السلام، ليُمهَد لهم طيب الإقامة فيها مستقبلاً.

**ترتيب الأحداث التي مرت بموسى وبني إسرائيل خلال تلك الرحلة الطويلة:**

**الصاعقة والبعث بعد الموت:**

اختلفت رحلته مع بني إسرائيل، في طريق العودة إلى مدين كثيراً عن ساحتها، فقد كانت ترافقه في هذه الرحلة أمة بأسرها، بما لها وما عليها، وأكثرها من غير المؤمنين، وغير الطيعين لله تعالى وله عليه السلام، فكان المسير فيها بطيناً وشاقاً وطويلاً، قال تعالى: «فَمَا ءامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرَيْهَ مِنْ قَوْمِهِ، عَلَىٰ حَوْقَنٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلِإِنْهِمْ أَنْ يَفْتَنُهُمْ» (83 يونس)، وقال أيضاً: «وَإِذْ قَلَّتْ يَمْوِيَّةٌ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهَرَةً فَأَخْذَتُكُمُ الْصَّيْعَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ» (56 البقرة)، وكان قولهم هذا فور نجاتهم وخروجهم من البحر، بعد ما رأوا كُلَّ ما أجراه الله على يد موسى من معجزات، تلين لها قلوب الجبال وعقولها، فأماتهم الله، ثم أحياهم، ولو نظرت إلى قولهم في الآية السابقة، واستخدام أداة الجزم والتأيد (لن)، تجد أنَّ لديهم إصراراً عجيباً على الكفر، بما هو غبيٌّ ومحجوب عن حواسهم، رغم مشاهدتهم للأيات والآثار الدالة على وجوده، وأنهم لا يؤمنون إلا بما تدركه الحواس من أشياء مادية، وهذا ما جعلهم يقعون في فتنة العجل الذهبي بعد هذه الحادثة، وفي فتنة الدجَّالَ مستقبلاً، بما لديه من فتن مادية ظاهرة للعيان، «فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهَرَةً فَأَخْذَتُهُمُ الْصَّيْعَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخْدَدُوا الْعَجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْبَيْتُ فَعَفَّوْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَنَنَا مُبِينًا» (153 النساء)، وقد وقع هذا منهم قبل اتخاذهم للعجل.

**تججير الماء ونزوول المن والسلوى والتظليل بالسحب أثناء المسير:**

وبناءً على ما سبق، كان خط مسیر الرحلة في معظمها في صحاري قاحلة، وكل ما كان بحوزتهم من طعام وماء أثناء الخروج كانوا قد استفادوا في أيامهم الأولى، قال تعالى:

﴿وَقَطَعْتُهُمْ أَثْنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أَمَّا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذْ أَسْتَشْقَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَابَكَ الْحَجَرَ فَانْجَسَطَ مِنْهُ أَثْنَتَانِ عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَّاسٍ مُّشَرِّبُهُمْ وَظَلَّلَنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمُ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَرْءَ وَالسَّلْوَى كُلُّهُا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفَسَهُمْ يَظْلَمُونَ﴾ (160 الأعراف)، ومن هذه الآية الكريمة نجد أنهم قسموا إلى (12) جماعة، لتيسير عملية القيادة، ومن عليهم ربهم، سبحانه عما يصفون، بأن وقل لهم أسباب الراحة كلها، من ماء وغذاء، وحتى إنه وقادهم من حر الشمس، بأن جعل السحاب يظلّهم أينما حلوا وأينما ارتحلوا، أثناء مسيرهم بالتجاه الأرض المقدسة، وفي تلك الأثناء مرروا على عبة الأصنام، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة كما لهؤلاء آلهة، قال تعالى: «وَجَنَّزْنَا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْبَخْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَنْمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» (138 الأعراف).

ولا ينبع عن بنا أن رحلة بهذه كانت تستوجب ما بين فترة وأخرى، التخييم والإقامة بعض الوقت، ومن ثم متابعة المسير، وهكذا دواليك، ولم تتعذر مدد الإقامة -في أي من مراحل المسير- سوى أيام أو أسبوع معدودة، فهم لم يركزوا إلى مكان معين، إذ كان هناك مواعدة للقاء في جانب الطور الأربعين، في وادي عربة، وكانت هذه المواعدة جماعية لموسى ولبني إسرائيل، ولكن موسى عليه السلام -وبعد أن قطع شوطاً كبيراً في وادي عربة- استعجل اللقاء، وعندما اقترب من المكان المحدد استخلف أخاه هارون في قومه، وتركهم ومضى مسرعاً رغبة منه في إرضاء ربه، واعتذاراً عن التأخير الذي تسبب به قومه من جراء ماطلتهم وتذمرهم.

### اللقاء الأول لموسي بربه بعد الخروج من مصر، واتخاذ العجل في بطن وادي عربة:

قال تعالى: «وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَنْمُوسَى ﴿٤٧﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أُثْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى» (84 طه) وهناك كان موسى -عليه السلام- مشتاقاً ومندفعاً فطلب رؤية ربه، وكأنه نسي ما كان من قومه، فطلب من ربه ما طلبه قومه منه «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّي أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ أَسْتَقْرُ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبَتِّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» (143 الأعراف) فصعق موسى كما صعق قومه من قبل، وبعد ما أفاق، أعطيت له الألواح التي تحمل في ثياتها الشريعة الجديدة لبني إسرائيل، «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّؤَعِّظَةً وَنَفْسِيًّا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأُمِرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِآخْسِنَهَا سَأُزِيرُكُمْ دَارَ الْفَسِيقِينَ» (145 الأعراف).

ومن ثم أخبره ربه بأن قومه فتنوا من بعده، بعبادتهم للعجل الذهبي الذي ابتدعه السامري، «قالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضْلَلْنَا السَّامِرِيَّ» (85 طه)، وكانت عقوبة الشرك بالله غاية في القسوة، «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنْ كُمْ ظَلَمْنَا أَنفُسَكُمْ يَا تَحْذِيدُكُمُ الْعِجْلَ فَتَوَوَّلُوا إِلَيْنَا يَكُمْ فَأَفَقْتَلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْتَّوَابُ الرَّحِيمُ» (54 البقرة)، وتحوي هذه الآية بأن الأمر كان ملزماً، وقبول التوبة كان مشروطاً بقتل النفس، فمن رغب في التوبة آتذاك - ممن عبدوا العجل - قتل نفسه حقيقة، وقبلت توبته، ومن لم يقتل نفسه، قال فيهم سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ أَخْنَدُوا الْعِجْلَ سَيِّئَاتُهُمْ غَضِيبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلِكَ فِي الْحَيَاةِ الْآتِيَّةِ وَكَذَلِكَ كَجَزِيَ الْمُفْتَرِينَ» (152 الأعراف).

وبالنظر في قوله تعالى، على لسان موسى مخاطباً السامرية «وَأَنْظُرْ إِلَى إِنْهَكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنْحَرْ قَنْهَدَةَ لَنْسِفَهَةَ فِي أَلْيَمَ نَسْفَا» (٩٧ طه)، نجد أن العجل الذهبي قد حُرق، ورمي في البحر، وأقرب بحر لمقام بنى إسرائيل في وادى عربة هو البحر الميت.

## اللقاء الثاني والرحلة وفق الجبل:

وبناءً على ما كان منهم، اختار موسى (70) رجلاً من أفضليهم، للاعتذار عما فعله السفهاء من قوله «وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبَعِينَ رَجُلًا لِيُمْيقِنُهَا فَلَمَّا أَخْذَهُمْ الْرَّجْفَةَ قَالَ رَبُّ الْأَنْوَارِ لَهُمْ شَيْءٌ أَهْلَكَهُمْ مِنْ قَبْلٍ وَإِنِّي أُتَلِكُنَا بِهَا فَعَلَ آلَ السَّفَهَاءِ مِنْ إِنَّ هُنَّ إِلَّا فِتْنَةٌ تُضُلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَهَدَى مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ» (155 الأعراف) فشهدوا الوحي بمعية موسى - عليه السلام - دون سماعه، وشعروا بوجود خالقهم وقدرته، ومقدار حنقه وغضبه عليهم، بأن زلزل الأرض من تحت أرجلهم.

أخذ الميثاق، والزام النقابة الثانية عشر بالشهر على تطبيقه، والحكم بما جاء فيه:

وهناك عرض عليهم الميثاق ليلتزموا به، ويُلزموا أتباعهم على القيام به، وتحمّلوا مسؤولية نقضه، فترددوا وأبوا، فرفع سبحانه فوقهم الجبل، وأجبرهم على أخذها بالقوة، ولو أصرّوا على الرفض لطبقه عليهم، فقبلوه على مضض، وكان الله أعلم بما يعتمل في صدورهم، ولكنه غفور رحيم، حيث قال فيهم: «وَإِذَا أَخْذَنَا مِيشَانَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الْطُّورَ خُدُوا مَا أَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَيَعْنَا وَعَصَمَنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ فَلَنْ يَنْسَمِّا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (93 البقرة). فاختير من السبعين رجلاً (12) تقبياً، بعدد الأسباط (أي قبائل بنى إسرائيل) وهم الذين تسمّيهم التوراة بالقضاة. وهذا نص الميثاق الذي ألزموا بالعمل على تطبيقه، بالإضافة إلى الوصايا الواردة في سورة الأنعام «وَلَقَدْ

أَخْذَ اللَّهُ مِيقَبَيْ إِنْزَهِيلَ وَعَثَنَا مِنْهُمْ أَثْنَى عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقْمَتُمُ الْأَصْلَوَةَ وَإِنِّي إِنِّي مَعَكُمْ أَرْكَوَةً وَإِنْتُمْ بِرُسْلٍ وَأَعْرَزْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأَكَفِيرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّاتُكُمْ وَلَا دُخْلَنَّكُمْ جَسَتِ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ (12 المائدة).

### رفض المن والسلوى وطلب القثائيات، والحكم عليهم بالنزول في موطن زراعتها:

كانت مدة المكث بادئ الأمر في الصحراء بسيطة، وذلك لتذمرهم وعدم صبرهم على طعام واحد، أي المن والسلوى، فحكم عليهم سبحانه ياكمال المسير، المقدار مسبقاً، بقوله على لسان موسى: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوَسِي لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدْ فَادْعُ لَنَارِكَ مُخْرِجَ لَنَا مَا نَتَبَتَّ الْأَرْضُ مِنْ بَقِيلَهَا وَقَثَابِهَا وَفُؤَمَهَا وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَتَسْتَبِدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالْذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّكُمْ مَا سَأَلْتُمْ» (61 البقرة)، وحيث أنه قال «مِصْرًا» منونة، ولم يقل (مصر) بدون تنون، فهي غير مصر التي خرجوا منها، وإنما جاءت هنا بمعنى (بلداً) نكرة وغير معرفة، و قوله «فَإِنَّكُمْ مَا سَأَلْتُمْ» تعني أن هذا البلد يتميز بأن فيه ما سأله بنو إسرائيل من نبيهم، من عدس وبصل وغيرها، ولو تساءلنا عن موقع هذا البلد، القريب من الأرض المقدسة، الذي يتميز بخصوصية أراضيه، ووفرة مياهه من ينابيع وآبار، ويصلح لزراعة القثائيات، بالتأكيد ستكون الإجابة الأرض الواقعة شرق نهر الأردن، وفي السفوح الغربية للجبال المطلة على فلسطين، وبالتحديد قرية مدين التي يعرفها موسى، ويعرف ميزاتها وخصائصها، والله أعلم، والتي كان أهلها قد هلكوا بعد يوم الظلة، قبل أو بعد خروج موسى منها، ليترثها بنو إسرائيل مع القلة المؤمنة، من قوم شعيب التي نجت من العذاب.

### دخول مدين والمقام فيها:

قال تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلُّوا حَمْدًا تَفَقِّرُ لَكُمْ حَطَبَيْكُمْ وَسَرِيدُ الْمُخْسِنِينَ» (58 البقرة)، وقال في آية أخرى: «وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُلُّوا حَمْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا تَفَقِّرُ لَكُمْ حَطَبَيْكُمْ سَرِيدُ الْمُخْسِنِينَ» فبدل الذين ظلموا بهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون (162 الأعراف)، ولم يكن المقصود بهذه القرية، الأرض المقدسة، كونهم دخلوها حرياً، بعد موسى -عليه السلام- بأربعين عاماً على الأقل، وهذه القرية سُكتت حقيقة، بدخولها بلا قتال بمعية موسى عليه السلام، وقد بدل الذين ظلموا منهم -أي العصاة- القول والهيئة عند الدخول، فأرسل عليهم سبحانه رجزاً من السماء.

وقوله قبل الدخول: «وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ» وقوله لهم في النص الآخر: «فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا» يوحى بأنها سُكّنى مؤقتة، ولم يكن لديهم علم بأنه سيكون هناك ما بعدها، وهو الاستعداد والتهيئة لدخول الأرض المقدسة، فأفشلوا أنفسهم في الدخول الأول لتلك القرية، فاستحقوا غضب الله عليهم، وأفشلوا أنفسهم عندما أمروا بالدخول الثاني بلا حرب، فأفشلهم الله، وأذهب ريحهم. وقد قيلت هذه العبارة لأدم - عليه السلام - وزوجه «وَكَلَّا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا» (35 البقرة)، قبل دخوله الجنة، ولم يكن لديهما علم بأن الإقامة فيها مؤقتة، وأن هناك ما بعدها، وسيحاطون به علمًا عند وقوعه، وفي موعده المقدر المصمر في علم الله، ولكن؛ بعد فوات الأوان. وإن لم تكن مدين هي القرية التي دخلها بني إسرائيل، وأقاموا فيها، فهي قرية تقع في المنطقة نفسها، والله أعلم.

### الخسف بقارون، ورحلة موسى والفتى، وذبح البقرة:

أقام بني إسرائيل في مدين بمعية موسى - على ما ييدو - سنين عديدة، واطمأنوا بها وإليها، وطاب لهم المقام فيها، حيث الزراعة وتربيبة الماشي والتجارة، وهذا هو دينهم، ومن الأحداث التي وقعت فيها، قصة البقرة، «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَكَّرُوْبَقَرَةً قَاتَلُوا أَنْتَخِذُنَا هُرُوْقَالْأَغْوَذُ بِاللَّهِ أَنَّكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» (67 البقرة)، وقصة سفر موسى حيث مجمع البحرين للالتقاء بالعالم، «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْنَهُ لِقَتَنَهُ لَآبْرُحُ حَتَّى أَبْرُحُ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُبُّبَا» (60 الكهف) وقصة قارون المعروفة، «إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْتَأْ بِالْعُصَبَةِ أَوْلَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِجِينَ» (76 القصص).

### الأمر بدخول الأرض المقدسة وتحريمهما عليهم وتيههم شرقي النهر:

وبعد مدة من مكثهم في مدين، أمرهم موسى بدخول الأرض المقدسة (فلسطين)، ولم تكن هناك حاجة للقتال آنذاك، فرفضوا، وعصوا، لقلة وانعدام إيمانهم، وأخلدوا إلى الأرض، وتذرعوا بحجج واهية ليبرروا انكاليتهم وعجزهم، فدعوا موسى ربه ليحكم بينه وبينهم، فاستجاب له ربه، «قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَزْيَعَنَ سَنَةٍ يَتَبَهَّرُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ» (26 المائدة) فكان تحريم الدخول لمدة أربعين سنة، ومن ثم التيه في الأرض.

والتيه لغة الحيرة والضلال، ورجل تائه وتياء، إذا كان جسوراً يركب رأسه في الأمور، وفي الحديث: إنك امرؤ تائه، أي متكبر أو ضال متغير. والمراد من ذلك أنهم تركوا على رؤوسهم، وحرموا من قيادة الأنبياء، بأن الله تخلى عنهم، وحرمهم من رعايته لهم، ورفع

عنهم الوحي، وتركهم بلا هداية، بعد موت موسى عليه السلام، على مدى 40 سنة، ولم يقصد باليه الضياع والتشرد المكاني في صحراء سيناء، كما كاناعتقد سابقاً. وال الصحيح أنهم حافظوا على تواجدهم كأمة مكونة من 12 جماعة شرقي نهر الأردن، وأوكلت قيادة كل جماعة إلى أحد النقباء الاثني عشر، كُلٌّ حسب السبط الذي يتبع إليه، بعد انقطاع قيادة الوحي، وهذا ما ينفي نبوة فتى موسى المسمى بيوشع بن نون. وهنا تتضح الحكمة من جراء إلقاء مسؤولية حفظ الميثاق وإقامته على النقباء الاثني عشر بعد وفاة موسى وانقطاع الوحي والعناية الإلهية. وهذا ما حاول مؤلفو التوراة إخفاءه بتبدل مواضع الكلم، فجعلوا المن والسلوى تنزل عليهم لمدة أربعين سنة في الصحراء، وهي عدد سنين التحرير والتغيير التي كانوا يأكلون فيها البصل والعدس.

ويذَعِي كتبة التوراة أن بني إسرائيل، أثناء قدومهم إلى الأرض المقدسة، بمعية موسى عليه السلام، قد قاتلوا أقواماً كثيرة، شرق نهر الأردن، وانتصروا عليهم، ويذَعِون أيضاً أنهم هاجموا الكتيعانيين بعد موسى، وهدموا أسوار مدينة أريحا بمعية بيوشع بن نون، وأنهم أقاموا زمن القضاة غرب النهر. وهذا كله محض افتراه وتلفيق، فكيف يقاتل منْ طلب منه مجرد الدخول ولم يدخل، ولنفط الدخول في القرآن يوحى بانتفاء القتال. والحوار الذي دار بين موسى وقومه لدخولها تجد نصه كاملاً في الآيات (20 - 27) المائدة.

### الإخبار بunsch نبوءة الإفساد والعلو في الأرض:

وبعد مدة يسيره من الزمن من ذلك الحكم كشف موسى - عليه السلام - النقاب عن النبوة التي نحن بصددها، وأخبر عنها قبل أن ينتقل إلى جوار ربه. وتركهم في غيهم وطغيا لهم يعمهون، كما حكم عليهم ربهم، وأوكل الأمر من بعده إلى النقباء الاثني عشر أصحاب الميثاق، ليحافظوا التوراة، وليحكموا بين الناس بما جاء فيها، ومن ذلك اليوم انتقلت مسؤولية حفظ التوراة والشريعة إلى أناس عاديين، فبدأ ظهور الأخبار، قال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْزِيدَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ هَادِوْا وَآلَرَبِّيُّونَ وَآلَّاحْبَارِ بِمَا آسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهِداً» (44 المائدة).

### طلب الملك لدخول الأرض المقدسة بعد نهاية سنوات التيه:

«إِذْ قَاتَلُوا لِئِنِّي هُمْ أَبْعَثْ لَنَا مِلِكًا نُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَا تُقْبَلُوا قَاتَلُوا وَمَا لَنَا أَلَا نُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيْرِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» (246 البقرة).

وبعد انقضاء سنين الاربعين، التي عاشوا خلالها شرقي نهر الأردن. بُعثَت فيهمنبي، يدعون أن اسمه (صمويل). وربما لعراضهم لضيق العيش والاضطهاد والغزو، من قبلالمالك المجاورة شرقي النهر، طلبو من هذا النبي أن يبعث لهم ملكاً، قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَّا  
الْمَلَأُ مِنْ بَيْنِ إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذَا قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ أَبَعْثَتْ لَنَا مَلِكًا نُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ» (246)  
البقرة) بغية دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، فبعث لهم طالوت ملكاً، وأنزل الله  
لهم التابوت تحمله الملائكة، آية ملكه، كونهم لا يؤمنون إلا بما هو محسوس، فأعدتهم ونظم  
صفوفهم، واجتاز بهم نهر الأردن، فشربوا منه إلا قليلاً.

وكانت المواجهة مع الكنعانيين - على الأرجح في سهل أريحا - «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ  
وَقَتَلَ دَاؤِدُ جَالُوتَ» وقتل داودُ الذي كان من جنود طالوت - جالوت قائده الكنعانيين،  
ودخلوا القدس. ومن ثم انتقل الملك لداود عليه السلام، بغض النظر عن الكيفية «وَاتَّهَ اللهُ  
الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمَهُ مِمَّا يَشَاءُ» (251 البقرة)، ونص هذه الأحداث كاملاً تجده في الآيات  
(246 - 251) البقرة، وكانت هذه أول معركة يقاتل فيها بني إسرائيل، وكان جيشهم يتالف من  
القلة المؤمنة، التي لم تكن قد شربت من النهر (نهر الأردن)، وكان هذا هو الدخول الأول  
لبني إسرائيل إلى الأرض المقدسة.

### داود عليه السلام يؤسس أول دولة لليهود في القدس:

قال تعالى: «وَلَقَدْ أَتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الظَّبَابَتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ  
عَلَى الْعَلَمَيْنِ» (16 الجاثية)، هذه الآية تشير إلى أن هناك خمسة أمور اجتمعت لبني إسرائيل،  
وهي الكتاب أي الشريعة التي تركها لهم موسى عليه السلام، والحكم أي الملك، والنبوة أي  
الوحي، والwsعة في الرزق، والتفضيل باختيارهم لحمل الرسالة السماوية في ذلك الزمان،  
وقد اجتمعت هذه الأمور الخمسة في زمن ملكتهم الأولى في الأرض المقدسة، حيث كان  
داود - عليه السلام - أول ملوكها.

### ملك داود عليه السلام:

معظم الآيات التي أخبرت عن داود وملكه، كانت تركز على شخص داود، حيث  
تصف عليه السلام بالورع والتقوى وكثرة العبادة، والعلم والقوة مع شيء من اللين في  
المعاملة، وتؤدي بأن شغله الشاغل كان توطيد أركان دولته الحديثة، «وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ  
الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ» (20 ص)، وإعداد ما استطاع من قوة للدفاع عن دولته الصغيرة،  
التي كانت محصورة في بيت المقدس وما حولها، من هجمات الأقوام المجاورة لها من

الكتناعيين، ولم يكن يسعى لتوسيع رقعة الدولة، كون الأمة الإسرائيلية آنذاك كانت قليلة - وهي لم تكثر إلا في العصر الحديث، وبالتحديد بعد الحرب العالمية الثانية، حيث رُفع عنهم القتل - ولم تكن تستدعي امتلاك مساحة كبيرة من أرض فلسطين.

### صفة الجن الملازم لليهود ومعالجتها بابتکار داود للدروع الحربية:

قال تعالى: «وَعَلِمْتُهُ صَنْعَةً لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنُكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهُلْ أَنْتُمْ شَنِّكُرُونَ» (80 الآيات)، والضمير (كم) في كلمتي «لَكُمْ» و«بَأْسِكُمْ»، يعود على المخاطبين بالقرآن، وهذا خبر يفيد أن داود - عليه السلام - هو أول من ابتكر الدروع الحربية الحديدية، وأول من استعملها هم بنو إسرائيل، وهذا يكشف طبيعة الجن فيهم، والحرص على الحياة، والخوف من الموت، وكرههم للقتال، «وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» (96 البقرة) وصناعة داود لها يدل على معرفته بطبيعتهم تلك، فقد قالوا الموسى من قبل: «إِنَّا لَنْ نَذْخُلَهَا أَبَدًا مَا ذَامُوا فِيهَا فَإِذَهَتْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِيلًا إِنَّا هُنَّا قَبِيلُونَ» (24 المائدة)، فالجن والتواكل على الغير، طبيعة متصلة في نفوسهم، وانظر إلى قولهم «وَرَبُّكَ» وليس (ورينا)، فهو رب موسى، وليس بربهم، مما كانوا مؤمنين، لذلك قال فيهم موسى عليه السلام: «فَافْرَقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ» (25 المائدة)، وكان أغلبهم فاسقين وعصاة ومعتدلين، حتى في زمن طالوت وداود وسلميان وعلى مر العصور، حيث قال تعالى: «لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى أَبْنَ مَرِيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» (78 المائدة)، فكما تآذى موسى عليه السلام، «وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُرُونِ لِمَ تُؤْذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَزْاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهِيءُ لِلنَّاسِ الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ» (5 الصاف) تآذى منهم داود - عليه السلام - وهو أول ملوكهم، وتآذى منهم عيسى - عليه السلام - وهو آخر أنبيائهم، ومن وقع بينهما من الأنبياء.

ولم يكن شُرب أغلبهم من النهر، عند عبورهم مع طالوت إلى فلسطين عطشاً، وإنما يستهיהם طالوت من الخروج في الجيش للقتال، وما زالوا يتعلون الحاجج للهرب من القتال حتى في وقتنا الحاضر، فهم يدفعون بأبنائهم إلى المدارس الدينية، لتجنيبهم الخدمة العسكرية. فابتكر عليه السلام الدروع الحديدة ليلبسوها في حروبهم مع الشعوب المجاورة، التي على ما يبدو كانت تغزوهم باستمرار، لعلها تدخل شيئاً من الامتنان إلى تلك القلوب الوجلة، وتدفعهم إلى الذود عن حمى مملكتهم. ولو نظرت إلى واقعهم المعاصر، لوجدتهم يلبسون الدروع الواقية من الرصاص، حتى في مواجهة الحجارة، وتجدهم يتحصنون وراء السيارات

المصفحة، أو يقاتلون من وراء جدر من الإسمنت المسلح، وهذا ما يفضحهم به القرآن في مواضع كثيرة، «لَا يُقْتَلُونَكُمْ حَيْثَا إِلَّا فِي قُرْبَىٰ مُخْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمْ بَيْتَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ حَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّٰٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» (14 الحشر).

## سلیمان عليه السلام یوطد أركان الدولة:

نظام الحكم ملكي وراثي:

«وَهَبْنَا لِدَاؤَدْ سُلَيْمَنَ» (30 ص)، «وَوَرَثَ سُلَيْمَانُ دَاؤَدْ» (16 النمل)، تبين من الآيتين السابقتين أن نظام الحكم في مملكة بني إسرائيل الأولى كان ملكياً وراثياً، في نسل داود عليه السلام. وفي سنين حكم سليمان عليه السلام سعى إلى توسيع رقعة مملكته نسبياً، لتغطي مساحة أكبر من مدينة القدس، لتشمل ما حولها من المدن والقرى، من النهر شرقاً إلى البحر غرباً، ولكنها في الأحوال كلها لم تشمل فلسطين كاملة، فأهل فلسطين الأصليون لم يخرجوا منها، ولم يُؤْدُوا، ولكنهم تقهروا إلى ما بعد حدود مملكة سليمان، حيث كانت المالك في تلك العصور تقتصر على مدينة - بحجم قرية في العصر الحالي -. وما حولها من سهول ومراعي، ولا أظنهما استكانوا، وسلموا لبني إسرائيل بالأمر الواقع، وإنما كان هناك حروب ومناوشات، والله أعلم.

حقيقة ملك سليمان:

أما قول سليمان عليه السلام: «فَالَّرَبِّ أَغْفِرْلِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ» (35 ص) فكان ملكاً شخصياً خاصاً به، ولم يكن لبني إسرائيل فيه ناقة ولا بعير، ولم يقصد به امتلاك مساحات شاسعة من الأراضي، ومظاهر ملكه اقتصرت على ما وله سبطانه إيه، من الممتلكات والقوة والحكم، والتي تميز بها من ملوك الأرض كافة ممَّنْ أتوا بعده، ومنها ؛ جريان الريح بأمره، وحكمه للجن، واستعمالهم في البناء والغوص والقتال والصناعة، والقدرة على إذابة النحاس وتشكيله، وكثرة جنوده من الجن والإنس والطير، وكان عليه السلام قوياً ورعاً تقيناً عالماً حكيمًا، وفيه شيء من الشدة، وكان بنو إسرائيل يرهبونه، ويخافونه، ولذلك نال قسطاً كبيراً من اتهاماتهم المشينة، بعكس أخيه داود الذي كان ليناً معهم، فقال فيهم سبحانه : «وَاتَّبَعُوا مَا تَنَاهُوا أَشْيَاطِنُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ» (102 البقرة)، وعلى ما يبدو أن الشياطين بعد وفاته - عليه السلام - ادعوا أن سليمان لم يُسلط عليهم، وإنما كان تابعاً لهم، يعبدهم، ويستعين بهم لقضاء مصالحة . فأشركوا بالله، وعبدوا

الشياطين وأباحوا السحر والشعوذة « وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ أَجْنَانَ وَخَلْقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ إِعْتِيرٍ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ » (100 الأنعام).

أما الغاية من تسخير الريح، فتروي كتب التفسير أنها كانت تحمل سليمان وملأه وجنوده، على بساط خشبي عظيم، وتنقلهم من بلد إلى آخر للقتال والترفيه وغيره، ولم يرد في تواريخ الأمم - التي عاصرت ملك سليمان - أنهم شاهدوا يوماً بساطاً خشبياً طائراً، وسورة النمل تؤكد أن سليمان وجنوده كانوا يسرون على الأقدام أثناء تنقلهم.

والذي أراه أنه كان يركب البحر، منطلقًا من الأرض المقدسة، فتجري الريح بمركبته إلى حيث أراد برفق ولبن في الذهاب، لتسهل عليه عملية البحث والتقصي، بدلالة قوله تعالى: « فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحْمَاءَ حَيْثُ أَصَابَ » (وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ) (37 ص)، وبعد انتهاء المهمة يستعجل العودة إلى وطنه، فيأمر الريح لتجري بقوة وسرعة إلى الأرض المباركة، بدلالة قوله تعالى: « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ أَلَّى بَرَكَتِنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْنَا وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِيرِنَ » (82 الأنبياء)، وأما الغاية من القيام بالرحلات البحرية فهي السياحة واستخراج كنوز البحر وجلبها لملكه، ويريد ما ذهبت إليه، ذكر الغوص، الذي كانت تقوم به الشياطين، مباشرة بعد ذكر الريح في الآيات السابقة، والغوص عادة لا يكون إلا في المياه العميقية، وكانت مدة كل رحلة من رحلاته شهرين، شهراً في الذهاب وشهراً في العودة، بدلالة قوله تعالى « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ » (12 أسباً)، والله أعلم.

### سليمان هو أول من بنى المسجد الأقصى:

عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن سليمان بن داود صلّى الله عليه وسلم، لما بني بيته المقدس، سأله الله عز وجل خلاة ثلاثة، سأله الله عز وجل حكمًا يصادف حكمه فأوليه، وسأل الله عز وجل ملوكًا لا يتبعي لأحد من بعده فأوليه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد، أن لا يأتيه أحد لا ينهره إلا الصلاة فيه، وأن يُخرجه من خطيبته كيّوم ولدته أمها) رواه النسائي وأحمد وأبن ماجه وأبن خزيمة وأبن حبان والحاكم بأسانيدهم، وصححه الألباني.

هذا الحديث يؤكد:

- أن مملكة داود وسليمان: أي مملكة بني إسرائيل الأولى، كانت في فلسطين.
- أن سليمان - عليه السلام - بنى مدينة بيت المقدس.

. أن سليمان - عليه السلام - هو أول من بنى المسجد الأقصى .

وأما التسمية بالمسجد فهي التسمية الإسلامية له ، وجاءت بعد حادثة الإسراء ، وأما في عهد سليمان - عليه السلام - فقد جاءت تسميته في القرآن بالصرح ، « قِيلَ لَهَا أَدْخُلِ الْصَّرْحَ » ، وأما الترجمة العربية للتوراة فأعطته اسم الهيكل ، والمعنى للتسميتين كليهما واحد ، وهو البناء الضخم المرتفع .

### قبلة اليهود هي الصخرة المشرفة :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير ما نصه : قال الإمام أحمد ، حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلْمَةَ ، عَنْ أَبِي سَنَانٍ ، عَنْ عَيْدِ بْنِ آدَمَ ، وَأَبِي مَرِيمٍ وَأَبِي شَعِيبٍ : أَنْ عُمَرَ بْنَ الخطابَ كَانَ بِالْجَاهِيَّةِ ، فَذَكَرَ فَتْحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالَ : قَالَ أَبْنُ سَلْمَةَ ، فَحَدَّثَنِي أَبُو سَنَانٍ ، عَنْ عَيْدِ بْنِ آدَمَ ، سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِكَعْبٍ : أَيْنَ تَرَى أَنْ أَصْلِي ؟ » ، قَالَ : « إِنِّي أَخْذَتُ عَنِي صَلَّيْتَ خَلْفَ الصَّرْحِ ، وَكَانَ الْقَدْسُ كُلُّهَا بَيْنَ يَدِيكِ » ، فَقَالَ عُمَرُ : « ضَاهَيْتَ الْيَهُودَيْهِ . لَا ، وَلَكِنْ ؛ أَصْلِي حِيثُ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَقْدِمُ إِلَى الْقَبْلَةِ فَصَلِّ ، ثُمَّ جَاءَ فَبَسَطَ رِداءَهُ ، وَكَنَسَ الْكَنَاسَةَ فِي رِدائِهِ ، وَكَنَسَ النَّاسَ . وَهَذَا إِسْنَادٌ حَيْدٌ ، اخْتَارَهُ الْحَافَظُ ضِيَاءُ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ ، فِي كِتَابِهِ الْمُسْتَخْرِجِ . »

وجاء في تاريخ الطبراني في رواية أخرى ، أن عُمر أجاب كعباً بقوله : « فإنَّا لم نؤمِر بالصخرة ، ولكنَّا أمرنا بالکعبة . »

ونقول : إن مفاد الرواية أن كعباً لما أشار على عُمر بالصلاحة خلف الصخرة ، أراد منه أن يجمع القبلتين في صلاته ، فأبى عُمر ، وصلَّى جاعلاً وجهه تلقاء الكعبة ، والصخرة من وراء ظهره .

### الصلاحة في الشريعة الموسوية :

لتوضيح الأمر ، نحتاج إلى معرفة طبيعة العبادة في شريعة موسى عليه السلام ، فالصلاحة لديهم كانت تؤدي بشكل فردي في البيت ، أو فيما يُسمى بالحراب ، في المعبد المقدس (أي الهيكل) ، « وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبُوءَ الْقَوْمُ مَكْمَـا بِمِصْرَبِيْوْنَـا وَأَجْعَلُوْا بَيْوَنَـكُمْ قِبْلَةً وَأَقِمُوْا الصَّلَوةَ وَبَشِّرِيْ الْمُؤْمِنِيْنَ » (87 يونس) ، والحراب غرفة صغيرة منعزلة ، مخصصة للصلاحة والدعاء والذكر ، والأغلب أنها كانت تقام مرتفعة عن الأرض ، وهي أشبه ما يكون بالعلية أو السدة ، وقد ارتبط ذكر الحراب في القرآن ، بأنبياءبني إسرائيل الأوائل في فلسطين داود وسليمان ، « وَهَلْ أَتَلَكُ تَبُؤَ الْخَصِيمِ إِذْ تَسُوْرُوا الْمِخْرَابِ » (21 ص) ، وبآخر أنبيائهم زكريا ويحيى « فَنَادَتْهُ الْمَلِئَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصْلِي فِي الْمِخْرَابِ » (39آل عمران) .

## الصرح أو الهيكل، كيفية بنائه وصفته وموقعه:

أما الصرح فعلى ما يبدو أنه كان أujeجوبة من أ Hague الزمان، وأن من قام ببنائه وصناعة محتوياته هم الجن والشياطين، وأن مادة البناء كانت من النحاس والزجاج ومواد أخرى ما عدا الحجارة، وأنه اشتمل على المخاريب والتمايل والأواني النحاسية الصغيرة، والأحواض أو البرك المائية الضخمة المصنوعة من النحاس، والجواهر والكنوز من لؤلؤ ومرجان وغيرها، مما كانت تستخرجه الشياطين من أعماق البحار. قال تعالى: «فَالَّذِي أَغْفَرْتِ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ يَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ» **فَسَخْرَنَاهُ الْأَرْتِيَحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ** **وَالشَّيَاطِينُ كُلُّهُنَّ بَنَاءٌ وَغَوَّاصٌ**» (37 ص) وقال أيضاً: «وَأَسْلَنَاهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرْغَبُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مُخْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَلْبَوْا وَقُدُورٌ رَّاسِيَتِيْتَ أَعْمَلُوا إِلَى ذَادُوا شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عَبَادِي الشَّكُورِ» (13 سبا).

فستطيع وصف هذا الصرح بأنه بناء ضخم ومرتفع، كانت الصخرة تقع في مركزه، تحيط بها ساحة واسعة، أرضيتها من الزجاج المقصول، يُرى من خلالها ماء يجري أسفل منها، أو ماء راكد في أحواض مائية، وُضع فيها ما استجلبه سليمان من المناظر والمشاهد البحرية، مما استخرجته له الشياطين من أعماق البحر، وعلى أطراف تلك الساحة أقيمت المخاريب العديدة للعبادة من كل جانب. والله أعلم.

وقد علمنا أن هناك آباراً وأحواضاً مائة، تحت ساحة المسجد الأقصى مباشرة، فإذا كان ذلك صحيحاً، ومع علمنا بأن المسجد الأقصى بُني في موقع المسجد السابق نفسه، وأن الصخرة هي القبلة الفعلية لليهود، فهذا الأمر يؤكد أن الصرح الذي كان قد بُني في عهد سليمان - عليه السلام - هو المسجد الذي دخله أولئك المبعوثون أول مرة، وخربيوه، ونهبوا محتوياته، فلم يبق له أثر يذكر، وعدم وجود آثار له يؤكد أن هذا الصرح لم يتم بناؤه بالطرق المألوفة، سواء ب الهندسة البناء أو بالم مواد المستخدمة، فبناته هم الجن والشياطين، وبالتأكيد طريقتهم في البناء تختلف عن طريقة البشر، وطبيعة المواد المستخدمة تختلف عمّا يستخدمه البشر، وربما يكون هذا الصرح الخرافي هو ما دفع نبوخذنصر صاحب حدائق بابل المعلقة للإغارة على بني إسرائيل في المرة الأولى، لنهب محتوياته.

### حكمة الهدده:

ولكي نفهم ما جرى من حوار وأحداث بين سليمان وملكة سبا، دعنا نعم النظر قليلاً في قول الهدده: «وَجَدَنَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ

فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» (24 النمل)، يقول الهدى إنه وجدها هي وقومها يعبدون الشمس من دون الله، ويُعلل ذلك بقوله: إن الشيطان زَيَّن لهم أعمالهم، يعني أنَّ الشيطان فَتَّهُمْ، وأَوَهَمَهُمْ، وزَيَّن لهم الباطل على أنه الحق، وعَمِّي سمعهم وأبصارهم، فعطل عقولهم عن تَعْيِيز الحقيقة من الوهم، فَحَرَمَهُمُ القدرة على الحكم على معتقداتهم، أهي خطأ أم صواب، فَعَبَدُوا الشَّمْسَ عَلَى أَنْهَا رِبِّهِمْ، وبذلك صَدَّهُمْ عن السَّبِيلِ؛ أي منعهم من الوصول إلى الحقيقة، وهي أنَّ اللَّهَ هُوَ رِبِّهِمْ، فما دامت أبصارهم قد عَمِيتَ، ويعتقدون بصوابية عبادة الشمس، فَمَنْ أَينَ لَهُمُ الْهُدَايَا وَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ تِلْكَ؟ والرسالة التي وجهها الهدى لـ سليمان - من خلال هذا القول - هي أنَّهم بحاجة لَمَنْ يَهْدِيهِمْ، وَزُيَّلَ الغشاوة عن أبصارهم. فتكفل سليمان - عليه السلام - بهدايتهم، ويازَّهُمْ هذه الغشاوة، لعلَّهُمْ يُصْرَوْنَ، ومن ثم يهتدون، بما أوتي من علم وحكمة، بعد أن شَرَّ الْهُدَى، وشَخَّصَ حالتهم المرضية، وأعطى سليمان مفاتيح الخل، والآن دعنا نتعلم منه عليه السلام، هذا الدرس العملي في الدعوة إلى الله .

#### الدعوة إلى الله:

كان أول خطاب وجَهَ سليمان لملكة سبأ وقومها، هو قوله «أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ» (النمل 31)، خطاباً حازماً واثقاً قوياً ومزلزاً، وكانت هذه هي الضربة الأولى في جدار معتقداتهم الوثنية المتصلة في نفوسهم، فقد كانت هي وقومها يعبدون الشمس، ولم يكن لديهم علم بوجود إله آخر أولى بالعبادة من غيره، ولكن؛ هل أطاعت؟ بالطبع لا، فتغيرت معتقدات البشر عملية صعبة جداً، وتحتاج إلى أكثر من ذلك، وتحتاج إلى علم وحكمة وصبر - وانظر في سيرة نبي الهدى عليه الصلاة والسلام مع كفار قريش لتحويلهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الله - ولكن؛ هل تأثرت بذلك العرض القوي؟ بالطبع نعم، فرددت بالهدى - وكان بإمكانها عدم الرد - وذلك لتتأكد من جدية سليمان عليه السلام، ولتعرف مع مَنْ تتعامل، فهي ذكية وحكيمة أيضاً، وتعي موقعها وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقها، بعكس مَنْتها ذوي القوة والباس الشديد، ودلالة ذلك **«قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَرَهَا أَهْلَهَا أَذْلَّهُ وَكَذَّلَكَ يَفْعُلُونَ** ﴿٣٥﴾ **وَلَقَ مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظَرُهُمْ بِمَا يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ»** (النمل 35) فأعاد الهدى، ووجه لها تهديداً صارماً وأخيراً، **«أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِنَّهُمْ بِمُنْهَدٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذْلَّهُ وَهُمْ صَفَرُونَ»** (النمل 37) فاستوعبت الرسالة، وهي أنَّ ما لدى سليمان خير ما لديها، وأنَّ هذا التهديد لا يصدر إلا عنْ يعلم حجم قوتها، ولديه من القوة أضعف ما تملك، وأنَّ ما يريده لأجلها شيئاً آخر.

## الإتيان بالعرش وتنكيره:

لذلك حملت قومها، وأنتهى على جناح من السرعة، وفي طريقها إليه، كان عليه السلام يُعدّ لها الضربة الثانية، فطلب عرشها، وأمر بتنكيره، وعلة ذلك كانت «تَنْظَرُ أَهْتَدِيَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَتَذَكَّرُونَ» (النمل 41)، لاختبار مدى استعدادها للهداية للدين الجديد، وليس المقصود هو اهتداءها إلى العرش. كان همة - عليه السلام - هدايتها وقومها، وليس الزواج منها.

وكان جلب العرش بحد ذاته كفياً بتحطيم ذلك الجدار الذي تمرست خلفه. وقد تحطم بداخلها فعلاً عندما رأته وعرفته، لكنها أضمرت ذلك، وتمالكت نفسها. ولما سُئلت عنه لم تُثِّت ولم تَنْفِ، وكان بمقدورها أن تُعترف بأنه عرشها، وأن تُسلم على الفور، ولكنها أجلت ذلك. والسبب هو ذلك الجدار نفسه «وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، أي الغشاوة التي أعمت بصرها وبصيرتها، وخوفها من قومها أيضاً، فقالت: «كَانَهُ هُوَ»، وحتى لو أُجري على متابعته فلم تثبت وتسلم أسلحتها الواهية من الوهلة الأولى، محافظة منها على كبرياتها كملكة، ولم تُنفِ لأنها تعلم وقوعها، ويعلم سليمان وقومه علم اليقين، أنه هو بعينه، فتدل على كبراء أجوف وعن بلاهة وغباء، فإنجابتها الموسومة بالشك كانت هي الأسلم.

كانت تعلم بحكمتها أن هناك شيئاً آخر ينتظرها، سيأتي أو انه بعد حين، فكشفت بهذه الإجابة لسليمان عن استعدادها للهداية، فيما لو عرض عليها برهاناً دامغاً وقاطعاً. ولكن، ما الذي فعله سليمان حقيقة في هذا الموقف؟ كان إحضار عرشها، لإظهار مدى عظمة ملكه الموهوب له من قبل ربه، وكان تنكير العرش لإيقاظ حاسة البصر فيها ودقة الملاحظة، وتحفيزاً لعقلها وقلبها، ولما اهتدت إلى أنه عرشها أخذتها العزة بالإثم شيئاً قليلاً، فكابت حتى حين.

## دخول الصرح:

فكانت الضربة الثالثة والأخيرة؛ أي القاضية التي سوت ذلك الجدار بالأرض، ولم ترك له أثراً، «قِيلَ لَهَا أَدْخُلِ الْصَّرْحَ»، فما الذي كان في الصرح؟ كانت أرضية الصرح من زجاج مصقول، ومن تحت الزجاج ماء، وعندما شاهدت الماء، رفعت ثوبها خوفاً من البلل، وهمت بالمشي فيه، «فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَثَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا» فتبسم سليمان وكأنه خاطبها صاحكاً: لقد كنت واهمة، فلن يصل الماء إلى ثوبك، فأنزل عليه، وتقدمي، فهذا «صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيزْ» فأنزلته، ودخلت، ولما لامست قدمها الزجاج تبيّن لها بطلان ما اعتقدت. وهنا مربط الفرس، فما كان منها إلا أن خجلت من وهمها وانعدام بصيرتها، وذهاب عقلها وحكمتها

وضلالها في تلك اللحظة، إذ لم تستطع تمييز الزجاج من الماء، فاستومنت على الفور مضمون الرسالة التي وجّهها لها سليمان.

العبرة:

فقد يظن الإنسان بجهله أنه على حق، بينما يكون في الحقيقة على باطل، وهذا هو حالها وقومها بعبادة الشمس من دون الله، وأنه دعاها إلى الحق عن علم، فتمسّكت بالباطل عن جهل، فتبينت بالتجربة والبرهان بطلان معتقدها، وأنَّ الحق مع سليمان، فاستجابت على الفور لدعوة سليمان الأولى، قائلة: «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» باتباع الباطل عن غير علم، «وَأَسْأَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لَهُ رَبِّ الْعَلَمِينَ» (44 النمل)، فما كان من قومها إلا أنْ تبعوها، وعادت إلى ملكتها لهداية قومها، وأرجح أنَّ سليمان لم يتزوجها، والله أعلم. ودانت بعد ذلك ملكتها لسليمان دينياً، وليس عسكرياً، ويفيت العلاقات والمصالح التجارية وغيرها قائمة بين الدولتين، مروراً بجزيرة العرب، لفترة طويلة، حسبما ثبته سورة سبا (15 - 20)، وفيما بعد كفر قوم سبا إلا قليل منهم، ومع تقادم الزمن انقطعت تلك العلاقة.

بني إسرائيل في عصر سليمان:

أما بنو إسرائيل في عصر سليمان فلم يختلفوا كثيراً عما كانوا عليه في عصر موسى وداود، حيث كانوا على الدوام فاسدين كأفراد، إلا منْ رحم الله، وما اختلف عليهم في عصر سليمان أنَّ سليمان ساهم بالقوة والسلطان، وكان يأخذهم إلى القتال، وهو بطبيعتهم له كارهون، قال تعالى: «وَحُشِّرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ، مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُؤَزَّعُونَ» (17 النمل)، وحُشر أي جُمُع، ويُؤَزَّعُون أي يُساقون بانضباط، ولا يتقدم آخرهم على أولهم.

## هل تحقق العلو الأول لبني إسرائيل في فلسطين؟

وأما سبق دخولهم للأرض المقدسة فقد قال فيه سبحانه على لسان موسى عليه السلام: «يَنْقُومُ آدْخِلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» (21 المائدة) أي كُتب لبني إسرائيل دخولها، وقال سبحانه: «وَأَرْزَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَأْسِفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي يَرْتَكَنُ فِيهَا» (137 الأعراف) أي ملكوها، وسكنوها، وذلك بعد انتصارات سنوات التحرير والبيه الأربعين. والأرض المبارك فيها هي فلسطين، ومشارقها ومغاربها أي كلها، من النهر إلى البحر، وهذه هي حدود الأرض المقدسة والمباركة، وحدود مملكة اليهود القديمة. لنخلص إلى أنَّ الأرض المقدسة والمباركة هي فلسطين فقط، وليس بلاد الشام عامة. إذ أنَّ موسى - عليه

السلام - كان يتواجد وقومه شرقي نهر الأردن، ولو كان شرق النهر أرضًا مقدسة، لما قال: ادخلوا الأرض المقدسة وهو يداخلها أصلًا. وشرق النهر لم يورث لبني إسرائيل، وإنما أقاموا فيه فترة الغضب الإلهي عليهم، ومن ثم تركوها، وارتحلوا إلى فلسطين.

وقد تحقق العلو بوجي من الله وقيادة أنبيائه وملوكه، وكان هذا هو العلو الأول لبني إسرائيل، وأما الإفساد فلم يكن قد وقع منهم بعد، كون الملك اقتن بالنبوة، وما كان للأنبياء عليهم السلام - أن يفسدوا في الأرض، ونجد أن النبي التالي لسليمان في الذكر، من أنبياءبني إسرائيل في القرآن، هو زكريا ومن بعده يحيى، وكان آخرهم عيسى، عليهم السلام جميعاً. وقد بعث الثلاثة بالتتابع، وعاصر بعضهم بعضاً، وكان ذلك بعد فترة طويلة من وفاة سليمان، وبعد عيسى لم يبعث فيهم أنبياء، ويُقدر المؤرخون بأن المدة ما بين سليمان وعيسى بأكثر من 900 سنة.

وما كان بعث عيسى - عليه السلام - بالإنجيل إلا لتجديده الشريعة التي جاء بها موسى بعد أن أضاع بنو إسرائيل التوراة، واختلفوا في أمرها. قال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبُيُّنَاتِ قَالَ قَدْ جَنَتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُؤْتَيْنَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَحْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَتَقْرَبُوا إِلَهَكُمْ وَأَطْبِعُونَ» (63 الزخرف). وثبتت التاريخ أنَّ بعث عيسى - عليه السلام - كان في زمن الحكم الروماني للمنطقة، مما يعني أنَّ هذا العلو الذي تحصل عليه بنو إسرائيل قد زال واندثر. مما يترتب عليه أنَّ الإفساد قد وقع، وأنَّبعث قد تحقق في الفترة الممتدة ما بين سليمان وعيسى عليهمما السلام، في زمن أقرب إلى حكم سليمان منه إلى بعث عيسى.

### المملكة اليهودية بعد سليمان:

وليس من المعقول أنْ نجزم بأنَّ مملكة سليمان انهارت بمorte. وبما أنَّ نظام الحكم كان ملكياً وراثياً كما أقرَّ القرآن، فلا بدَّ أن يكون الملك قد انتقل إلى أحد أبناء سليمان الذين لم يكونوا أنبياء في واقع الحال، فالنبوة آنذاك خرجت من الملك، وأصبحت في عامة الشعب، وهذا تحرر العصابة والمعتدلون من اليهود، من عبادة المال والسلطة تجارةً ومرابين، من حكم وملك الأنبياء، حيث كان الوحي يقف سداً منيعاً أمام طموحاتهم وأحلامهم، في نهب ثروات البلاد والعباد، فهم أبناء الذين قال فيهم تعالى: «قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَنْلَايْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أَوْقَقْنَاهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ» (79 القصص).

وعلى مر السنين تغيرت الأحوال، وتغلغل المرباون والتجار في أوسعاط الحكم، وتبادلواصالح والمنافع، وأصبحوا من علية القوم، ليفرضوا على الملوك ما شاؤوا من سياسات تخدم

مصالحهم. ولو راجعت التوراة المؤرخ الوحيد لتلك الفترة لوجدت أنَّ عدد الملوك الذين تعاقبوا على الحكم على مدى 300 سنة تقريباً هو 22 ملكاً، وهو عدد كبير نسبياً، بمعدل 14 سنة حكم لكل ملك. وذلك لكثره الاغتيالات التي كان يدبرها ويوقعها فيهم عليه القوم، ومن الأهم من الكهنة والأحبار، سواء من صلح أو فسدة من هؤلاء الملوك. والملاحظ أيضاً أنَّ معظم ملوكهم كانوا صغاراً في السن، وربما كان ذلك هو الغاية من قتل آبائهم، فوجود ملك صغير السن يُسهل عليهم السيطرة على شؤون الحكم، ليكونوا هم خبراءه ومستشاريه. وعلى الجانب الآخر كان هناك الأنبياء، الذين لم ينقطع بعثهم فيبني إسرائيل، ليعدوا أولئك العصاة إلى حظيرة الإيمان، بدعوتهم إلى العودة إلى شرع الله، وتذكيرهم وتحذيرهم بما قضاه الله عليهم إنْ أفسدوا في الأرض.

تخبرنا كثير من الآيات القرآنية عن إفساد بنى إسرائيل، حيث الشرك بالله، وتکذيب فريق من الأنبياء، وقتل فريق آخر، وقتل أولياء الله من الناس، وسفك دماء فريق من قومهم وإخراجهم من ديارهم، وتحريف الكهنة والأحبار لكتاب الله ليوافق أهواء عليه القوم، والاعتداء على حدود الله، وعصيان أوامره، وأكلهم الربا وأموال الناس بالباطل ... إلى آخره. ومجمل هذه الآيات تخاطب بنى إسرائيل كامة. فأين ومتى وقع منهم هذا الإفساد الأعمي ...؟ !

## وهل تتحقق الإفساد الأول ؟

قال تعالى : « أَنَّكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا يَهُوَ أَنْفُسُكُمْ أَشْتَكِبْرُمْ فَقَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ » (87 البقرة)، والخطاب هنا موجّه لمن يملك سلطة القتل، وهم سادة الحكم وعليه القوم، فتارة كانوا يکذبون الأنبياء وأولياء الله ، الذين بُعثوا من قبله سبحانه للإصلاح ، وتارة يقتلونهم ، بدفع من الكهنة والأحبار والتجار ، لتعارض ذلك مع رغباتهم وأهوائهم ، « إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِرَبِّنَاهُ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَعْتَصِمُونَ حَقَّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْتُهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ » (21 آل عمران)، فلا أشدَّ وأعظم إفساداً في الأرض عند الله من قتل الناس وسفك دمائهم بغير حق ، فما بالك إذا كان القتل في أنبياء الله وأوليائه الصالحين ؟ فهذا قمة في الإجرام والإسراف والعصيان والتمرد والعدوان ، ولا أظنَّ أنَّ هناك إفساداً في الأرض ، يُقارن بهذا الإفساد ، فلم يسبق لقوم من الأقوام السابقات واللاحقين أنْ قتلوا أنبياءهم سوى بنى إسرائيل ، وما إفسادهم الحالي في دولتهم الحالية إلا صورة طبق الأصل عن الإفساد الأول في دولتهم الأولى ، ولو بُعثت فيهم أنبياء في هذا العصر لقتلوهم بلا شك ، فقد قتلوا رئيس وزرائهم (رابين) ، بدفع وتحريض من الحاخamas ، كونه ظاهر بلبس ثوب الصلاح ، بإظهاره شيئاً من الدين مع الفلسطينيين ، لا لأنَّه مُصلح .

قال تعالى: «وَإِذْ أَخْذَنَا مِيقَاتُكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دَمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيْرِكُمْ ثُمَّ أَفْرَزْنَمْ وَأَثْنَتْ شَهَدَوْنَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتَّلَوْأَ تَقْتَلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيْرِهِمْ تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعَدُوِّنَ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى تُفَسِّدُوهُمْ وَهُوَ حُرُّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُوْنَ بِعَصْمِ الْكِتَبِ وَتَكْفُرُونَ كَبِيْضَ» (85 البقرة). توحى هاتان الآياتان أنَّ سادة الحكم كانوا يستضعفون طائفه من قومهم ظلماً وعلواً بغير وجه حق. وهذا فعل فرعون نفسه. فأوقفوا فيهم القتل والنهب والسلب، وأخرجوهم من ديارهم، واستولوا عليها. فاضطروا إلى اللجوء إلى أرض أعدائهم، وعلى ما ييدو أنهم كانوا يُجبرون على خوض المعركة، إلى جانب أعداء مملكة بني إسرائيل، وعند وقوع المعركة كان هؤلاء المستضعفون يُحجمون عن قتال بني جلدتهم، ويقومون بتسليم أنفسهم، ظناً منهم بأنَّ أبناء جلدتهم سيتركونهم ليعودوا إلى أهلهم بعد انتهاء المعركة، فما كان من أولئك الظلمة إلا أنَّ عاملوهم كأسري العدو، فحبسوهم، وطالبو ذويهم بالفدية.

### وأما مظاهر الإفساد الأخرى فمنها:

الشرك بالله:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نِصْبَيَا مِنَ الْكِتَبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَرِ وَالْطَّغْوِيْتِ» (51 النساء).  
 «فَلَنْ هَلْ أَنْتُمْ كُمْ يَشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقَرَدَةَ وَالْخَنَّارِيْرَ وَعَبَدَ الْطَّغْوِيْتَ أَوْ لَيْكَ شَرِّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» (60 المائدة).  
 «أَخْدُنَّا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَّهُمْ أَنْتَابَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوْا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، عَمَّا يُشْرِكُونَ» (31 التوبه).

نقض الميثاق وكتمان كلام الله وإخفاوه وتحريضه:

«فَيَمَا نَفَضْنُمْ مِيْقَاتَهُمْ لَعَنْهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً مُخْرَفُونَ الْكَلِمَةَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسْوَا حَظَا مِمَّا ذَرْنَا بِهِ وَلَا تَرَالُ تَقْلِيْعَ عَلَى خَائِبَةِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ شَجِيبُ الْمُخْسِيْنَ» (13 المائدة).

«وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيْقَاتَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ لِتَبَيَّنَهُ، لِلنَّاسِ وَلَا تَكُمُونُهُ، فَتَبَذُّوْهُ وَرَأَهُ ظَهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ مَنَّا قَلِيلًا فَيُقْسَ مَا يَشَرُّونَ» (187 آل عمران).

عبادة الجن والشياطين وتعلم السحر وممارسته:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلْقَهُمْ وَخَرَقُوا لِهِ بَنِينَ وَبَثَثُتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (100 الأنعام).

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَاهَى الشَّيْطَنُ عَنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلِكُنَّ الشَّيْطَنُ كَفَرَ وَأَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّخْرَ﴾ (102 البقرة).

الرياح والسرقة والاحتياط:

﴿وَأَخْذِهِمُ الْرِّبَوْ أَوْ قَدْبُو أَعْنَهُمْ وَأَكْلُهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَأَغْتَذَنَا لِلْكُفَّارِ وَمِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (161 النساء).

﴿وَتَرَى كَيْمَاتِهِمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْرِ وَالْعَذْوَنِ وَأَكْلَهُمُ الْسُّخْتَ لَبِسْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (62 المائدة).

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿كَانُوا لَا يَتَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَلَوْلَهُ لَبِسْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (79 المائدة).

نقض العهود والمواثيق:

﴿أَوْ كُلُّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذُهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (100 البقرة).

وهكذا نستطيع القول بأن العلو الأول والإفساد الأول لبني إسرائيل قد تحقق في الأرض المقدسة. وكانت بداية علوهم بملك داود، ووصل إلى أقصى مده في عصر سليمان عليه السلام. وأما الإفساد فكانت بدايته بعد وفاة سليمان عليه السلام... والسؤال الآن: هل تبخر هذا الملك وهذه المملكة في الهواء...؟! وهل مر ذلك الإفساد دون عقاب...؟!

وهل تتحقق البعث الأولى؟

قال تعالى: «مِنْ أَخْلَى ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلُ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَكَانُوا قَاتِلُ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَخْبَاهَا فَكَانَهَا أَخْبَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَنَّهُمْ رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَيْمَاتِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿إِنَّمَا جَزَوا الَّذِينَ حَارَبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصْلَبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِ أَوْ يُنْفَذُوا بِرَأْسِ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خَرَقٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (33 المائدة).

وقال أيضاً في السورة نفسها: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْتَلَةٌ ... وَيَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (64 المائدة).

وانظر ما كتبه الله عليهم في الآية الأولى، وما عقب به في الآية الثانية، حيث أعطى أربع خيارات، لمحازاة من يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً. والذين لهم دأب على محاربة الله ورسوله بأقوالهم وأفعالهم، والذين يسعون في الأرض فساداً هم اليهود لا غيرهم، وهذا ما تقرره الآية الثالثة. وهذا هو الحكم المسبق الذي أصدره أحكم الحاكمين، وأوكل أصحاب البعث الأول لتنفيذ خياراته الأربع مجتمعة فيهم، بإذن الله.

وقال تعالى : «وَأَنْزَلَ اللَّهُمَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِيهِمْ وَقَدْفَ فِي قُلُوبِهِمْ أَرْغَبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا» (26 الأحزاب)، وهذا ما حكم به على يهود بني قريظة بعد هزيمة الأحزاب ، بقتل الرجال وسيبي النساء والأطفال .

وبما أن الإفساد المفترض بالعلو قد تتحقق ، ومن ثم زال ، فلا بد أن يكون أولئك العباد قد بعثوا عليهم ، فجاسوا خلال ديارهم ، وخرّبوا ، وأوقعوا في حكامهم ورؤسائهم وكهنتهم وأغارواهم القتل والتكميل ، وهدموا المسجد (الهيكل) ونهبوا محتوياته من كنوز وأموال ، وسبوا نساءهم وأطفالهم ، وأصبحت بيت المقدس أطلالاً تعوي فيها الثعالب ، فحلَّ بهم الخزي والنذل والعار ، بعد أن رفعه الله عنهم مجتهه وكرمه ، فخانوا ميثاق ربهم ، ونقضوا عهده استكباراً وعلوًّا في الأرض بغير الحق . حيث كان ذلك حكم الله الذي أجزأه في أسلافهم ، على أيدي أولئك العباد ، فيما يسمى بالسيسي البابلي الموصوف بالتوراة ياسهاب ، والذي يؤكّد تنفيذ هذا الحكم فيهم ، كما جاء في الآية الكريمة أعلاه . لذلك عقب سبحانه بعد ذكر الوعد الأول ، بقوله : «وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً» (5 الإسراء) .

**بعض الأحكام التي صدرت في حقهم فيما سبق نزول القرآن:**

قال تعالى :

«وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لِيَعْشَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» (١٧٠) وقطعنهم في الأرض أمماً منتهم الصالحون ومينهم دون ذلك وبلتونهم بالحسنة والشينات لعلهم يرجعون (١٧١) فخلفَ من بعدهم خلفٌ ورثوا الـكتـبـ يا خـدـونـ عـرـضـ هـنـدـاـ الآـدـنـ وـيـقـولـونـ سـيـغـفـرـ لـنـاـ وـإـنـ يـأـتـمـ عـرـضـ مـثـلـهـ يـأـخـذـهـ الـتـيـؤـخـذـ عـلـيـهـمـ مـيـشـنـ الـكـتـبـ أـنـ لـآـ يـقـولـوـأـعـلـىـ اللهـ إـلـاـ الـحـقـ وـذـرـسـوـاـ مـاـ فـيهـ وـالـدـارـ إـلـاـ خـرـةـ خـيـرـ لـلـذـيـرـ يـتـقـنـونـ أـفـلـاـ تـعـقـلـونـ» (١٦٩ الأعراف).

وقال أيضاً :

«وَقَاتَ الْيَهُودَ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةً غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِهَا قَالُوا بَنَيَّا دَاهَ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَأَتَيْرِيدَنَّ كَيْمَرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَغَيْتَنَا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَانِ يَتَّهِمُ الْعَدَوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَلَهَا اللَّهُ وَيَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (٦٤ المائدـةـ).

وهذه الأحكام هي:

- استضعفهم واضطهادهم وتعذيبهم من قبل الآخرين، أينما حلوا وأينما ارتحلوا إلى يوم القيمة. وهذا حكم عام، وأما عقابهم عند مجيء الوعدين، فهو حكم خاص مستثنى من هذا الحكم.
- نفيهم من فلسطين وشتابهم في أرجاء الأرض كافة. مما يؤكد زوال ملكتهم الأولى، وبُعْيَنَ لقيام الدولة الثانية مستقبلاً.
- إلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم إلى يوم القيمة. وإطفاء الحروب التي يُشنّعلوها، وإفشال مخططاتهم الساعية إلى الإفساد.

## وهل دخلوا الأرض المقدسة؟

لو عدنا إلى زمن موسى عليه السلام، بعد أن وصل وقومه إلى مشارف الأرض المقدسة، حيث قال لقومه: «يَقُولُمِنْ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَذْبَارِكُمْ فَتَنَقِلُوا حَسِيرِينَ» (21 المائدة)، والأرض المقدسة هي فلسطين، ولم تُقدَّس في القرآن أرض غيرها. وقد وردت هذه العبارة في القرآن مرة واحدة فقط، وكان بنو إسرائيل آنذاك أمة واحدة، فامتعوا عن الدخول إليها، فحرموا من دخولها أربعين سنة، ولم يكن التيه بضياعهم وشرذتهم في الأرض، كما يرى البعض، وإنما بحرمانهم من الهدى والقيادة برفع النبوة والوحى، وهذا يؤكد أن موسى -عليه السلام- انتقل إلى جوار ربه قبل أو بداية سنوات التحريم، ولذلك تجلت الحكمة الإلهية باختيار النقباء الاثني عشر وأخذ الميثاق منهم مسبقاً، لعلمه المسبق بما سيكون منهم. وترك أمر بنى إسرائيل لأولئك النقباء، كُلُّ حسب السبط الذي ينتهي إليه، لقيادتهم والفصل بينهم في الأحوال المدنية والشرعية.

وفي نهاية الأربعين سنة وصل الله ما كان قد قطعه، ببعث فيهم نبياً، «أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذَا قَاتَلُوا إِلَيْنِي لَهُمْ أَبْعَثْتُ لَنَا مَلَكًا نُقْبَلَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (246 البقرة)، وكلمة (الملا) تعنى علية القوم، وطلب القتال كان للدخول الأرض المقدسة، التي كان قد كتب لهم دخولها، على لسان موسى في الآية السابقة، وعندما أذن الله لهم بدخولها، بعد قتال جالوت وجنوده والانتصار عليهم، بقتل داود عليه السلام بجالوت، دخلوها مجتمعين كامة أيضاً، فأقام لهم داود وسلمان -عليهما السلام- دولتهم الأولى وعلوَّهم الأول.

## حصر الفترة الزمنية للإفساد المذكور في القرآن:

والآن لنتنقل إلى الكريمة التي تقول: «وَلَقَدْ ءاَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءاَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا يَهُوَ أَنْفُسُكُمْ آسْتَكِيرُمْ فَفَرِيقًا كَذَبُتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ» (87 البقرة)، قلنا: إن قمة الإفساد هي قتل الأنفس بغير حق، وأعظمها قتل الرسل والأنبياء، ولا أحظ قوله سبحانه «تَقْتُلُونَ» حيث تفيد صيغة المضارع الاستمرارية والكثرة في القتل، وقد ذكر قتلهم للرسل والأنبياء (7) مرات، في مواضع متفرقة من القرآن، وقد حُصر وقوع هذا القتل منهم في هذه الآية، بين موسى وعيسى عليهما السلام، وإذا علمنا أنبني إسرائيل كانوا بحاجة إلى الأنبياء (جبل الله) لدخول الأرض المقدسة، لإقامة دولتهم فيها، ولم يكن فيهم أنبياء في سنوات التحرير غير ذلك النبي الذي بُعث عند انقضائه والذى توجهوا إليه لطلب المساعدة والنصرة من الله، ليُمِّين لنا أنَّ قتل الأنبياء قد تحصل منهم بعد وفاة سليمان عليه السلام، حيث لم تعد بهم حاجة لأنبياء، ليذكروهم بشرع الله والالتزام به، بعد أن أمسى لهم الملك والعلوُّ في الأرض، فأهواه ورغبات وأطاماع الذين «وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ»، والذين «ثُمَّ قَسَّتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهُنَّ كَالْجِرَاءَ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً»، لا تتفق وشرع الله.

## نهاية المملكة وخروجهم من فلسطين:

ولو نظرنا في قوله تعالى: «وَقَطَعْتُمُ فِي الْأَرْضِ أَمَمًا»، أي فرقاً لهم، نجد أنه سبحانه أثبت خروجهم ونفيهم من الأرض المقدسة وشتاتهم في الأرض على عمومها، على الأقل قبل بعث محمد -عليه الصلاة والسلام- بالقرآن، فهل يعقل أن أمة باسرها تقوم بالتخلّي عن ملكها وترك أرضها من تلقاء نفسها ورغبة عنها؟!! أم أن هناك أمراً عظيماً نزل بها، فتركت أرضها قسراً وقهرأ، بعد أن أزيل ملكها، وأفل نجمها؟!! وقد ورد ذكر هذا الحدث في القرآن بصيغة الماضي، بقوله تعالى: «فَجَاسُوا خَلَلَ الْدَّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً» (الإسراء). وبما أن تلك العبارة أثبتت شتاتهم بعد أن كانوا أمة واحدة، والعبارة «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جَنَّا يَكُونُ لَفِيفًا» (104الإسراء)، تشرط مجئهم من الشتات والتجمع في فلسطين، ولم يرد نص في القرآن، يُثبت مجئهم وتجمعهم من الشتات قبل الإسلام، لإقامة علوهم الثاني. نستطيع الجزم بأن وعد الأولى، بقيام المملكة الأولى وزوالها، قد تحقق، وأن المرة الثانية قد تحققت بمجئهم وتجمعهم من الشتات، لإقامة دولة لهم في فلسطين.

## إثبات تواجد اليهود في بابل:

قال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ (1) نَبَذَ فِرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا  
الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَهُ ظَهُورُهُمْ كَانُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (2) وَأَتَبْغُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ  
سُلَيْمَانَ (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا) (3) يُعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ  
الْمَلَائِكَةِ (بِبَابِلَ) هَرُوتَ وَمَارُوتَ (وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولُوا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ  
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ، بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ، مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)  
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَصْرُفُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ أَشْتَرَنَهُ مَالَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقِ  
شَرَوْبِهِمْ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (102 البقرة)

موضوع الحديث ما قبل هاتين الآيتين، وما بعدهما، هم اليهود إجمالاً. بينما تعرّض  
الآياتان أعلاه لموقف فتنة من اليهود المعاصرين لرسالة الإسلام، من بعث نبينا محمد عليه  
الصلوة والسلام، حيث قام هؤلاء، وما زالوا يقومون بثلاثة أفعال:

1. عند مجيء رسول الله عليه الصلاة والسلام، بصفة مطابقة لما كان بين يديهم من التوراة، ومجيئه بما يتفق مع ما جاء به أنبياؤهم أزاحوا التوراة من عقولهم وقلوبهم، وأنكروا ما فيها، وكتموا ما أخبرت عنه، وجاءت به عن الناس، وأظهروا عدم معرفتهم وعلمهم بأمر هذا النبي، وعواضًا عن اتباعهم لهذا النبي - عليه الصلاة والسلام - كما تأمرهم التوراة.

2. قاموا باتباع ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وحقيقة ما اتباعه يُبيّنه سبحانه، بالجملة المترضة «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا» أي الكفريات التي مازالت تتلوها الشياطين على ملك سليمان، ومجيء الفعل «تَنَلُوا» بصيغة المضارع، يُفيد بأنهم على اتصال دائم بالشياطين، وأن الشياطين ما زالت تحدث إليهم، بكفريات تسبها إلى سليمان عليه السلام، يُرثئه سبحانه منها بقوله: «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا»، وعواضًا عن تعليم الناس تعاليم التوراة:

3. كانوا وما زالوا، يُعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ، ويعلمونهم أيضًا نوعاً آخر من السحر، كانوا قد تعلّموه أثناء تواجدهم في بابل، هو ما أنزل على الملائكة هاروت وماروت، وهو اللذان لم يُعلّما أحداً من الناس إلا وفلا له: «إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ» وحقيقة ما كان يتعلّمه الناس من الملائكة في بابل، يُبيّنه سبحانه بالجملة المترضة «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ، بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ، مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ». ويعقب سبحانه على ما قامت به تلك الفتنة بقوله «وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَصْرُفُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ أَشْتَرَنَهُ مَالَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقِ

وَلَيْسَ مَا شَرَّا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ». وهذا ما يقومون بهـ لغاية الآنـ في محافلهم الماسونية ومدارسهم الدينية، حيث يمارسون ويعلمون متسيهم وتلاميذهم طقوس عبادة الشياطين، وفنون السحر والشعودة.

### عقوبتهم في الجزيرة العربية كانت جلاءً وليس عذاباً:

وأما عند مجيء الإسلام فقد كان جزءاً منهم متواجداً في الجزيرة العربية، وأخرجوا منها زمن عمر رضي الله عنه، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيْرِهِمْ لِأَوْلَى الْحَشْرِ» (2الحشر)، والحضر معناه الجمع، والجمع يختلف عن الجميع قوله «لأول الحشر» أي بداية الجمع، والجمع يكون عادة بعد التشدد والشتات، والمقصود هنا الجمع في الدنيا، وليس الحشر بعد الموت والبعث، حيث كانت وجهتهم عند الخروج إلى بلاد الشام، وأما الجلاء الذي حكم الله به عليهم في زمن الرسولـ عليه السلامـ وصحبه الكرام، لم يكن عذاباً كالموصوف في سورة الإسراء، لا في الوعد الأول، ولا في الوعد الثاني، فكيفية العقاب في المرتين متطابقة، كما أوضحنا سابقاً، وهذا ما يقرره سبحانه في الآية التالية «وَلَوْلَا أَنْ كَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ تَمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ» (3الحشر)، قوله تعالى: «لَعَذَّبْتُمْ»، يفيد بأن الجلاء لم يعد عذاباً بمعنى الكلمة، أما قتل وسيبى يهودبني قريظة، فهو استثناء حصل لخطورة ما قاموا به من خيانة في أخرج لحظة في تاريخ الأمة الإسلامية.

وبامعان النظر في قوله تعالى: «وَلَيَدْخُلُوا الْمَسِيْدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَى مَرْقَدِيْتِهِمْ وَأَمَاعِلُوْتِهِمْ» (7الإسراء)، يتadar إلى الذهن العديد من التساؤلات، فأي مسجد الذي دخله اليهود آنذاك؟ وما هو المسجد المقصود أصلاً في هذه الآية؟! وما صفة العلو الذي كان لهم آنذاك؟!، وأما فسادهم وإفسادهم في الجزيرة وغيرها من الأماكن فهو مشمول في الآية الكريمة «كُلُّمَا أُوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَلَاهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادُوا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (64المائدة)، ولاحظ قوله تعالى: «وَيَسْعَوْنَ»، حيث تفيد الاستمرارية والثابتة على الإفساد في الأرض على عمومها، وهذا هو ديدنهم على مر العصور، لذلك كانوا عرضة للقتل والتكميل، أو النهب والسلب، أو الطرد والنفي، أينما حلوا وأينما ارتحلوا، فطاووا معظم أرجاء المعمورة، وتواجدوا في قاراتها كلها، منذ 3آلاف سنة، واستمر حالهم هذا على مر العصور، وهذا ما لم يقع في أي شعب من شعوب الأرض، وكان الاستثناء الوحيد هو حصولهم على دولة لهم في القدس مرتين فقط. وبعد شتاهم في المرة الأولى، لم يكن لهم علو، ولم يكن لهم جمع من الشتات، الذي هو أحد شروط مواصفات تحقق الوعد الثاني، إلا ما شاهده الآن على أرض الواقع، من علو ظاهر مقترب بالفساد والإفساد في الأرض المقدسة فلسطين.

## الفصل الثاني

### اليهود في التوراة والتلمود

#### ماهية التوراة:

التوراة في (السان العربي) : نجد أن هذه الكلمة ذات أصل عربي " ومصدرها وَرِيَّ ، والوراء هو وَلْدُ الولد ، والواري هو السَّمِينُ من كل شيء ، وورِيَ المخْبَرِيَّ إذا اكتنز ، وناقة وارية أي سميحة ، وورَيْتُ النَّار تورِيَّةً ، إذا استخرجتها ، قال واستوريتُ فلاناً رأيَا ، أي سأله أن يستخرج لي رأيَا ، وورَيْتُ الشَّيءَ وواريَتُهُ أخفِيَّهُ ، واستوريتُ فلاناً رأيَا أي طلبتُ إليه أن ينظر في أمرِي ، فيستخرج رأيَا أمضى عليه ، وورَيْتُ الْخَبَرَ ، أورِيَه تورِيَّةً ، إذا سترَتُهُ وأظهرتُ غيره ، وكأنه مأخوذ من وراء الإنسان ، لأنه إذا قال وَرَيْتُهُ ، فكانه يجعله وراءه حيث لا يظهر ، والتوراة هي السَّرُّ .

ولو تدبَّرنا المعاني السابقة كلها ، لوجدنا أن هذه التسمية (التوراة ، التورية حسب الرسم القرآني لها) ، جاءت لتصف بدقة وبشمولية حال الكتاب الموجود بين أيدي اليهود منذ وفاة زكريا عليه السلام ، ولغاية الآن ، ولتصف الكيفية التي يتعامل بها اليهود مع هذا الكتاب ، فكتابهم في الواقع مكتنز وسمين ، فهو يحوي بين دفتيره (39) سِفِراً ، وإحدى نسخه المترجمة فيها ما يزيد عن 1128 صفحة ، بمعدل 380 كلمة لكل صفحة ، أي ما يفوق القرآن من حيث عدد الكلمات ، بـ (6) مرات تقريباً ، جُمع فيه ما أُنْزِلَ على أنبياء بنى إسرائيل المتعاقبين تباعاً من شرائع وأخبار ونبؤات غيبية ، وتاريخ وأساطير وخرافات ، وعلى فترات متباudeدة ومتالية ، ولده لا تقل عن ألف وخمسمائة سنة .

#### التوراة لم تنزل على موسى، وكتابه جزء منها:

وبحسب النص القرآني ، في الآية «يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْتَ التَّوْرَةَ وَإِنَّجِيلًا مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِمُ عَلَيْهِ فَلَا تَعْقِلُونَ» (آل عمران) ، والآية «وَقَفَيْنَا عَلَىٰ إِثْرِهِمَ بْنِ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ» (46 المائدة) ، نجد أن نزول التوراة حُصر في الفترة الزمنية الواقعة بين وفاة إبراهيم ونبوة عيسى عليهما السلام ، ومن قوله تعالى : «إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا

هُدَىٰ وَنُورٌ لِّمَنْ كُمِّلَتِ الْتَّبِيَّعُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا إِلَيْنَا هَادِوًا وَالرَّبَّيْعُونَ وَالْأَخْبَارُ يُمَاً اسْتَخْفِظُوْا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهَادَةً (44 المائدة) نجد أنها أنزلت كمرجع لبني إسرائيل (بني يعقوب عليه السلام)، لاستبطاط واستخراج الأحكام الشرعية منها، وفي قوله تعالى: «يَنَاهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مَا كُنْتُمْ تَخْفَوْنَ مِنَ الْكِتَابِ» (15 المائدة) وقوله: «وَإِذَا حَدَّ أَلَّا اللَّهُمَّ مَيْشَقُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَتَبْيَّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْثُرْنَهُ فَتَبْدُوهُ وَرَأَةً ظُهُورُهُمْ وَآشْرَوْهُ بِهِ مَمْنَأَ قَلِيلًا فَيَقُولُنَّ مَا يَشْتَرُونَ» (187 آل عمران) نجد وصفاً لحال اليهود معها، وما كان منهم في إخفائها وكتمانها وتحريفيها، وإظهار غير ما جاء فيها، وكل ما قيل فيها من معاني في المعجم ينسجم مع الواقع التوراتي الحالي، وليس على كتاب موسى فقط، والذي هو في الأصل جزء منها، وما كان الفصل بينها وبين موسى - عليه السلام - في القرآن إلا ليؤكد هذه الحقيقة.

ولو أنعمنا النظر في هذه الآية «كُلُّ الْطَّعَامِ كَانَ حَلًّا لِّبَنِ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرِيهُ قُلْ فَاتَّوْا بِالْتَّوْرِيهِ فَأَتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (آل عمران: 93)، وانظر قوله تعالى: «تَنْزَلَ» ، ولم يقل: (تنزلاً) ، والتنزيل غير الإنزال ، فال الأول على مراحل ، والثاني لمرة واحدة ، وفي سورة الأنعام ، الآيات «قُلْ تَعَالَوْا أَتُلُّ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... (151) ... (152) ... (153) = ثُمَّ = أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَخْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّكُلِّهِمْ يَلْقَأُهُمْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ» (الأنعام: 154) لوجدنا أن هذه الآيات توضح ما كان قد حرم عليهم في التوراة ، وأن مجيء أداة العطف (ثُمَّ) ، بعد ذكر ما جاء في التوراة مباشرة ، والتي تفيد لغة الترتيب والتراخي في الزمن ، ومجيء العبارة «أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» بعدها ، يؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - أمرتين ؛ الأولى: أن التوراة شيء مختلف عن كتاب موسى عليه السلام ، والثانية: أنها سبقت كتاب موسى - عليه السلام - في النزول .

**التوراة كتاب يضم بين دفتيه جميع ما أنزل على أنبياء بنى إسرائيل:**

والأرجح أنها أنزلت مفرقة بدءاً من يعقوب أو إسحاق، وانتهاءً بزكريا عليهم السلام، وأنها مجمل ما أنزل على أنبياءبني إسرائيل من كتب، ومن ضمنها ما أنزل على يعقوب ويوفى، وموسى وداود وسلمان وزكريا، وبقية الأنبيائهم، معنٌ لم تذكر أسماؤهم في القرآن عليهم السلام أجمعين، قال تعالى: **(وَمَا أُنْزِلَ إِلَّا إِنْزِلٌ هُدًى وَإِنْتَ عَلَيْهِ مُسَمِّعٌ وَإِنْ شَرَحْتَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُفْقَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أَوْقَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّيهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَهْلِنَعَمَّةِ وَمَنْحُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (136 البقرة)** لاحظ أن ترتيب أسماء الأنبياء في هذه الآية جاء متبايناً حسب الترتيب الزمني، ولا حظ أيضاً أن الإنزال شمل كلّاً من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأساطيل وتوقف. وأفرد

موسى وعيسي مع أنهما من الأسباط، وخصّهما بالإيتاء، وأفرد النبيين من غير ذرية إبراهيم بالإيتاء أيضاً، والظاهر أن هناك فرقاً بين الإنزال والإيتاء، وأما ماهية الأسباط فسبعينها لاحقاً.

ولو اطلعت على مجلمل النصوص القرآنية لوجدت أن ما تُنسب إلى موسى -عليه السلام- بالإيتاء هو الكتاب والفرقان والهدى وضياء وذكر والألواح والصحف، وأن التوراة لم تُنسب نصاً إلى موسى -عليه السلام-. في أي موضع من الموضع -(18)- في القرآن، وهي 6 مرات في آل عمران، و7 مرات في المائدة، ومرة واحدة في كُلٌّ من الأعراف والتوبية والفتح والصف وال الجمعة)، وخلاصة القول: إن ذكر التوراة في القرآن يُقصد به مجموع ما أُنزل على أنبياءبني إسرائيل، أي الكتاب الذي كان بأيدي اليهود زمان نزول القرآن، وحتى عصرنا هذا، وإن ذكر الكتاب يُقصد به ما أُنزل على موسى وحده، والله أعلم. وأما ما تُنسب إلى موسى -عليه السلام- في التوراة الحالية فهي الأسفار الخمسة الأولى من مجموع أسفارها، وهي أسفار التكوين والخروج واللاوين والعدد والثنية، وعلى الأرجح أن بعض هذه الأسفار -كتسر التكوين- كان موجوداً قبل موسى -عليه السلام-. ومن المحتمل أن يكون هذا السفر هو مجموع صحف إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

### حقيقة التوراة على لسان المقدسي:

جاء في كتاب (الباء والتاريخ) للمقدسي ما نصه: " وذلك أن (بختصر)، لما خرب بيت المقدس، وأحرق التوراة، وساق بنى إسرائيل إلى أرض بابل، ذهبت التوراة من أيديهم، حتى جدّدها لهم عزيز فيما يحكون، والمحفوظ عن أهل المعرفة بالتاريخ والقصص أن عزيزاً (عزرا الكاتب) أملأ التوراة في آخر عمره، ولم يلبث بعدها أَنْ مات، ودفعها إلى تلميذ من تلامذته، وأمره بأن يقرأها على الناس بعد وفاته، فَعَنِ ذلك التلميذ أخذوها، ودونوها، وزعموا أن التلميذ هو الذي أفسدها، وزاد فيها، وحرّفها، فمن ثم وقع التحرير والفساد في الكتاب، وبُدلت ألفاظ التوراة، لأنها من تأليف إنسان بعد موسى، لأنه يُخبر فيها ما كان من أمر موسى عليه السلام، وكيف كان موتة، ووصيته إلى يوشع بن نون، وحزن بنى إسرائيل وبكاؤهم عليه، وغير ذلك مما لا يشکلُ على عاقل أنه ليس من كلام الله عَزَّ وجَلَّ، ولا من كلام موسى . وفي أيدي السامرة توراة مخالفة للتوراة التي في أيدي سائر اليهود في التواريخ والأعياد وذكر الأنبياء ، وعند النصارى توراة منسوبة إلى اليونانية ، فيها زيادة في تاريخ السنين على التوراة العبرانية ، بألف وأربع مائة سنة ونinet ، وهذا كله يدل على تحريرهم وتبديلهم ، إذ ليس يجوز وجود التضاد فيها من عند الله " .

## سفر التثنية آخر الأسفار المنسوبة لموسى، ويضم في ثناياه نصوص النبوة:

ملاحظة: النص مأخوذ من نسخة (كتاب الحياة) حيث أن التركيب اللغوي فيها أكثر قوة وتعيناً. إلا في مواضع نادرة - نلجم فيها للأخذ من نسخة أخرى هي (الكتاب المقدس) وهو ما يرد بين [... ]، وأما ما يرد بين (...) فهو تعقيب.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًىٰ إِنَّرَبِيلَ أَلَا تَشْخِذُوا مِنْ ذُنُونٍ وَكِيلًا﴾ (الإسراء)،

إصحاح 26: آية 16: لقد أمركم الله إياكم هذا اليوم، أن تعملوا بهذه الفرائض والأحكام، فأطاعوا، واعملوا بها من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم، 17: ... وأن عليكم طاعة جميع وصاياته، 19: فيجعلكم أسمى من كل الأمم [مستعيناً على جميع القبائل] التي خلقها في الثناء والشرف والمجد، (العلو)، ... .

أخبار موسى - عليه السلام - بنص النبوة، كان قبل دخولهم إلى الأرض المقدسة:

27: 1-9: " وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب قائلين: أطعوا جميع الوصايا التي أنا أمركم بها اليوم. فعندما تختارون نهر الأردن إلى الأرض التي يهبها الله إياكم لكم، تنصبوا لأنفسكم حجارة كبيرة، ... وتكلبون عليها جميع كلمات هذه الشريعة، ... ثم قال موسى والكهنة واللاويون لجميع شعب إسرائيل ".

سفر الخروج: 20: 2: أنا هو الله الذي أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك، 3: لا يكن لك آلهة أخرى سواي، 4: لا تحت لك تمثالاً ولا صورة، ...، 5: لا تسجد لهن ولا تعبدهن، ...، 7: لا تنطق باسم الله باطلأاً، ...، 12: أكرم أبيك وأمك، ...، 13: لا تقتل، 14: لا تزن، 15: لا تسرق، 16: لا تشهد على قريبك شهادة زور، 17: لا تشتبه ببيت جارك، ...، ولا شيئاً كماله ".

وهذا ما يسمونه بالوصايا العشر، واخترت النص من سفر الخروج كونه أكثر وضوحاً ومطابقة للقرآن، حيث ورد نص الميثاق والوصايا في (البقرة 83-84)، (والأنعام 151-153)، (والإسراء 39-22).

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَإِيلَ فِي الْكِتَابِ لِتُفَسِّدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَنِ وَتَنْعَلَنَّ عَلَوْا كَبِيرًا﴾ (الإسراء).

31: 16-21: وقال الله لموسى: ما إن تموت وتتحقق بأبائك (مستقبلات) ... حالماً دخلهم إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلًا، ...، فياكلون، ويشبعون، ويسمون، فإنهم يسعون وراء

آلهة أخرى، ويعبدونها، ويزدرون بي، وينكثون عهدي. فيحتمل غضبي عليهم في ذلك اليوم، وأنبذهم، وأحجب وجهي عنهم، فيكونوا فريسة، ...، فمتي حلّت بهم شرور كثيرة، ومصابب جمة، يشهد هذا النشيد عليهم، لأنّه سيظل يتربّد على أفواه ذريتهم، إذ أنتي عالم بخواطيرهم التي تدور بخلدهم الآن، قبل أن أدخلهم إلى الأرض كما [أقسمت].  
 «إنْ أَحْسَنْتُ أَحْسَنْتُ لِأَنْفِسِكُ» (7 الإسراء).

٢٨: ١ - ١٣: وإنْ أطعتم صوت الرب طاعة تامة، حرصاً منكم على تنفيذ جميع وصاياه فإنّ الرب إلهكم يجعلكم أسمى من جميع أمم الأرض. وإذا سمعتم لصوت الرب إلهكم، فإنّ جميع هذه البركات تنسكب عليكم، وتلازمكم، ...، كما تبارك ذرّيتكم، وغلالات أرضكم، ونتاج بهايّمكم، وبهزم الرب أمامكم أعداءكم القائمين عليكم، فيقبلون عليكم في طريق واحدة، ولكتهم يُولّون الأدبار في سبع طرق، فيفتح الرب كنوز سمائه الصالحة، فيمطر على أرضكم في مواسمها، ويُبارك كل ما تتجه أيديكم، ...، فإنه يجعلكم رؤوساً لا أذناباً، متسمين دائمًا (علوًّا)، ولا يُدرّكم انحطاطاً أبداً (ذلة) ... .  
 «وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» (7 الإسراء).

٢٩: ١٥ ولكن: إنْ عصيّتم صوت الرب إلهكم، ولم تخرصوا على العمل بجميع وصاياه وفرائضه، التي أنا آمركم اليوم بها، فإنّ جميع هذه اللعنة تحمل بكم، وتلازمكم، ...، وتحلّ اللعنة بآبائكم، وغلالات أرضكم، ونتاج بهايّمكم، ويصبّ الرب عليكم اللعنة والفووضى والفشل، حتى تهلكوا وتفنوا سريعاً لسوء أفعالكم، إذ تركتموني، ويفتشي بينكم الوبأ حتى يُبيّدكم، وتصبح السماء من فوقكم كالتحاس، والأرض من تحتكم كالحديد، 25: وبهزمكم الرب أمام أعدائكم، فتقبلون عليهم في طريق واحدة، وتُولّون الأدبار أمامهم متفرقين في سبع طرق، وتصبحون عبرة لجميع مالك الأرض، 26: وتكون جشتكم طعاماً، لجميع طيور السماء ووحوش الأرض، ولا يطردها أحد [وليس من يزعجها]، 28: ويتليكم الرب بالجنون والعمى وارتباك الفكر [وحيرة القلب]، 29: فتحسّسون طرقكم في الظهر، كما يتحسّس الأعمى في الظلام، وتبوء طرقكم بالإخفاق، ولا تكونون إلا مظلومين مغضوبين كل الأيام، 32: يُساقُ أولادكم وبناتكم إلى أمة أخرى ... وما في أيديكم حيلة، ...، 36: ينفيكم الرب أنتم وملائكم إلى أمة أخرى، لا تعرفونها أنتم ولا آباءكم، ...، 37: وتصبحون مثار دهشة وسخرية وعبرة في نظر جميع الشعوب، ...، 43: [الغريب الذي في وسطك، يستعلي عليك متصاعداً، وأنت تنحط متازلاً] (عودة الذل وزوال العلوّ)، 44: ...، وهم يكونون رؤوساً، وأنت تكونون ذباً».

## النصوص الخاصة بالمرة الأولى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِمَّا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّتَأْوِلُ بَأْسِ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خَلَلَ الْدِيَارِ﴾... (5 الإسراء).

- 28: ويجلب رب عليكم أمة من بعيد، من أقصى الأرض، فتنقض عليكم كالنسر، 50: أمة [جافية الوجه] يثير منظرها الرعب، لا تهاب الشيخ، ولا ترأف بالطفل، 51: فتسولي على ناج بهائمكم، وتلتهم غلات أرضكم حتى تفنوا، ولا تُبْقِ ... قمحاً ولا خمراً ولا زيتاً، ...، 52: وتحاصركم في جميع مدنكم، حتى تهدم أسواركم الشامخة الحصينة، التي وثقت بم ساعتها، ...، 58: فإن لم تحرموا على العمل بجميع كلمات هذا الشريعة المكتوبة في هذا الكتاب، ...، 59: فإن رب يجعل الضربات النازلة بكم وينزيلكم، ضربات مخفية وكوارث رهيبة دائمة، ...، 63: وكما سُرَّ رب بكم، فاحسن إليكم وكثركم، فإنه سيسير بآن يفنيكم، وبهلükكم، فتنقضون [فَتُسْتَأْصِلُونَ] من الأرض، التي أنتم ماضون إلى امتلاكها، 64: ويشتكم [وَيَشْتَكِمُ] رب بين جميع الأمم، من أقصى الأرض إلى أقصاها، ...، 65: ولا تجدون بين تلك الأمم اطمئناناً، ولا مقرأ القدم، بل يعطيكم رب قلباً هلعاً، وعيوناً أوهناها الترقب، ونفوساً يائسة (الذلة والمسكنة بين الأمم)، 66: وتعيشون حياة مفعمة بالتوتر، مليئة بالرعب ليلاً ونهاراً.

النبوة جاءت بِقَسْمٍ، ولمرتين :

29: وهذه هي نصوص العهد الذي أمر رب موسى أن يقطعه مع بنى إسرائيل في سهول موآب، فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب، 2: ودعى موسى جميع إسرائيل، ...، 29: 4 ولكن رب لم يعطكم -حتى الآن- قلوبًا لتعلوا [لتفهموا] وعيوناً لتبحروا، وأذاناً لتسمعوا، ...، 9: فأطليعوا نصوص هذا العهد، واعملوا بها، [لكي تفلحوا في كل ما تفعلون]، ...، 14: ولست أقطع هذا العهد وهذا القسم معكم وحدكم، 15: بل ... أبرمه أيضاً مع الأجيال القادمة (حيث سيقع منهم الإفساد مرتين مستقبلاً)، ...، 18: فاحرصوا أن لا يكون بينكم مَنْ تَأْصِلُ فِيهِ الشَّرَّ، فيحمل ثمراً علقمًا ساماً، 19: فإن سمع كلام هذا القسم يستطرد برقة على نفسه (أي يزكي نفسه) قائلاً: سأكون آمناً، حتى ولو أصررت على الاستمرار في سلوك طريقي (الإصرار على المعصية)، إن هذا يُفضي إلى فناء الأخضر واليابس، على حد سواء، 20: إن رب لا يشاء الرفق بمثل هذا الإنسان، بل يحتمد غضبه وغيرته عليه، فتنزل به كل اللعنات المدونة في هذا الكتاب، ويحو اسمه من تحت السماء، 22: فيشاهد أبناءكم من الأجيال القادمة، والغرباء الوافدون من أرض بعيدة، بلايا

تلك الأرض ، ... ، 23: إذ تصبح جميع الأرض كبريتاً محترقة لا زرع فيها ، ... ، كانقلاب سدوم (قوم لوط) ، التي قلبها الرب من جراء غضبه وسخطه ، ... ، 28: واجتثتم من أرضهم ، بغضبٍ وسخطٍ وغيظٍ عظيم ، وطوح بهم إلى أرض أخرى (السي والشتات) ، ... .

### النصوص الخاصة بالمرة الثانية:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جَنَّتِنَا يَكُرُّ لَفِيفًا﴾ (104 الإسراء).

30: 1 وعندما تخلّ بكم هذه البركات واللعنات (تحقق الوعد الأول من علوٍ وإفساد وعقاب) كلها التي وضعتها نصب أعينكم، ورددتوها في قلوبكم بين الأمم، حيث شتّتكم ربكم، 2: ورجعتم إلى ربكم أنتم وبنوكم ، ... ، 3: فإنّ ربكم يردّ بيكم ويرحّمكم ، ويلمّ شتاتكم من بين جميع الشعوب ، التي نفاكم ربكم إليها ، ...

﴿ثُمَّرَدَذَنَّا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَذَنَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْرَتٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَذِيرًا﴾ (6 الإسراء).

30: 5: ويعيدكم إلى الأرض التي امتلكها آباءكم فتملكونها ، ويحسن إليكم ، ويكرّم أكثر من آبائكم ، 30: 7: ويحوّل ربكم كل هذه اللعنات (العقاب الذي سيكون قد نزل بهم في المرة الأولى) على أعدائكم ، وعلى مبغضيكم الذين طردوكم (الذين أنزلوا بهم العقاب الإلهي في المرة الأولى) ، 30: 8 وأما أنتم فتعطون صوت الرب من جديد (في المرة الثانية) ، وتعملون بجميع وصاياه التي أنا أوصيكم بها اليوم ، 9: فيغضّ ربكم عليكم خيراً في كل عمل ما تتجه أيديكم ، ويكرّر ثمرة أحشائكم ، وتناج بهائكم ، أرضكم ، ... (وكل ما تقدم مشروط بالإحسان).

﴿إِنَّ أَخْسَتُنَّ أَخْسَتَنَّ لَأْنَفِسِكُمْ وَإِنَّ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (7 الإسراء).

30: 10: هذا إن سمعتم لصوت ربكم ، وحفظتم وصاياه وفرائضه المدونة في كتاب الشريعة هذا ، (أي تعاليم شريعة موسى في التوراة ، وليس تعاليم التلمود التي خطّها أحبّارهم وكهتهم) ، وإن رجعتم إلى ربكم ، من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم ، 11: إنّ ما أوصيكم به اليوم من وصاياه ليست متعنّرة عليكم ولا بعيدة المنال ، ... ، 15: انظروا: ها أنا قد وضعت أمامكم اليوم ، الحياة والخير والموت والشر ، 16: ... أوصيكم اليوم أن تُحبّوا ربكم ، وأن تسلكوا في طرقه ، وتطبعوا وصاياه وفرائضه وأحكامه ، لكي تحيوا وتنموا ، فيبارككم رب في الأرض التي أنتم ماضون إليها لامتلاكها ، 17: ولكن: إن تحولت قلوبكم ، ولم تطعوا ، بل غويتم ، وسجدتم لآلهة أخرى وعبدتوها ، 18: فإنني أنذركم

[أَنْتُمْ] الْيَوْمَ أَنْتُمْ لَا مَحَالَةٌ هَالْكُونُ، وَلَا تَطُولُ الْأَيَّامُ عَلَى الْأَرْضِ (أَيْ مَقَامُكُمْ) الَّتِي أَنْتَ عَابِرٌ (نَهْر) الْأَرْدُنَ لِتَدْخُلُهَا، وَتَمْلِكُهَا ...

19: هَا أَنَا أَشَهُدُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، قَدْ وَضَعْتُ أَمَانَكُمُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ (أَيْ وَضَحَّتْ لَكُمْ طَرِيقُ النَّجَاهَةِ وَطَرِيقُ الْهَلاَكِ)، وَاسْتَبَدَالَهَا بِكَلْمَتِي الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ - مِنْ خَلَالِ النَّفَلِ أَوِ التَّحْرِيفِ - تَرَتَّبَ عَلَيْهِ إِنْكَارُ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ بَعْثٍ وَحِسَابٍ، فَالْجُزَاءُ عِنْدَهُمْ دُنْيَوِيٌّ فَقَطْ، فَالثَّوَابُ هُوَ إِطَالَةُ الْحَيَاةِ، وَالْعَقَابُ هُوَ قَصْرُهَا)، الْبَرَكَةُ وَاللَّعْنَةُ (أَيْ الْجُزَاءُ فِي الدُّنْيَا)، فَاخْتَارُوا الْحَيَاةَ (أَيْ الشَّرِيعَةِ) لِتَحْيِوَا (لِتَجْوِيَا مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أَنْتُمْ وَنَسْلُكُمْ، 20: إِذْ تَحْبُّونَ الرَّبَّ إِلَيْهِمْ، وَتَطْبِعُونَ صَوْتَهُ، وَتَمْسَكُونَ بِهِ لِأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكُمْ (أَيْ نَحَّاتُكُمْ) وَالَّذِي يُطِيلُ أَيَّامَكُمْ لِتَسْكُنُوا [لَكُمْ تَسْكُنُوا] الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لِأَبَائِكُمْ، إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يَعْطِيهَا لَكُمْ.

الدخول أول مرة كان بحبل من الله:

31: 1: وَمَضِيَّ مُوسَى يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: 2: ... وَقَدْ قَالَ لِي الرَّبُّ: لَنْ تَعْبِرْ هَذَا الْأَرْدُنُ، 3: وَلَكِنَّ الرَّبَّ إِلَيْهِمْ هُوَ عَابِرٌ أَيَّامَكُمْ، وَهُوَ يَبْدِي تَلْكَ الْأَمْمَ مِنْ قَدَامَكُمْ، فَتَرْثُونَهُمْ، ...، 6: [تَشَدَّدُوا] وَتَشَجَّعُوا، لَا تَخْشُوْهُمْ وَلَا تَمْزِعُوْهُمْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَيْهِمْ سَاطَ مَعْكُمْ، لَا يَهْمِلُكُمْ، وَلَا يَتَرَكُكُمْ.

حتمية إفسادهم وعقابهم في المرة الثانية:

31: 28 اجْمَعُوا إِلَيَّ جَمِيعَ شِيوُخِ أَسْبَاطِكُمْ وَعِرْفَاءِكُمْ (الْنَّقَبَاءِ)، لَأَتْلُو عَلَى مَسَامِعِهِمْ هَذِهِ الْكَلْمَاتِ، وَأَشَهُدُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، 29: لِأَنِّي وَاثِقٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي، تَفْسِدُونَ وَتَضَلُّوْنَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهَا، فَيُصِيبُكُمُ الشَّرُّ فِي أَخِرِ الْأَيَّامِ (الْمَرَةُ الثَّانِيَةُ تَكُونُ أَخْرَى الْزَّمَانِ)، لِأَنَّكُمْ تَقْتَرِفُونَ الشَّرَّ أَمَامَ الرَّبِّ، حَتَّى تَشَرِّوْا غَيْظَهُ بِمَا تَجْنِيَهُ أَيْدِيكُمْ، 30: فَتَلَّا مُوسَى فِي مَسَامِعِ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلِ [بِكَلْمَاتِ] هَذَا النَّشِيدِ، ...

﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِنِ وَكِيلًا﴾ (2 الإسراء).

32: بِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُوكُمْ، فَمَجَدُوكُمْ عَظَمَةُ إِلَهِنَا، 4: هُوَ الصَّخْرُ (الْوَكِيلُ) [الْكَاملُ صَنْبِعُهُ]، سَبَلُهُ جَمِيعُهَا عَدْلٌ، هُوَ إِلَهُ أَمَانَةٍ لَا يَرْتَكِبُ جُورًا، صَدِيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ، 5: لَقَدْ افْتَرَوْنَا الْفَسَادَ أَمَامَهُ، وَلَمْ يَعُودُوا لِهِ أَبْنَاءَ، بَلْ لَطْخَةُ عَارٍ، إِنَّهُمْ جَيْلٌ أَعْوَجٌ وَمَلْتُو، 6: أَبْهَذَا تَكَافَنُونَ الرَّبَّ؟ أَيْهَا الشَّعْبُ الْأَحْمَقُ الْغَبِيُّ، أَلِيسْ هُوَ أَبَاكُمْ وَخَالَقُكُمْ، الَّذِي عَمِلَكُمْ وَخَلَقَكُمْ؟! 7: اذْكُرُوا الْأَيَّامَ الْفَابِرَةَ، وَتَأْمَلُوا فِي سَنَوَاتِ الْأَجِيَالِ الْمَاضِيَّةِ، اسْأَلُوا آبَاءَكُمْ

فِي نَبْتَوْكُمْ، وَشِيوخَكُمْ فِي خِبْرَوْكُمْ، 10: وَجَدَهُمْ فِي أَرْضٍ قَفِيرٍ وَفِي خَلَاءٍ مَوْحِشٍ فَأَحْاطَ بِهِمْ، وَرَعَاهُمْ، وَصَانُوهُمْ، 12: ... وَحْدَهُ قَادِ شَعْبَهُ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَرِيبٌ (أَيْ آخَر)، 13: أَصْعَدُهُمْ عَلَى هَضَابِ الْأَرْضِ، فَأَكَلُوا ثَمَارَ الصَّحْرَاءِ، وَغَذَّاهُمْ بَعْلُ مِنْ حَجَرٍ، وَزَيَّتَا مِنْ حَجَرِ الصَّوَانِ، وَ... وَ...

الدخول الثاني كان بحبيل من الناس، إذ لا حاجة بهم إلى الله:

15: فَسَمِنْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَرَفَسُوا، سَمِنُوا، وَغَلَظُوا، وَاکْتَسَوا شَحْمًا (كتابية عن الترف)، فَرَفَضُوا إِلَهَهُ صَانِعَهُمْ، وَتَنَكَّرُوا لِلصَّخْرَةِ خَلَاصَهُمْ، 16: أَثَارُوا غَيْرَتَهُمْ الْغَرِيبةَ، وَأَغَاظَوْهُمْ بِأَصْنَامِهِمْ الرَّجْسَةَ، 17: لَآلهَةَ غَرِيبةَ لَمْ يَعْرُفُوهَا، بَلْ ظَهَرَتْ حَدِيثًا (المال والقوّة والنّاس)، آلهَةَ لَمْ يَرَهُبَا آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلِهِ، 18: لَقَدْ بَذَّلُوكُمُ الصَّخْرَ الَّذِي أَنْجَبْتُكُمْ، وَنَسِيْتُمُ اللَّهَ الَّذِي أَنْشَأْتُكُمْ.

﴿لَيَسْتُوْا وَجْهَكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا اُولَئِكَةَ﴾ ... (7 الإسراء).

19: فَرَأَى الرَّبُّ ذَلِكَ، وَرَذَلُهُمْ، إِذَا تَأْثَرُ أَبْنَاؤُهُ وَبَنَاتُهُ غَيْظَهُ، 20: وَقَالَ: سَاحِبُّ وَجْهِيْ عَنْهُمْ فَأَرَى مَاذَا سِيْكُونُ مَصِيرَهُمْ؟ إِنَّهُمْ جَيْلٌ مَتَّقْلِبٌ وَأَوْلَادُ خَوْنَةٍ، 21: ...، لَذَلِكَ سَائِرُهُمْ غَيْرُهُمْ بِشَعْبٍ مَتَّوْحِشٍ (أُولَئِكَ بَأْسٌ شَدِيدٌ)، وَأَغْيِظُهُمْ بِأَمَّةٍ حَمْقَاءَ [أَمَّةٌ لَا تَفْهَمُونَ لِغَتِهَا] 22: فَهَا قَدْ أَضْرَمَ غَضْبِيْ نَارًا، تُحرِقُ حَتَّى الْهَاوِيَةَ السَّفْلِيَّةَ، وَتَأْكُلُ الْأَرْضَ وَغَلَاثَهَا، وَتَحْرُقُ أَسْسَ الْجَبَالِ، 23: أَجْمَعُ عَلَيْهِمْ شَرُورًا، وَأَنْفَذُ سَهَامِيْ فِيهِمْ، 24: أَجْعَلُ أَنْيَابَ الْوَحْشِ، مَعَ حَمَّةَ زَوَافِ الْأَرْضِ تَشَبَّهُ فِيهِمْ، 25: يَكْلُهُمْ سَيفُ الْعُدُوِّ فِي الطَّرِيقِ، وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِمُ الرَّعْبُ دَاخِلُ الْخَدُورِ، فَيَهْلِكُ الْفَتَنَةَ، وَالرَّضِيعَ مَعَ الشَّيْخِ، 26: قَلْتُ: أَشَتَّهُمْ فِي زَوَابِيْا الْأَرْضِ، وَأَمْحُوْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ذَكْرَهُمْ (أَيْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى)، 27: لَوْلَا خَوْفِيْ مِنْ تَبْجُّعِ الْعُدُوِّ، إِذْ يَظْنُونَ قَاتِلِيْنَ: إِنْ يَدْنَا قَدْ عَظَمْتُ (أَعْدَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)، وَلَيْسَ مَا جَرِيَ مِنْ فَعْلِ الرَّبِّ.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ (7 الإسراء).

28: إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَمَّةٌ غَبِيَّةٌ وَلَا بَصِيرَةٌ فِيهِمْ (لَا يَعْقِلُونَ، وَلَا يَفْقَهُونَ)، 29: لَوْ عَقْلُوا لَفَطَنُوا لِمَالَهُمْ، وَتَأْمَلُوا فِي مَصِيرِهِمْ، 30: إِذَا نَكْرَمُهُمْ مِنْ كَرْمَةِ سَدُومِ، وَمِنْ حَقولِ عَمُورَةِ، (تَشَبِّهُ إِفْسَادَهُمْ وَإِصْرَارَهُمْ، يَأْسِدُونَ قَوْمًا لَوْطًا وَإِصْرَارَهُمْ) وَعَنْهُمْ يَنْضَعُ سَمَّاً، وَعَنْاقِدِهِمْ تَفِيْضُ مَرَّةً، 31: خَمْرُهُمْ حَمَّةُ الْأَفَاعِيِّ، وَسَمُّ الْثَعَابِينَ الْمَبِيتِ 32: أَلِيْسَ ذَلِكَ مَدْخَرًا عَنِّيْ، مَخْتَوْمًا عَلَيْهِ فِي خَرَائِيِّ؟ 33: لَيِ النَّقْمَةُ وَأَنَا أُجَازِيُّ، فِي الْوَقْتِ الْمُعْنَى (مَجِيَّ الْوَعْدِ)، تَزَلَّ أَقْدَامَهُمْ، فِي يَوْمٍ هَلَاكَهُمْ بَاتٌ وَشِيكًا، وَمَصِيرُهُمُ الْمُحْتَوْمُ يُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، (كَلَمَا أَمْعَنُوا فِي الْإِفْسَادِ اقْتَرَبَ مَوْعِدُ هَلَاكَهُمْ).

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرَحَمُكُمْ﴾ ... (8 الإسراء).

- 36: لأن الرب يدين شعبه (بني إسرائيل) ويرأف بعيده، عندما يرى أن قوتهم قد اضمحلت (زالت، بعد المرة الثانية) ... .

﴿قُلْ آدُعُ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّنْ دُونِي، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الظُّرُورِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (56 الإسراء).

- 32: 37 عندئذ يسأل الرب: أين آلهتكم؟ أين الصخرة التي التجروا إليها؟ 38: لتهب لساعدتكم، وتبسط عليكم حمايتها، 39: انظروا الآن: إني أنا هو، وليس إله معندي، أنا أُمِّي وأُحْيِي، أُسْحِق وأُشْفِي، ولا منقذ من بيدي، ... ، 41: إذا سَنَّتْ سيفي البارق، وأمسكت به بيدي للقضاء، فإني أنتقم من أعدائي وأجاري مبغضي، 42: أُسْكِر سهامي بالدم، ويلتهم سيفي لحماً، بدم القتلى والسبايا، ومن رؤوس قواد العدو (قادة إسرائيل)، ... .

**موسى عليه السلام يُخبر بنص النبوة قبل وفاته:**

- 32: 45 وعندما انتهى موسى من تلاوة جميع كلمات هذا الشيد على الإسرائليين، 46: قال لهم: تأملوا بقلوبكم في جميع الكلمات، التي أنا أشهد عليكم بها اليوم، لكي توصوا بها أولادكم، ليحرصوا على العمل بكلمات هذه التوراة كلها، 47: لأنها ليست كلمات لا جدوى لكم منها، إنها حياتكم وبها تعيشون طويلاً، في الأرض التي أنتم عابرون نهر الأردن إليها لترثوها ... 34: 5: فمات موسى عبد الرب، في أرض موآب [حسب] قول الرب .

نلاحظ هنا أن النبوة اعتبرها بعض التشويه من حذف أو إضافة أو تبديل، ولكنها حافظت على خطوطها العريضة، ونلاحظ أيضاً أنها فصلت المرتين كلاماً منها على حدة.

## حيثيات نفاذ الوعود الأولى في الأسفار الأخرى

**التوراة كمراجع تاريخي غير موثوق به:**

يرُجحُ كثير من الناقدين والباحثين الغربيين، من الذين وضعوا التوراة تحت المجهر، كونها العهد القديم من كتابهم المقدس، أنها كُتِّبَتْ بأيدي بشر، وذلك لما تحفل به من خرافات وأساطير، ولتناقضها مع العهد الجديد (الإنجيل)، وتناقضها مع المنطق والواقع، وتناقضها - أيضاً - مع المصادر التاريخية الأخرى في موضع عديدة، ويُجمع الكثير منهم أن كتابتها وجمعها قد تَمَّ بعد السبي البابلي، وجاء القرآن ليكشف الكثير من أكاذيبها وافتراءاتها، ونرى أنَّ منْ قام بإعادة كتابة التوراة هم أشخاص مُشَبِّعون بمشاعر الحقد والقهر والنقاوة والرغبة في الانتقام، وهذه المشاعر كلها، موجهة بالترتيب نحو:

- 1- رب العزة جلّ وعلا، (يقولون إن يعقوب عليه السلام صرع الله في البرية، واستطاع الله النجاة ببعض يعقوب في فخذه، فسبّب له عرق النساء، ومن أجل ذلك لا يأكل اليهود عرق النساء الذي في الفخذ، سفر التكويرن 32: 24 - 32، ويقولون عنه سبحانه إنه كثير البكاء وكثير التدم على ما أنزله بشعبه المقدس، ولذلك كانوا وما زالوا يعتقدون، أن الله سيصلح خطأ معهم، بإعادتهم إلى وطنهم، الذي طردوه منه بلا ذنب أو خطيئة، فالخطأ منسوب إلى الله ورسله ولمائته والشعوب المجاورة، أما شعب الله المقدس فليس له خطيئة، فهو حملٌ وديعٌ، وهذا نوع من الإسقاط النفسي، لعظم الخطيئة، وفداحة العقاب الذي وقع منهم وبهم).
- 2- الرسل والأنبياء، (يقولون إن موسى وهارون خانا الرب وسط الشعب، الثانية ؛ 32: 50 - 51، وهارون هو الذي صنع العجل الذهبي، الخروج 32: 1 - 6، وداود ارتكب خطيئة الزنا مع زوجة الجندي ؛ صموئيل الثاني ، 11: 1 - 27، وسلامان عبد آلهة أخرى، وقتل الشر في عيني الرب، كما فعل أبوه ؛ ملوك أول 11: 1 - 8).
- 3- الكنعانيين القدماء وورثتهم الجدد (الفلسطينيين)، (سفر التكويرن 9: 20 - 27: واشتغل نوح بالفلاحة، وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانيين عري أبيه، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانوا في الخارج، فأخذ سام ويافت رداءً ووضعاه على أكتافهما، ومشياً القهقرى إلى داخل الخيمة، وستراً عورة أبيهما من غير أن يستدروا بوجهيهما نحوه ف Yusra عورته . وعندم أفاق نوح من سكره، وعلم ما فعله ابنه الصغير، قال : ليكن كتعان ملعونة ، ول يكن عبد العبيد لأخوته ، ثم قال : تبارك الله إله سام ، ول يكن كتعان عبداً له ، ليوسع الله ليافت ، ول يكن كتعان عبداً له ).
- 4- الكلدانين في بابل ، وورثتهم الجدد (ال العراقيين )، ( وأحقادهم على بابل وأهلها).
- 5- جميع شعوب الأرض ما عدا اليهودي الصرف . ( والأمثلة على ذلك موجودة في أسفار موسى ، ونصوص التلمود).
- 6- سبط بنiamin الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام .  
ومشارع الحقد والرغبة في الانتقام كلها ممَّن ذُكروا أعلاه أفرغها الكتبةُ (الكهنة والحكماء) في كتابهم المقدس (التوراة) ، فأعادوا جمعها ونسخها ، تحت وطأة افعالات نفسية رهيبة ، وفبركة جميع أسفارها ، بما يتاسب مع تلك المشاعر ، بعد السبي البابلي . إنها أكبر فاجعة أصيب بها بنو إسرائيل والأكثر إيلاماً على مر التاريخ .

وقد تبيّن أنَّ هناك تطويلاً وتكراراً غير مبرر، للحدث نفسه وللموضوع نفسه، وأحياناً يكون هذا التكرار للسفر نفسه كاملاً تحت مُسمَّين، مثل أسفار أخبار الأيام وأخبار الملوك، مع اختلاف بسيط، وأحياناً للفقرة نفسها في السُّفر نفسه، وهذا التكرار يدلُّ على أن نصوص التوراة جُمعت على الأقل من مصدرين مختلفين، وأخذت النصوص منها، وجمعت في كتاب واحد، دون تفضيل نصٍّ على آخر، فالحدث الواحد أحياناً يتكرر مرتين وثلاثة، دون وجود فارق جوهري في المضمن.

ومن مطالعة التوراة مطالعة متكررة تجد أن التوراة قد جُمعت فعلاً من نسختين مُختلفتين، وأنَّ إحدى النسختين حُرفت أكثر من الأخرى، وأنَّ لغة كُلٌّ منها تختلف عن الأخرى، فغالباً ما يكون هناك مُسمَّين للشخص نفسه والمكان نفسه، حتى يحال للقارئ أنها أسماء لشخص أو أماكن مختلفة، وكمثال على ذلك إبرام وإبراهيم، وساراي وسارة، وصحراء سين وصحراء سيناء، جبل حوريب وجبل سيناء، وملكة يهودا وملكة إسرائيل، والنبي البابلي والنبي الآشوري. وهذا الارتباط الذي وقع فيه مؤلفو التوراة المتأخرة، أثناء محاولة التوفيق بجمع ما جاء في النسختين، تسبَّبَ في هذا العرض التاريخي المشوه للوقائع، مما أفقد التوراة مصداقيتها حتى للكثير من الباحثين اليهود أنفسهم، ولكلٍّ من بحثَ من علماء التقييب والآثار. ولكنها بقيت المرجع التاريخي الوحيد لتاريخ بنى إسرائيل.

وفي كثير من الأحيان تجد قصصاً هزلية، كقصة عِرقِ النساء وصراع يعقوب مع الله، وفبركة قصة نوح وأولاده أعلاه، ناهيكَ عن ألفاظها البذيئة، ورائحة اللحوم والدماء، والخمور والمشاوي والهش والنশ ... إلى آخره، وما يربط التوراة بالوحى هو ما يظهر في ثناياها من خطوط عريضة، هي البقية الباقيَة التي سلَّمتْ من أيديهم، رغمَ عن أنوفهم، وهذا لا يعني أنَّ لا نقرأ هذا الكتاب، بل على العكس تماماً، توجب على المسلمين قراءته، وقراءة التلمود أيضاً منذ أمد بعيد، وقراءة ما كُتبَ فيما من مؤلفات ناقدة، لمعرفة العقلية التي يفكِّر بها هؤلاء، ولمعرفة ما يطمحون إليه.

#### مملكة شمالية ومملكة جنوبية:

تقول الأسفار التاريخية في التوراة بأنَّ مملكة سليمان انقسمت بعد موته إلى ملكتين؛ جنوبية في القدس واسمها يهودا (القدس) وهي الأصل، وشمالية واسمها إسرائيل (نابلس) وهي المنشقة.

## وصف فساد المملكة الشمالية:

يذكر كتبة التوراة أن المملكة الشمالية فَسَدَتْ وَفَسَدَتْ، (ملوك أول : 12 - 25 - 33). وحصن يرباع (ملك الشمالية) مدينة شكيم (نابلس)، في جبل أفرام وأقام فيها، ...، وبعد المشاورة سَبَّكَ الملك عجلٍ ذهب، وقال للشعب: إنَّ الذهاب إلى أورشليم للعبادة، يعرضكم لشقة عظيمة، فيها هي آلهتك يا إسرائيل، التي أخرجتك من ديار مصر.

وأما إفسادهم حسب ما يروونه هم عن أنفسهم، فقد جاء في سِفِر الملوك الثاني مانصه، 17: 9: وارتَكَبْ بنو إسرائيل في الحفاء العاصي، في حقَّ الربِّ إِلَهِهِمْ، ... 11: واقتَرَفُوا الموبقات لإغاظة الرب، عابدين الأصنام التي حذَرُوهُمْ، ونهَاهُمْ الربُّ عَنْهَا، ... 16: ونبذوا جميع وصايا الرب، 17: ...، وتعاطوا العرافة والفال (السُّحرُ والكهانة)، ... 22: ولم يعدل الإسرائيليون عن ارتكاب جميع خطايا يرباع، بل أمعنوا في اقترافها، 23: فنَفَى الربُّ إِسْرَائِيلَ من حضره، كما نطق على لسان جميع الأنبياء، فَسُبِّيَ الإِسْرَائِيلُونَ إلى آشور، إلى هذا اليوم (أي اليوم الذي كتبوا فيه هذا النص بعد السبي بعده طولية).

## وصف فساد المملكة الجنوبيَّة:

وأما ما يُنْسَبُ من إفساد إلى ملوك المملكة الجنوبيَّة، فقد جاء في السفر نفسه مانصه، 21: 2: وارتَكَبَ الشَّرُّ في عينيَّ الربِّ، مقتَرِفًا رجاسات الأمم الذين طردُوهُمْ الربُّ من أمام بني إسرائيل، 3: ...، وأقام مذابح البعل، ونصب تماثيل عشتاروت (مدينة بابلية)، وسجد لكتاب السماء، وعبدُها، 6: وجاًءَ إلى أصحاب الجان والعرافين، وأوغَلَ في ارتكاب الشر، ... 10: ثم قال الربُّ على لسان عيده الأنبياء: لأنَّ مَنْسَى ملَكِ يهُودَا اقْتَرَفَ جَمِيعَ هَذِهِ الموبقات، وأضلَّ يهُودَا ...، 12: ...، هَا أَنَا أَجْلِبُ شَرًا عَلَى أُورْشَلِيمٍ وَيَهُودَا، 13: ...، وأمسَحُ أُورْشَلِيمَ كَمَا يَمْسِحُ الطَّبْقَ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ، 14: وَأَبْنَدُ شَعْبِيَّ وَأَسْلَمُهُمْ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ، فَيَصْبِحُونَ غَنِيمَةً وَأَسْرَى لَهُمْ، 15: لَأَنَّهُمْ ارْتَكَبُوا الشَّرَّ في عينيَّ، ... 16: وزاد مَنْسَى فَسَكَّ دَمَ أَبْرِيَاءَ كَثِيرِينَ، حتَّى مَلَأَ أُورْشَلِيمَ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا، فَضْلًا عَنْ خَطْبِتِهِ الَّتِي اسْتَغْوَى بِهَا يَهُودَا، ... .

وتُخَبِّرُ التوراة أنَّ الحروب استمرت بين الملوكَيْنِ، واستعانت المغلوب بالأقوام المجاورة على الآخر، إلى أنْ جاء الغزو الآشوري، وُسُبِّيَ المَلَكَةُ الشَّمَالِيَّةُ 721 ق. م.

وتَتَابَعَ الملوك الجنوبيون في ارتكاب الشر في عينيَّ الرب (حسب قولهم)، وفي عهد الملك يهوياتيم، هاجم نبوخذ نصر (بختنصر) مملكة يهودا، وخضعت له ثلاثة سنوات، ثم تعرَّدَ

عليه (يهوذا)، 24: 2: فأرسل الرب غزاة من كلدانيين وأراميين وموآبيين وعمونيين (سكان العراق والأردن القديمة)، للإغارة على مملكة يهوذا وإبادتها، بموجب ما قضى به الرب على لسان عبيده الأنبياء، 4: وانتقاماً للدم البريء الذي سفكه (منسى)، إذ أنه ملأ أورشليم بدم الأبرياء، ... .

وفي عهد الملك (يهوذا)، 24: 10: ... زحف قادة نبوخذنصر ملك بابل على أورشليم، وحاصروا المدينة، ثم جاء نبوخذنصر بنفسه، وتسليم زمام القيادة، فاستسلم (يهوذا)، ... واستولى على جميع ما في خزائن الهيكل والقصر، ...، تماماً كما قضى الرب، 14: وسبى نبوخذنصر أهل أورشليم، (وكما يقولون إنه ولّى ابن عم الملك خلفاً له، وسمّاه صديقاً، وبعد سنوات ارتکب صديقاً الشر في عيني الرب كالعادة، وعمرد على ملك بابل، وأنذاك)، 25: 1: زحف نبوخذنصر ملك بابل بكامل جيشه على أورشليم، وحاصرها، ...، 3: تفاقمت المجاعة في المدينة، حتى لم يجد أهلها خبزاً يأكلونه، 6: فأسروا الملك (الذي كان ينوي الهرب) واقتادوه إلى ملك بابل، ...، ثم قتلوا أبناء صديقاً على مرأى منه، وقلعوا عينيه، وساقوه إلى بابل، ...، 9: وأحرق الهيكل وقصر الملك وسائر بيوت أورشليم، وسبى نبوزرادان (قائد الحرس الملكي) بقية الشعب ...، 121، ولكنه ترك فيها فقراء الأرض المساكين. 13: وحطّم الكلدانيون أعمدة النحاس وبركة النحاس ... إلى آخره، (محطّيات كلها الهيكل ونقلوها إلى بابل)، 18: وسبى رئيس الحرس الملكي (سرايا رئيس الكهنة وأعوانه وقادة الجيش وندماء الملك، وفي الجمل هم عليه القوم وزمرة الفساد والإفساد في الأرض) فقتلهم ملك بابل في المعسكر في أرض حماة (المدينة السورية)، وهكذا سُبي شعب يهوذا من أرضه.

فما أطول باله هذا النبوخذنصر ! حتى يزحف عليهم مراراً وتكراراً. والحقيقة أنه زحف عليهم مرة واحدة، وبشكل مفاجئ، فأباد ملكتهم، وما هذا التطويل والتطويل والتكرار إلا من صنع أيدي الكتبة، وما (يهوذا) و(يهوذا)، إلا تسميتين للملك نفسه الذي حصل في عصره السبي البابلي.

#### مملكة واحدة وبعث واحد:

ما تقدّم من نصوص كان من الأسفار التي يُسمونها الأسفار التاريخية التي أرّخت لعصر الملوك، ابتداءً من طالوت وداود وسليمان، وانتهاءً بيهوذا، وقع السبي البابلي في عصره. والحقيقة أنه لم يكن هناك ملكتان، ولم يكن هناك سبيان، وإنما مملكة واحدة وسبى واحد. ولكن؟ نتيجة كتابة التوراة بتلك الطريقة المزدوجة أصبحت المملكة ملكتين، وأصبح الزحف البابلي زحفين، وخل الإشكال قُولبَوه في زمانين مختلفين.

أما ادعاء انقسام المملكة ، فالقرآن أثبت بطلانه في موضعين ، أولًا ؛ ذكر العلو مررتين كاملة في زمانين مختلفين ، ثانياً ؛ الآية التي تتحدث عن سفكهم دماءهم وإخراجهم أنفسهم تؤكد أن ذلك لم يكن انشقاقاً في الحقيقة ، بل كان ذلك قتلاً وإخراجاً وسلباً لطائفة مستضعفة من قومهم ، وفي الحقيقة ، وقع هذا الفعل في سبط الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام ، الذي تسميه التوراة (بنيامين) ، وما كان بإمكان هؤلاء إقامة دولة في أراضي الكنعانيين المجاورة ،

التي جلّوا إليها ، وما كانت حروفهم مع المملكة الأم ، إلا ضمن جيوش الكنعانيين وهو الأرجح ، أو كثوار لاسترداد أسلابهم وديارهم .

وربما أن بعضهم استجده بالبابليين ، كنوع من الانتقام ، «تأسّهم بينهم شديدٌ تحسّهم جيغاً وقلوبهم شتى» فاستجابوا لهم ، وربما كان ذلك طمعاً في كنوز هيكل سليمان ، والله أعلم . حيث لم يأتِ ذكر في التاريخ للنبي الآشوري لعشرة أسباط (قبائل) من المملكة الشمالية ، حسب ما يدعى مؤلفو التوراة ، حتى إن بعض الباحثون الذين صدقوا التوراة ، يتساءلون عن كيفية اختفاء تلك القبائل ، التي سُبيت إلى مدينة أشور برمتها ، ومن المرجح أن اختراع قصة المملكة الثانية وسبوها هو أحد مظاهر الإسقاط النفسي ، لمن عوّقا على الذين لم يُعاقبوا ، من أخرجوها من ديارهم رغم أنوفهم ، تجنباً وتخفيفاً للشعور بالألم كلما طرأ على مخيّلتهم تلك الذكرى الأليمة ، ويحصل هذا عادة . على المستوى الشخصي - فور تعرض الشخص لحادثة مؤلمة ، فيعزّو الأخطاء التي تسببت في الحادثة إلى الآخرين .

### تحذيرات الأنبياء من الإفساد:

جاء التحذير من الاستهانة بنص النبوة ، ومغبة الإفساد عند العلو ، والتخويف من العقاب ، التي كانت بدايتها نصاً في كتاب موسى عليه السلام ، وعلى لسان الأنبياء المتعاقبين كلهم ، داعين إلى الالتزام بشرعية موسى ، ومحترّين من تركها ومخالفتها على مدى عمر مملكتهم ، بدءاً من سليمان عليه السلام ، وانتهاءً بإشعيا وإرميا عليهما السلام ، إن كانوا أنبياء .

وهذا هو التحذير الذي جاء على لسان سليمان ، بعد انتهاءه من بناء الهيكل ، الأيام الثاني : 7 : 19 : ولكن ، إن انحرفتم ونبذتم فرائضي التي شرعتها لكم ، وضللتكم وراء آلهة أخرى وعبدتوها وسجدتم لها ، 20 : فإني أستأصلكم من أرضي التي وهبّتها لكم ، وأنبذ هذا الهيكل الذي قدّسته لاسمي (جعلته قائماً لذكرىي) ، وأجعله مثلاً ومثار هُزءٍ لجميع الأمم ، 21 : ويغدو هذا الهيكل الذي كان شامخاً عبرة يُثير عجب كل من يمرّ به .

وبالإضافة إلى ما تقدم، هذا عرض لجزء يسير، من النصوص الكثيرة والمطولة والمكررة، لما جاء في أسفار بعض أنبيائهم (الكبار)، اخترناها لتكميل معالم الصورة من الجانب الآخر.

### تحذيرات إشعيا:

إشعيا هو أول الأنبياء الكبار وهم أربعة، ويُقال إنه بُعث في فترة، بلغ فيه إفسادبني إسرائيل الذروة، قبل وقوع السبي البابلي، حيث أن سفره جاء حافلاً بالتفريغ والتويبيخ والتحذير والإذار، والتذكير بنص النبوة الذي جاء به موسى، ويروى أنه من الأنبياء الذين قُتلوا (التعريف بأصحاب الأسفار من الأنبياء، مستفادة من مقدمة المترجم لكل سفر):

١: ٤: ويل لأمة الخاطئة، الشعب المغلظ بالإثم، ذرية مرتکبی الشر، أبناء الفساد. ١٠: اسمعوا كلمة رب يا حكام سدوم (قرية لوط)، ... ١٥: عندما تسطون نحوی أیدیکم أحجب وجهی عنکم، وإن أكثرتم الصلاة لا أستجيب، لأن أیدیکم مملوءة دماً، ١٦: أغتسلوا، تطهروا، أزيلوا شر أعمالکم من أمام عینی، كُفوا عن اقتراف الإثم، ١٧: وتعلموا الإحسان، انشدوا الحق، أنصِفوا المظلوم، اقضوا للبيت، ودافعوا عن الأرمدة، ... ١٩: إن شتم وأطعتم تتمتعون بخيرات الأرض، وإن أبيتم وتتردتم فالسيف يلتهمکم، لأن فم رب قد تكلم (ويستطرد واصفاً حال المدينة آنذاك)، ٢١: ... كانت تفيض حقاً، ويأوي إليها العدل، فأصبحت وكراً للمجرمين، ٢٢: صارت فضتك مزيفة، وخررك مغضوشة بماء، ٢٣: أصبح رؤساوك عصاة، وشركاء لصوص، يولعون بالرشوة، ويسعون وراء الهبات، لا يدافعون عن اليتيم، ولا تُرفع إليهم دعوى الأرمدة.

٣: ٨: قد كَبَّتْ (وَقَعَتْ) أورشليم، انهارت يهودا (المملكة)، لأنهما أساءتا بالقول والفعل إلى رب، وتمردتا على سلطانه، ٩: ملامح وجوههم تشهد عليهم، إذ يجاهرون بخطيئتهم كسدوم ولا يسترونها، فويل للذين جلوا على أنفسهم شرآ، ١٠: ولكن؛ بشرروا الصديقين بالخير، لأنهم سيتمتعون بثواب أعمالهم، ١١: أما الشرير فويل له وبئس المصير، ١٢: ... إن قادتکم يُصلونکم ويقتادونکم في مسالك منحرفة ... .

٤: ١١: ويل لمن ... يسعون وراء المسنِكِ ... ، ١٢: يتلهون في مآدبهم بالعود والرباب والدف والنای والخمر، غير مكترين بأعمال رب، ... ١٣: لذلك يُسبى شعبي لأنهم لا يعرفون، ويموت عظماوهم جوعاً، وتهلك العامة عطشاً، ... ١٥: ويُذلّ الإنسان ويُخْفَض الناس ويُحطّ كل مت shamخ فيها، (الذل بعد العلو) ... ١٨: ويل لمن يجررون الإثم بحال الباطل، ... ١٩: ويقولون ليسع ويُعجل بعقابه حتى نراه (انظر الآيات ٩٢، ٩٩ الإسراء و ٥٨، ٥٩ الكهف)، ليُنفذ مقدس إسرائيل مأربه فيما، فندرك حقيقة ما يفعله بما، ٢١: ويل

للحكماء في أعين أنفسهم، والأذكياء في نظر ذواتهم، ... 25: لذلك احتمم غضب الرب ضدّ شعبه، فمدّ يده عليهم وضرّهم، فارتعدت الجبال، وأصبحت جثث موتاهم كالقاذورات في الشوارع، ومع ذلك لم يرتدّ غضبه، ولم تبرح يده محدودة بالعقاب، 26: فيرفع راية لأمم بعيدة، ويصفر لمن في أطراف الأرض، فيقبلون مُسرعين، 27: دون أن يكلّوا أو يتعثروا أو يعتريهم نعاسٌ أو نومٌ ... 28: سهامهم مسنونة، وقسيهم مشدودة، حوافر خيلهم كأنها صوان، عجلات مركباتهم مندفعه كالإعصار، 29: زئيرهم كأنه زئير أسد، يز مجر وينقض على فريسته، ويحملها وليس من منقد، 30: يُز مجرون ... كهدير البحر، وإن جاس أحدهم في البلاد متفرساً، لا يرى سوى الظلمة والضيق، حتى الضوء قد احتجب وراء سحبه ... .

10: 1: ويلٌ للذين يستون شرائع ظلم، وللكتبة الذين يسجلون أحكام جور، 2: ليصدوا البائسين عن العدل، ويسلبا مساكين شعبي حقّهم، لتكون الأراميل مغنمأ لهم، وينهبو اليتامي، 3: فماذا تصنعون في يوم العقاب، عندما تقبل الكارثة من بعيد إلى مَنْ تلجمون طلباً للعون؟ وأين تودعون ثروتكم؟ لم يبق شيء سوى أن تخشوّا بين الأسرى، وتسقطوا بين القتلى، ... 21: وترجع بقية ذرية يعقوب إلى ربّ القدير، مع أن شعبك يا إسرائيل، فإن بقية فقط ترجع، لأن الله قضى بفناهم، وقضاؤه عادل ... .

46: 8: اذكروا هذا، واتعظوا، انقوسو في آذانكم أيها العصاة، تذكروا الأمور الغابرة القديمة، لأنني أنا الله وليس إله آخر، 10: وقد أبْنَتُ بالنهاية منذ البداية، وأخبرتُ منذ القدم - بأمور لم تكن قد حدثت بعد، قائلًا: مقاصدي لا بدّ أنْ تتم، ومشيتي لا بدّ أنْ تتحقق، 11: أدعوا من المشرق الطائر الخارج، ومن الأرض البعيدة برجل مشورتي، قد نطقـت بـقضائي، ولا بدّ أنْ أجريه، ... 12: أصنعوا إلـيـاً يا غلاظ القلوب، أيها البعيدون عن البرّ، 13: لقد جعلـتُ أوان بـرـيـ قـرـيـاً، لم يـعـدـ بـعـيـداً، وـخـلاـصـيـ لـاـ يـطـئـ ... 30: 15-17: لأنـ هـكـذاـ قالـ الـربـ، قـدوـسـ إـسـرـائـيلـ: إـنـ خـلاـصـكـ مـرهـونـ بـالـتـوـيـةـ وـالـرـكـونـ إـلـيـ، وـقـوـتـكـ فـيـ الطـمـانـيـةـ وـالـثـقـةـ بـيـ، لـكـنـكـ أـبـيـتـ ذـلـكـ، وـقـلـتـ: لـاـ، بـلـ نـهـرـبـ عـلـىـ الـخـيلـ، أـنـتمـ حـقـآـ تـهـرـبـونـ، لـهـذـاـ فـيـانـ مـطـارـدـيـكـمـ يـسـرـعـونـ فـيـ تـعـقـبـكـمـ، يـهـرـبـ منـكـمـ أـلـفـ مـنـ زـجـرـةـ وـاحـدـ، وـتـشـتـتـونـ جـمـيعـاـ مـنـ زـجـرـةـ خـمـسـةـ، حـتـىـ تـرـكـواـ كـسـارـيـةـ عـلـىـ رـأـسـ جـبـ ... .

نلاحظ أن إشعيا يدعو إلى التوبة والإصلاح، ويصف ما وصل ببني إسرائيل من إفساد، وينذّرهم ويحذرهم، ويعيد إلى ذهانهم، مضمون تلك النبوة، التي جاءت في أسفار موسى، ونصوص إشعيا لم تتحمل في طياتها تصريحًا عن ماهية المبعوثين، سوى أن الفقرة الأخيرة، ذكرت جهة مخرج البعث، ور بما يكون ذلك إضافة من مؤلفي التوراة.

## تحذيرات إرميا:

إرميا هو ثانى الأنبياء الكبار، ويُقال إن هذا النبي ، عاش في الفترة ما قبل وما بعد ، التي وقع فيها السبي البابلي ، وكان فحوى رسالته دعوة قومه إلى التوبة والعودة إلى الله ، والتخلص عن الأوهام ، وتقدير الله حق قدره ، فلا ملجاً منه إلا إليه ، ولا يردّ غضبه قوة أو مال أو جاه . وقد وصف هذا النبي (بالنبي البكاء) ، من كثرة بكائه على قومه ، بعد وقوع الكارثة التي طالما حذرهم منها ، فلم يستجيبوا له .

٧: 2 : اسمعوا كلام الرب ... 3: قوموا طرقكم وأعمالكم فأسكنكم في هذا الموضع ، 4: لا تتكلوا على أقوال الكذب (النفاق) 5: لكن ، إن قومتم حقاً طرفاكم وأعمالكم ، وأجريتم قضاء عادلاً فيما بينكم ، 6: إن لم تجوروا على الغريب واليتيم والأرملة ، ولم تسفروا دمأً بريئاً ... وإن لم تضلوا وراء الأوثان ، 7: عندئذ أسكنكم في هذا الموضع ... إلى الأبد 8: ها أنتم قد اتكلتم على أقوال الكذب (نافقتم) ، ولكن ، من غير جدوى ، 9: أنسرون وتقتلون وتذنون وتختلفون زوراً وتبخرون للبلع (الصنم) ، 10: ثم تمثلون في حضرتي ... هل أصبح هذا الهيكل (الذي أقيم لذكرى) مغاراة لصوص ؟ ! ... 20: لذلك يُعلن الرب: ها غضبي وسخطي ينصبان على هذا الموضع ...

٨: 7: إن اللقلق في السماء يعرف ميعاد هجرته ، وكذلك ... ، أما شعبي فلا يعرف قضاء الرب ! 8: كيف تدعون أنكم حكماء ، ولديكم شريعة الرب ، بينما حوالها قلم الكتبةِ المخادع إلى أكذوبة ؟ سيلحق الخزي بالحكماء ، ويعتبرهم الفزع والذهول ، لأنهم رفضوا كلمة الرب ، إذ أي حكمة فيهم ؟ لذلك أعطي نساءهم لآخرين ، وحقولهم للوارثين الظاهرين ، لأنهم جميعهم من صغيرهم إلى كبيرهم مولعون بالربيع ، حتى النبي والكافر يرتكبان الزور في أعمالهما ، ويعالجون جراح شعبي باستخفاف ، قائلاً: سلام ، سلام ، في حين لا يوجد سلام ، هل خجلوا عندما ارتكبوا الرجس ؟ ! كلا ، لم يخزوا فقط ، ولم يعرفوا الخجل ، لذلك سيسقطون بين الساقطين ، وحين أعقابهم يُطوح بهم ، يقول الرب .

٩: 10: اسمعوا ، ها أخبار تتوارد عن جيش عظيم ، مقبل من الشمال ، ليحوّل مدن يهودا إلى خراب وموى لبني آوى .

١٠: 22: انظروا ، ها شعب زاحف من الشمال ، وأمة عظيمة تهبّ من أقصاص الأرض ، تسلّحت بالقوس والرمح ، وهي قاسية لا ترحم ، جلبتها كهدية البحر ، وهي مقبلة على صهوات الخيل ، قد اصطفت كإنسان واحد ، لحاربك يا أورشليم ، سمعنا أخبارهم المرعبة

فدبّ الوهن في أيدينا، وتولّانا كرب وألم، كالم امرأة تعاني المخاض، لا تخرجوا إلى الحقل، ولا تمشوا في الطريق، فللعدو سيف، والهول مُحدق من كل جهة، فيما أورشليم ارتدي المسوح، وترغبي في الرماد، ونوحى كمن ينوح على وحيده، واتجّبى نحيياً مرأة، لأن المدمر ينقض علينا فجأة، إني أقمتك مُمتحناً للمعدن (إقامة ملكتهم كان لامتحانهم)، وجعلت شعبي مادةً خام، لكي تعرف طرقهم وتفحصها، فكلّهم عصاة متمردون ساعون في النمية، هم نحاس وحديد، كلّهم فاسدون .

• 23: وأجمع شتات غنمي من جميع الأراضي، التي أجليتها إليها، وأردها إلى مراعيها، فتتمو وتكلاثر، وأقيم عليها رعاة يتعهدونها، فلا يعتريها خوف من بعد، ولا ترتد ولا تضلّ، ها أيام مقبلة أقيمت فيها للداود ذرية بَرَّ، ملكاً يسود بحكمة، ويجري في الأرض عدلاً وحقاً، في عهده يتمّ خلاص شعب يهوداً، ويسكن شعب إسرائيل آمناً .

• 30: ها أيام مقبلة أردّ فيها سبي شعبي ...، وأعيدهم إلى الأرض التي أعطيتها لأبائهم فيثونها، (ثم يقول): سمعنا صراخ رعب، عم الفزع وانقضاض السلام، ...، ما أرهب ذلك اليوم، إذ لا مثيل له، هو زمن ضيق على ذرية يعقوب، ولكنها ستتجو، في ذلك اليوم، يقول ربُّ القدير: أحطم أيار أعناقهم وأقطع رُبْطهم (أي أرفع قيود العبودية والذلة عنهم) فلا يستعبدُهم غريبٌ فيما بعد، بل يبعدون ربَّ إلهمهم، وداود ملکَهم الذي أقيمه عليهم (شرك بالله)، ... فيرجع نسل إسرائيل، ويطمئنُ ويستريح، من غير أن يُضايقه أحد، ...، فأيَّدُ جميع الأمم التي شتَّكَ بينها، أمْ أنت فلا أُفنيك، أُودِّبك بالحق، ولا أُبرئك تبرئة كاملة، ...، (الخطاب موجة لأورشليم) إنْ جرحك لا شفاء له، وضرتك لا علاج لها، إذ لا يوجد من يدافع عن دعواك، ...، قد نسيك محبوك، وأهملوك إهماماً، لأنني ضربتك كما يضربُ عدو، وعاقتبت عقاباً مبغض قاس، لأن إثنك عظيمٌ وخطاياك متکاثرة، ...، لهذا أوقعتك بالمحن، ولكن، سيأتي يوم يُفترس فيه جميع مُفترسيك، وينذهب جميع مضائقك إلى السبي، ويصبح ناهيك منهوبين، لأنني أردّ لك عافيتك وأبرئ جراحك .

النصوص الأخيرة، من النصوص المضللة، التي شكّلت قناعات ومعتقدات عامة اليهود؛ حكماء ومجفلين، وملخصها أنهم في المرة الثانية، سيقيمون لهم دولة في أرض اليهاد، وسيُعثّ لهم ملك من نسل داود عليه السلام، يحكم الأرض كلها بالحق والعدل، وليس فلسطين فقط، ففلسطين لا تسع لأحلامهم وأوهامهم وهلاوسهم وأماناتهم، وينعم اليهود تحت حكمه بالسلام والأمن إلى الأبد (فلا بعثا ولا نشوراً)، ويكون فيها اليهود أسياداً، وبباقي خلق الله عيدين تحت أقدامهم .

لقد أضاع كتبة التوراة الحقيقة، وظلموا أجيالهم القادمة من حيث لا يعلمون، فكذبوا الكذبة وصدقها أبناءهم، وأصبحت من صميم معتقداتهم، فالمعاصرون من اليهود والنصارى، يتعاملون مع كل نصوص التوراة، بغضها وسميتها، على أنها من عند الله، ولا مجال لتكذيبها. يقولون إن النص التالي هو رسالة من إرميا إلى المسييين في بابل، يُخبرهم فيها أن مقامهم هناك سيكون طويلاً، وينصحهم فيها بأن يُقيموا فيها وبينوا بيوتاً، ويتزوجوا ويتکاثروا، وهذا جزء من نصها:

٢٩: ١٠ : ولكن، بعد انقضاء سبعين سنة عليكم في بابل، ألتفت إليكم وأفي لكم بوعودي الصالحة، بردكم إلى هذا الموضع، لأنني عرفت ما رسمته لكم، إنها خطط سلام لا شر، لأمنحكم مستقبلاً ورجاء، ...، وحين تجدونني، أردُّ سيكم، وأجمعكم من بين جميع الأمم، ومن جميع الأماكن التي شتكم إليها، ... .

في الحقيقة إن كتبة التوراة، كانوا يعتقدون أن عودتهم الجزئية، من بابل إلى أورشليم، بعد (٧٠) سنة من السبي، في عهد كورش الفارسي كما يروون، هي العودة الثانية التي سيتحقق فيها، النصف الثاني من نبوءة موسى وإشعيا وارميا، ومنذ ذلك اليوم وهم يتظرون أن يُبعث فيهم (الملك الإله) ليُقيم لهم دولة في القدس، فلم يكن لهم ذلك، ويرى أن الذين رجعوا من بابل أعادوا بناء الهيكل، مع معارضته القيمين. وطال انتظارهم، وبين عامي (٣٦ق. م - ٧٥م) أي مائة سنة تقريباً، حصلوا على حكم ذاتي محدود (المملكة الميرودية، وكان الملك من أصل يهودي آرامي)، تحت التاج الروماني، وفي زمانهم تواجد ذكريها وبحسي، وبُعث إليهم عيسى عليه السلام، فتأمروا عليه ودفعوه إلى الرومان، لقتله وصلبه، حيث كانت سلطة القتل في أيدي الرومان الوثنيين.

وبعد زوال ملكتهم على يد (نبوخذنصر) البابلي عام ٥٨٦ ق. م، وحتى تشتتهم النهائي على يد (هادريان) الروماني عام ١٣٥ م أخرج أغلبية اليهود منها، ولم تقم لليهود في فلسطين قائمة، وأقصى ما استطاعوا الحصول عليه هو ذلك الحكم الذاتي في بداية الحكم الروماني لبلاد الشام، حيث قضى هذا الإمبراطور على أيأمل لهم في إعادة إقامة دولتهم الثانية، فكان انتشارهم في أرجاء العالم كافة.

(ولنكم النصوص من سفر إرميا)، ٣١: ٨: هآتي بهم من بلاد الشمال، وأجمعهم من أقصى أطراف الأرض، وفيهم الأعمى والأعرج، الجبلى والماхض، فيرجع حشد عظيم إلى هنا.

٣١: ٢٧: ها أيام مقبلة، يقول الرب، أكثُر فيها ذرية إسرائيل وبهودا، وأضاعف نتاج بهائهم أضعافاً، وكما تربصتُ بهم لاستأصل، وأهدم وأنقض وأهلك وأسيء، كذلك أسر علیکم لأبنيکم وأغرسكم.

٣١: ٣٣: سأجعل شريعي في داخلهم، ...، وأكون لهم إلهًا ويكونون لي شعباً، لأنني سأصفح عن إثمهم، ولن أذكر خطاياهم من بعد.

(وهذا محض افتراء وتحريف، وتتبع هذه الأكذوبة عبارات مبهمة، ومن ثم تُفاجأ بهذه العبارة التي تقول): عندئذ أَبْنِ ذرية إسرائيل من أجل كل ما ارتكبوه، (لتفهم أن العبارات المبهمة، كانت بدلاً من عبارات حذفها، وهي عبارات مفادها اشتراط الإحسان للثواب والإفساد للعقاب).

٣١: ٣٨: ها أيام مقبلة، يُعاد فيها بناء هذه المدينة للرب، ...، ولن تستأصل أو تهدم إلى الأبد. ويلاحظ من خلال التبع لما جاء في المرة الثانية، أنهم بعد كل عقاب مأساوي يحل بهم، يبدؤون بذكر العودة والجمع من الشتات، والبركة والكثرة، وفيضون فيها وصفاً وشرحاً، والتبيّحة تكون على الدوام هي، انتصار ربهم على أعدائهم ومحقّهم عن بكرة أبيهم وجعل أرضهم صحراء قاحلة، أما هم فيعيشون جنة ونعمياً، ويكون لهم الملك في الأرض إلى الأبد، بعد أن رضي عنهم ربهم ورضوا عنه.

(وانظر إلى هذه النبوة في المرة الثانية على لسان الرب) ٤٢: ١٠: إن أقمتم في هذه الأرض، فإنني أبنيكم ولا أهدمكم، وأغرسكم ولا استأصلكم، لأنني أسفت على الشر الذي ألحقته بكم (ربهم يأسف)، لا تخشو املك بابل، الذي أنتم منه خائفون، فإني معكم لأخلصكم وأنجيكم من يده (بلا قيد أو شرط)، وأنعم عليكم، فيرحمكم ويردكم إلى أرضكم، (فربهم يأسف، ويحضّهم على عدم الخشية من ملك بابل).

### النبي البابلي:

هذا الحدث المشهور تاريخياً والمعروف (بالنبي البابلي)، هو أول وأقسى وأفظع حدث وقع في تاريخ اليهود ككلمة، أثناء تواجههم في فلسطين، من حيث الأذى الجسدي والنفسي، وكان له أبلغ الأثر في وجdan وفكّر الشعب اليهودي، وليس أدل على ذلك من أن عدد الصفحات التي تتطرق إلى ذكر متعلقات هذا الحدث، وتفصيله من جميع جوانبه، هو (٣٥٠) صفحة، أي ما يعادل ثلث التوراة. وقد جاء في كتاب (الاختراق الصهيوني للمسيحية) (٤٠٠)

للقس إكرام لمعي، ونقلًا عن كتاب (تاريخ اليهود) للكاتب (بول جونسون) ما نصه: "وفي بابل لم يُعامل اليهود معاملة سيئة، فقد وجدت مخطوطات بجوار عشتاروت - أقدم مدن بابل - فيها قائمة بأسماء المسيسين، ونشاطهم في بابل، وكان بها اسم (يهوياكين) ملك يهودا، وبعض الأسماء الأخرى، وموضح بها أن اليهود عملوا بالتجارة، واكتسبوا أموالًا كثيرة، وكانت لهم أوضاعهم المتميزة إلى حدًّا". وأما أشور فيشير الكاتب نفسه إلى عدم وجود أي دليل من ذكر أو أثر يؤكد رواية سببها إليها.

### رواية التلمود عن تدمير الهيكل:

جاء في كتاب (التلمود تاريخه وتعاليمه) لظفر الإسلام خان ما نصه :

"عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها، وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم، وعندما رفضوا أن يُنصتوا الكلمات وتحذيرات إرميا ترك النبي أورشليم وسافر إلى بلاد بنiamين، وطالما كان النبي لا يزال في المدينة المقدسة كان يدعوه لها بالرحمة فنجت، ولكنه عندما هجرها إلى بلاد بنiamين دمر نبوخذنصر بلاد إسرائيل، وحطّم الهيكل المقدس، ونهب مجدهاته، وتركه فريسة للنيران الملتئبة، وكان نبورذدان الذي آثر البقاء في ربله (منطقة سورية بالقرب من حماة)، قد أرسل نبوخذنصر لتدمير أورشليم".

"و قبل أن يبدأ نبوخذنصر حملته العسكرية، سعى لمعرفة نتائج الحملة، بواسطة الإشارات نظراً للذهوله، فرمى من قوسه نحو المغرب، فسارت باتجاه أورشليم، ثم رمى مرة أخرى نحو الشرق، لكن السهم اتجهت نحو أورشليم، ثم رمى مرة أخرى، ليتأكد من محل وقوع المدينة المذنبة التي يجب تطهيرها من الأرض، وللمرة الثالثة اتجهت سهمه نحو أورشليم، وبعد أن استولى نبوخذنصر على المدينة، توجه مع أمرائه وضباط جيشه إلى داخل الهيكل، وصاح ساخراً مخاطباً إله إسرائيل : وهل أنت الإله العظيم الذي يرتعد أمامه العالم؟ ها نحن في مدينتك ومعبدك ! ".

"و وجد نبوخذ علامه لرأس سهم، على أحد جدران الهيكل، كان أحداً قُتل أو أصيب بها، فسأل : من قُتل هنا ؟ فأجاب الشعب : (زكريا بن يهوذا) كبير الكهنة، لقد كان يُحرّنا في كل ساعة من حساب اعتداءاتنا، وقد سئلنا من كلماته، فانتهينا منه. فذبح جنود نبوخذ نصر سكان أورشليم، كهنتها وشعبها، كهولها وشبابها ونسائها وأطفالها، وعندما شاهد كبير الكهنة هذا المنظر، ألقى بنفسه بالنار، التي أشعلها نبوخذنصر في الهيكل، وتبعه بقية الكهنة

مع عودهم وألاتهم الموسيقية الأخرى، ثم ضرب جنود نبوخذنصر السلاسل الحديدية في أيدي باقي الإسرائيليين .

· ورجع إرميا النبي إلى أورشليم، وصاحب إخوانه المؤسأء، الذين خرجوا عرايا، وعند وصولهم إلى مدينة تسمى بيت كورو، هيأ لهم ملابس جيدة، وتكلم مع نبوخذنصر والكلدانين، قائلاً لهم: لا تظن، أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، إنها ذنبهم الفاجرة التي ساقتهم إلى هذا العذاب .

نجد أن رواية التلمود أكثر وضوحاً من رواية التوراة، حيث أنها لم تذكر ملكتين، ويثبت هذا النص وقوع النبي البابلي، وينفي وقوع النبي المسى بالأشوري. وأن أشور وبابل آنذاك، تسميتان لملكة واحدة عند كبة التوراة، وأن أحد مصادر التوراة ذكر على أنه بابلي، والأخر ذكره على أنه آشوري، وأما نبوخذنصر فتجده أحياناً ملكاً، وأحياناً وزيراً أو قائداً للجيش، أو قائداً للحرس .

### مقططفات من رثاء إرميا لشعبه ولأورشليم بعد النبي البابلي:

(من كتاب مرائي إرميا في نهاية سفره): ١: كيف أصبحت المدينة الآهلة بالسكان مهجورة وحيدة؟! هذه التي كانت عظيمة بين الأمم، صارت كأرملة! صارت السيدة بين المدن تحت الجزية! تبكي في الليل بمرارة، وتهمر دموعها على خديها، لا معزى لها بين محبيها، غدر بها جميع خلائقها، وأصبحوا أعداء لها، سُبِّيت يهودا إلى المنفى، ...، فأقامت شقية بين الأمم، ...، تهدمت جميع أبوابها، ...، ارتكبت أورشليم خطيئة نكراء فأصبحت نجمة، ...، لم تذكر آخرتها لهذا كان سقوطها رهيبة، ...، بددَ الربَّ جميع جبارتي في وسطي، وألبَّ على حشدًا من أعدائي ليسحقوا شُبَّاني، داسَ الربَّ العناء بنت صهيون، كما يُداس العنبر في المعاصرة، ...، الربَّ عادل حقاً، وقد تعرّدت على أمره، فاستمعوا يا جميع الشعوب، وشهدوا وجي، قد ذهب عذاري وشُبَّاني إلى النبي، ...، فَنِيَّ كهتي وشيوخي في المدينة، ...، ها السيف يتكل في الخارج، ويسود الموت في البيت ... .

٢: قد هدم الرب بلا رحمة، جميع مساكن يعقوب، ...، وألحق العار بالملكة وحكامها، إذ سوأها بالأرض، ...، وترقوسه كعدو، نصب عينه كمُفْض، ذبح بقسوة كلَّ عزيز في عيوننا، ...، وهدم جميع قصورها ودمّر حصنها، ...، جلس شيخ ابنة صهيون على الأرض صامتين، عفروا رؤوسهم بالرماد، وارتدوا المسوح، وطاطأت عذاري أورشليم رؤوسهن إلى الأرض، كلت عيناي من البكاء، ...، نفذَ الربَّ قضاءه، وحقق وعده الذي

حكم به منذ الحقب السالفة، هدم ولم يرافق، فأشمت بك الخصوم، وعظم قوة عدوك، ...، انظر يا رب وتأمل، ...، قد انطرب الصبيان والشيخ في غبار الطرقات، سقط عذاري وشُبّاني بالسيف، وقد قتلتهم في يوم غضبك، ونحرتهم من غير رحمة ...

٣: أنا هو الرجل الذي شهد البلاية، التي أنزلها قضيب سخطه، ...، ولكن؛ هذا ما أُناجي به نفسي، لذلك يغمرني الرجاء من إحسانات رب، أنا لم نفن، لأن مراحمه لا تزول، ...، فلماذا يشتكي الإنسان حين يُعاقب على خطاياه؟ ...، لنفحص طرقنا ونختبرها، ونرجع إلى الله، لنرفع أيدينا وقلوبنا إلى الله في السماوات، ...

٤: ...، لأن عقاب إثم ابنة شعبي، أعظم من عقاب خطيئة سدوم، التي انقلب في لحظة، من غير أن تندى إليها يد إنسان، كان **نُبلاً** و**أنقى** من الثلج وأنصع من اللبن؛ أجسادهم أكثر حمرة من المرجان، وقاماتهم كالياقوت الأزرق، فأصبحت صورتهم أكثر سواداً من الفحم، فلم يُعرفوا في الشوارع، ...، نفت **الرب** كامل سخطه، وصب حمْوَ غضبه، وأضرم ناراً في صهيون، فالتهمت **أسسها**، ...، عقاباً لها على خطايا أبيائتها، وأثام كهتها، الذين سفكوا في وسطها دماء الصديقين، ...، آذنت نهايتها، وغَتْ أيامنا، وأزفت خاتمتنا، كان **مُطاردونا** أسرع من نسور السماء، تعقبونا على الجبال، وترقصوا بنا في الصحراء، ...

٥: اذكر يا رب ما أصابنا، انظر وعاين عارنا، قد تحول ميراثنا إلى الغرباء، وبيتنا إلى الأجانب، أصبحنا أيتاماً لا أب لنا، وأمهاتنا كالأرامل، ...، داس **مُضطهدونا** أعناقنا، أعيننا ولم نجد راحة، خضبنا باسطين أيدينا إلى آشور ومصر، لتشيع خبراً، ...، تسلط علينا عبيد، وليس من يُنقذنا من أيديهم، ...، اغتصبوا النساء في صهيون، والعذارى في مدن يهودا، علقَ النساء من أيديهم، ولم يوقروا الشيخ (كبار القوم). سخروا الشَّبَّان للطحون، وهو الصبيان تحت الخطب، هجر الشيخ (كبار السن) بوابات المدينة، وكف الشَّبَّان عن غنائهم، انقطع فرح قلوبنا، وتحول رقصنا إلى نوح، تهافت أكاليل رؤوسنا، فويل لنا لأننا قد أخطأنا، لهذا غُشِّي على قلوبنا، وأظلمت عيوننا، لأن جبل صهيون أصبح أطلالاً، ترتع فيه الثعالب.

### الفصل الثالث:

## النبوءات التوراتية بين الماضي والمستقبل

بالرغم من تحريف التوراة، ونسخها وتأليفها عدة مرات، وضعف الترجمة إلى العربية وانحيازها. إلا أنها ما زالت تحوي بقية من كلام الله جلَّ وعلا، نستطيع الاستدلال عليها، من خلال مقابلتها ومقارنتها مع ما لدينا من وحي، ونستطيع أحياناً ملاحظة الأساليب التي تم بها كتابة التوراة، من إضافة وحذف وتبديل لواضع العبارات كما أخبر عنها القرآن الكريم. وهذه البقية هي ما كان يستدل اليهود من خلالها وما زالوا، على بعض الأحداث المستقبلية، كبعث عيسى ومحمد عليهما السلام قدِيمًا، وما سيقع من أحداث النهاية مستقبلاً.

وإن معرفتهم بما وُجد لديهم من نبوءات، كانت بمثابة القوة الدافعة، في تحركاتهم لاستباق تحقق هذه النبوءات على أرض الواقع، ولم ولن يألوا جهداً في استعجالها إن وافقت أهواءهم، أو في تعطيلها إن خالفتها.

سنعرض في البداية بعض الأخبار التي وردت في التوراة، بشكل مقتضب وسريع، ومن ثم سنعرض جانباً من النبوءات التوراتية، التي تتحقق في الماضي، وجانباً من النبوءات التي لم تتحقق بعد، مما يساعد على استقراء بعض النبوءات المستقبلية لديهم، لتعرف على المخاوف اليهودية وتطلعاتهم وأحلامهم وأماناتهم المتعلقة بعودتهم إلى فلسطين للمرة الثانية.

ومن خلال هذا الكشف تستطيع التعرف على حقيقة العقلية التي يُفكِّر بها يهود، ومن ثم قراءة مواقفهم وسياساتهم على الساحتين العالمية والإقليمية، وتستطيع أيضاً قراءة سياسات وموافق أمريكا التي يحكمها ويدبرها في الخفاء، زعماء المؤامرة العالمية من الأثرياء والحاخامات اليهود، لتجد أن التوراة ونبياتها هي ما سير اليهود في الماضي، وهي ما يُسيرهم في الحاضر والمستقبل.

قال تعالى: «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْكَتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرُؤْوا بِهِ ثَمَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» (79 البقرة).

وقال أيضاً: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كَتَبْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصْدِقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَغْفِرُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» (89 البقرة).

وقال أيضاً: «وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَأْلُو نَاسَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَخْسِبُهُ مِنَ الْكِتَابِ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (78 آل عمران).

### خبر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في سفر التكوين:

وعد الله لنسل إبراهيم بامتلاك الأرض:

ـ تكوين: 15 : 18 : في ذلك اليوم، عقد الرب ميثاقاً مع إبراهيم، قائلاً: سأعطي نسلك هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.

ـ تكوين: 17 : 8.4 : ها أنا أقطع لك عهدي، فتكون أباً لأمم كبيرة، وأصيرك مُشرماً جداً، يخرج من نسلك ملوك، فأكون إلهاً لك ولنسلك من بعده. وأهبك أنت وذرتك أرض كنعان التي نزلت فيها غرباً، ملكاً أبداً.

- تكرار الوعد لإبراهيم، بأراضين مختلفتين، ناتج عن كون التوراة، جمعت من مصادرين مختلفين كما سبق وأوضحنا، وأحد المصادرين أقل تطرفاً ومغالاة في التحريف والكذب من الآخر، وهذا الوعد بما أنه كان لإبراهيم ونسله فهو ليس حكراً على نسل إسحاق، بل يشمل نسل إسماعيل أيضاً.

وعد الله لهاجر في إسماعيل:

ـ تكوين: 16 : 10 وقال لها ملاك الرب: لأكثرنَ نسلك فلا يُعد من الكثرة، هوذا أنت حامل، وستلدرين ابناً وتدعينه إسماعيل، ويكون إنساناً وحشياً يُعادي الجميع والجميع يُعادونه، [وأمام جميع أخوته يسكن].

- همجي متواحش وإرهابي، معاد للبشرية، هذه هي صورة إسماعيل - عليه السلام -نبي الله، جد العرب، وهي ذاتها صورة الإنسان العربي في وسائل الإعلام الغربية، من حينما وتلفزيون وصحف ومجلات، ومصدر هذه الصورة هو التوراة المحرفة، والمنتج المنفذ هم اليهود المسيطرة على وسائل الإعلام الغربية كافة. فالرب يقول ذلك، لا كذبة التوراة، وإذا كان العرب مستاءون من هذه النظرة لهم، فليجرؤ أحدهم على مطالبة اليهود والنصارى بحذف هذه الكلمات المنسوبة إلى الرب من كتابهم، كما يطالبوننا بحذف الآيات التي تحض على قاتلهم من الكتب المدرسية.

## وعد الله لإبراهيم في سارة ونسلها :

“تكوين : 17 : 19-15 : وقال الرب لإبراهيم : أما ساراي زوجتك ، وأباركها وأعطيك منها ابنا ، سأباركها وأجعلها أمّا لشعوب ، ومنها يتحدر ملوك أمم ، إن سارة زوجتك هي التي تلد لك ابنا ، وتدعوا اسمه اسحق وأقيم عهدي معه ، ومع ذريته من بعده إلى الأبد .”

## وعد الله لإبراهيم في إسماعيل ونسله :

“تكوين : 17 : 20 : وأما إسماعيل فقد استجبت لطلبك من أجله ، سأباركه حقا ، وأجعله مثرا ، وأكثر ذريته جدا ، فيكون أباً لاثني عشر رئيساً يلد ، ويُصبح أمّة كبيرة .”

## هجرة هاجر وإسماعيل إلى صحراء فاران :

“تكوين : 21 : 14-21 : فهض إبراهيم في الصباح الباكر ، وأخذ خبزاً وقربة ماء ، ودفعهما إلى هاجر ، ووضعهما على كفيها ، ثم صرفها مع الصبي ، فهمات على وجهها في برية بترسبع . وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبي تحت إحدى الأشجار ، ومضت وجلست قبالته ، على بعد مائة متر ، (تبيرهم : حتى لا تشهد موت الصبي) ، ورفعت صوتها وبكت . (ناداها ملاك رب قائلًا) : “قومي وأحملي الصبي ، وتشبئي به لأنّي سأجعله أمّة عظيمة ” ، ثم فتحت عينيها ، فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة وسفت الصبي . وكان الله مع الصبي فكّر ، وسكن في صحراء فاران ، ويرع في رمي القوس ، واتخذت له أمّة زوجة من مصر .”

في هذا النص يُوحى كتبة التوراة أن إبراهيم تخلى عن هاجر وابنتها وطردهما طرداً ، ويقولون في بداية النص إنه سكن بئر السبع ، وإن بئر زمزم تفجرت فيها ، وفي نهاية النص يقولون بأنه سكن في صحراء فاران ، وهذا يعني أن التسمية العبرية القديمة ، لصحراء الجزيرة العربية هو صحراء فاران ، وجبل فاران هي جبال مكة أو الجزيرة العربية ، ولذلك كان اليهود يعلمون على وجه التحديد أن نبياً من نسل إسماعيل سُيُّعث في جزيرة العرب ، فارتحلوا إليها ، وسكنوا فيها .

## التبشير بمحمد ﷺ في سفر التثنية على لسان موسى التثنية :

“التثنية : 18 : 18 : فقال لي الرب : لهذا أقيم لهمنبياً من بين أخوتهم مثلك ، وأضع كلامي في فمه ، فيخاطبهم بكل ما أمره به ، وكل من يعصي كلامي الذي يتكلم به باسمي ، فإني أحاسبه .”

وقول موسى عليه السلام، (نبياً من بين أخوتهم) يعني أنه من غير بني إسرائيل، بل من أخوتهم، وأخوتهم كما نعلم هم نسل إسماعيل عليه السلام، بدلالة التوراة نفسها في النص الوارد أعلاه (16: 12)، وهذا القول بطبيعة الحال لا يُشير إلى عيسى عليه السلام، كون أمه من بني إسرائيل. قوله (نبياً مثلث)، يعني يائله في كل شيء تقريباً، من لحظة ولادته بما شمله الله من رعاية وعناية، وبعثه رسالته ومعاناته، وحتى مماته عليه السلام.

ثانية: 2 [قال (موسى عليه السلام): جاء الرَّبُّ مِنْ سِينَا، وَأَشَرَّقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرٍ، وَتَلَّأَّ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبُوَاتِ الْقَدْسِ، وَعَنْ يَمِينِ نَارِ شَرِيعَةِ لَهُمْ].

وهذا النص يحمل في ثناياه أربع نبوءات هي:

جاء الرَّبُّ مِنْ سِينَا. وسيفه هو (طور سيناء) في وادي عربة، مكان الوحي الذي أنزلت فيه الألواح على موسى عليه السلام.

وأشرق لهم من سعير. ، حيث بُعثَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْإِنجِيلِ، قال تَعَالَى: «وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرِيمَ إِذَا أَتَبَدَّلَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا» (16 مريم) وقال: «وَجَعَلْنَا أَبْنَى مَرِيمَ وَأَمْمَةً إِذَا وَأَوْتَنَاهُمَا إِلَى زَرْبَوَةِ دَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» (50 المؤمنون) وسعير على ما يليه من الآيات، هي منطقة شرقي القدس، تقع على تلة ذات أشجار مثمرة وفيها عين ماء جارية.

وتَلَّأَّ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. جبال فاران هي جبال الجزيرة العربية، حيث تقع مكة، مكان سُكُنِ إِسْمَاعِيلَ بدلالة التوراة نفسها حيث بُعثَ مُحَمَّدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْقُرْآنِ (لاحظ هنا الفعل تَلَّأَّ)، دلالة على ما سيكون للإسلام من شأن عظيم. وهذا دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهمما السلام «رَبَّنَا وَآتَنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ أَعْزِيزُ الْحَكِيمِ» (129 البقرة)، وهذه استجابة دعائهما «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِ شَرِيعَةً رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِفْ ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (2 الجمعة).

وأَتَى مِنْ رِبُوَاتِ الْقَدْسِ. وهي النبوة التي لم تتحقق لغاية الآن، حيث لا شريعة جديدة، بل تجديد لشريعة قائمة.

سفر إشعيا يُخبر عن نبينا عليه الصلاة والسلام وعن أمه:

ماروى البخاري في صحيحه عن عطاء بن سبأ، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله، صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل، والله إنه لم يوصوف في التوراة، ببعض صفاتي في القرآن «يتأيدها النبي إنا

أَزْسَلْتُكَ شَهِيدًا وَمُبَيِّنًا وَنَذِيرًا)، وَحَرَزًا لِلْأَمَمِينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيَّتُكَ التَّوْكِلَ، لَيْسَ بَقِظًا وَلَا غَلِظًا، وَلَا سَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَقُولُ وَيَغْفِرُ، وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ اللَّهُ حَتَّى يُقْيِمَ بِهِ الْمَلَةَ الْعَوْجَاءَ، بَأْنَ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُّنَا عُمِّيًّا، وَإِذَا نَا صُمًّا، وَقَلُّوْنَا غُلْفًا . . . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ .

وقال تعالى : « وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخْذَهُمُ الرَّجْفَةَ قَالَ رَبُّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَتَكْنَا مَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنْ أَنَّهُ إِلَّا فَتَنَّكَ تُضْلِلُ بِهَا مِنْ شَاءَ وَتَهْدِي مِنْ شَاءَ أَنْتَ وَلِيَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْجُنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَفِيرِينَ ﴿٢٠﴾ وَأَكْتَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَانِي أَصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَقَوَّنُونَ وَلَوْلَوْنَ الْرَّكْزَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِفَاعِلِيَّتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يَحْدُونَهُ مُنْكِرُنَا عِنْدَهُمْ فِي الْتَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا مِنَ الْمُنْكَرِ وَتَحْلِي لَهُمُ الْطَّيِّبَاتِ وَتَخْرُمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيِّثُوَيَّضُعُ عَنْهُمْ إِضْرَهُمْ وَالْأَغْلَلُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَأَتَبْعَوُ الْأَنُورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَنْ يَنْأِيَهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَيِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَخْيِي . . . وَيُمْبَيِّتُ فَمَا يُمْبَيِّتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي الْأَمِيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَيْغُوْهُ لَعْلَكُمْ تَهْتَذُوْنَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أَمَّةٌ يَهْدُوْنَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُوْنَ ﴿٢٤﴾ (١٥٩ الأعراف)

### خاتم النبوة على كتفه واسمها أحمد:

من كتاب (المتنظم في تاريخ الملوك والأمم) لأبي الفرج . عن حسان بن ثابت ، قال : إنني لغلام يفعة ، ابن سبع أو ثمان ، إذا يهودي يشرب يصرخ ذات غداة : يا معاشر اليهود ، فلما قالوا : ما لك ، وبilk ! قال : طلع نجم أَحْمَدُ ، الذي ولد هذه الليلة ، قال : فأدركه اليهودي ولم يؤمن به .

من كتاب (المتنظم) . أخبرنا أبو الحسن بن البراء قالت آمنة : ... وكان بمكة رجل من اليهود حين ولد ، فلما أصبح ، قال : يا معاشر قريش ، هل ولد فيكم مولود ؟ قالوا : لا نعلم ، قال : ولد الليلة نبي العرب ، به شامة بين منكبيه سوداء فيها شعرات ، فرجع القوم ، فسألوا أهليهم فقيل : ولد الليلة بعد المطلب غلام ، فلقوه فأخبروه ، فنظر إليه ، فقال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل ، هذا الذي سرّه أخبارهم ، يا معاشر قريش ، والله ليسطون بكم سطوة ، يخرج بها من المشرق إلى المغرب .

إشعيا : 9: 2: الشعب السالك فيظلمة أبصر نوراً عظيماً ، والمقيمون في أرض ظلال الموت ، أضاء عليهم نور عظيم ... 9: 6-7: لأنّه يولد لنا ولد ، ويعطى لنا ابن يحمل الرياسة

على كفه، ويُدعى اسمه عجياً، مُشيراً، إلهأ قديراً، أباً أبداً، رئيس السلام، ولا تكون نهاية لنمور رياسته وللسلام اللذين يسودان عرش داود وملكته، ليُثبتها بالحق والبر، من الآن وإلى الأبد، إن غيره الرب تُم هذا.

إشعيا : 9 : 13 : إن الشعب لم يرجع تائباً إلى مَنْ عاقبه، ولا طلب الرب القدير.  
لذلك سيقطع الرب من إسرائيل في يوم واحد الرأس والذنب، التخل والأسل.

إشعيا : 10 : 33 - 34 : لكن الرب القدير يُحطم الأغصان بعنفوان، فكل مُتطاول يُقطع، وكل مُتشامخ يُذل.

علم اليهود من خلال النص الأول:  
أن نجماً عظيماً سيظهر عند مولد أحد.

ومن النص الثاني أن علامه النبوة ستكون على كفه.  
أما اسمه العجيب في هذا الموضع فوصفتة أقلام الكهنة، بمثير وإله وأب ورئيس سلام.  
أما رسالته فتشمل مشارق الأرض ومغاربها، حتى قيام الساعة.  
أما النص الثالث والرابع فيؤكdan انقطاع النبوة وخروجهما منبني إسرائيل بمولد هذا النبي وبعثته.

ويعود الكهنة ويسمون هذا الإله بأحمد، في النص التالي:

إشعيا : 25 : 1 - 3 : يا رب، أنت إلهي، أعظمك وأحمد اسمك، لأنك صنعت عجائب كنت قد قضيت بها منذ القدم، وهي حق وصدق ... لذلك يُمجّنك شعب قوي، وتتخشاك مدن آهلة بأمم فظة، لأنك كنت حصنًا للباس، وملاذاً منيعاً للمسكين في ضيقه، وملجأ له من العاصفة، وظلأً تقيه وهج الحر ...

هو ملك البر ورؤساؤه يحكمون بالعدل:

إشعيا : 32 : 1 : ها إن ملكاً يملك بالبر (محمد)، ورؤساء يحكمون بالعدل (الخلفاء)،  
2 : [ويكون إنسان] [أي ليس إليها كما صوره النص السابق) كملاذ من الريح، وكملجاً من العاصفة، أو كجدائل مياه في صحراء، أو كظل صخرة عظيمة في أرض جدباء، 3 : عندئذ تنفتح عيون الناظرين وتصفي آذان السامعين، 4 : فتفهم وتعلم العقول المتهورة، وتنطق بطلاقة الألسنة الثقيلة (الأميون). ...، حتى تسكب علينا روح من السماء، فتحوّل البرية (الصحراء) إلى مرج خصيب، ويُحسب المرج غابة، عندئذ يسكن العدل في الصحراء، ويُقيم البر في المرج الخصيب، فيكون ثمر البر سلاماً، وفعل البر سكينة وطمأنينة إلى الأبد.

إشعيا : 42: 1: هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي ابتهاجت به نفسى، وضعـت روحي عليه ليسوس الأمم بالعدل، 2: لا يصبح ولا يصرخ، ولا يرفع صوته في الطريق، 3: لا يكسر قصبة مرضوضة (أى يقيـمها)، ولا يطـنـق فـتـيلـة [خامـدة] (أى يـشـعلـها)، إنما بأمانة يـعـرـي عـدـلـاـ، (أى أنه لا يـسـيـءـ إلى الناس، بل يـحـسـنـ إليـهمـ)، 4: لا يـكـلـ ولا تـثـبـطـ له هـمـةـ، حتى يـرـسـخـ العـدـلـ فيـ الـأـرـضـ، وـتـنـتـظـرـ الـجـزـائـرـ شـرـيعـتـهـ، 6: أنا الـرـبـ قد دـعـوتـكـ بـالـبـرـ، أـمـسـكـ بـيـدـكـ وـحـافـظـتـ عـلـيـكـ، وـجـعـلـتـكـ عـهـدـاـ لـلـشـعـبـ وـنـورـاـ لـلـأـمـمـ، 7: لـفـتـحـ عـيـونـ الـعـمـىـ، وـتـنـطـلـقـ سـرـاجـ المـأـسـوـرـينـ فـيـ السـجـنـ، وـتـحـرـرـ الـجـالـسـينـ فـيـ ظـلـمـةـ الـجـبـسـ، 9: هـاـ النـبـوـاتـ السـالـفـةـ تـتـحـقـقـ، وـأـخـرىـ جـدـيـدـةـ أـعـلـنـ عـنـهـاـ، وـأـنـبـئـ بـهـاـ قـبـلـ أـنـ تـحـدـثـ، ... .

### رسالة الإسلام وصفة حملتها:

إشعيا : 61: 7: وـعـوـضـاـ عـنـ عـارـكـمـ تـنـالـونـ ضـعـفـيـنـ مـنـ الـمـرـاثـ «إـنـاـ كـنـاـ مـنـ قـبـلـهـ، مـُسـلـمـيـنـ أـوـلـتـيـكـ يـؤـتـونـ أـجـرـهـمـ مـرـتـيـنـ» (54 القصص)، 8: لأنـيـ أناـ الـرـبـ أـحـبـ العـدـلـ، وأـمـقـتـ الـاـخـلـاسـ وـالـظـلـمـ، وـأـكـافـهـمـ بـأـمـانـةـ «وـلـتـجـرـيـنـهـمـ أـجـرـهـمـ بـأـخـسـنـ مـاـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ» (97 النـحلـ)، وـأـقـطـعـ مـعـهـمـ عـهـدـاـ أـبـدـيـاـ، 9: وـتـشـتـهـرـ ذـرـيـتـهـمـ بـيـنـ الـأـمـمـ، وـنـسـلـهـمـ وـسـطـ الشـعـوبـ، وـكـلـ مـنـ يـرـاهـمـ يـعـرـفـهـمـ «سـيـمـاـهـمـ فـيـ وـجـوهـهـمـ مـنـ أـثـرـ الـشـجـودـ ذـلـكـ مـثـلـهـمـ فـيـ الـقـرـآنـ»، وـيـقـرـأـهـمـ شـعـبـ بـارـكـهـ الـرـبـ، ...، 11: كـمـاـ تـبـتـ الـأـرـضـ مـزـرـوـعـاتـهـاـ، وـالـحـدـيقـةـ تـخـرـجـ بـنـاتـهـاـ، هـكـذـاـ السـيـدـ الـرـبـ يـبـنـتـ الـبـرـ وـالـتـسـبـيـحـ، يـبـنـانـ أـمـامـ كـلـ الـأـمـمـ «كـرـزـعـ أـخـرـجـ شـطـفـهـ، فـقـازـرـهـ، فـاتـغـلـطـ فـأـسـتـوـىـ عـلـىـ سـوـقـيـ، يـعـيـجـ أـلـزـرـاعـ لـيـغـيـظـ بـوـمـ أـلـكـفـارـ»، 62: 1: إـكـرـامـاـ لـصـهـيـونـ (هـذـهـ إـحـدىـ تـحـرـيـفـاتـهـمـ، وـالـأـصـلـ إـكـرـامـاـ لـخـيـرـ أـمـةـ أـخـرـجـتـ لـلـنـاسـ)، لـأـصـمـتـ، وـ...ـ لـأـسـتـكـنـ، [ـحـتـىـ يـخـرـجـ بـرـهـاـ كـضـيـاءـ، وـخـلـاـصـهـاـ كـمـصـبـاحـ مـُـقـدـ]ـ، 2: فـتـرـيـ الـأـمـمـ بـرـكـ وـكـلـ الـمـلـوـكـ مـجـدـكـ، وـتـدـعـيـنـ بـاـسـمـ جـدـيـدـ يـطـلـقـهـ عـلـيـكـ فـمـ الـرـبـ «هـوـ سـمـنـكـمـ الـمـُسـلـمـيـنـ مـنـ قـبـلـ» (78 الحـجـ).

### انتـشار رسـالـةـ إـلـاسـلـامـ بـيـنـ الـأـمـمـ، وـصـفـةـ مجـيـءـ حـجـاجـ بـيـتـ اللهـ الحـرامـ:

إـشعـيـاـ : 66: 18ـ 20: وـلـأـنـيـ عـالـمـ بـأـعـالـمـ وـأـفـكـارـهـمـ، فـأـنـاـ مـزـمـعـ آنـ آتـيـ لـأـجـمـعـ كـلـ الـأـمـمـ وـالـأـلـسـنـةـ، فـيـتـوـافـدـونـ وـيـرـوـنـ مـجـدـيـ، وـأـجـعـلـ بـيـنـهـمـ آيـةـ، وـأـبـعـثـ بـعـضـ النـاجـينـ مـنـهـمـ إـلـىـ الـأـمـمـ، إـلـىـ تـرـشـيـشـ وـفـولـ وـلـودـ، الـمـهـرـةـ فـيـ رـمـيـ السـهـامـ، وـإـلـىـ تـوـبـالـ وـيـاـوـانـ، وـإـلـىـ الـجـزـائـرـ الـبـعـيـدةـ، مـنـ لـمـ يـسـمـعـواـ بـشـهـرـتـيـ، أـوـ يـرـواـ مـجـدـيـ، فـيـذـيـعـونـ مـجـدـيـ بـيـنـ الـأـمـمـ. وـيـحـضـرـونـ

جميع أخوتكم من سائر الأمم، تقدمة للرب، على متون الجياد، وفي المركبات والهوداج، وعلى ظهور البغال وأسمنة الجمال، إلى أورشليم جبل قدسي .

قال تعالى : « وَإِذْ بَوَأْنَا لِبَرِّهِمَةِ مَكَانَتْ أَلْبَيْتَ أَنْ لَا تُشَرِّفَنَّ بِ شَيْئاً وَطَهَرَ بَيْنَ لِلْطَّاهِيرَتِ وَالْقَاهِيرَتِ وَالْإِكْعَاعِ السُّجُودِ ⑥ وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ صَابِرٍ يَأْتُوكَ مِنْ كُلِّ فَيْحَةٍ عَمِيقَةٍ » ( 27 الحج ).

وهب بن منبه يُحمل ما تفرق من نصوص التوراة :

وقارن كل ما تقدم مع ما قاله وهب بن منه أحد مسلمي اليهود، حيث أجمل هذه النبوءات كلها في هذا النص من كتاب (المنظم) لأبي الفرج . قال وهب بن منه : أوحى الله تعالى إلى إشعيا ، إني مُبعث نبياً أمياً ، أفتح به آذاناً صُماءً ، وقلوبًا غلظاً ، وأعيناً عمياءً ، مولده بمكة ومهاجرته طيبة (المدينة المنورة) ، وملكه بالشام ، عبدي المتوكل المرفوع الحبيب الجيب ، لا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يغفو ويصفح ، ويغفر بالمؤمنين ، وليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا متزين بالفحش ولا قوال ، أسدده لكل جميل ، وأهاب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى والحكمة مقولته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلال ، ... به بعد الجهالة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرق بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتة ، وأمم متفرقة ، أجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، توحيداً لي ، وإيماناً بي ، وإخلاصاً لي ، وتصديقاً لما جاء به رسلي ، وهم دعاة الشمس (النور) ، طوبي لتلك القلوب .

اليهود ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حسداً وغيماً :

من كتاب (المنظم) عن عاصم بن عمر عن قنادة عن رجل من قومه ، قال : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله إيانا وهداء ، لما كانا نسمع من يهود ، كنا أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال يتنا وبنهم ، فإذا نلتنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه قد تقارب زماننبي يبعث الآن ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وكنا كثيراً ما نسمع بذلك منهم ، فلما بعثه الله عزَّ وجَلَّ ، أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعّدونا به ، فبادرناهم إليه ، وأمنا وكفروا ، ففيينا وفيهم ، نزلت هذه الآيات « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كَتَبْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَغْيِثُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكُفَّارِ ۝ » ( 89 البقرة ) .

من كتاب (المتنظر) . وعن عاصم عن شيخ من بنى قريظة، قال: قال لي: هل تدرؤن عمّا كان إسلام ثعلبة بن سعيد وأسد بن عبيد، نفر من بنى ذهل أخوة بنى قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم، كانوا ساداتهم في الإسلام، قال: قلت: لا أدرى، قال: فإن رجلاً من يهود من أهل الشام، يُقال له ابن الهيبان، قدم علينا قبل الإسلام بستين، فحلَّ بين أظهرنا، لا والله ما رجلاً قط كان يصلِّي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قحط عنا المطر، قلنا: اخرج يا ابن الهيبان فاستنق لنا فيقول: لا والله، حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة له، فنقول: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر أو مدين من شعير، قال: فيُخرج ذلك، ثم يخرج بنا إلى حرثنا، فيستنقى لنا، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقى، قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرتين ولا ثلثاً، قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت قال: يا معاشر اليهود، ما ترونـهـ أخرجنـيـ منـ أرضـ الـخـمـرـ وـالـخـمـيرـ إـلـىـ أـرـضـ الـجـوـعـ وـالـبـوـسـ قالـواـ: قـلـ لـنـاـ أـنـتـ، قالـ: فـإـنـيـ إـنـماـ جـهـتـ هـذـهـ الـبـلـدـ أـتـوـكـفـ خـرـوجـ نـبـيـ قـدـ أـظـلـكـمـ زـمانـهـ، هـذـهـ الـبـلـدـ مـهـاجـرـهـ، فـكـنـتـ أـرـجـوـ أـنـ أـدـرـكـهـ فـأـتـبـعـهـ، وـقـدـ أـظـلـكـمـ زـمانـهـ، فـلـاـ يـسـبـقـنـكـمـ أـحـدـ إـلـيـهـ، يـاـ مـعـشـرـ الـيـهـودـ، فـإـنـهـ يـعـثـ يـسـفـكـ وـيـسـبـيـ الـذـارـيـ وـالـنـسـاءـ مـنـ خـالـفـهـ، فـلـاـ يـمـنـعـكـمـ ذـلـكـ مـنـهـ، فـلـمـاـ بـعـثـ اللـهـ رـسـولـهـ ... بـنـيـ قـرـيـظـةـ، قـالـ هـؤـلـاءـ الـفـتـيـةـ. وـكـانـواـ شـبـابـاـ أـحـدـاـثـاـ: يـاـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ، وـالـلـهـ، إـنـهـ الـذـيـ عـهـدـ إـلـيـكـمـ فـيـ اـبـنـ الـهـيـبـانـ، قـالـواـ: لـيـسـ بـهـ، قـالـواـ: بـلـىـ وـالـلـهـ، إـنـهـ لـهـوـ بـصـفـتـهـ، فـأـسـلـمـواـ، فـأـحـرـزـواـ دـمـاءـهـمـ وـأـمـوـالـهـمـ وـأـهـالـيـهـمـ .

من كتاب (المتنظر) عن ابن عباس قال: كانت يهود قريظة والنضير وفذ وخيبر، يجدون صفة النبي قبل أن يُبعث، وأن دار مهاجره المدينة، فلما ولد رسول الله، قالت أخبار اليهود: ولد أحمد الليلة، هذا الكوكب طلع، فلما تباً، قالوا: تباً لأحمد، قد طلع الكوكب، كانوا يعرفون ذلك، ويُقرّون به، وما منهم من اتباعه إلا الحسد والبغى .

كان ما سبق عرضاً لبعض من نبوءات التوراة، التي تحققت في الماضي، وعرض آلكيفية فهمهم لإشاراتها ورموزها وتفسيرهم لها. وفيما يلي سنبدأ بعرض أغلب نبوءاتهم المستقبلية، والتفسيرات المعاصرة لها، من الرواد الغربيين من اليهود والنصارى، مع التعقيب عليها.

### **نبوءات المرة الأولى والثانية في سفر إرميا:**

**المرة الأولى وما بعدها:**

“إرميا: 25: 3: على مدى ثلاثة وعشرين سنة، والرب يوحى إليّ بكلمته، فخاطبكم بها، ولكنكم لم تسمعوا، ... 5: وقد قالوا لكم (الأنياء): توبوا الآن، ليرجع كل واحد

منكم عن طرق الشريرة، ومارسانه الأئمة، ... 6: ولا تضلوا وراء آلهة أخرى ... عندئذ لا أنزل بكم أذى، 7: غير أنكم لم تسمعوا لي، بل أثرتم غيظي بما جنته أيديكم، فاستجلبتم على أنفسكم الشر، 8: لذلك يقول رب القدير: لأنكم عصيتم كلامي، 9: فها أنا أجند جميع قبائل الشمال، بقيادة نبوخذنصر عبدي، وأتي بها إلى هذه الأرض، فيجتاحونها ويهلكون جميع سكانها، مع سائر الأمم الحبيطة بها، وأجعلهم مثار دهشة وصفير، وخرائب أبدية، 10: وأبيد من بينهم أهاريج الفرح والطرب، ... وضجيج الرحى ونور السراج، 11: فتصبح هذه الأرض بأسرها قبراً خراباً، وتُستبعد هذه الأمم ملك بابل، طوال سبعين سنة، 12: وفي ختام السبعين سنة أعقاب ملك بابل وأمته، وأرض الكلدانين على إثمهما، وأحولها إلى خراب أبدى، يقول رب، 13: وأنفذ في تلك الأرض، كل القضاء الذي نطق به عليها، كل ما دون في هذا الكتاب، وتبأبه إرميا على جميع الأمم، 14: إذ أن أمّا كثيرة وملوكاً عظاماً يستعبدونهم أيضاً، وهكذا أجاز لهم بمقتضى أفعالهم، وما جنته أيديهم من أعمال أئمة .

نص النبوة في هذه الفقرة، بالمقارنة مع نص النبوة الأصلي في سفر التثنية، هو محض افتاء وتزوير، فالكاتب في الواقع يسرد تاريخاً لأحداث بعد وقوعها، يحدد فيه أسماء وأمكنة وأزمنة، مع أنه يحكى بها بصيغة المستقبل، وفي النهاية يسكب بعضاً من حقده الدفين، على بابل وأهلها، فاضحاً الآثر النفسي الذي كان يعتريه عند كتابتها، وهذا يؤكد أنَّ هذا النص، أعيد كتابته بالإضافات، من قبل مؤلفي التوراة، بعد السبي البabلي، فمثلاً سفر إشعيا يقول بأن الطائر الجارح سيأتي من الشرق، وسفر إرميا يقول إن نبوخذنصر يأتي من الشمال، وفي الحقيقة، ربما يكون الأمران كلاهما -بناءً على نصوص التوراة - صحيحين، ليكون خروج نبوخذنصر من الشرق (بابل)، وغزوه لملكهم من الشمال (حماة)، أما جهة المخرج في المرة الأولى، لم تكن معروفة إلا بعد تحقق البعث، فلذلك كانت الفقرة السابقة سرداً تاريخياً .

المرة الثانية وما بعدها:

إرميا: 30: 3: ها أيام مقبلة أرد فيها سبي شعبي ...، وأعيدهم إلى الأرض التي أعطيتها لآبائهم فيرثونها، (ثم يقول): سمعنا صراخ رعب، عم الفزع وانقرض السلام، ...، ما أرهب ذلك اليوم، إذ لا مثيل له، هو زمن ضيق على ذريعة يعقوب، ولكنها ستتجو، في ذلك اليوم، يقول رب القدير: أحطم آثار أعناقهم وأقطع رُطْبَهُم (أي أرفع قيود العبودية والذل عنهم) فلا يستعبدهم غريب فيما بعد، بل يبعدون رب إلههم، وداود ملکهم الذي

أقيمه عليهم، ... فيرجع نسل إسرائيل، ويطمئن ويستريح، من غير أن يُضايقه أحد، ...، فأيُدُّ جميع الأمم التي شتَّكَ بينها، أمَّ أنت فلا أفنينك، أوَدِبِك بالحق، ولا أُبرِّتك تبرئة كاملة، ...، (الخطاب موجة لأورشليم) إن جرحك لا شفاء له، وضررتك لا علاج لها، إذ لا يوجد من يدافع عن دعواك، ...، قد نسيك محبوك، وأهملوك إهمالاً، لأنني ضربتك كما يُضربُ عدو، وعاقبتك عقاباً مغضض قاس، لأن إيمك عظيمٌ وخطاياك متکاثرة، ...، لهذا أوقعتك بالمحن، ولكن سَيَّاتي يوم يُفترس فيَّ جميع مُفترسيك، وينذهب جميع مضايقك إلى السبي، ويصبح ناهيك منهوبين، لأنني أردَّ لك عافيتك وأُبرئ جراحتك.

هذه الفقرة تتحدث عن المرة الثانية وعقابهم الثاني، وهذا النص منقول كاملاً، مع حذف بعض العبارات الزائدة كعبارة يقول الرب أو ما شابه، فانتظر ماذا أضافوا إليها، لقد أضاعوا الحقيقة، وظلموا أجيالهم القادمة من حيث لا يعلمون، فكذبوا الكذبة، وصدقها أبناءهم، وأصبحت من صميم معتقداتهم، فالمعاصرون من اليهود والنصارى، يتعاملون مع كل نصوص التوراة، بعندها وسميتها، على أنها من عند الله، ولا مجال لكتذيبها. وما أضيف إلى هذه النبوة المستقبلية، كما يعتبرونها هم، هو كل ما تخته خط. وأخطر ما في هذه الإضافة هو تفسيرهم المعاصر لها.

### نبوءات حزقيال المستقبلية:

حزقيال هو ثالث الأنبياء الكبار، ويقال إنه أحد الذين سُبوا إلى بابل، ويحتوي كتابه على كثير من النبوءات المستقبلية، فيما يخص عودة اليهود الثانية، وأحداث آخر الزمان وما سيقع فيها من حروب، وهذا الكتاب وما يأتي بعده في الترتيب، من كتب الأنبياء التوراة، أصبح مادة دسمة للباحثين في القرن الماضي، فيما يتعلق بأحداث آخر الزمان، كنهاية اليهود، وال الحرب العالمية الثالثة، وظروفها، ونتائجها، وعودة المسيح الثانية إلى الأرض، وفيما يلي عرض لنبوءاته حسب تسلسلها في التوراة، الذي كما يبدو حافظ عليه كتبة التوراة.

### تأكيد الوعد بالعقاب وتبيان أسبابه وغاياته:

ـ حزقيال : 5: 5: هذه هي أورشليم التي أقمتها في وسط الشعوب ...، فخالفت أحكامي بأشر ما خالفتها الأمم ... لذلك من حيث أنكم تمردتم أكثر من الأمم المحاطة بكم، ...، ها أنا أنقلب عليك يا أورشليم، وأجري عليك قضاء على مشهد من الأمم، فأصنع بك مالم أصنعه من قبل، وما لم أصنع مثله من بعد، عقاباً لك على جميع أرجاسك، ...، فانا أيضاً أستأصل، ولا ترافق عليك عيني ولا أغفو ... ثُلث سُكَانك يموتون باللوبأ والجوع في وسطك،

وَلُكْ ثانٍ يُقتل حولك بالسيف، وَلُكْ آخر أُشْتَهِيَ بين الأمم، وأتعقبه بسيف مسلول، وهكذا أُنْقَسَ عن عَضْبِي، ويُخْمَد سخطي، إذ أكون قد انتقمتُ ... وأجعلك خرابةً وعاراً بين الأمم ... أنا الرب قد قضيتُ .

هذا النص يؤكّد مقتل ثلثي اليهود، وشتات ثلث سيكون عرضة للقتل والتكميل والاضطهاد.

### نَزْوَلُ العَقَابِ بِبَنِي إِسْرَائِيلِ فِي جَمِيعِ مَوَاطِنِ إِقَامَتِهِمْ:

ـ حزقيال : 6 : ها أنا أجلب عليكم سيفاً، وأهدم مرفعاتكم، فتصبح مذابحكم أطلالاً، ...، وأطرح تلاميكم أمام أصنامكم، وألقي جثث أبناء إسرائيل أمام أوثانهم، وأندري عظامهم حول مذابحكم، وحيثما تقيمون تحول مدنكم إلى أطلال، ... يموت البعيد بالولأ، والقريب يصرعه السيف، والباقي منهم والمحاصر تقضي عليهم الجماعة، ...، وأمدّ يدي عليهم في جميع مواطن إقامتهم .

هنا يؤكّد نزول العقاب بهم على اختلاف مكان إقامتهم، ويؤكّد بأن مدنهم التي يتواجدون فيها ستُصبح خراباً .

### شَدَّةُ العَقَابِ وَآثَارُهُ النُّفْسِيَّةِ عَلَى الْبَقِيَّةِ النَّاجِيَةِ:

ـ حزقيال : 7 : السيف مُسْلَطٌ من الخارج، والولأ والجوع من الداخل ... أما الناجون منهم فيلوذون بالجبال كحمام الأودية، يبكي كل واحد منهم على إثمه، جميع الأيدي مسترخية، وكل الركب مائعة كاللياه، يتلقّعون بالمسوح (الملابس الخشنة)، ويشاهدون الرعب، ويكسو العار وجوههم جميعاً، ويطغى القرع (الصلع) على رؤوسهم. ويطرحون فضتهم في الشوارع، ويضحى ذهبهم نجاسة، وتعجز فضتهم وذهبهم عن إنقاذهم في يوم غضب الرب .

**الْحَثُّ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالتَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، لِأَنَّهَا السَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِلنَّجَاهِ:**

ـ حزقيال : 18 : 29 - 32 : يقول السيد الرب : ومع ذلك يقول بيت إسرائيل إنّ طريق الرب غير عادلة، أطريق غير عادلة يا بيت إسرائيل ؟! أليست طرقكم هي الموعنة ؟! لذلك أدينكم يا شعب إسرائيل، كل واحد بمقتضى طرفة. يقول السيد الرب : توبوا، وارجعوا عن ذنوبكم كلّها، فلا يكون لكم الإثم معاشرة هلاك. اطروحوا عنكم كل ذنوبكم، واحصلوا الأنفسكم على قلب جديد وروح جديدة، فلماذا تموتون يا شعب إسرائيل ؟! إذ لا أسرّ بموت أحد، فتوبوا واحبوا .

يُؤكِّد النص على فسادهم على الدوام، وأنهم لا يعترفون بذلك، بل يدعون بأنَّ الربَّ غير عادل بعقابهم على فسادهم، كما ويحضُّهم النص على التوبة والعودة، ويُحذِّرهم من الهلاك إنْ لم يفعلوا.

### ذكر المرتدين وعقابهما بشكل رمزي:

ـ حزقيال: 19: 9.1: أما أنت فاتَّلْ مرثأة على رؤساء إسرائيل، وقل ماذا كانت أمرك؟! بؤة ربيضت بين الأسود، وربَّت جراءها بين الأشبال، حتى إذا كُبِّر أحد جرانها وصار ش بلاً (الأولى)، وتعلم الصيد، أكل الناس. وعندما بلغ أمره الأمم وقع في حفرتهم، فأخذوه مسوقةً بخزائمه إلى أرض مصر، وعندما أدركت أثناء انتظارها أن رجاءها قد هلك، أخذت جرو آخر وجعلته ش بلاً (الثانية)، فتمشى بين الأسود وتعلم الصيد، أكل الناس، وهدم قصورهم وخرب مدنهم، فارتَّبت الأرض ومن فيها صوت زمرته، فاجتمعوا عليه الأمم من كل صوب، وألقوا عليه شبكتهم، فوق في حفرتهم، فساقوه بخزائم، وزجّوه في قفص، وأحضاروه إلى ملك بابل، واعتقلوه في القلاع لكيلا تتردد أصداء صوته بعد، فوق جبال إسرائيل.

التحذير المُسبق من الاغترار بالقوة، ومن الاستهانة بما أنذرهم الله به:

ـ حزقيال: 16-21: يقول السيد الرب: أما أنت يا ابن آدم، فتنهَّد بقلب منكسر وحزن ومرارة، فإنَّ سألك على ماذا تنهَّد؟ تجيئهم: على الأخبار الواردة التي تُذيب كل قلب، فتسترخي الأيدي ويعتري القنوط كل روح، وتصبح الركب كالماء، ها هي الأخبار واردة ولا بدَّ أنْ تتم. وأوحى إلى بكلمته قاتلاً: يا ابن آدم، تنبأ وقل: هذا ما يُعلنه الرب: سيفٌ قدم ستة وصفله، قد سُنَ للذبح المُبرم، وصُقل ليومض بالبريق، فهل نتھج قاتلين: عصا ابني تحقر كل قضيب؟! (يعني فهل نسخر من هذا السيف ونستهزئ بجبروته مفترين بقوتنا)، وقد أعطي السيف ليصقل ويجرد بالكف، وهو هو بعد ستة وصفله يُسلَّم ليد القاتل، اصرخ واعول يا ابن آدم، لأنَّه يتسلَّط على شعبي، وعلى كل رؤساء إسرائيل، يتعرَّض شعبي لأهوال من جراء هذا السيف، لذلك اضرَّب على صدرك فزعاً (نديبا). يقول السيد الرب: لأنَّه امتحان (وجود اليهود في فلسطين)، وماذا يحدث إنْ لم تُقبل العصاة المحتقرة (المُزدرية، غير الآبهة بالعقاب)؟! (يعني ماذا ستكون عاقبتها، إذا رسَّبت بالامتحان الإلهي). أنا الرب قد تكلَّمتُ (قضيتُ): فتنبأ يا ابن آدم، واصفق كفَا على كف، ولتضرب السيف مرتين، بل ثلاث مرات، إنه سيف القتلى، سيف المجزرة العظيمة المُحدقة بهم، لكي تذوب القلوب، ليتهاوى كثيرون عند كل بواباتهم، لهذا جرَّدت سيفاً متقلباً برآقاً مصقولاً للذبح. في سيف اجرح يميناً، اجرح شمالاً، اجرح حيثما توجَّه حذك، وأنا أيضاً أصفق بكفي، وأسكن غضبي: .

هذا النص يصف الجن اليهودي وحالة الرعب التي ستصيبهم، عندما يدخل عليهم هذا السيف الذي يعرفونه جيداً، والذي مزق أجسادهم شرّ ممزق ذات مرة. ويحذّر النص من الاستهزاء بهذا السيف، والاغترار بالقوة، لأنّه سيف من صنع الله، وسيسلم ليد القاتل في الموعد المحدّد، ويؤكد أنّ الرسوب في الامتحان أي الإفساد، معناه نفاذ القضاء بوقوع المجزرة.

### من أرض واحدة يخرج البعثان:

ـ حزقيال : 21: 19 : وأوحى إلى الرب بكلمته قائلًا: أَمَّا أَنْتَ يَا ابْنَ آدَمْ، فَخُطِّطْ طَرِيقَيْنْ لِزَحْفِ مَلْكِ بَابِلْ. مِنْ أَرْضِ وَاحِدَةٍ تَخْرُجُ الطَّرِيقَانِ [وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمْ، عَيْنٌ لِنَفْسِكِ طَرِيقَيْنِ، لِجَيْءِ سِيفِ مَلْكِ بَابِلْ، مِنْ أَرْضِ وَاحِدَةٍ تَخْرُجُ الْإِثْنَيْنِ] (النص الثاني من النسخة الأخرى)، . . . ، لَأَنَّكُمْ ذَكَرْتُمْ بِأَيْمَكُمْ، إِذَا كُشِّفَ تَرْدُكُمْ، فَتَجْلَّتْ خَطَايَاكُمْ فِي كُلِّ مَا ارْتَكَبْتُمُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ، لَهُذَا إِذَا ذَكَرْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، يُقْبَضُ عَلَيْكُمْ بِالْيَدِ، وَأَنْتَ أَيْمَهَا الْمَطْعُونُ الْأَثِيمُ، مَلْكُ إِسْرَائِيلُ، يَا مِنْ أَرْفِ يَوْمِهِ فِي سَاعَةِ الْعِقَابِ النَّهَائِيِّ، اخْلُعُ الْعَمَامَةَ وَانْزِعُ التَّاجَ، فَلَنْ يَقِنَ الْخَالِ كَسَالَفُ الْعَهْدِ بِهِ، ارْفِعُ الْوَضِيعَ، وَضُعِّفُ الرَّفِيعَ (اجْعَلُ الْوَضِيعَ عَالِيًّا، وَالْعَالِيَّ وَضِيعًا)، هَا أَنَا أَقْلِبُهُ، أَقْلِبُهُ، هَنْتَ لَا يَقِنُ مِنْهُ أَثْرُ (تَاجُ الْمَلْكِ) إِلَى أَنْ يَأْتِي صَاحِبُ الْحُكْمِ، فَأَعْطِيهِ إِيَاهُ (لِلَّذِي يَأْتِي مِنْ رِبُوتَ الْقَدْسِ) .

هذه النبوة توضح لهم، أنّ أرض الخروج الثاني هي بابل، بما لا يدع مجالاً للشك، وأنّ البعث عقاب لهم لإفسادهم، وأنّ ملكهم سيزول لا محالة، وأنّ تاج الملك سيُعطى لصاحبها، عندما يأتي من ربوت القدس، وهي النبوة الرابعة والأخيرة، التي أخبر عنها موسى عليه السلام قبل موته .

### وصف الإفساد والعقاب في المرة الثانية:

ـ حزقيال : 22: 2 - 17 : وأوحى إلى الرب بكلمته قائلًا: وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمْ، أَنْدِينَ الْمَدِينَةِ السَّافِكَةِ الدَّمَاءِ؟ إِذَا عَرَفَهَا بِكُلِّ رِجَاسَتِهَا (أَيْ بَيْنَ صَفَةِ إِفْسَادِهَا)، وَقَلَ: هَذَا مَا يُعْلِمُهُ السَّيِّدُ الْرَّبُّ: أَيْتَهَا الْمَدِينَةُ تِسْفِكُ الدَّمَاءَ فِي وَسْطِهَا، لَتَسْتَجْلِبَ الْعِقَابَ عَلَى نَفْسِهَا، . . . ، قَدْ أَثْمَتِ بِمَا سَفَكْتِ مِنْ دَمَاءً، وَتَنْجَسَتِ بِمَا عَمِلْتِ مِنْ أَصْنَامِكَ . قَدْ قَرِبَتِ يَوْمُ دِينُونَتِكَ، وَيَلْغَتِ مِنْتَهِي أَيَامِكَ، لِذَلِكَ جَعَلْتَكَ عَارًا عِنْدَ الْأَمْمَ، وَمَثَارُ سُخْرِيَّةٍ لِجَمِيعِ الْبَلْدَانِ، . . . ، أَنْتَ يَا نَجْسَةً، يَا كَثِيرَ الشُّغْبَ، هُوَ ذَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ رُؤْسَاءِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ كَانُوا فِيكَ، انْهَمْكَ فِي سَفْكِ الدَّمَاءِ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ . فِيكَ اسْتَخْفَوَا بَابَ وَأَمَ، وَاضْطَهَدُوكُمْ الْيَتَمُّ وَالْأَرْمَلَةُ، احْتَقَرْتِ مُقْدَسَاتِي وَنَجَسَتِي أَيَامَ سُبُوتِي . أَقَامَ فِيكَ وَشَاءَ عَمِلُوا عَلَى سَفْكِ الدَّمِ، وَأَكَلُوا أَمَامَ الْأَصْنَامِ

على الجبال، وارتکبوا في وسطك الموبقات، ...، أخذت الربا ومال الحرام، وسلبت أقرباءك ظلماً ونستيّ.

• حزقيال : 22: 13 - 16: ها أنا قد صفت بكفي من جراء، ما حصلت عليه من ربح حرام، وما سفك من دم في وسطك. فهل يصمد قلبك أو تخفظ يداك بقوتهم، في الأيام التي أتعامل معك فيها؟! أنا الرب قد تكلمت، وأتم ما أنطق به. سأشتراك بين الأمم وأبعثرك بين البلدان، وأذيل نجاستك منك، وتتدنسين بنفسك على مرأى من الأمم، وتدركين آني أنا الرب.

• حزقيال : 22: 23 - 31: وأوحى إليّ الرب بكلمته قائلاً: يا ابن آدم، تباً وقل لها أنت أرض لم تطهرِي ولم يُمطر عليها في يوم الغضب، ...، خالف كهتها شريعتي، ونجسوا مقادسي، لم يُميزوا بين المقدس والرجس، ولم يعلموا الفرق بين الطاهر والنجل، رؤساًوها فيها كذب خاطفة، تُمزق فرائسها، إذ يسفكون دماء الناس في سبيل الربح الحرام، وأنياوها (أي المتبئون الجدد) يرون لها رؤى باطلة، ...، قائلين: هذا ما يعلنه الرب. مع أن الرب لم يعلن شيئاً: أفرطوا في ظلم شعب الأرض، فاغتصبوا سالبين، واضطهدوا الفقير والمسكين، وأظلموا الغريب جوراً. فالتمست من بينهم رجلاً واحداً، يبني جداراً (رجالاً مُصلحاً)، ويقف في الثغرة أمامي، حتى لا أُخربها فلم أجده. فصيّبت سخطي عليهم، والتهمتهم بنار غضبي، جازيتهم بحسب طرفهم، يقول السيد الرب:

هذه النصوص تصف إفساد اليهود اليوم، بدقة متاهية، وكأنها تُسجل وقائع عاينها الراوي، وتؤكد أن الهلاك والخراب واقع بهم لا محالة، عندما بلوغ آخر أيامهم.

### التعقيب على المرتدين وعقابهما بشكل رمزي:

• حزقيال : 23: 1 - 35: وأوحى إليّ الرب بكلمته قائلاً: يا ابن آدم، كانت هناك امرأتان، ابنتا أم واحدة، ...، اسم الكبرى (أهولة أي السامرة) واسم اختها (أهولية أي أورشليم)، وكانتا لي وأنجبنَا أبناء وبنات، وزنت أهولة (المملكة الأولى) (أي فسدت وأفسدت) مع أنها كانت لي، وتنجست بكل من عشقهم، وبكل أصنامهم، ولم تخل عن زناها منذ أيام مصر (فساد الآباء وعصيانهم)، لذلك سلمتها ليد عشاقها أبناء آشور، فقضحوا عورتها، وأسرروا أبناءها وبناتها، وذبحوها بالسيف، فصارت عبرة للنساء، ونفذوا فيها قضاءً. ومع أن اختها أهولية (المملكة الثانية) شهدت هذا، فإنها أوغلت أكثر منها في عشقها وزناها، ...، فرأيت أنها قد تنجست، وسلكتا كلتا هما في ذات الطريق، ...، وإذا واظبت على زناها علانية، وتباهت بعرض عُرْيَّها، كرهتها كما كرهت اختها. لذلك يا أهولية: ها أنا أثير

عليك عشاقك ، ... ، وآتي بهم عليك من كل ناحية ، أبناء البابليين ، وسائر الكلدانيين ، ومعهم جميع أبناء آشور ، من ولاة وقادة ورؤساء ، وكلهم فرسان خيل ، فِيهَا جمونك بأسلحة ومركبات وعربات ، ... ، وأصبت سخطي عليك ، فيعاملونك بغيظ ، يجدعون أنفك وأذنيك ، وتُقتل بقيتك بالسيف . يأسرون أبناءك وبناتك ، وتلتهم النار بقيتك ، ويُجردونك من ثيابك ، ويستولون على حُلْيَك . وهكذا أضيع حداً لعهرك وزناك ، .... وهذا ما يُعلنه السيد الرب : ستشربين كأس عقاب أختك العميقه (في القدم) ، وتكونين مثار ضحك واستهزاء ، لأن الكأس تسع كثيراً ، تمتلئ سُكراً وحزناً ، فكأس أختك السامرة ؛ كأس الرعب والخراب ، تشرينها وتتصبّنها ، ... ، لأنك نسيتني ونبذتني وراء ظهرك .

### خراب لدولة / مدينة لها القوة والمال :

في الإصلاحات (26، 27، 28) ، تجد وصفاً تفصيلياً لمدينة سمّاها كَبَّةُ التوراة (صور) تلخصه بما يلي :

مُسيطرة هي وسُكّانها على البحر .

ترُعب جميع جيرانها .

تاجرة الشعوب وكاملة الجمال .

تقع في قلب البحار .

تأتيها السفن التجارية من كل مكان .

شعبها وجيشه خليط من أمم أخرى .

تمتع بكونها مركز للتجارة العالمية .

أما صفة عقابها فهي كما يلي :

دمارها سيحصل بريح شرقية (أي من الشرق) .

اندلاع النيران في وسطها .

تحولها إلى رماد .

مصيرها الغرق ولن يبقى منها أثر .

القائمون على خرابها غرباء من أعمى الأمم .

واما أسباب الغضب الإلهي عليها وعلى ملكها فهي :

تصيب ملكها لنفسه كإله للبشر .

تربيه في مجلس الآلهة في قلب البحار .

الادعاء بامتلاكه حكمة الآلهة.

الاستحواذ على الذهب والفضة وادخارها.

مضاعفة الثروة بمهارتها في التجارة.

التجارة الظالمة.

البهاء والجلال والتكبر والاستعلاء لف्रط الغنى.

وفي النص التالي تسمية أخرى لها، هي مصر:

ـ حزقيال : 29: 16.3 : ها أن انقلب عليك يا فرعون ملك مصر ، أيها التمساح الكامن في وسط أنهاره ، ... وأخرجك قسراً من أنهارك ، وأسماكها ما بربت عالقة بحر اشفك ، وأهجرك في البرية ، مع جميع سمك أنهارك ، فتهاوى على سطح أرض الصحراء ، فلا تجتمع ولا تُتم ، بل تكون قوتاً لوحوش البر وطيور السماء . فيدرك كل أهل مصر أني أنا رب ، لأنهم كانوا عُكَاز قصب هشة لبني إسرائيل ، ما إن اعتمدوا عليك بأكفهم ، حتى انكسرت ، ومنقت أكتافهم ، وعندما توكلوا عليك ، تحطمتك وقصفت كل مت勇هم . لذلك ها أنا أجلب سيفاً ، وأستأصل منك الإنسان والحيوان ، وأجعل ديار مصر ، الأكثرو وحشة بين الأرضي المفقرة ، وتظل مدنها الأكثر خراباً بين المدن الخربة ... وأجعلهم أقلية لثلا يتسلطوا على الشعوب ، فلا تكون بعد ، موضع اعتماد لبني إسرائيل ، بل تذكّرهم يائهم حين ضلوا وراءهم ...

قد يظن القارئ للوهلة الأولى أن هذا النص ، يتباً بخراب مصر ، ولكن؟ بعد إنعام النظر في العلاقة ما بين هذا الفرعون وبين اليهود ، ستجد أن المقصود بهذا النص هم فراعنة ولكن؟ في هذا العصر ، وعلى ما يبدو أن المقصود بالتمساح هو الأسطول ، والمقصود بالأسماك هو السفن الحربية ، والمقصود بالأنهار هي البحار .

وفي نصوص أخرى ، ستجد أن هناك تسميات أخرى استخدمها كتبة التوراة والإنجيل ، لنفس المدينة كبابل الجديدة ، وبابل العظمى . كنایة عن دولة عظمى ، سيتزامن وجودها مع ظهور لدولة يهودية في فلسطين .

**تحالف أعداء الله ضد اليهود والنصارى:**

ـ حزقيال : 29: 18 - : يا ابن آدم : إنَّ تُوْخَذْ نَصَرْ مَلَكْ بَابِلْ قَدْ سَخَرْ جِيشَاً أَشَدَّ تَسْخِيرْ ، ضدَّ صُورْ ، فأصبحت كل رأس من رؤوس جنوده صلباء ، وكل كتف مجردة من الثياب ، ولكن ، لم يغنم هو ولا جيشه شيئاً من صور ، رغم ما كابده من جهد للاستيلاء عليها .

لذلك...، ها أنا أبذل ديار مصر لنبوخذ نصر ملك بابل، فيستولي على ثروتها، ويسلبها غنائمها وينهبها، ف تكون هذه أجرةً لجيشه .

ـ حزقيال: 30: 1-13: وأوحى إلى الرب بكلمته قائلاً: يا ابن آدم، تبأّ، وقل: ...، إنَّ يوم الربَّ بات وشيكاً، ...، إنه يوم مُكْفَهَرٌ بالغيموم، ساعة دينونة (نهاية) للألم، إذ يُجرَد سيف على مصر، فيُعْمَل الذعر الشديد إثيوبيا، عندما يتهاوى قتل مصر، ويستولي على ثروتها، وتُتَقْضَى أُسْسَها. ثم تسقط معهم بالسيف، إثيوبيا وفوط ولود، وشبه الجزيرة العربية ولibia، وشعوب الأرض المُتَحَالِفة معهم ... فيتهاوى سُكَانَها من مجلد إلى أسوان... فتُصبح أكثر الأرضي المُفَرَّة وحشة، وتُضْحِي مُدُنَها أكثر المدن خراباً ... في يوم هلاك مصر، الذي لا بدَّ أن يتحقق. لأنني سأفي جماهير مصر يد نبوخذ نصر ملك بابل، إذ يُقبل بجيشه، أعني جيوش الأمم لخراب ديار مصر، فيُجْرِدون عليها سيفهم، ويلؤون أرضها بالقتل، وأجتف مجاري نهر النيل، وأبيع الأرض لقوم أشرار، وأخرب البلاد فيها يد الغرباء، أنا الرب قد قضيتُ. ثم أحطم الأصنام، وأذيل الأواثان من مفيس، ولا يبقى -بعد- رئيس في ديار مصر، وأُلْقِي فيها الرعب .

ـ 32: 18-30: وأوحى إلى الرب بكلمته قائلاً: يا ابن آدم، وَلُؤْنُ على جند مصر، ...، يسقطون صرعى وسط قتلى السيف. قد أسلمت مصر للسيف، وأسروها مع كل حلفائها، وهناك آشور (سوريا) وقومه، ... وحلفاؤه، .... وهناك أيضاً أيلام (أفغانستان) وحلفاؤها ... وهناك أيضاً ماشك وتوبال (مدن روسية)، وكل حلفائهم، ... وهناك أيضاً أدوم (الأردن) وملوكها ورؤساؤها، ... وهناك أمراء الشمال، وكل الصيدونيين (اللبنانيين)، ... أولئك الذين أشعوا الرعب في أرض الأحياء، ...، كلهم قتلى، وصرعى السيف .

هذه الفقرات الثلاثة، مقطعة من الإصلاحات (30، 31، 32)، التي كرَّرت ياسهاب ما جاء في الإصلاح (29)، وعلى ما يبدو أن محتوى هذه الإصلاحات الثلاثة، قد تناولته أقلام الكتبة بكثير من التبديل والتحوير والإضافة، وقد أوردنا هذه الفقرات لتعيينها بعض الشعوب والدول، التي يعتبرها الغرب أعداء الله، الذي هو المسيح عند النصارى. ويفترض الكثير من المفسرين الجدد للتوراة، أن الدول المذكورة في هذه النصوص ستقوم بالتحالف مستقبلاً، ومن ثم ستغزو إسرائيل وتنهي وجودها، بقيادة مصر أو العراق أو روسيا، منفردة أو مجتمعة، مما يتسبب في مواجهة مصيرية كبرى بين الشرق والغرب، يطلقون عليها تسمية، الحرب العالمية الثالثة، ويجزمون بأن النصر، سيكون فيها حليف أحباء الله من اليهود والنصارى، على أعدائه

من المسلمين وغيرهم. وحتمية وقوع هذه الحرب المستقبلية أصبحت في السنوات الأخيرة حقيقة وعقيدة راسخة لدى عامة نصارى الغرب وساستهم، المهووسين بالنباءات التوراتية، وهذا مما ساهم فيه واستغله اليهود في أمريكا، لدفع أمريكا لخوض هذه الحرب الوهمية، التي فيها كل المصلحة ليهود الشرق والغرب، ضدّ العرب والمسلمين، من قبل أن تبدأ.

وقد تكون هذه النصوص، في الحقيقة، تُخبر عن الاستعمار الغربي، لكل البلدان العربية والبلدان الأخرى المذكورة فيها، أو غير ذلك.

### خراب هائل في الأرض:

ـ حزقيال : 33: 24 - 29: فَأَوْحَى إِلَيَّ الْرَبُّ بِكَلْمَتِهِ قَائِلًا: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّ الْمُقِيمِينَ فِي خَرَابِ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُونَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ فَرْدًا وَاحِدًا، وَمَعَ ذَلِكَ وَرَثَ الْأَرْضَ، وَهُكُنَا نَحْنُ كَثِيرُونَ، وَقَدْ وُهِبَتْ لَنَا الْأَرْضُ مِيرَاثًا. لَذِكْرٍ قَلْ لَهُمْ أَنَاكُلُونَ الْلَّحْمَ بِالدَّمِ، وَتَعْلُقُ عَيْنُكُمْ بِأَصْنَامِكُمْ، وَتَسْفَكُونَ الدَّمَ فَهُلْ تَرْثُونَ الْأَرْضَ؟! اعْتَدُمْ عَلَى سَيْوَفِكُمْ، وَارْتَكِبُمُ الْمُوبِقاتِ، ...، فَهُلْ تَرْثُونَ الْأَرْضَ؟! قَلْ لَهُمْ: هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: إِنَّ الَّذِينَ يُقْيِمُونَ فِي الْخَرَابِ، يُقْتَلُونَ بِالسَّيْفِ. وَالَّذِينَ يَسْكُنُونَ فِي الْعَرَاءِ، أَبْذَلُهُمْ قَوْتًا لِلْوَحْشِ. وَالْمُتَمَمُونَ فِي الْخَصُونِ وَالْمَغَاوِرِ يَمْتَوْنَ بِالْوَلَبِاً (يُفَسِّرُونَهُ عَلَى أَنَّهُ السَّلاحَ النُّوَوِيِّ وَالْكِيمَاوِيِّ). فَاجْعَلْ الْأَرْضَ أَطْلَالًا مُّقْفَرَةً، وَبُذُلَّ كَبِيرَاهَا وَعَزَّتْهَا ... فَيُدْرِكُونَ أَنَّى أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَجْعَلَ الْأَرْضَ خَرَبَةً مُّقْفَرَةً (وهذا ما سُتُّحدِثُهُ أَسْلَحَةُ الدَّمَارِ الشَّامِلَةُ الَّتِي يَرْتَبِعُونَ مِنْهَا لِتَوَافِقِهَا مَعَ مَا جَاءَتْ بِهِ التَّوْرَاةُ)، مِنْ جَرَأَءِ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنْ رِجَاسَاتِ .

وَهَذِهِ النَّبِيَّةُ تُؤَكِّدُ ذِبْحَ الْيَهُودِ وَتُشَرِّدُهُمْ وَفَنَاءَهُمْ (بِالنُّوَوِيِّ وَالْكِيمَاوِيِّ كَمَا يَعْتَدُونَ)، وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ تُؤَكِّدُ أَنَّ الْأَرْضَ سَتُصْبِحُ خَرَابًا ، وَلَكِنَّهُمْ يَرْفَضُونَ هَذِهِ النَّبِيَّةَ جَمِلَةً وَتَفْصِيلًا، وَيَصْرُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ مَا جَاءَ فِيهَا، وَيَبْذَلُونَ قَصَارِيَّ جَهَدِهِمْ لِنَعْلَمَ تَحْقِيقَهَا. وَلَوْ طَالَتْ نَصْوَصَ التَّوْرَاةِ بِمُجْمِلِهَا، سَتَجِدُ أَنَّهُ بَعْدَ كُلِّ مَرَّةٍ، تُخْبِرُ التَّوْرَاةَ بِحُتمِيَّةِ نَفَادِ قَضَاءِ (الرَّبِّ)، فِي إِسْرَائِيلِ وَشَعْبِهَا عِنْدِ الإِفْسَادِ، يُضَيِّفُ (كَبَّةُ التَّوْرَاةِ) نَصْوَصًا تَفِيدُ بِأَنَّ رِبِّهِمْ - دَائِمًا وَأَبَدًا - يَعُودُ وَيَعْفُوُ عَنْهُمْ، فَيَجْمِعُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي شُتُّوا فِيهَا، مِنْ جَمِيعِ الشَّعُوبِ، وَيَعِدُهُمْ إِلَى أَرْضِ الْمِيَادِ الَّتِي وُهِبَتْ لَهُمْ، فَيَفْسِدُونَ فِيهَا، فَيُعَذَّبُونَ وَيُشَتَّوْنَ، فَيَجْمِعُهُمْ وَيَعِدُهُمْ إِلَيْهَا، وَهُكُنَا دُوَالِيكَ، ... (حَسْبَ مَا يَشْتَهِيَ كَبَّةُ التَّوْرَاةِ).

## ملأ منتظر للقدس:

ـ حزقيال : 37: 21 - 28: وأوحى إلىَّ الرب بكلمته قائلًا: يا ابن آدم، ...، وها أنا أحشد أبناء إسرائيل من بين الأمم، التي تفرقوا فيها، وأجمعهم من كل جهة، وأحضرهم إلى أرضهم، وأجعلهم أمة واحدة، ...، تحت رئاسة ملك واحد، ...، ولا ينقسمون إلى ملكتين. ولا يتذمرون بعد بأصنامهم ورجاستهم، ولا بأيٍّ من معاصيهم، بل أخلصهم من مواطن إثيمهم، وأظهرهم فيكونون لي شعباً، وأكون لهم إليها. ويُصبح داود عبدي ملكاً عليهم، ...، فيمارسون أحكمامي ويُطِيعون فرائضي ويعملون بمقتضاهما. ويُقْيمون في الأرض التي وهبها لعبيدي يعقوب، التي سكن فيها آباؤهم، فيستوطنون فيها هم وأبناؤهم وأحفادهم إلى الأبد، ويكون عبدي داود رئيساً عليهم مدى الدهر. وأبرم معهم ميثاق سلام، فيكون معهم عهداً أبداً، ...، فتدرك الأمم أني أنا الرب مُقدَّس إسرائيل، حين يكون مقدسي قائماً فيهم (أي العبادة لله، ولكنهم يُفسرونها بإقامته الهبيكل) إلى الأبد.

هذه النبوة المحرفة، هي ما يسير عليه اليهود، منذ أجيال وما زالوا، حيث أن كتبة هذا النص، استخلصوا ما يُوافق أهواءهم وأطمائهم، من مُجمل النبوءات السابقة واللاحقة، وصهروها في بوتقة واحدة، وبات من جاء بعدهم من اليهود يحملها ويعتقد بها كحقيقة غير قابلة للنقض أو المناقضة، فهي تُسبَّت إلى الرب. ومؤدي هذه النبوءة يقول: عند مجئهم من الشتات (نبوءة العلو والإفساد الثاني مع استثناء العقاب)، الذي طالما تحدثت عنه النصوص السابقة، سيبعث الله لهم ملكاً (وجاءت شخصية هذا الملك من خلال تجميع النبوءات الخاصة بمحمَّد وعيسى عليهما السلام، والدجَّال)، وجعلوه من نسل داود (ملككم الأول)، ويكون ملكه الأبدِي هذا في فلسطين ( يأتي من رياوَاتِ القدس)، وفي زمانه يتشرَّح الحقُّ والعدل (اليهودي طبعاً)، في أرجاء المعمورة. وعلى هذا يعتقد عامة اليهود أن عودتهم الحالية هي العودة الأخيرة والنهاية، والتي ورد ذكرها في سورة الإسراء، تحت عبارة «إِنْ عَدْتُمْ عَدْنَا» وليس المرة الثانية التي سيتحقق فيها وعد الآخرة، ولكن هذا الاعتقاد ليس يقيناً، بل هناك نسبة من الشك، وهذا الشك تولَّد نتيجة التناقض في النصوص التوراتية، فهم يعملون على الاحتمال الأول، مع عدم إغفالهم للاحتمال الثاني.

روسيا وحلفاؤها من نصارى الشرق يزحفون نحو القدس:

ـ حزقيال : 38: 1 - 12: وأوحى إلىَّ الرب بكلمته قائلًا: يا ابن آدم، التفت بوجهك نحو جوهر أرض ماجوج، رئيس روش (روسيا) ماشك (موسكو) وتوبال، وتنباً عليه، وقل: هذا

ما يُعلنه السيد الرب : ها أنا أنقلب عليك ، يا جوج رئيس روش وماشك وتووال ، وأتهرك ... ، وأطردك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً ، وجميعهم مُرتدون أفحى ثياب ، جمهوراً غفيراً ، كلهم قابض سيف ، وحامل أتراس ومجان . ومن جملتهم ، رجال فارس (إيران) ، وإثيوبيا (السودان) وفوط ، ... ، وأيضا جومر (اليمن / أوروبا الشرقية) وكل جيوشه ، وبيت توجرمة (بلاد القوقاز الروسية / الشيشان) من أقصى الشمال مع كل جيوشه ، جيوش غفيرة اجتمعت إليك (أي لرئيس روش) . إذ بعد أيام كثيرة تُستدعى للقتال ، فتقبل في السنين الأخيرة (آخر الزمان) ، إلى الأرض الناجية من السيف (فلسطين) ، التي تم جمع أهلها من بين شعوب كثيرة ، فتأتي مُندفعةً كزوجعة ، ... أفكار سوء تراودك ، ... ، للاستيلاء على الأسلاب ، ونهب الغنائم ، ومحاجمة الخرائب التي أصبحت آهلاً ، ومحاربة الشعب المجتمع من بين الأمم ، ... ، المستوطن في مركز الأرض .

**خروج ياجوج وماجوج، ونهايتهم على مشارف مدينة القدس:**

حرقيال: 38: 14 - 23: لذلك تنبأ يا ابن آدم وقل لجوج، هذا ما يعلمه رب: في ذلك اليوم عندما يسكن شعبي إسرائيل آمنا... وتُقبل أنت من مقرّك في أقصى الشمال، مع جيوش غفيرة، تغشى الأرض، كلّهم راكبو خيل، ... وتزحف على شعبي إسرائيل، كسحابة تغطي الأرض، في الأيام الأخيرة، أني آتي بك إلى أرضي، لكي تعرفي الشعوب، عندما تتجلى قداستي، حين أدمرك يا جوج أمام عيونهم. هذا ما يقوله السيد رب: ألسْتَ أَنْتَ الَّذِي تَحْدِثُ عَنْهُ فِي الْأَيَّامِ الْغَابِرَةِ عَلَى السَّنَةِ عِبْدِي أُنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلِ الَّذِينَ تَبَرُّوا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لِسَنِينَ كَثِيرَةٍ؟! ...، وأَسْلَطَ عَلَيْهِ السِيفَ فِي كُلِّ جَبَالٍ، فَيَكُونُ سِيفُ كُلِّ رَجُلٍ ضَدَّ أَخِيهِ. وَأُدِينُهُ بِالْوَيَاءِ وَبِالْدَمِ، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِ وَجْوَشَهُ، وَعَلَى جَمْعِ حَلْفَائِهِ الْغَفِيرَةِ، مَطْرَأً جَارِفًا، وَبِرْدًا عَظِيمًا، وَنَارًا وَكَبْرِيتًا، ... فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ ... فَيُخْرِجُ سَكَانَ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ (بعد أن يكونوا قد اعتصموا منهم في جبال القدس)، ويحرقون الأسلحة والمجان، والأترسة والقصي والسهام، والحراب والرماح، ويُوقَدُونَ بِهَا النَّارِ سَبْعَ سَنِينَ، وَيُنْهَبُونَ نَاهِبِيَّهُمْ، وَيُسْلِبُونَ سَالِبِيَّهُمْ.

مفاد هذه النبوة، والنبوءة السابقة، كما يفسّره ويؤوّله الباحثون الجدد حدثاً، من اليهود والنصارى، أن روسيا (جوج وماجوج) وحلفاءها، ستقوم بغزو أرض إسرائيل، آنذاك سيقف رب بجانب إسرائيل وحلفائها، فيكون النصر حليفهم. والحقيقة أن خروج ياجوج وماجوج، سيقع بعد نهاية اليهود، وبعد خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وأما الزحف لبلاد الشام فسيكون لقتال المسلمين.

## **مواصفات الهيكل الهندسية:**

وعلى مدى 16 صفحة تقريباً، يُفردها سفر حزقيال، لتحديد مواصفات الهندسة للهيكل الجديد، بلغة الكلمات، من بوابات وساحات، وحجرات لإعداد النبائح، وحجرات للكهنة، ودعائم الهيكل وجدرانه وغرفه، ومخادع الكهنة، ومقاييس المنطقة التي سيقام فيها الهيكل، ومقاييس المذبح. ويصف مراسيم تقديم القرابين المقدسة، ويوضح شرائع لاستخدام الهيكل. ويحدد الأرض الممنوحة للكهنة، والمنوحة للشعب، والمنوحة للملك. ومن ثم يصف طريقة تقديم الملك للقربان المقدس، إلى آخره. وبناءً على هذه المواصفات، قام كثير من اليهود بعمل مخططات ونماذج للهيكل الذي يسعون لتشييده مكان المسجد الأقصى، كما تأمرهم التوراة، أو كما يأمرهم مؤلفو التوراة.

## **رؤى دانيال ونبؤاته:**

دانيال هو آخر الأنبياء الكبار، وأحد الذين سُبوا إلى بابل طفلاً، وكتابه في مُعظمه يشتمل على رؤى نبوية، تصف ما سيقع من أحداث في آخر الزمان، وخاصة فيما يتعلق بقيام دولة لليهود ثانية وزوالها، وعودة المسيح عليه السلام.

## **غزو من قبل فارس سيُشعل الحرب العالمية الثالثة:**

دانيال: 8 : 19 : وقال: ها أن أطلعك على ما سيحدث، في آخر حقبة الغضب، لأنَّ الرؤيا ترتبط ببعاد الاتهاء [وقت المُنتهي] أن الكبش ذو القرنين الذي رأيته هو ملوك مادي وفارس (إيران والعراق)، والتبis الأشعر هو ملك اليونان (الغرب)، والقرن العظيم النابت بين عينيه، هو الملك الأول، وما إن انكسر حتى خلفه أربعة عروضاً عنه، تقاسموا مملكته، ولكنْ، لم يُماثلوه في قوته. وفي أواخر ملوكهم، عندما تبلغ العاصي أقصى مداها (عند اكمال الظلم)، يقوم ملك فقط حاذق وداهية [جافي الوجه وفاحم الحيل]، فيُعظِّم شأنه، إنما ليس بفضل قوته (أي بقدرة الله). ويسُبِّب دماراً رهيباً، ويفلح في القضاء على الأقوباء، ويقهر شعب الله (اليهود). وبدهائه ومكره يُحقق مآربه، ويتکبر في قلبه، ويُهلك الكثيرين وهم في طمأنينة، ويتمرد على رئيس الرؤساء، لكنه يتحطم بغير يد الإنسان (أي بموت موتاً طبيعياً) .

يرى نوستراداموس قدماً، من خلال هذا النص، أن نقطـة البداية (الشارارة) للحرب العالمية النهائية المدمرة، ستكون محصورة في ثلاثة بلدان هي (إيران والعراق وفلسطين).

## **فساد إسرائيل وإفسادها يؤكdan حتمية فنائها:**

دانيال : 9 : 11 : قد تعددَ كُلّ شعب إسرائيل على شريعتك، وانحرفوا فلم يسمعوا صوتك، فسُكِّبَتْ علينا اللعنة وما أقسمتَ أن توقعه بنا، كما نصّتْ عليه شريعة موسى عبد الله، لأننا أخطأنا إليك. وقد نفتَ قضاءك الذي قضيَّ به علينا، وعلى قضاتنا الذين توَلَوا أمرنا، جالباً علينا على أورشليم شرّاً عظيماً، لم يحدث له مثيل تحت السماء. ....، ولم [تنضرَ إلى] وجهك أيها رب إلينا، تائبين عن آثامنا ومتُبَّهين لحقك، فأضمرتَ لنا العقاب، وأوقعتَنا، لأنك إلينا البار، في كل أعمالك التي صنعتها، لأننا لم نستمع إليك.

هنا يُخبر دانيال عن العقاب على اعتبار ما سيكون، وبأنه قضاء كان موسى - عليه السلام - قد أخبر عنه في كتابه، وموضحاً الأسباب التي أوجبت العقاب، وأن العقاب سيرفع، لو سبقته التوبة، ويقرر أن الله عادل في عقابه لشعبه المختار.

### **الواقع الحالي في رؤى دانيال:**

النص التالي هو تكملاً لنص متداخل، على ما ييدو أنه تكرار لنفس نص الرؤيا الأولى أعلاه، ويصف هذا النص بدقة الواقع الحالي لأهل فلسطين وللعرب والمسلمين إجمالاً، ويحمل بشري لهم بالنصر والفرج من عند الله عندما يحين موعد نهاية الدولة اليهودية، وما كان عودة اليهود لفلسطين إلا امتحاناً، ليميز الطيب من الخبيث، والمؤمن من المنافق.

دانيال : 11 : 31 : فُهاجم بعض قواته حصن الهيكل وتنجسَه، وتزيل المحرقة الدائمة، وتنصب الرجس المُخرب. ويعُوِي بالمداهنة المعتدين على عهد رب (اليهود)، أما الشعب (الفلسطينيون) الذين يعرفون إلههم فإنهم يصمدون ويقاومون. والعارفون منهم يُعلمون كثيرين، مع أنهم يُقتلون بالسيف والنار، ويُعرضون للأسر والنهب أيامأ (ستين معدودة)، ولا يتلقون عند سقوطهم إلا عوناً قليلاً، وينضم إليهم كثيرون تقافاً، ويعثر بعض الحكماء تحصيناً لهم وتنقيبة، حتى يأذف وقت النهاية، في ميقات الله المعين (أي عند مجيء وعد الآخرة).

### **حتمية النهاية والدمار:**

دانيال : 11 : 36 : ويصنع الملك (ملك إسرائيل) ما يطيب له، ويتعظّم على كل إله، ويُجذب بالعظام على إله الآلهة، ويُفلح إلى أن يحين اكتمال الغضب، إذ لا بدّ أن يتم ما قضى الله به، ولن يبالي هذا الملك بالآلهة آبائه، ....، إنما يكرم إله الحصون بدلاً منهم (أي يتتكل على القوة)، .... وعندما تأذف النهاية، يُحاربه ملك الجنوب، فينقضُ عليه ملك الشمال، كالزوجة بمركبات وفرسان وسفن كثيرة، ويقتحم دياره كالطوفان الجارف. ويغزو أرض

إسرائيل، فيسقط عشرات الآلوف صرعي، ولا ينجو منه سوى أرض أدوم وأرض موآب والجزء الأكبر من أرض عمون (مالك الأردن القديمة)، يبسط يده على الأراضي، فلا تفلت منه حتى أرض مصر. ويستولي على كنوز الذهب والفضة، وعلى كل ذخائر مصر، ويسير الليبيون والأثيوبيون في ركابه (ليبيا والسودان)، وتبلغه أخبار من الشرق ومن الشمال، فيرجع بغضب شديد، ليُدمّر ويقضي على كثيرين، وينصب خيمته الملكية بين البحر وأورشليم، ويببلغ نهاية مصيره (الوفاة)، وليس له من نصير .

ـ 12 : اذهب يا دانيال، لأن الكلمات مكتومة ومحوتة إلى وقت النهاية. كثيرون يتظاهرون ويتقنون ويمحصون بالتجارب (يُمتحنون)، أما الأشرار فيرتكبون شرًا ولا يفهمون، ولكنَّ ذوو الفطنة يُدركون [يفهمون] .

يؤكد هذا النص أن الأحداث التي أخبر عنها ستأخذ مكانها في زمان النهاية، وسيُمتحن من خلالها أناس كثيرون، فمنهم من يقع بشرأ أعماله، ومنهم من ينجو بجميل صنعه وفهمه، واختياره للطريق الأصوب، بناءً على ما جاء في هذه النبوءات.

### بعض روئي ونبوءات الأنبياء الصغار:

وهم اثنا عشرنبياً، وعلى ما يبدو أنهم بُعثوا في الفترة التي كان لليهود فيها تواجد في جزئي في القدس ، وقعوا فيها بحكم شبه ذاتي للقلة التي بقيت فيها ولمَّا عادوا من السبي البabلي ، وامتدت هذه الفترة، ما بعد السبي البabلي ، إلى ما قبل بعث عيسى . عليه السلام ..، وسمُّوا بالأنبياء الصغار كون أسفارهم صغيرة الحجم، حيث يتراوح عدد صفحات كل منها ما بين (2-12) صفحة ، ومعظم رؤاهم ونبءاتهم تتحدث عن أحداث آخر الزمان ، المرتبطة بعودتهم الثانية إلى فلسطين .

### سفر يوئيل:

#### وصف أصحاب البعث الثاني:

ـ هذا ما أوحى به الرب ، إلى يوئيل بن فتوئيل : اسمعوا هذا أيها الشيوخ ، وأصفوا يا جميع أهل الأرض ، ...

ـ 15 : ياله من يوم رهيب ، لأن يوم الرب قريب ، حاملاً معه الدمار من عند القدير ،... اصحوا أيها السكارى ، وابكوا يا جميع مدمني الخمر ... فإنَّ أمةً قوية قد زحفت على أرضي ، أمةً قوية لا تُحصى لكثرتها ، لها أسنان ليث وأنيات لبؤة ، ....

2 : هو يوم ظلمة وتجهم ، يوم غيوم مُكْفَهَّةَ وقتم دامس ، فيه تزحف أمة قوية وعظيمة ، كما يزحف الظلام على الجبال ، أمة لم يكن لها شبيه في سالف الزمان ، تلتهم النار ما أمامها ، ويُحرق اللهيب ما خلفها ، الأرض أمامها جنة عدن ، وخلفها صحراء موحشة ، يثبون على رؤوس الجبال ، في جلة كجبلة المركبات ، كفرقة لهيب نار يلتهم القش ، وكجيشه عات مُصطفٍ للقتال . تنتاب الرعدة منهم كل الشعوب ، وتشحّب كل الوجوه ، يندفعون كالجبابرة وكرجال الحرب ، ... ، ينسرون بين الأسلحة من غير أن يتوقفوا ، ينقضون على المدينة ، ويتواثبون فوق الأسوار ، يتسلّون البيوت ، ويتسلّلون من الكوى كاللصوص ، ترتعد الأرض أمامهم وترجف السماء ، ... ، يجهّر الرب بصوته في مقدمة جيشه ، لأن جنده لا يُحصى لهم عدد ، ومن يُفْنِد أمره يكون مُقدّراً ، لأن يوم الرب عظيم ومخيف ، فمَنْ يحتمله؟ !؟ .

يوم الغضب الذي يصفه يوئيل ، هو اليوم الذي ستتّقضّ فيه تلك الأمة القوية لتنفيذ وعد الآخرة .

#### الإشارة موعد زوال دولة اليهود فلكياً :

ـ يوئيل : 2 : 30 : وأجري آيات في السماء ، وعلى الأرض ، دماً وناراً وأعمدة دخان . وتتحول الشمس إلى ظلام (كسوف الشمس) ، والقمر إلى دم (وخسوف القمر) ، قبل مجيء يوم الرب العظيم المخيف . إنما كل من يدعوا باسم الرب يخلص ، لأن النجاة تكون في جبل صهيون وفي أورشليم ...

يُشير هذا النص إلى أن نهاية اليهود سيسبّقها بعض الإشارات والدلائل في السماء وفي الأرض ، أما الإشارات الأرضية ، فهي قتل وسفك دماء ، ودمار ونار ، وحرائق ودخان ، وأما الإشارات السماوية ، فهي أولاً كسوف كلي للشمس ، يليه خسوف كلي للقمر ، تتم مشاهدتها من فلسطين على التوالي ، والمفت للنظر أن الإشارات السماوية قد وقعت بالفعل ، فالكسوف الكلي للشمس حدث بتاريخ 11 / 8 / 1999 ، وتبعه خسوف كلي للقمر بتاريخ 9 / 1 / 2001 ، ولأول مرة بعد دخول اليهود فلسطين يتحصل هذا الحدث على هذا النحو ، وهو ما لن يتكرّر قبل 180 سنة على الأقل .

#### رؤيا حقوق:

#### وصف الإفساد وأصحاب البعث الثاني:

ـ 1 - 3 - 11 : إنما تلتفت أشدّ أمامي جوراً وأغتصاباً ، ويثير حولي خصام ونزاع ، لذلك بطلت الشريعة (تعطّلت) وبiad العدل ، لأن الأشرار يُحاصرُون الصديق ، فيصدر الحكم منحرفاً عن الحق . تأملوا الأمم وأبصروا ، تعجبوا وتخبروا ، لأنني مُقبل على إنجاز أعمال في عهدهم ،

إذا أخبرتم بها لا تصدقونها . فها أنا أثير الكلدانين ، هذه الأمة الماحقة المندفعه ، الزاحفة في رحاب الأرض ، ل تستولي على مساكن ليست لها ، أمّة مُخيفة مُرعبة ، تستمد حُكمها و عظمتها من ذاتها . خيولها أسرع من النور ، وأكثر ضراوة من ذئب المساء ، فرسانها يندفعون بكبرياء ، قادمين من أماكن بعيدة ، مُتسابقين كالنسر المُسرع للانقضاض على فريسته ، يُقبلون جميعهم ليعيشوا فساداً ، ويطغى الرعب منهم على قلوب الناس قبل وصولهم ، فيجمعون أسرى كالرمل . يهزّون بالملوك ، ويعثرون بالحكام ، ويسخرون من الحصون ، يجعلون حولها تلالاً من التراب و يستولون عليها . ثم يجتاحون كالريح ويرحلون ، فقوة هؤلاء الرجال هي إلههم .

٣- ٣ : لأن الرؤيا لا تتحقق إلا في ميعادها ، وتسرع إلى نهايتها ، إنها لا تكذب ، وإن توانت فانتظرها ، لأنها لا بد أن تتحقق ، ولن تأخر طويلاً .

عودة الإسلام منيراً بهياً :

٤- ٤ : قد أقبل الله من أدوم (الأردن) ، وجاء القدس من جبل فاران (مكة) ، غمر جلاله السماوات ، وامتلأت الأرض من تسبيحه ، إن بهاؤه كالنور ، ومن يده يومض شعاع ، وهناك يحجب قوته . يتقدمه وبا ، والموت يقتفي خطاه . وقف وزلزل الأرض ، تفرس فأرعب الأمم ، اندكَّت الجبال الأبدية ، وانهارت التلال القدية ، أما مسالكه فهي منذ الأزل ، لقد رأيت خيام كوشان تنوء بالبلية ، وشقق أخيبة ديار مدیان ترجمف رعباً .

هذا النص مشابه للنص النبوى الذى ورد في سفر التثنية ، بداية هذا الفصل ، فعبارة ( جاء القدس ) ، تُشير إلى عودة الدين ، وعبارة (من جبل فاران) ، تُحدد مكان ظهور القائم على أمره ، وهي جبال الجزيرة العربية ، أما عباره (قد أقبل الله) ، فتعنى قدوم شيء من أمر الله ، كالبعث أو الملك المنتظر ، وعبارة (من أدوم) أي من الأردن ، تُشير إلى الجهة التي سيأتي منها البعث ، وعلى ما ييدو أن هذا النص ، جاء ليُفسّر ويفصل النبوة التي جاءت على لسان موسى عليه السلام (وأتي من ريوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم) ، وتوكّد استعادة الإسلام لمجده وبهائه ، وليريد بنوره عصوراً من ظلام القلوب والعقول .

رؤيا صفينيا :

وصف إفساد إسرائيل والوعد بعقابها :

٥- ٥ : ويل للمدينة الظالمه المتردة الدنسة ، التي لا تُصفى لصوت أحد ، وتأبى التقويم ، ولا تتتكل على الرب ، ولا تقرب من إلهها ، رؤساؤها في داخلها أسود زائرة ،

وقضاتها كذاب المساء الجائعة، التي لا تبقي شيئاً من فرائسها إلى الصباح، أنياؤها مغوروون وخونة، وكهنتها يُدنسون المقدس، ويتعدون على الشريعة ...

١٠ : ٢ : يقول رب : سأمحو محو كل شيء عن وجه الأرض ، .... أمدي لأعاقب يهودا وكل أهل أورشليم ، وأفني من هذا الموضع بقية عبادة البعل ، وكل كهنة الوثن . .... فتصبح ثروتهم غنية ، ويتهم خراباً .

### الحرب القادمة مُباغة وسريعة :

١٤ - ١٨ : إن يوم الرب العظيم قريب ، وشيك وسريع جداً . دويُّ يوم الرب مُخيف ، فيه يصرخ الجبار مرتعباً ، يوم غضب هو ذلك اليوم ، يوم ضيق وعداب ، يوم خراب ودمار ، يوم ظلمة واكتتاب ، يوم غيوم وقتم . .... فيه أضائق الناس فيمشون كالعمى لأنهم أخطؤوا في حقَّ الرب ، فتتسكب دماءهم كالتراب ، ويتناشر لحمهم كالجللة . لا يُقذهم ذهبهم ولا فضتهم ، في يوم غضب الرب ، إذ بنار غيرته تلتهم كلَّ الأرض ، وفيه يضع نهاية مُباغة كاملة سريعة لكلَّ سكان المعمورة .

اعتماداً على هذا النص ، يعتقد معظم المفسّرين الغربيين بأنَّ الحرب العالمية القادمة ستكون مُباغة وسريعة جداً ، وستحصل في فترة زمنية قصيرة جداً ، تُعدُّ بالأيام .

### سفر حجٍّ :

#### إعادة بناء الهيكل طمعاً في الذهب والفضة :

٧ - ٨ : هكذا يقول رب القدير : تأملوا فيما فعلتم ، اصعدوا الجبل ، واجلبو خشبَاً وشيدوا الهيكل ، فأرضي عنه وأنجذ ...

٩ - ٥ : بمقتضى عهدي الذي أبرمته معكم ، عندما خرجم من ديار مصر ، إن روحى ماكث معكم ، فلا تفزعوا . لأنَّه هكذا يقول رب : ها أنا مُزمع مرأة أخرى ، عمًا قليل أن أُزلزل السماء والأرض والبحر واليابسة ، وأن أُزعزع أركان جميع الأمم ، فتُجلب نفاسهم إلى هذا المكان ، وأملاً الهيكل بالمجده ، فالذهب والفضة لي يقول رب القدير ، ويكون مجد هذا الهيكل الأخير ، أعظم من مجد الهيكل السابق ، وأجعل السلام يسود هذا الموضع ، يقول رب القدير .

هذا النص المحرق ، مما يتخد اليهود كدعوة لإعادة بناء الهيكل ، والحقيقة أنَّ الله أمرهم بعبادته وإقامة شريعته ، ولكنهم يعبدون الذهب والفضة ، ومستودعها هو الهيكل ، ويسعون

لبنائه لجعله مصرفًا دوليًّا أو بورصة عالمية، وهذا كان حالهم عند مجيء المسيح عليه السلام، وكما هو موصوف بالإنجيل، وأما النص غير المحرف، الذي يخبرهم فيه ربهم، بأنه لا يريد منهم هيكلًا، وإنما يريد منهم صلاحًا وإصلاحًا، فهو موجود أيضًا في السفر نفسه، بعد أسطر قليلة وهذا نصه:

١٤-١٥: هذا هو حال الشعب، ...، فكل أعمال أيديهم، وما يقدموه نجس. والآن تأملوا فيما صنعتم اليوم، وفيما صنعتم في الأيام السالفة، قبل أن تضعوا حجرًا فوق حجر، لبناء هيكل الرب !!!.

### سفر زكريا:

تحذير يهود هذا الزمان على لسان زكريا عليه السلام:

٢-٦: لقد غضب الرب أشد الغضب على آبائكم، ولكن؛ قُل لهم هذا ما يُعلنه الرب القدير: ارجعوا إلى فارجع إليكم. ولا تكونوا كآبائكم الذين حذّرهم الأنبياء السابقون قائلين: ارجعوا عن طرقكم الباطلة، وأعمالكم الشريرة، ولكنهم لم يسمعوا ولم يُصنعوا إلى، ... ألم تدركوا أقوالي وفريائي التي أمر بها عبدي الأنبياء آباءكم، قائلين: لقد نفذ الرب القدير، ما عزم أن يُعاقبنا به (في المرة الأولى)، بمحنة ما ارتكتناه، من أعمال باطلة.

٧-٨: هذا ما يقوله الرب القدير: اقضوا بالعدل، ولبيِّد كل منكم إحساناً ورحمة أخيه. ولا تجوروا على الأرمدة واليتيم، والغريب والمسكين. ولكنهم أبوا أن يُصنعوا، واعتصموا بعنادهم غير عابثين، وأصموا آذانهم لثلا يسمعوا. وقسوا قلوبهم كالصوان لثلاثة يسمعوا، ...، فانتصبَ غضب عظيم من لدن الرب القدير، ... وأضحت الأرض المهجّة قفراً.

### مصير الشعب اليهودي في فلسطين:

٩-١٣: ويقول الرب القدير: استيقظ أيها السيف، وهاجم راعيًّا ورجل رفقي، اضرب الراعي فتبدد الخراف، ولكنني أردّد يدي عن الصغار (أي المستضعفين). يقول الرب: فيفني ثلثا شعب أرضي، ويبقى ثلثهم حيًّا فقط. فأجيز هذا الثالث في النار، لأنّيه تنقية الفضة، وأمحصه كما يُمحص الذهب.

هذا النص يُشير إلى الوعد الثاني وعقابه، حيث يفني ثلثان وينجو ثلث، وهذا الثالث يُمحض بمحض الدجَّال، فيفني من تبعه منهم، وينجو منهم من يعتنق الإسلام.

١٤: انظروا لها يوم مُقبل للرب، يُقسم فيه ما سُلِّب منكم في وسطكم. لأنني أجمع الأمم على أورشليم لتحاربها، فتُؤخذ المدينة وتُنهب البيوت، وتُغتصب النساء، ويُسبي نصف أهلها إلى المنفى، إنما لا ينفرض بقية الشعب من المدينة.

### الحرب العالمية النووية الثالثة:

يعتقد مُجمل الغربيين من يهود ومسيحيين، من مفسري النصوص التوراتية، أن حرباً نووية ستفعل في المستقبل القريب، تبدأ بهجوم على إسرائيل، من قبل روسيا وحلفائها من الشرقيين، المذكورين في النصوص السابقة. وستكون نتيجة هذه الحرب هي انتصار إسرائيل وحلفائها الغربيين، وفيما يلي بعض النصوص التي تُخبر عن ظروف هذه الحرب:

١٢- ٦: ها أنا مُزمع أن أجعل أورشليم كأس خمر، تترنح منها جميع الشعوب المحيطة بها، ...، في ذلك اليوم أجعل أورشليم كصخرة ثقيلة تعجز عن حملها جميع الشعوب. وكل من يُحاول حملها ينشق شقاً، ويتآكل عليها جميع شعوب الأرض. في ذلك اليوم، يقول رب: أُصيب كل فرس من جيوش الأعداء بالرعب، وفارسه بالجنون، ...، أجعل عشائر يهوداً، ...، كمشعل ملتهب بين أكdas الخطة، فيلتهمون الشعوب من حولهم، مِمَّنْ عن يمينهم وعن يسارهم، بينما تظلّ أورشليم آمنة آهلة في موضعها.

مع أنَّ هذا يُشير إلى أن إسرائيل ستُهاجم من قبل أمم كثيرة، فinctصر الرب لأورشليم وعشائرها، وتبقى آمنة مطمئنة، لكنْ؛ في النصوص التي تلي هذا النص تجد نواحاً ونحوياً من قبل ذرية داود، والنواح والتحبيب لا يكون عادة من شدة الفرح، وإنما من شدة الألم، لوقوع فاجعة ما حلّت بهم، وفي النص التالي وصف لهذا النواح:

١٢: ١١: في ذلك اليوم يكون النواح في أورشليم، ماثلاً للنواح في هدد رمون في سهل مجدو، فيشيغ النحيب بين أهل البلاد.

وحسب ما يعتقد اليهود والنصارى فإن هذا النص يُحدّد ساحة المعركة البرية، في الحرب القادمة المسماة (هرمجدون)، بين اليهود وأعدائهم، في سهل مجدو شمال فلسطين.

١٤: ١٢: وهذا هو البلاء الذي يُعاقب به الرب جميع الشعوب الذين اجتمعوا على أورشليم: تهراً لحومهم وهم واقفون على أرجلهم، وتتآكل عيونهم في أوقيابها، وتتلف ألسنتهم في أفواههم. ١٣: في ذلك اليوم يُلقى الرب الرعب في قلوبهم، حتى ترتفع يد الرجل

ضد رفيقه في هل كان معاً . 14 : ويحارب أبناء يهودا أيضاً دفاعاً عن أورشليم، وينمون ثروات من الأمم المحيطة .

يشكّل هذا النص توليفة غريبة، من صنع الكتبة . فالفقرة (12) تصف ما يُشبه تأثير تعرض الجسم لحرارة شديدة جداً . والفقرة (13) تصف ما يُشبه قيام الساعة . والفقرة (14) و كأنها نص مأخوذ مما يلي الفقرة (16) في النص اللاحق ، إذ كيف يقوم أبناء يهودا بمحاربة الجثث المحترقة !!

٩ : 13 : ها أنا أُتريهودا كقوس ، وأجعل أفرادكم كسهم ، وأثير رجال صهيون على أبناء اليونان ، فتكونين كسيف جبار . ... ، 15 : يقيهم الرب القدير حجارة الملاع ، بل تقصر عنهم ويطرونها ، ويسرون ويصخرون كالسكاري من الخمر (من نشوء النصر) . 16 : في ذلك اليوم يخلّصهم الرب إلههم لأنهم شعبه وقطيعه ، ويتلقون في أرضه كحجارة كريمة مرصعة في تاج ، فما أجملهم وأبهام ! .

هذا النص يصف رجالاً يُقاتلون أبناء اليونان ، أي ليس آباءهم ، واليونان هم الغرب ، ويمثلهم الآن أمريكا وبريطانيا وحلف الناتو ، وهم كما نعلم حلفاء لإسرائيل ، فكيف سيقاتل رجال صهيون حلفاءهم من أبناء اليونان ؟

### ملخص ما تُوضح عنه هذه النصوص :

يربط هذه النصوص مع النصوص السابقة نجد أن النصوص السابقة تُحذّر اليهود من الإفساد في الأرض ، ومن ثم تُخبر بأن الإفساد سيقع منهم لا محالة ، مما يُحتم انسكاب الغضب الإلهي عليهم ، والتنتيجة هي وفاة ثلثتهم ، ونجاة ثلث ، وخراب أرضهم ، بمعنى نهاية دولتهم في فلسطين ، وهذا يعني أن القدس ستكون في أيدي أناس من غير اليهود ، وهم الذين أنهوا الوجود اليهودي فيها . ومن ثم تبدأ بالإخبار بأن أورشليم أي القدس ، ستكون محطة أنظار شعوب العالم جميعها ، وبأن شعوباً كثيرة ستأتي لقتال أهلها والاستيلاء عليها ، فيهلكوا جميعاً ، وتبقى القدس آمنة عاصرة بسكانها . وهلاك هذه الشعوب سيكون باحتراقها بالأسلحة النووية ، ويُحارب أهل فلسطين آنذاك في معركة برية ، فينصرون ، وينمون ، ويسلمون .

والخصم يُحدّده النص الأخير بأبناء اليونان ، أي حلف الناتو بقيادة أمريكا ، ويُخبر النص بأن الله سيقي شعبه المتواجد في فلسطين من صورايخ أعدائهم وقنابلهم ، ويكون النصر حليفهم ، ومن ثم يُخبر عن صفة القوم ، الذين يُحاربون أبناء اليونان ، وهي صفة لا تليق إلا بالمسلمين .

**بناء الهيكل تعبير مجازي والمراد منه إقامة الدين وليس إقامة البناء:**

١٤-١٧: هذا ما يقوله رب القدير: إنّي قد غرت على أورشليم، وعلى صهيون (جبل المسجد) غيرة عظيمة، (من أجل ما فعلوه فيها)، ولكنّ غضبي متّاجع على الأمم المتنعة (وهم على رأسها). لقد اغتّلت قليلاً (والأصح كثيراً) من شعبي، إلا أنّهم زادوا من فواجهم. لذلك يقول رب: سأرجع إلى أورشليم بفيض من المراحم (بعودتها إلى أهلها)، فيبني هيكلني (فيُقام الدين)، وتعمر أورشليم (تُتّخذ عاصمة للحكم الإسلامي)، وأهتف قائلاً: هذا ما يقوله رب القدير: ستفيض مدنّي خيراً ثانية ويرجع رب، فيُعزّي صهيون ويصطفى أورشليم.

وفيما يلي تكرار للنص نفسه، ولكن؛ بدون التشويهات التي أضافها الكهنة إلى النص أعلاه:

٢-٣: هذا ما يقوله رب القدير: إنّي أغارت على صهيون غيرة عظيمة، مُفعمة بغضب شديد على أعدائنا (وأعداؤها هم اليهود أنفسهم). لهذا يقول رب القدير: ها أنا عائد إلى صهيون لأقيم في أورشليم، فتدعى آنذاك مدينة الحق، كما يُدعى جبل رب القدير بالجبل المقدس.

### **ملك للحق والسلام في القدس:**

٤-٨: فأصبح يا يهوشع رئيس الكهنة، أنت وسائر رفاقك الكهنة الحالين أمامك، أنت رجال آية (أي شهود): وها أنا آتي بعمدي الذي يُدعى الغصن.

٦-١٢: هكذا يقول رب القدير: ها هو الرجل الذي اسمه الغصن، ينبت من ذاته [وفي الترجمة الثانية / ومن مكانه ينبت] ويبني هيكل رب (أي يقيم الدين). هو الذي يبني هيكل رب ويتجلّل بالمجده، ويكون ملكاً وكاهناً في آن واحد (أي خليفة قائم بأمر الدين والدنيا)، فيجلس ويحكم على عرشه، فيعمل بفضل مشورة رتبته (أي الملك والكهانة)، على إشاعة السلام بين قومه. ويتواجد قوم من بعيد ليبنوا هيكل رب.

وهذا الرجل، غصن من شجرة محمد عليه الصلاة والسلام، أو شجرة النبوة وينبت في المكان نفسه أي من جزيرة العرب.

١٩-٢٢: ستكون مواسم ابتهاج وفرح وأعياد سعيدة، يتمتع بها شعب يهودا، لهذا أحبا الحق والسلام، .... فتوافد أمم كثيرة وشعوب قوية، ليتّمسوا وجه رب القدير، في أورشليم وليحظوا برضاه.

قارن ما بين النصين لتكشف التحرير والتبديل، حيث وضعوا شعب يهودا في النص (19-22) بدلاً من قومه في النص (12-15) أعلاه، وأضافوا إلى النص الثاني، ابنة صهيون وابنة أورشليم.

### صفات ملك القدس المنتظر:

٩-١٠: ابتهجي جدا يا ابنة صهيون، واهتفي يا ابنة أورشليم، لأن هو ذا ملك مُقبل إليك. هو عادل ظافر، ولكنه وديع راكب على أتان. وأستأصل المركبات الحربية من أفرايم، والخيل من أورشليم، وتبيد أقواس القتال، ويشيع السلام بين الأمم، ويتدبر ملكه من البحر إلى البحر، ومن نهر الفرات إلى أقصى الأرض .

يقول اليهود إنه الملك الرب ، ويقول النصارى إنه عيسى عليه السلام، وقد تحقق ذلك، والحقيقة أن هذه النبوة مستقبلية، ولم تتحقق لغاية الآن، فصاحبها - كما نعتقد - هو المهدى الذي سيقهر كل خصمه، ومن ثم يشيع السلام والأمن على امتداد ملكه الموصوف بالنص، وهذا مما يجعل أي صحة إسلامية تدب الرعب في قلوبهم الفزعية.

### الدَّجَالُ وصفته في التوراة:

١١-١٦: فها أنا مزمع، أن أُقيم في الأرض راعياً، لا يعبأ بالغم الشاردة، ولا يفتقد الحملان أو يجر المكسورين، ولا يُغذى الصحيح، ولكنه يفترس السُّمَانَ منهم، ويتنزع أظلافهم، ويلُّ للراعي الأحمق الذي يهجر القطيع. ليتر السيف ذراعه ويفقاً عينه اليمنى، فتُبَسِّ ذراعه، فتكفَّ عينه اليمنى عن البصر .

١٤: ...، ويأتي الرب إلهي في موكب، من جميع قدسيه. في ذلك اليوم، يتلاشى نور الكواكب، ولا يكون برد ولا صقيع. ويكون يوم متواصل معروف عند الرب، لا نهار فيه ولا ليل، إذ يغمر النهار ساعات المساء. في ذلك اليوم تجري مياه حبة من أورشليم، يصب نصفها في البحر الشرقي، ونصفها في البحر الغربي، ويملك الرب على الأرض كلها، فيكون في ذلك اليوم، رب واحد لا يُذكر سوى اسمه .

١٤: فيصعد الناجون من الأمم، التي تأليت على أورشليم، سنة بعد سنة، ليعبدوا الملك الرب القدير، ويحتفلوا بعيد المظللات . وإن تقاعست آية عشرة من عشرات أمم الأرض عن الصعود إلى أورشليم، لتسجد للملك الرب القدير، يمتنع المطر عن الهطول على ديارهم، وإن أبي أهل مصر الصعود، للاشتراك في الاحتفال، يحلّ البلاء الذي يُعاقب به الرب الأمم التي لا تنجيء للاحتفال بعيد المظللات ...، ولا يبقى في هيكل الرب القدير تجاري في ذلك اليوم .

من يملك دراية بالأحاديث النبوية الخاصة بآخر الزمان، لا يشك بأن هذه النصوص بالرغم من تلاعيب الكتبة بها وتشوبيها، تصف حال الدجال، وما يملك من خوارق، في الفترتين الأولى والثالثة، فهو يأتي ليُفسد في الأرض، وهو أعور العين اليمنى. يومه الأول كسته ليس فيه تعاقب لليل والنهار، وبين يديه نهران، نهر من ماء ونهر من نار، ويدعى الربوية ويحجب الأرض كلها، وإن امتنع قوم من الاستجابة له، أمر السماء فأمسكت، وأصبحت سمان مواشיהם هزيلة، والعكس بالعكس. والنص الأخير يدعوه لعبادة هذا الملك الرب القدير، فلذلك فهم ينتظرون ظهوره، ويريدون استعجال الأمر، ليحارب أعدائهم، وأما الفقرة الثانية، فكأنها تصف يوم القيمة في قوله تعالى: «يَوْمَ تُبَدِّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» (48 إبراهيم)، قوله «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلِئَكَةُ وَقُصْنَى الْأَمْرِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» (210 البقرة).

### **النبوءات التوراتية وأثرها في تشكيل القناعات والعقائد اليهودية المشوهة:**

هذه النبوءات التوراتية الوعيدة، شكلت أحد أبرز العقد في الشخصية اليهودية، وهي التطلع الدائم إلى الملك والسيادة، في أرض المعاد. وهذه النبوءات، كانت تُسير اليهود، على مدى تاريخهم الطويل، وما زالت، في حلمهم وترحالهم في أرجاء الأرض، بحثاً عن هذا الملك التوراتي الموعود، الذي نسجته أقلام الكهنة، ظلّلوا أنفسهم وظلموا من جاء بعدهم من آمن بأن هذا من عند الله، ليلاقي عُميان البصر والبصيرة - من أبنائهم هذه الأيام - مصيرهم المظلم والمحظوم، والذي تقشرّ من وصفه في التوراة أبدان الذين يعقلون من الناس. ولكن اليهود ... لا يسمعون ... ولا يُصرون ... ولا يعقلون ... ولا يفهون ... إلا أكاذيب أربابهم من الكهنة والأحبار. ولذلك، سيكون من ينجو منهم من عقاب وعد الآخرة، صيداً سهلاً للدجال عند ظهوره بملكه المادي، الذي هو الأقرب للوصف الذي خطّه الكهنة، وهو الأقرب لأهوائهم وأطماعهم التي لم تختلف قيداً ملته عن أهواء وأطماع أسلافهم.

### **قراءة في العقائد اليهودية:**

اليهود أقرب إلى الإقرار بوجود الله من إنكاره، ولكن معرفة القرآن منهم بالله محصورة في إطار ما جاء في التوراة والتلمود، التي تصف الله بصفات أقرب ما تكون إلى صفات الأب البشري الذي يعطي ويعطف ويعفو ويصفح، ولا يغضب على أبنائه مهما بلغوا من السوء، ويُخطئ ولكنه يعود ويعرف بخطئه في حق أبنائه، ويرجع عنه، وهم يُعدُّون أنفسهم الابن البكر، صاحب الخلوة عند الأب كما هي العادة، ويتعاملون مع الله على هذا الأساس،

لفهمهم الخاطئ لمسألة التفضيل، باختيارهم لحمل الرسالة السماوية، ورعاية الله لهم فيما مضى من الزمان. و تستطيع تصور العقلية التي يتعاملون بها مع الله، بعقلية الابن المدلل الأناني الفاسد والمفسد، عديم البصر والبصرة، والذي لا يتوقع من أبيه الأذى مهما ارتكب من أخطاء؛ حتى ولو حذرته والده مراراً وتكراراً من استمراره على الحال نفسه ، فهو لا يريد أن يُصدق أن هذا الأب المعطاء الحاني، من الممكن يوماً من الأيام أن يُعاقب ابنه المدلل مهما كانت الأسباب . و تستطيع تصور الكيفية التي يتعامل بها اليهود، مع باقي البشر من خلال الكيفية التي يتعامل بها ذلك الابن مع باقي أخوته ، وهذه الكيفية هي ما تجده في تعاليم التلمود.

وأخطر معتقدات اليهود، هو عدم الإيمان باليوم الآخر، فمؤدى نكران اليوم الآخر، هو نكران للبعث بعد الموت، ونكران للحساب، ونكران للجزاء الأخرى ، والدليل إن وُجد فهو الجزاء الدنيوي . وهذا مما يؤدي إلى الاعتقاد بعثية الخلق، وبعثية الإيمان بالله أصلاً، فلا جدوى من الصلاح والإصلاح ، إن لم يكن هناك ثواب ، ولا ضير من الفساد والإفساد، إن لم يكن هناك عاقبة ، وبعض من هذه الأفكار الإلحادية تجدها في التوراة في سِفر الجامعة ، سِفر العبر والتوبية . ولذلك أخذ اليهود على عاتقهم مسؤولية الإفساد في الأرض دونما وازع أو رادع ، بما أخلفه مؤلفو التوراة من ذكر لليوم الآخر ومتطلقاته ، فالثواب حسب اعتقادهم هو مقدار ما ينالونه من كسب دنيوي بشتى الوسائل والسبل ، والعقاب هو مقدار ما يخسرون من هذا الكسب . وحتى يُجتب رب العزة أمّة الإسلام خطر هذا الاعتقاد ، اقرن ذكر الإيمان بالله بذكر الإيمان باليوم الآخر والأخرة ، بتصريح اللفظ 26 مرة في القرآن ، وتكلاد لا تخلو سورة من ذكر متعلقاته أو التذكير بها ، من بعث وحساب وجاء ، وما يليه من عقاب وثواب . وانعدام إيمانهم باليوم الآخر أو جد لديهم الصفات السلبية ، التي تتعوا بها على مر العصور ، مثل المحرص على الحياة ، والجبن ، والبخل ، والسعى وراء الكسب المادي ، وانعدام المبادئ والقيم والصفات البشرية المحمودة .

وللتعرىض عمّا حذفوه من الأصول العقائدية الصحيحة ، وللتوفيق ما بين المعتقدين السابقين ، طرح مؤلفو التوراة والتلمود ، الكثير من الأفكار الإلحادية ، كفكرة الملك الإله الرب من نسل داود ، الذي سيظهر بلحمه ودمه ، ليسكن جبل صهيون في القدس ، ويحكم العالم إلى الأبد ، ليتفوا بعبارة (إلى الأبد) أي أمل لليهود ليعتقدوا بنهاية الحياة الدنيا ، وبوجود حياة أخرى هي التي تتصف بالأبدية ، مما أبهمَ على العامة مصير الروح بعد الموت ، فطرحوا حول مصيرها أفكار متضاربة ، هي أقرب إلى المعتقدات الوثنية منها إلى أي شيء آخر .

## أثر هذه المعتقدات في الشخصية اليهودية:

كان النبي البابلي بما أحدثه من دمار وتنكيل وأسر أكبر صدمة يتعرض لها الشعب اليهودي، حيث قلبت كيانهم رأساً على عقب، ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك اليوم، حتى تكنوا من تحقيق علوهم الثاني في فلسطين، ولو لا مشيئة الله التي ينكرونها ما كان. والذي لم يكن يتخيله أو يتصوره اليهود آنذاك - وهم في قمة علوهم الأول - أن يتخلّى عنهم رب الجنود، وأن يبعث عليهم أمة جافية الوجه، لتعمل فيهم سيف انتقامه، وأن يُنزل بهم ضعة وذلة وخزيًا، بعد عزة وقوّة وعلوّ، بالرغم من كل ذلك الدلال - المؤتّق في التوراة - الذي أحاطهم به، منذ خروجهم من مصر، وما أجراه لهم من معجزات، وعفوه سبحانه عنهم رغم كفرهم وعصيانهم وعدوانهم، مراراً وتكراراً، حتى أدخلهم إلى الأرض المقدّسة، وأقام لهم ملكة بلا جهد أو عناء.

وبالرغم من وضع نبوءة الإفسادين وما يليهما من عقاب، سيفاً إليها مُسلطاً على رقابهم، لم ولن يرجعوا عن غيّهم وطغيانهم، فهم مسكونون بما نقوله كهتهم وأحجارهم وحاخامتهم (الحكماء)، على الله وعلى رسّله، وعلى كل ما هو مقدس، مما أدى إلى إصابتهم كأمة، بحالة معقدة من الفضام العقلي، من جراء اعتقادهم لمعتقدات خاطئة، نتيجة ما زرّعه حكماؤهم في التوراة والتلمود من خرافات وأساطير وآراء وتفسيرات، هي أقرب ما يكون إلى الأوهام والهلاوس، فأنبتت تلك المسوخ الشيطانية، عديمة البصر والبصيرة، التي اتحدت وأمنت بشكل جماعي بمعتقدات خاصة بها، تتنافى مع الطبيعة البشرية السليمة، فرفضت واضطهدت من المجتمعات البشرية كلها، التي ساءها ذلك السلوك الجماعي الشاذ والمنحرف لتلك المسوخ، وبالتالي، لم تجد الشعوب، حلاً لمشكلتهم، إلا الطرد والنفي، أو إجبارها بمراسيم ملكية على التقطيع والعيش كالبهائم في حظائر الماشي، المسمّاة بالغيتوهات أو الكيبوتس، ومع ذلك لم ينجح هذا الخل، وظنَّ الغرب أنهم يواجهون غيتو كبير لهم فلسطين، ونفيهم إليه وحرشهم فيه، سيتخلصون من مشكلتهم إلى الأبد، ولكن؛ تبيّن لهم بعد فوات الأوان، أنهم كانوا على خطأ، إذ أنهم بعد غنّتهم من إقامة وطن قومي لهم، أصرّ معظمهم وخاصة الأغنياء منهم على البقاء في الغرب، فأصبح نصارى الغرب مؤخراً بعدوى الفضام اليهودي، لأنهم يملكون استعداداً ورأياً توراتياً لذلك. لذلك من الطبيعي جداً أن ترى زعماء اليهود يصافحون العرب، راسمين على شفاهם تلك الابتسامة العريضة، بينما أيديهم تقطر من دم أبنائهم وأخوانهم، وكان شيئاً لم يكن.

## ما يعتقد اليهود بالنسبة لوجودهم الحالي في فلسطين:

خلاصة ما يعتقد اليهود هذه الأيام، وهم الأقرب والأكثر فهماً لنبوءات التوراة، لمعرفتهم بالطرق السرية التي كُتبت فيها نصوص التوراة، وما تضمنته من أسرار ورموز، مفاتيح حلها موجودة، في كتب خاصة لديهم، بناءً على ما تقدم:

تُخبرهم بعض نصوص التوراة بأنهم - بعد العودة من الشتات - لا محالة سيفسدون، وأن الله سيبعث عليهم من يُعاقبهم، من بلاد فارس وما جاورها.

وتُخبرهم نصوص أخرى، أن ملوكهم - بعد العودة من الشتات - سينضوي مستقبلاً تحت لواء ملك من نسل داود أو الملك الرب القدير، يظهر آخر الزمان، يقود اليهود ويتصدر على أعداء إسرائيل، في الحرب القادمة، ويحكم العالم أجمع من القدس ملكاً أبداً، يتصرف بالحق والعدل والسلام، وأن أوانه قد اقترب، ولتعجيل ظهوره، لا بد لهم من الاستيلاء على أرض فلسطين كاملة، وتفریغ شعبها منها. وهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل، لكي يتسمى لهذا الملك تقديم القريان المقدس على مذبح الهيكل، وهو أول عمل سيقوم به فور ظهوره، ويعتقدون بأن سرعة إنجاز هذه الأمور، ستُعجل بظهور هذا الملك.

وتُخبرهم نصوص أخرى، أن هناك كما هائلاً من الأعداء الذين سيُهاجمونهم مستقبلاً، وسيكون النصر حليف اليهود وحلفائهم. لذلك فهم يعملون بلا كلال أو ملل، من وراء الستار الغربي الأمريكي البريطاني لتأمين هذا النصر الموعود.

لذلك لا بد لهم من أجل مخالفة النبوة التي تخبر عن دمار دولتهم، ومن أجل تحقق النبوة التي تنسب إليهم الملك الأبدى الذي سيقوم في القدس في نهاية الأمر أن يعملاً:

- على تقوية الناحية العسكرية وإمدادها بالأموال والتكنولوجيا المتطرفة التقليدية والنووية.
- على إجبار دول هؤلاء الأعداء التوراتيون على الموالاة للغرب، ومن ثم الموالاة لهم عن طريق الترغيب والترهيب.

- على حرمان الدول المعادية لهم من هذه القدرات، وإضعاف هذه القدرات حين امتلاكها وتدميرها.

- على تدمير الاستقرار الداخلي لتلك الدول، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، إن تعذر ذلك عسكرياً.

ويعتقدون أن الخطر القادم يتمثل بشكل أساسي في :

- البلدان العربية والإسلامية وعلى رأسها العراق وإيران.

- البلدان الشيوعية المناهضة للديموقراطية الرأسمالية، وعلى رأسها روسيا.

ولهذه الأسباب، عمل اليهود. وما زالوا يعملون. على تواجد الأساطيل والقواعد العسكرية الأمريكية البريطانية، بشكل مكثف في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية، وتركيا والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط سابقاً ولاحقاً، وعلى محاصرة تلك الدول اقتصادياً على الأقل وفرض عزلة عليها، بمعية الولايات المتحدة وساعدتها الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وحتى مهاجمتها على شكل تطبيق للقرارات الدولية.

### **أعداء اليهود التوراتيون بسمياتها القديمة والحديثة حسب تفسيرهم:**

بابل وأشور وببلاد الكلدانين ورجال فارس - العراق. (وللعراق درجة أولى في العداء التوراتي لليهود، وبامتياز مع مرتبة الشرف) لذلك تم توريطه في حرب الخليج الأولى والثانية، وضرب المفاعل النووي، وفرض حصار أبيدي، ويطمحون إلى إبادة شعبه بالأسلحة النووية في أقرب فرصة ممكنة، وتدامن الولايات المتحدة وبريطانيا على قصنه والاعتداء على شعبه حتى اليوم ، والمخفى كان أعظم. ومشمول في قائمة الدول الراعية للإرهاب.

روش وماشك وتوبال وحلفاؤهما كلهم، وبيت توجرمة من أقصاصي الشمال - دول الاتحاد السوفيتي السابق. (درجة ثانية)، لذلك تم تفكك الاتحاد السوفيتي، وإضعاف الحزب الشيوعي المناهض للغرب، وتدمير اقتصاد روسيا وتوريطها مع صندوق النقد الدولي. وتوريطها في حربين استنزافيتين في جمهورية الشيشان.

مادي ، ملوك الشرق - إيران. (درجة ثانية)، لذلك تم توريطها في حرب الخليج الأولى، ومقاطعة اقتصادية أمريكية وعداء معلن ، وتشجيع الحركات الإصلاحية الهدامة، وإثارة الفتنة والتورات الداخلية، لإشعال حروب أهلية ، طمعاً في قلب نظام الحكم الإسلامي فيها، وهي مشمولة في القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب.

إثيوبيا - السودان. (درجة ثالثة). وما زالت الحروب الأهلية التي يدعمها الغرب مشتعلة فيها، ومقاطعة اقتصادية أمريكية وعداء معلن ، وُصفت بالصواريخ الأمريكية في زمن (كليتون)، لاتهامها بالتعاون مع بن لادن ، وهي مشمولة في القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب .

ليبيا. (درجة ثلاثة) فُصّلت من قبل الطائرات الأمريكية في زمن الرئيس الأمريكي (ريغان)، لذلك تم فبركة حادثة تفجير الطائرة (لوكربي)، واتهمت بتدميرها، ومن ثم فُرض عليها حظر دولي من مجلس الأمن، ومقاطعة اقتصادية أمريكية، وهي مشمولة في القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب.

آشور وحلفائها - سوريا. (درجة ثلاثة). موضوعة على جدول مؤامراتهم القادمة، وهي مشمولة في القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب.

عيلام وحلفاؤها، ملوك الشرق - أفغانستان وباكستان. (درجة ثلاثة). لذلك كانت الحرب التي شنها الولايات المتحدة الآن والتي هي حرب صلبة، كما جاء على لسان قائدتها، وتوريط باكستان مع الهند وإشعال الفتنة وحروب الطوائف بينهما.

وبعبارة موجزة فإن أعداءهم كلهم مجموعون تحت لواء واحد وهو الدين الإسلامي بمفهومه الحقيقي أينما وُجِدوا، ومهمما كانت جنسياتهم وأقطارهم وأمصارهم، ومهما تنوّعت أسلفهم، ولأنهم متفرقون عبر الدول، ولأن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تعتدي على دولة بعينها بشكل علني، كان ما تسميه الحرب ضد الإرهاب، للاعتماد متى شاءت، وأين شاءت، وعلى مَنْ تشاء. أما الطوق الوحيد للنجاة من حرب الإرهاب وشبح الصفة الإرهابية - كما يريد الغرب - فهو الدين الإسلامي بالمفهوم الأمريكي اليهودي، والذي هو إسلام بالاسم وإنما بالمضمون.



## **الباب الثالث**

### **سياسة الفساد والإفساد**

**الفصل الأول:**

**المؤامرة اليهودية على العالم**

**الفصل الثاني:**

**النباءات الإنجيلية بين الماضي**

**والمستقبل**

**الفصل الثالث:**

**السياسة الأمريكية ونباءات التوراة**

**والإنجيل**



## الفصل الأول:

### المؤامرة اليهودية على العالم

#### نبذة بسيطة عن يهود العالم

من حيث المنشأ، ينقسم الشعب اليهودي إلى ثلاثة أقسام:

- اليهود الغربيون: وأغلبهم أثرياء، استطاعوا التغلغل في أوروبا الغربية في نهاية القرون الوسطى، وبدايات عصر النهضة (16 - 17)، فازدادوا ثراء فوق ثراء، بما لديهم من وسائل وإمكانيات وأخلاقيات، جمع المال بطرق مشروعة وغالباً غير مشروعة، لم يكن الأوروبيون والأمريكيون يمارسونها أو يتبعون إليها، رغم تحذيرات الرؤساء والساسة والخبراء المخلصين لأممهم، حتى "وقع الفاس في الرأس" ، فتربيعوا على عرش الاقتصاد العالمي حالياً.

- اليهود الشرقيون الإسكندرانيون: وأغلبهم فقراء، وقد بقي حالهم كذلك، في بلدان أوروبا الشرقية وروسيا الفقيرة، وكانوا مضطهدین ومنبوذین، في أغلب الأحيان، ويعيشون فيما يُسمى بالغفيوهات أو الكيوتس.

- اليهود الشرقيون العرب: وهم الذين عاشوا في البلدان العربية، كأفراد وجماعات، يتمتعون بحق المواطنة مثلهم مثل غيرهم، وكثير منهم أجبر على الهجرة إلى إسرائيل، من خلال ما دبره الموساد الإسرائيلي من أزمات لإرغامهم على المغادرة، وبقي جزء منهم في البلدان العربية لغاية الآن.

أما من حيث التوجه فينقسمون إلى ثلاث أقسام:

- المتحررون: وأغلبهم من يهود الغرب، ومهنتهم تنفيذ ما جاء في بروتوكولات الحكام، وحكم العالم اقتصادياً وسياسياً، يكونون فيه شيوخ الأمة، ويضعون الدستور، ويرسمون السياسية، وينصبون ملكاً من أنفسهم، دكتاتوراً مطلقاً على العالم، يأمر فيطاع، ويكون بثابة الإله على الأرض، ولا إله في السماء، فيُصبح اليهود أسياداً وبقية خلق الله - بلا استثناء - عبيداً لهم.

- العلمانيون: وأغلبهم من يهود الشرق الأوروبي، ومهتمهم هي تتنفيذ أهداف الحركة الصهيونية السياسية، التي تلقت بالدين اليهودي، من أجل تحقيق أهدافها السياسية، بإيجاد "غيتو" قومي لليهود في فلسطين، لرفع الاضطهاد والذل الذي لازمهم طيلة حياتهم، والإيجاد موطن قدم لهم، فنواب الدهر الغريبة غير مضمونه، فربما يتقلبون عليهم يوماً ما ويطردونهم، وهم الذين يشكلون الأحزاب العلمانية في الدولة اليهودية.

- المُتدينون: وأغلبهم من يهود الشرق بما فيهم يهود البلاد العربية، وظهرت منهم حركات دينية متطرفة كثيرة، ومهتمهم هي تتنفيذ الوصايا التوراتية التي خطّها أحبارهم القدماء على شكل نبوءات، وتتلخص في استلام الأرضي، وتهجير السكان الوثنيين، والاستيطان، وهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل، تمهيداً للملك اليهودي الداودي القادم الذي سيأتي من ربوات القدس، ليحكم العالم إلى الأبد، وهم الذين يشكلون الأحزاب الدينية المتطرفة.

وهذه الأصناف اليهودية كلها في الحصول وجوه عديدة لعملة واحدة، هي التوراة والتلمود، أخطر وثيقتين على مستقبل البشرية والعالم، لذلك احتل التحذير من اليهود واليهودية، مساحة شاسعة من قرآننا العظيم. بينما احتل الفكر اليهودي المادي مساحة شاسعة من عقول أمّة الإسلام، فسيّرت إلهها، وعبدت العجول الذهبية المادية للسامريّون الجدد.

### مؤامرة أو لا مؤامرة:

"وَيَلِلْمُتَآمِرِينَ بِالسُّوءِ، الَّذِينَ يَحِيكُونَ الشَّرَّ، وَهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ، الَّذِينَ يُنْقَذُونَ عِنْدَ طَلْوَعِ الْفَجْرِ، مَا خَطَّطُوا لَهُ، لَأَنَّ ذَلِكَ فِي مُتَّنَوْلٍ أَيْدِيهِمْ، يَشْهُونَ حَقْوَلًا فَيَغْتَصِبُونَهَا، وَبِيَوْتَهَا فَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا، يَجْرُوْنَ عَلَى الرَّجُلِ، وَعَلَى بَيْتِهِ، وَعَلَى الإِنْسَانِ وَمِرَاثِهِ" (التوراة: سفر ميخا، 2 : 1-2).

قد باد الصالح من الأرض، واختفى المستقيم من الناس، جميعهم يكمنون لسفك الدماء، وكل واحد منهم يقتضي أخاه. **تَجِدُّ** أيديهم في ارتكاب الشرّ، ويسعى الرئيس والقاضي وراء الرشوة، ويملي العظيم عليهم أهواء نفسه، فيتآمرون جميعاً على الحقّ. أفضلهم مثل العوسيج، وأكثرهم استقامة مثل سياج الشوك" (التوراة: سفر ميخا، 7 : 2-3). هذه النصوص التي تكشف حقيقة اليهود والعقلية التي يفكرون، لم تخطّها قلم كاتب عربي أو غربي حاقد على اليهود واليهودية، من المعادين للسامية اليهودية، وإنما جاءت في التوراة، كتابهم المقدس. وبالرغم من ذلك ما زال الكثير من مفكري وكتاب العرب في هذا

العصر، ينكر أن هناك مؤامرة تحاك ضد كل ما هو مسلم، وضد كل ما هو عربي، بل ضد كل ما هو غير يهودي، ويتهمون كل من يقول بذلك بأنه من مؤيدي نظرية المؤامرة التي لا أصل لها من الصحة. أما ما نقوله نحن في هؤلاء أحد أمرتين؛ إما أن يكونوا شركاء في المؤامرة، ويعملون ما بوسعم لتجهيل الناس بعلم، حتى لا يتبنّووا الأسلحتها ورموزها فيقاوموها، وإما أن يكونوا أناس يعيشون على سطح كوكب غير الذي نعيش فيه، يُدلون بدلهم ليُضلّوا الناس بغير علم.

### الديانة اليهودية:

لنعلم أن تسمية القرآن لبني إسرائيل باليهود، أطلقت عليهم لقولهم: «إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكُمْ» (الأعراف)، وذلك بعد اتخاذهم العجل بمعنى أنهم أعلنا التوبية عن فعلهم والرجوع إلى الله، وفي الحقيقة كان ذلك قولهم بأستهم، وأما قلوبهم فأشربت وشغفت بعبادة العجل، حيث قال سبحانه: «فَالْأُولَاءِ سَعَى وَأَعْصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَعَا يَأْمُرُكُمْ بِيَمْنَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ» (آل عمران: 156)، وكان هذا حالهم مع نبيهم موسى عليه السلام. ولم يختلف حالهم مع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث قال فيهم سبحانه: «مَنْ أَذْهَبَ اللَّهُ أَخْرِجَهُمْ فَأَنْهَمْهُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَقَوْلُونَ سَعَى وَأَعْصَيْنَا وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمَعَ وَرَاعَيْنَا إِلَيْهِمْ طَعْنَافِ الْمَنَامِ وَلَوْلَاهُمْ قَالُوا سَعَى وَأَسْمَعَ وَأَنْظَرَنَا إِلَيْهِمْ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَيْكُنْ لِعَنْهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» (آل عمران: 157).

وأما الديانة اليهودية: فهي معتقد اختلط فيه شيء من بقايا مشوهة لكتب الأنبيائهم، مع آراء وتفسيرات أighborsهم، ومعتقدات وأساطير وخرافات الأقوام التي عاشوا فيما بينها، على مر العصور، ومصدر هذه العقيدة في الأصل هو التوراة، والتي سبق أن قلنا إنها كُتبت بشكلها النهائي في القرن الأول الميلادي قبل خروجهم النهائي من فلسطين وتشتّتهم في أرجاء الأرض كافة.

وفيما بعد السبي البابلي، قام كهنتهم وأighborsهم (حكماً لهم) بتأليف كتب جمعوا فيها معتقداتهم وأراءهم وشروحهم للتوراة، وقالوا إنها القانون الشفوي، الذي لم يأت به موسى عليه السلام - مكتوباً، والذي تناقلوه شفاهاماً عبر الأجيال، وجُمعت هذه المؤلفات فيما سُمي بالتلמוד، والذي يدعونه أكثر قدسيّة من التوراة نفسها، ولديهما تلمودان أحدهما جُمع في فلسطين عام 400 م، وسمّي تلمود أورشليم، والآخر جُمع في بابل عام 500 م، وسمّي تلمود بابل، وهو الأشهر ويقع في 36 مجلداً. وقد كان التلمود يُعامل بسرية، فيما بين اليهود، وقد طبعه في أوروبا، في القرون الوسطى، وكلما اكتُشفَ أمره في الدول الأولى كان يُصادَرُ

ويُجمعُ ويُحرقُ، وكان اكتشافه سبباً في كثير من حالات الاضطهاد والتعذيب والقتل والنفي لليهود. ومن هذا نخلص إلى أن الديانة اليهودية هي ما جاء من معتقدات في التلمود أولاً وثانياً وثالثاً ...، والتوراة على ما بقي فيها من وحي آخرأ.

### ماهية التلمود ومعتقدات اليهود:

يقول د. (جوزيف باركلي) أحد الباحثين في التلمود: " وبعض أقوال التلمود مغالٍ (مبالغ فيه)، وبعضها كريه، وبعضاً الآخر كفر. ولكنها تشكلـ . في صورتها المخلوطةـ أثراً غير عادي للجهد الإنساني ، وللعقل الإنساني ، وللحماقة الإنسانية .".

وما جاء في التلمود من تعاليم نعرض بعض المقتطفات التالية من كتابي " تعاليم التلمود لظفر الإسلام خان ، و(بروتوكولات حكماء صهيون) لعجاج نويهض :

يقول عجاج نويهض : " هذه الكلمات للعلامة (بولس حنا مسعد)، صاحب كتاب (همجية التعاليم الصهيونية)، وما قاله المؤلف في مقدمته : " للمسيحي إنجليله يشرّب العالم، وللمسلم قرآن ينشره بين جميع الشعوب، أما الإسرائيلي فله كتابان ؛ كتاب معروف وهو التوراة، لا يعمل به، والآخر مجهول لا يعرفه العالم (التلمود)، يفضلّه على الأول ويدرسه خفية، وهو أساس كل مصيبة . والنصارى يؤمّنون بأن الله هو أبو الجميع ، والمسلمين يعترفون بأن الله رب العالمين . أما الصهيونيون يريدون أن يكون الإله لهم وحدهم، زِدْ على ذلك أن التلمود ينصّ على أن جميع خيرات الأرض ملك لبني إسرائيل ، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان خلقوا عيدها لهم . هم منحدرون من الله ، كما ينحدر الآباء من أبيه ، وشعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة ، ولم يعطوا صورة الإنسانية ، إلا إكراماً لبني إسرائيل .".

### نظرة التلمود للبشر كافة:

المخلوقات نوعان ؛ علوي وسفلي . العالم يسكنه سبعون شعباً بسبعين لغة . إسرائيل صفة المخلوقات ، واختاره الله ، لكي تكون له السيادة العليا ، على بني البشر جميعاً، سيادة الإنسان على الحيوان المُدجن . " إن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءاً من الله ، فهي تنبثق من جوهر الله ، كما ينبعنّ الولد من جوهر أبيه " ، وهذا السبب يجعل نفس اليهودي أكثر قبولاً عند الله ، وأعظم شأنًا عند الله من نفوس سائر الشعوب ، لأن هؤلاء تُشتق نفوسهم من الشيطان ، وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجمادات .".

ولهذا يقول التلمود : " إن زرع (نطفة) الرجل غير اليهودي هي زرع حيواني " . و" زرع الأغراب كزرع الحصان " . و" إن غير اليهود كلاب عند اليهود " . و" إن غير اليهودي لا يختلف

بشيء عن المخزير البري . و إن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات . و قد كُتب على شعوب الأرض : لحومكم من لحوم الحمير ، وزرعكم من زرع الحيوانات . و كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها ، هكذا أبناء إسرائيل ، يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم ، دون أن يتحملوا عناه العمل .

### نظرة التلمود إلى العرب (القدماء) :

أمة مُحتقرة ، من العار الزواج بعرية ، يعبدون الأصنام ، مرتکبو تسعة أ عشر الجرائم في العالم ، صفتهم الغدر وكراهية اليهود ، كانوا قادة تخريب الهيكل مع نبوخذ نصر .

### التعامل مع الملل الأخرى :

إن عبدة الأوّلانيّ ، الذين لا يعتقدون الدين اليهودي ، والمسحيين والمسلمين ، هم في نظر اليهود أعداء الله وأعداء اليهود . و يسمح التلمود لأصدقاء الله وأقاربه في أن يُضلّوا الأشرار . و منع السلام على الكفار ، ولكن الرداء مسموح به . و يمكنك أن تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش . و يجب انتزاع قلب النصراني من جسده ، وإهلاك عليه القوم منهم . و إذا رد أحد اليهود إلى الغريب ما أضاعه ، فالرب لا يغفر له أبداً . و أقتل عبدة الأوّلانيّ ، ولو كان أكثر الناس كمالاً . و إذا وقع وثني في حفرة فاسدتها عليه بحجر . و من يسفك دم الكفار (غير اليهود) بيده ، يقدم قرياناً مُرضياً لله . وإنما يقول التلمود : إن من ينتهك الوصايا العشر مع غير اليهود فهو جائز ، بل واجب .

### التجديف على الله :

اليهود يضعون التلمود فوق التوراة ، والخامنئي فوق الله ، والله يقرأ وهو واقف على قدميه ، وما ي قوله الخامنئي يفعله الله ، إن تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي أطيب من كلام الشريعة (كلام الله) ، والخطايا المفترضة ضد التلمود ، لهي أعظم من المفترضة ضد التوراة . و إن الريانياي مناحيم يُطلعنا - بالاتفاق مع كثير من العلماء - على أن الله يأخذ رأي الريانياين على الأرض في المشاكل التي تنشأ في السماء . و إن كلمات الريانياين أشدّ عذوبة من كلمات الأنبياء ... وذلك لأن كلماتهم هي كلمات الله .

و إن الله قد تاب عن تركهبني إسرائيل يرتطمون في الشقاء كمن يتوب عن إثم شخصي ، ... . و أن الله عندما يُقسم في كل مرة - بدون مبرر معقول - فمن اللازم أن يحل قسمه بقسم آخر نظيره ، ... . و أن الله قد أقسم بغير عدل ، وارتکب خطيئة الكذب ، لكي يلقي السلام والوثام ، بين سارة وإبراهيم . و أن اليهود أحب إلى الله من الملائكة ، فالذى

يصف اليهودي كمن يصف العناية الإلهية سواء بسواء، وهذا يُفسر لنا استحقاق الوثني وغير اليهودي الموت، إذا ضرب يهودياً . وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَقْتَرِفْ ذَنْبًا فَعَلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ هُوَ مُجْهُولٌ فِيهِ - لِئَلَّا يُهِنَ اللَّهُ عَلَانِيَةً .

#### الملائكة:

إن عمل الملائكة الرئيسي سكب النوم على عيون البشر، وحراستهم في الليل، أما في النهار فإنهم يصلون عن البشر، ولذلك، يجب أن نلتوجه إليهم .

#### الأنباء:

أن إبراهيم أكل 74 رجلاً، وشرب دماءهم دفعة واحدة، ولذلك كان له قوة 74 رجلاً . وصفوا عيسى - عليه السلام - بالأحمق والمجنون وغشاشبني إسرائيل ، واتهموا أمه بالزنا، وتلاميذه باللحدين ، والإنجيل بالكتاب الملوء بالإثم .

#### التنجيم:

يعتقد التلمود اعتقاداً جازماً بأن التنجيم علم يتحكم بحياة الناس ، ومن أقوالهم : " إن تأثير النجوم يجعل الرجل ذكياً، وينو إسرائيل تحت تأثير النجوم " ، " إن كسوف الشمس آية سوء للشعوب ، وخشوف القمر آية سوء لبني إسرائيل ، لأن إسرائيل تعتمد في بقائها على القمر " .

#### السحر:

والتلמוד مليء بطقوس السحر والشعوذة والعرفة، وطرق الاتصال بالجنة، وفيه أن الأرواح الشريرة والشياطين والجنيات، من ذرية آدم . وأنهم يطيرون في كل اتجاه، وهم يعرفون أحوال المستقبل باستراق السمع ، وهم يأكلون ويشربون ويتکاثرون مثل الإنسان، ويجوز للناس استشارة الشيطان في آخر أيام الأسبوع .

#### الروح والبعث والجزاء:

لهم فيها أقوال شتى ، " تنتقل نفس اليهودي بعد موته إلى جسد آخر ، وعندما يلفظ المتقدم في السن أنفاسه تسرع نفسه إلى جنين في بطن أمه " . ومنها ؛ أن اليهودي الذين يقتل يهودياً تدخل روحه في الحيوانات والنباتات ، ثم تذهب إلى الجحيم ، وتتعذب عذاباً يمتدّ مدة اثنى عشر شهراً ، ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات ، ثم في الحيوانات ، ثم في الوثنين ، حتى ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها . ويقولون إن الجنة ليس فيها أكل أو شرب ، أو زواج أو تناسل ... ، وإنما يجلس الصالح فيها بوقار وسكون ، ويقولون إن نار جهنم لا سلطان لها على مُذنبٍ بني إسرائيل ، ولا سلطان لها على تلاميذه الحكماء .

ويقولون إنه لا حساب بعد انفصال الروح عن الجسد. ويقولون المشروبات السماوية هي الخمور الفاخرة، المعتقة المحفوظة من يوم الخلية السادس، وهذه الجنة اللذين لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، أما الباقون فيُزجّون في نار جهنم . و...، ويأتي المسلمون بعد النصارى، لأنهم لا يغسلون سوياً أيديهم وأرجلهم وأفخاذهم وعوراتهم، كل هؤلاء، يُحشرون حشراً في جهنم، ولا يغادرونها أبداً.

### التطلع الدائم للملك:

إن المسيح (الذي يتظرون ظهوره) يُعيد قضيب الملك إلى إسرائيل، فتخدمه الشعوب وتتخضع له المالك . ولا يأتي مالم يتفرض ملك الشعوب غير اليهودية . ذلك أن إسرائيل - إذا كان صالحاً - يجب عليه أن يعمل بغير هواة في العمل على أن ينبذ المسلمين (الحكام) على الشعوب نبذ النواة، لأن السلطة على الشعوب غير اليهودية هي من نصيب اليهود فقط، وفي كل مكان يدخله اليهود، يجب أن يكونوا هم المسلمين، وطالما هم بعيدون عن تحقيق هذه الفكرة، فيعتبرون أنفسهم منفيين وغرباء .

(وهذه المقتطفات جزء يسير، مما تحصل لدينا لما جاء في التلمود، من أفكار وأقوال لحاخامات اليهود).

قال تعالى: «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا أَخْرِفُونَ الْكَلَمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَبْنَا وَأَتَسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعَ وَرَأَعْنَاهُ بِالسَّيِّئَةِ وَطَعَنَافِ الَّذِينَ وَلَزَأْهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَاهُ وَأَتَسْمَعْ وَأَنْظَرْنَا الْكَانَ حَيْرَاهُمْ وَأَقْوَمْ وَلَيْكَنْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَبْلًا ﴿١٧﴾ يَنْأِيَهُمُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِمْنَاؤُهُمْ نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لَمَا سَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْطِيسَ وُجُوهَهَا فَرَدَهَا عَلَى أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَنَا أَصْحَابُ الْبَشْتَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِنَّمَا عَظِيمًا ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكِّونَ أَنفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُزَكِّي مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَبَلَّا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَهْ يَدِهِ إِنَّمَا مُبِينًا ﴿٢١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبَهُمْ بِإِيمَنُهُمْ بِالْجِنَّةِ وَالظَّفَرِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَنَّا أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَمْنَاؤُ سَيِّلًا ﴿٢٢﴾ أَوْ لِتِلْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَأْلِمْ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» (52 النساء).

### المؤامرة اليهودية:

هي شجرة شيطانية، لا تراها فوق أنفك، ولا ترى رسماً لها فوق السطور، بذورها التوراة، وجذورها التلمود، وجذعها بروتوكولات الحكماء، وفروعها الهيئات والمنظمات الدولية، وأوراقها وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، وثمارها الإلحاد والانحلال. أنتجت

بذورها في ألمانيا، ونقلت وزرعت في بريطانيا، وسُقيت بماء الذهب، وأضيف إليها سماك الشهوة، ولما استقام عودها نُقلت وغُرست في أمريكا ذات الأرضي الخصبة مثل هذا النوع من الأشجار، فاشتدَّ عودها وارتفع حتى بلغ عنان السماء، وامتدَّ جذورها إلى شتى بقاع الأرض، وببدأنا نقطف شيئاً من بواعير ثمارها، وعندما ينضب ماء الذهب من الأرض ستعلن حربها المدمرة على العالم، لنقطف الفوج الثاني من ثمار الفقر والجوعة والمرض والفساد، ولا علاج . آنذاك يأتي يوم الحصاد، قيام علقة داود الدكتاتورية العالمية الأبدية في قدس الأقداس، ليُنصب العجل الذهبي، وإلهاً واحداً للبشر كلهم على أطلال المسجد الأقصى.

### المؤامرة الأولى في تاريخبني إسرائيل:

قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَتٌ لِّلْسَابِلِينَ» (7 يوسف).

إن سورة يوسف، وبالرغم من تسميتها باسمه عليه السلام، تحكي في الواقع، قصة أخيه يوسف، وتروي تفاصيل أول مؤامرة حاكها ونفذها بنوا إسرائيل (يعقوب) بدم بارد ضد أبيهم وأخيهم يوسف عليهما السلام، أحجمهم إلى قلب أبيه، وبوحشية منقطعة النظير وقوله تعالى: «فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَتٌ لِّلْسَابِلِينَ»، يؤكّد أنّ موضوع السورة، هو ما قام به أخيه يوسف من أفعال تدلّ على عدم إيمانهم بالله وما جاء به أنبيائه، من علم وموعدة وحكمة، من آباءهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأنهم لما كادوا ليوسف ما كادوه كانوا قد أغفلوا كلّياً وجود الله سبحانه وتعالى، وأنكروا قدرته على التدخل بجريات الأمور، وقلب تائج ما يُخططون له رأساً على عقب، وأنكروا أيضاً نبوة أبيهم يعقوب عليه السلام.

### أخوة يوسف ليسوا أنبياء:

جاء في تفسير القرطبي رحمة الله للآلية التالية «قَالَ يَنْبئُنِي لَا تَقْصُصْنِ رُءْبَيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيُكَيِّدُوكَ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَنَ لِلإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» (5 يوسف) ما نصه: «وَدَلِيلًا على أنّ يعقوب - عليه السلام - كان أحسن من بنيه حسد يوسف وبغضه، فنهاه عن قص الرؤيا عليهم، خوف أن تخلل بذلك صدورهم، فيعملوا الحيلة في هلاكه، ومن هذا، ومن فعلهم بيوسف، يدل على أنّهم كانوا غير أنبياء، في ذلك الوقت (ولم يكونوا أنبياء في غير ذلك الوقت أيضاً)، ووقع في كتاب الطبراني لابن زيد، أنّهم كانوا أنبياء، وهذا يردّه القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنيوي، وعن عقوق الآباء، وتعريف مؤمن للهلاك، والتآمر في قتلهم، ولا التفات قول من قال إنّهم كانوا أنبياء، ولا يستحيل في العقل زلة نبي، إلا أنّ هذه الزلة قد جمعت أنواعاً من الكبائر، وقد أجمع المسلمون على عصمتهم منها، وإنما اختلفوا في الصغار».

## لفظ سبط يُطلق على الأحفاد وليس على الأبناء:

وفي لسان العرب "وقيل السبط واحد الأسباط، وهو ولد الولد، وقال ابن سيده: السبط ولد الابن والابنة، وفي الحديث، الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم، ومعناه طائفتان وقطعتان منه، ومنه حديث الضباب، إن الله غضب على سبط من بني إسرائيل، فمسخهم دواب، والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد سُمي سبطاً، ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق، وجمعه أسباط. قالوا: والصحيح أن الأسباط، في ولد إسحاق بن إبراهيم، هنزة القبائل في ولد إسماعيل عليهم السلام، وإنما سُمي هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل، ليفصل بين ولد إسماعيل، وولد إسحاق عليهما السلام. وجاء أيضاً أن السبط لغة، هو نبات ذو ساق طويلة مفردة عليها أوراق دقيقة، تعلفه الإبل".

وبالتالي؛ نستطيع القول بأن لفظ الأسباط أطلق على أحفاد يعقوب عليهم السلام، وليس على أبناءه الثاني عشر، بل يتعذر ذلك إلى نسل بني إسرائيل كلهم، حتى يومنا هذا، وأمام قوله تعالى: «وَمَا أَنْزَلْتَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ» (136 البقرة)، المقصود هنا الأنبياء من الأحفاد على مر العصور، ومنهم يوسف وموسى وداود وسليمان، وزكريا ويعقوب وعيسى، ومن كذب وقتل من أنبياء بني إسرائيل، وهم كثير، ممن لم تذكر أسماؤهم. والوحيد من أبناء يعقوب الثاني عشر الذي نص القرآن على نبوته هو يوسف عليه السلام، بدلالة قوله تعالى: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَذِينَا وَتُوْحَادَهُدِينَا مِنْ قَبْلِ وَمِنْ ذُرْيَتِهِ، دَأْوِدَ وَسُلَيْمَنَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَرُونَ وَكَذَلِكَ نَجَزَى الْمُخْسِنِينَ» (84 الأنعام) وقوله: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيْتِ فَمَا زَلَمْتُمْ فِي شَكُورٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَعْتَدَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ، رَسُولًا» (34 غافر)، بالإضافة إلى ما جاء من آيات في سورة يوسف.

وانظر في قوله تعالى: «وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَيْ عَشَرَةَ أَسْبَاطًا أَمْمًا» (160 الأعراف)، وقوله تعالى: «أَسْبَاطًا أَمْمًا» أي تم فرزهم حسب انتساب كل فرد منهم، إلى أحد أبناء يعقوب عليه السلام، فتتج بال التالي اثنتا عشرة أمة، وكل أمة أطلق عليها لفظ سبط، وسُمي كل سبط باسم أحد أبناء يعقوب، وعلى ذلك يُطلق لفظ سبط على مجموعة من الأفراد، يجمعهم انتسابهم إلى أب واحد، فيقال سبط يوسف أي قبيلة يوسف.

## فصول المؤامرة الأولى:

«إِذَا قَالُوا إِلَيْهِ يُوسُفُ وَأَخْوَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ أَبِيهِ مِنَّا وَخَنَّ عَصْبَةً إِنَّ أَبَانَا لَيْفَيْ صَلَلُ مُبِينٍ» (8 يوسف).

قام أبناء يعقوب بعقد اجتماع سري ، بعيداً عن المعنين بالأمر (يعقوب ويوسف وأخيه). كانت المشكلة مدار البحث حب أبيهم ليوسف وأخيه ، والدافع هو الحسد وحب التملك. كان هناك إقرار بالإجماع ، أنَّ أباً لهم يعقوب (نبي الله) ضال ، وضلاله واضح لا يُبس فيه. كانوا يؤمنون بالقوة المتحصلة من الكثرة (فهم عشرة أشقاء كبار مقابل اثنين صغيرين). جمعتهم وحدة الغاية والمصلحة.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِنَّ أَنَّا نَحْنُ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ وَجْهَكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ فَوْمًا صَلِّحِينَ﴾ (٩٠ يُوسُف).

الطرح الأول كان القتل أي حتمية الهاك.

الطرح الثاني كان النفي إلى أرض بعيدة مع احتمالية ال�لاك.

كانت الغاية الاستفراد بحب أبيهم.

الإقرار بعدم مشروعية عملهم وفساده، وذلك قبل شروعهم بالتنفيذ.

تبسيط نية بالتوبة والصلاح، قبل ارتكاب الجريمة.

إغفالهم للعناية الإلهية المذكورة في علم الغيب، والتي تتدخل في الوقت المناسب لتسير الأمور.

**«فَالْفَأْلَقَ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُنُبِ يَلْقَطُهُ بَعْضُ الْسَّيَارَةِ إِنْ كُتُمْ فَتَعْلِيْنَ»** (10 يوْسُف).

كان أصلحهم فاسداً، حيث وافقهم على فعل المنكر مع تخفيف الضرر.

كان هناك إصرار لدى الأغلبية.

كان القرار النهائي أخف الضرر: إلقاء يوسف في بئر مع توافر احتمالية الهلاك، فيما لو لم يلقطه أحد.

عدم الاتكراط بنبوة أبيهم ، وما كان يتنزل عليه من الوحي .

غفلة وعمى بصر و بصيرة و اتباع للهوى .

جهل بعواقب الأمور، كالتأثير النفسي والمعنوي البالغ، على من يطمحون بالاستفادة بحبه، وبالتالي؛ عدم تحقق مرادهم.

تبسيط النية للقيام بالفعل عندما تحيّن الفرصة.

«فَالْوَالِيُّونَ مَا لَكُمْ لَا تَأْتِنَا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُّونَ ⑤ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدَّاً يَرْتَعِنْ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ⑥ قَالَ لِئَلَّى لَيْخَرْتُى أَنْ تَدْهِبُوا إِلَيْهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذِئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ⑦ قَالُوا إِنَّا أَكَلَهُ الْذِئْبُ وَنَخْنُ عُصَبَّةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ⑧ فَلَمَّا دَهَبُوا إِلَيْهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبَّ ⑨ وَأَزْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتَبَتَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» (15 يوسف)

لم يكن يعقوب في العادة يأمنهم على يوسف وأخوه، لمعرفته بعدم صلاحهم. لم يتظروا الفرصة للتنفيذ، بل سعوا إلى خلقها وإيجادها، باستخدام الحيلة والمكر والدهاء. تجاهلوا تأكيد أبيهم لهم، بأن غيبة يوسف عن وجهه، ولو لفترة بسيطة تسبّب له الحزن. فكيف إذا كان ذلك أبداً؟ وكانت تلك محاولة منه - عليه السلام - لإحياء ضمائرهم، لعلهم يرجعون، ولكنهم لم يشعروا بذلك، فكان كما أخبره سبحانه.

كان أبوهم - عليه السلام - على علم بخططهم قبل التنفيذ، وقد أخبرهم بما كانوا قد خططوه مسبقاً بشأن الذئب، لكن ذلك لم يُثِّهم عن عزمهم.

قرار التنفيذ اتخذ بالإجماع.

تم إخفاء التوابيا الإجرامية اتجاه يوسف، تحت غطاء من الحرص على ترفيهه، لإقناع أبيهم بالاستجابة لمطلبهم.

﴿وَجَاءَهُ أَبَاهُمْ عِشاًءَ يَتَكَبَّرُ ﴿٥﴾ قَالُوا إِنَّا بَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الَّذِئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَنْ كُنَّا صَدِيقِنَ ﴿٦﴾ وَجَاءَهُ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَهِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨ يوسف)

الاستخفاف بأبيهم واستضعافه لكبر سنه.

التضليل واختلاق وفبركة الشواهد والأدلة، لتبرئة أنفسهم وإدانة الذئب.

الجرأة في الكذب على النبي الله مع علمهم بذلك.

يدينون بعقوب - عليه السلام - من كذبهم وتجنيهم على الذئب.

وما أحزنه - عليه السلام - هو ما كان عليه أبناءه من قلة إيمانهم، وعقوقهم له، وظلم لأخيهم، وفسادهم وإفسادهم، وصفات وطبعات غاية في السوء لا تليق بالأنبياء أو بأبناء آنبياء يتنزل الوحي بين ظهرانيهم، وفي المقابل لم يملك عليه السلام إلا الصبر والرجاء، وطلب العون من الله لمحابيهم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَهُ أَوْىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَحُوكَ فَلَا تَبْتَهِنْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ... قَالُوا إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخُوهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّلْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْشَرْ شَرْ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧ يوسف).

بعد أن مرّت سنون على تلك الحادثة، وأصبح يوسف وزيراً مالية فرعون، وقدّم أخيه إليه في مصر، احتفال عليهم ليأمن منهم على أخيه، ويرفع عنه ما كان قد وقع عليه من ظلم وكيد.

كان يوسف عليه السلام على علم بما كانوا يكيدون لأخيه، عن طريق الوحي أو القياس.

عدم توبيتهم مما فعلوه سابقاً، ويقائهم على الحال نفسه.

خيانة يوسف بالغيب، بعد هذه السنين كلها، واتهامه زوراً وبهتاناً بالسرقة، وما كان له أن يسرق.

تأكد يوسف على فسادهم وإفسادهم، بما حدث به نفسه، حيث لم يجهر النبي الله بقوله (أو بحكمه عليهم) أنهم أسوة حالاً مِنْ يُسرق، «قَالَ أَتَنْزَلْ شَرٌّ مَّكَانًا» فما فعلوه معه لا يُقارن بخطيئة السرقة التي اتهموه بها، والتي أقرّوا بأنها أحد أشكال الإفساد في الأرض «قَالُوا تَعَالَى لَقَدْ عِلِّمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِّقِينَ» (73 يوسف).

«وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَسَفَّرُ عَلَى يُوسُفَ وَآبَيْهِمْ قَالُوا أَنَّ اللَّهَ نَفْتَأْنَا نَذَكُرْ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَلِيلِ كِبِيرٌ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوكُ أَبَيَّ وَحَرْزَنَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَبَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخْيَهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّمَا لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» (87 يوسف)

عدم اكتراثهم بسوء حال يعقوب عليه السلام، ومدى ما نزل به من أذى نفسي وجسدي.

قسوة قلوبهم باستنكارهم حزن أبيهم على يوسف.

يعقوب يقطع الرجاء من أبنائه، ويشكو قسوة أبنائه، وضعفه وقلة حيلته في مواجهة أفعالهم إلى الله.

لم يعترفوا لأبيهم بحقيقة فعلتهم مع يوسف، مع علمهم ومعرفتهم ومعايشتهم لحال أبيهم، وما وصلت إليه من سوء.

كان يعقوب على يقين من نجاة يوسف، وكذب أبنائه عليه.

هنا تتضح مفارقة عجيبة، توضح الكثير من معالم الشخصية اليهودية الإسرائيلية القديمة الحديثة، فهم يعلمون علم اليقين أن يوسف ذهب إلى غير رجعة، وأنه قُتل على الأرجح، ولم يعترفوا لأبيهم بحقيقة ما فعلوا، وظلّوا مصرين على حكاية الذئب، فلا ضمير يؤنبهم، ولا قلب يشعر مع أبيهم. وأبواهم يعلم علم اليقين من ربه أن يوسف على قيد الحياة، وأنه النبي وسيكون له شأن كبير مستقبلاً، إذ كان عالماً بتأويل رؤيا يوسف السابقة، وأن أخيه سيسجدون له لعلّه منزلته، وهذا ما كان يُصيّر عليه السلام حين قال: (فصبر جميل)، أما ما كان يقوله عليه السلام فهو إصرار أبنائه على ما هم عليه واستمرارهم، وعدم التوبة والرجوع إلى الله:

**﴿قَالُوا تَأْلِهَ لَقَدْءَ اثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيبِينَ ﴾** **﴿قَالَ لَا تَنْتَهِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَزَحَمُ الْرَّحْمَنِ ﴾** وقال يتأبه هندا تأوب رعنبي من قبلا قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ آخر حجي من السجن وجاءكم من آلبدو من بعدي أن شرخ الشيطان بيبي وبين إخواتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ..... ذلك من أبناء الغريب نوحبي إليك وما كنت لدعهم إذ أحجعوا أمرهم وهم متكررون **﴿وَمَا أَكَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾** (103 يوسف)

هنا يتضح خلق الأنبياء وأدبهم ، في يوسف عليه السلام ، حيث قابل السيدة بالحسنة ، ونسب خطيبة أخيه إلى الشيطان .

معطيات المعادلة كانت : جمع واجتمع + قرار بالإجماع + تنفيذ بمكر ودهاء = مؤامرة .

أخوة يوسف لم يكونوا أنبياء بأي حال من الأحوال .

انظر إلى الآيتين (102 - 103) التي جاءت تعقيباً على قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه ، لتقول أن هذا هو حال نبي الله يعقوب مع أبنائه الذين لم يكونوا على الأقل مؤمنين بنبوة أبيهم ، إن لم يكونوا أصلاً غير مؤمنين بالله ، فما بالك في عدم إيمان قومك بنبوتكم ودعوتكم ، وهم ليسوا بأبنائك ، فلا تكن شديد الحرث على مَنْ لَا أمل في هدايته بعدما أضلَّه الله ، ولكن ؛ ادع الناس ، وقوض أمر هدايتم لله ، كما فوض يعقوب - عليه السلام - أمره إلى الله فيما كان من شأن أبنائه .

ما تقدم من أمر أخوة يوسف عليه ليس بحاجة لزيادة أو توضيح أو تعليق ، فهذا ما جاء به القرآن الكريم ، وكان هذا أول فسادهم وإفسادهم في الأرض ، الذي كان موجهاً ضد أخيهم وأبيهم . ومنذ ذلك اليوم احترف بنو إسرائيل فنون التآمر ، ومارسوها أولاً فيما بينهم ، منذ نشأتهم وحتى نهاية مملكتهم الأولى في فلسطين . وبعد السبي البابلي ، وشتاتهم في شتى بقاع الأرض ، أصبح بعض من تآمرهم يُحاك ضد الشعوب التي يقيمون فيما بينها . وكان تطلعهم دائماً وأبداً إلى الملك والقوة والغني والأفضلية ، وكانت غايتهم على الدوام جمع المال بطرق غير مشروعة ، من ربا ونصب واحتياط ، والتقرب من أصحاب السلطة والنفوذ بالإغراء والإغراء ، للتلاعب بهم وتحريükهم من وراء الستار ، لإيقاع الفتنة والحرروب بين الشعوب ، لضمان السيطرة لتلبيه مصالحهم واحتياجاتهم ، ولذلك تجدهم يجتمعون ، ويُخططون ، ويعملون باستمرار بلا كلال أو ملل ، وتاريخهم قدِيماً وحديثاً غني بالأمثلة والشواهد .

## **اليهود والملك المادي**

### **ملك يوسف عليه السلام:**

كانت نشأة بني إسرائيل كقبيلة بدوية تعيش ضمن قبائل البدو في صحراء النقب، وكان أول عهد لهم بالملك، في زمن يوسف عليه السلام، في مصر، حيث وفر لهم الملك آنذاك حياة هانة رغيدة، وأزال عنهم بؤس وشقاء حياة البدواة، ولما زال ملك يوسف عليه السلام - بوفاته، انقلب حالهم رأساً على عقب، ففاسوا شتى أنواع العذاب والمهانة، ومنذ ذلك اليوم ترسخت لديهم قناعة بأن الملك والغنى يعنيان السعادة، وزوالهما يعني الشقاء.

### **رفض نبوة موسى عليه السلام:**

وعندما بعث سبحانه لهم موسى عليه السلام، لم يستجيبوا له، فهم لا يتظرون من يدعوهם إلى الله، ولا يؤمنون بما هو غيبى وغير محسوس، دين فيه إله غير مرئي، يمنحك جنة غير مرئية، والحصول عليها مشروط بالصلاح والإصلاح، بعد عمر طويل، وبعد موته وبعث وحساب، وإنما يؤمنون بمن يمنحهم ملكاً مجانياً دنيوياً مادياً، عاجلاً لا آجلاً، يكون في متناول اليد، بلا جهد أو عناء منهم لتحصيله، ولا مانع لديهم بعد ذلك أن يكون لهم إله، بشرط أن يكون محسوساً، ويوافق أهواءهم، كالعجل الذهبي الذي صنعه لهم السامري، فسارعوا العبادة، لذلك عانى منهم عليه السلام ما عاناه، في رحلته معهم من مصر إلى الأرض المقدسة.

### **طلب الملك بدعوى الرغبة في القتال:**

وبعد موته عليه السلام، وبعد انتهاء سنوات التحرير الأربعين، لم يطلبوا من نبيهم قيادتهم للقتال، لدخول الأرض المقدسة، وإنما طلبوا منه أن يبعث الله لهم ملكاً، وذلك طمعاً في الملك، وليس للقتال في سبيل الله كما زعموا، إذ إنهم بعد أن كتب عليهم القتال تولوا إلا قليل منهم، وبالرغم من ذلك من الله عليهم بالملك، فكانت ملكتهم الأولى في الأرض المقدسة، بقيادة داود وسليمان اللذين لم يكن لبني إسرائيل معهما حول ولا قوة، إذ لم يستطع مُترفوهם وفَسَقُّوْهُمْ من الوصول والتغلغل والتدخل في شؤون الحكم، لاجتماع الملك والتبوه فيما عليهم السلام، بل لعنهم داود آنذاك، كما لعنهم عيسى - عليه السلام - من بعد.

### **ملكاً لا نبوة فيه:**

وبعد أن توفي الله سليمان، وخرجت النبوة من الملك، كان لهم ما أرادوا - امتحاناً لهم وابتلاءً منه عزّ وجلّ - فأفسدوا فيها أيما إفساد، فوقع منهم القتل في الأنباء والصالحين

والمستضعفين، وإخراج بني جلدتهم من أرضهم، وسلب ونهب ممتلكاتهم، وعصيان أوامر الله، والاعتداء على حدوده، بمخالفتهم الوصايا العشر برمتها، بما فيها الشرك بالله باتخاذ الأصنام والشياطين والملائكة، أولياء من دونه، فأزال الله عنهم الملك عقاباً لهم، على يد نبوخذنصر البابلي وجيشه، وكان فيهم النبي والإخراج من الأرض المقدسة، لقسم كبير منهم، ومع علمهم بفسادهم وعقاب الله لهم ببعث البابليين عليهم، إلا أنهم عاتبون وأغاضبون على الله، لأنه أخطأ في حقهم - حسب اعتقادهم - بإزالة عقاب أولى الإفسادتين فيهم، ويعذون وعده لهم برجوعهم من الشتات للإفساد الثاني، هو تصحيح للخطأ الأول. بالإضافة إلى ذلك تجدهم يصيّبون جام غضبهم على بابل والبابليين، وكان بعث البابليين على شعب الله المختار، كان من تلقاء أنفسهم، ودون وجه حق، ولم يكن هذا البعث من قبله سبحانه. فقد جاء في سفر إشعياء 52: 3: قد تم بيعكم مجاناً، ومجاناً من غير فضة تقدّون (أي يعادون إلى فلسطين)، قد نزل شعبي أولاً إلى مصر ليتعرّب هناك، ثم جار عليه الآشوريون بلا سبب .

#### عيسى عليه السلام لم يوافق أهواءهم:

ومع بقاء بعضهم في الأرض المقدسة، من الذين كانوا قد أخرجوا من المملكة من المستضعفين، وعودة بعض المسيسين من بابل، بعد مدة من الزمن، حيث لم يكن لهم فيها من أمرهم شيء، كانت أعينهم تتطلع إلى الملك من جديد، حيث كانوا يظنون أن علوّهم الثاني سيكون بعد عودتهم من بابل مباشرة، إذ كانت لديهم عدة نبوءات، الأولى بعيسى - عليه السلام - الذي سيُبعث من جبال ساوير (القدس)، فانتظروه ليقيم لهم ملکهم الثاني، وفي فترة انتظارهم، تناوب على حكمهم عدة شعوب، إلى أن بُعث عيسى في زمن الحكم الروماني لفلسطين، فدعاهم للعودة إلى الله والحبة والسلام والتواضع، وعندما تيقنوا أنه ليس من طلاب الملك على اليهود بالرغم من توافق صفتة مع ما جاءت به التوراة، حاربوه، وعادوه، وكادوا له، وتأمروا عليه، وحرضوا الرومان الوثنيين على قتلها وصلبه، على الرغم من أن الله - عزّ وجلّ - أفشل مخططهم ورفعه إليه .

#### وملك البر لم يوافق أهواءهم:

وقبل ببعث عيسى وبعده، تعرضوا للكثير من الذل والهوان، من الشعوب التي حكمتهم، في كل مرة قاموا فيها بالتمرد والعصيان للاستقلال وإقامة الملك، وكان آخرها على يد (هدريان) الروماني الذي أخرجهم منها بشكل نهائي، ففرق الله شملهم في شتى بقاع

الأرض، فاتجه قسم كبير منهم إلى الجزيرة العربية، وسكنوا بالقرب من المدينة المنورة، مكان هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، صاحب النبوة الثانية لديهم، ملك البر، الذي سيُبعث من جبال فاران (مكة)، ويكون له ولخلفائه ملكاً، يشمل مشارق الأرض ومغاربها.

وكان اليهود يتربّون أخباره، ويحسبون لزمان مولده ومبعثه، مع كرههم وعدائهم المسبق له، كونه من ولد إسماعيل وليس منهم، وعندما بُعث عليه السلام، عاينوا صفتة، وامتحنوه بأسئلتهم بما علموا وما لم يعلموا، ولما تبيّنوا صدق نبوته حاولوا استمالته لجانبهم بالإغواء والإغراء، مستغلين رغبته -عليه السلام- في اتباعهم له، كونهم أهل كتاب، وهم الأقرب لتصديقه ومؤازرته ومناصرته، وكان مرادهم منه هو اتباع ملتهم لتحقيق رغباتهم وأهوائهم، لإخراجه من الجزيرة إلى فلسطين، لإقامة ملكه عليهم هناك، ففضحهم رب العزة، وخذل رسوله الكريم من الواقع في جانبيهم وشراكيهم، ولما تيقنوا من عدم رضوخه لهم انكروا نبوته، وناصروا المشركين عليه، وكادوا له بكل ما أوتوا من مكر ودهاء وحيلة، فاذوه، وأذوا أصحابه، ولم يدخلوا في ذلك جهداً، وحاولوا فتنته وقتلته عدة مرات، إلى أن تم جلاؤهم وإخراجهم من جزيرة العرب.

**البحث عن الملك القاروني، وانتظار الملك الإله، على النمط الفرعوني آخر الزمان:**

ومع ظهور الإسلام، ومعرفتهم بما سيكون من أمره، من سرعة انتشاره، واتساع دولته لتشمل مناطق شاسعة من العالم، ومن ضمنها سيطرته على الأرض المقدسة، تلاشت أحلامهم في عودتهم إليها، لإقامة ملتهم الأمي الثاني فيها على المستوى الفرعوني، فتخلوا عن ذلك الطموح مؤقتاً، وشرعوا في تحقيق الملك الفردي على المستوى القاروني، بجمع المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة من ربا واحتيال وسرقة والتهريب وتجارة الرقيق وبخاصة الرقيق الأبيض، والتمتع بزينة الحياة الدنيا من جراء هذا الكسب، واستمروا على تلك الحال إلى أن تمكنوا من الوصول إلى فلسطين، متظاهرين حكم العالم أجمع، من خلال النبوة الأخيرة، بالذى يأتي من ريوات القدس (مسيحهم المنتظر).

وبعد ذلك اتجه أغلبهم إلى الشمال، وتفرقوا في البلاد العربية الأخرى، فتواجدوا في العراق وببلاد الشام ومصر والأندلس، وبالرغم من تعامل الإسلام السمح مع أهل الكتاب إلا أنهم كانوا مقيدين بما وضعه الإسلام من قيود على أهوائهم ومطامعهم المادية، وجود القرآن عدوهم اللدود وثيقة أبدية، تكشف طبائعهم وحقيقة نوایاهم، وتحذر منهم. ولكي يستطيع أحدهم من العيش في ظل الحكم الإسلامي، كان يعمد إلى إظهار إسلامه وإخفاء يهوديته، أو

أن يُرغم نفسه كارهاً على التخلّي عن طبائعه وأهوائه في الفساد والإفساد، وهذا مما لا يوافق طبعهم، ولا ما يأمرهم به تلמודهم، ولذلك آثر الكثير منهم الهجرة، من البلاد كلها، التي كانت تخضع للحكم الإسلامي تباعاً، على مر العصور، ومن ثم استقرّ بهم المقام في القارة الأوروبيّة، حيث وجدوا فيها متنفساً في البداية، لجهل الأوروبيّين بطبيعتهم البشعة.

### الاضطهاد الأوروبي لليهود، وأخلاقهم في تحصيل الملك القاروني:

وعندما تبيّن للأوروبيّين مع مرور الوقت، أن الكثير من المشاكل والمصائب والكوارث الاجتماعيّة والاقتصاديّة، من فقر ومجاعات وانهيارات اقتصاديّة، وانتشار للفساد والرذيلة، كان سببه اليهود، وضعوا الكثير من الحلول لمواجهة مشكلتهم، مثل سنّ القوانين التي تقيّدُ حركتهم وتعاملاتهم، فلم تكن تجدي نفعاً، مع ما يملكون من مكر ودهاء. وتم عزلهم في أحياء سكينة خاصة بهم، فلم يُجذِّب ذلك نفعاً، فكان لابدَّ من الخل الأخير، وهو طردّهم ونفيّهم، من معظم بلدان أوروبا الغربيّة، وكان رجالات الكنيسة آنذاك يعملون كمستشارين للملوك في العصور الوسطى، وكانوا يؤيدون تلك الإجراءات ضدّ اليهود، لحريم المسيحية للزنا والربا بالإضافة إلى ما اكتشف من تجذيف على المسيح والدته، وكرهه ويفضّل وعداء للمسيحيّين، في تلמודهم السري، الذي جلب لهم المذابح الجماعيّة في بعض البلدان الأوروبيّة، كإسبانيا والبرتغال، وفي النهاية تم طردّهم بالتعاقب وعلى فترات متباينة، من فرنسا وسكسونيا وهنغاريا، وبلجيكا وسلوفاكيا والنمسا، وهولندا وإسبانيا وليتوانيا، والبرتغال وإيطاليا وألمانيا، بدءاً من عام 1253م وحتى عام 1551م، فاضطر اليهود للهجرة، إلى روسيا وأوروبا الشرقيّة والإمبراطوريّة العثمانيّة.

### إذن؛ لابدَّ من التآمر:

فأصبح لليهود - كشعب مشتت - همُّ مشتركٌ، من جراء الاضطهاد والتّعذيب والطرد، من قبل الأوروبيّين. وأبواب الجنة الأوروبيّة قد أغلقت من دونهم، حيث بدأ هناك - بعد رحيل أغلب اليهود - ما يُسمّى بالنهضة الأوروبيّة، فحين بينهم وبين تحقيق أحلامهم، سواء على مستوى الملك الأُمّي، أو مستوى الملك الفردي، وهذا ما لا يستطيعون احتماله أو تقبّله، وهذه الأجواء تذكّرنا بأجواء المؤامرة الأولى في تاريخهم، حيث واجه أخوه يوسف همّاً مشتركاً، تمثّل في شعورهم بالدونيّة، بالمقارنة مع يوسف وأخيه، وكان دافعهم الحسد، فاجتمعوا سراً وتأمروا، وأجمعوا فتقذوا.

يقول ابن القيم في كتاب الفوائد: إن أصول المعاصي ثلاثة: الكبر والحرص والحسد، فالكبر جعل إبليس يفسق عن أمر ربه، والحرص أخرج آدم من الجنة، والحسد جعل أحد ابني آدم يقتل أخيه، وبعد التدبر في هذا القول ستجد أن الطريق إلى الواقع في المعصية هو الواقع فريسة للمقارنة والمفاضلة، من خلال الاعتماد على الحواس فقط، ويتغيب العقل والفضاد، وبالتالي؛ فقدان القدرة على الاستبصار، والحكم على الأمور، وقد نهى سبحانه في مواضع كثيرة من القرآن عن المقارنة والمفاضلة، وحسم الأمر بأن الفضل من لدنك، يؤتى به من يشاء من عباده، أما اليهود وبناءً على ما جاء في توراتهم وتلמודهم، فإنهم جمعوا فيها أصول المعاصي كلها، فالكبر جعلهم أفضل الناس على الإطلاق، والحرص جعلهم يفضلون الدنيا على الآخرة، والحسد جعلهم يستبيحون ممتلكات الآخرين ويستحلونها لأنفسهم.

(لوثر) بإصلاحاته الكنسية في القرن السادس عشر، يمكن اليهود من احتلال أوروبا اقتصادياً:

وعندما تم تدمير السلطة الكنسية التي قام بها الإصلاحيون في أوروبا (بفعل اليهود أنفسهم)، وضُمِّنَت التوراة إلى الإنجيل في كتب النصارى المقدسة وجد اليهود بعض القبول في الدول الأوروبية، فعادوا إليها شيئاً فشيئاً، ونتيجة للاضطهاد والطرد الجماعي الذي تعرض له اليهود في هذه الدول فيما مضى، وهم شعب الله المختار، أجمع قارونات المال اليهود، وبدؤوا بعذون اجتماعاتهم السرية في نهايات القرن الثامن عشر (قبل أكثر من مائة سنة)، للانتقام وتجنب ذلك المصير المرعب مرة أخرى. وبوجود المال اليهودي، تشكَّل لديهم مخطط شيطاني للسيطرة على العالم كله وحكمه، فوضعوا مخططاً مبدئياً، كان موجهاً في الدرجة الأولى، ضد ملوك أوروبا ورجالات الدين المسيحي.

## أكبر وأخطر مؤامرة في تاريخ اليهود

### المخطط في أطواره الأولى:

ويتلخص مخططهم المبدئي، مما كُشف من محاضر اجتماعاتهم، في كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) مؤلفه (وليام كار) ضابط الاستخبارات في البحرية الكندية، بما يلي:

الهدف العام: تأليه المادة ونشر المذاهب الإلحادية، لتمهيد سيطرة اليهود على العالم، ومن ثم تتويج أنفسهم ملوكاً وأسياداً على الشعوب. (ونتيجة لذلك برع الكثيرون من المفكرين اليهود كفرويد وماركس وغيرهم، ومن غير اليهود من المأجورين كداروين وغيره، حيث

بدأت الأطروحات والنظريات الإلحادية المكرونة لوجود الله عز وجل، فظهرت الشيوعية (لا إله) والرأسمالية (المال هو الإله)، لذلك وضع الصيارة اليهود عبارة (In God we Trust) على الدولار الأمريكي، وليس على الصفحة الأولى من كتابهم المقدس، وظهرت نظم أخرى جمعت ما بين المبدعين من حيث الكفر).

فلسفة المخطط: يتم تقسيم الشعوب إلى معسكرات متنابدة تتصارع إلى الأبد. دونما توقف - حول عدد من المشاكل؛ اقتصادية وسياسية واجتماعية وعرقية وغيرها، ومن ثم يتم تسليع هذه المعسكرات، ثم يجري تدبير حادث ما (فتنة)، تتسبب في إشعال الحروب بين هذه المعسكرات، لتنهك وتحطم بعضها بعضاً، وبالتالي؛ تساقط الحكومات الوطنية والمؤسسات الدينية تباعاً.

#### برنامج العمل:

- السيطرةُ على رجالات الحكم على مختلف المستويات والمسؤوليات، بالإغواء المالي (الرشوة) والإغراء الجنسي، وعند وقوفهم يتم استغلالهم لغايات تنفيذ المخطط، وعند تفكير أي منهم بالانسحاب يتم تهديده بالانففاء السياسي أو الخراب المالي، أو تعريضه لفضيحة عامة كبرى تقضي على مستقبله، أو تعريضه للإيذاء الجسدي، أو بالتخلاص منه بالقتل، وقصة كليتون ومونيكا ليست بعيدة.

- دفعُ معتنقي المذهب الإلحادي المادي للعمل كأساتذة في الجامعات والمعاهد العلمية وكفافرين، لترويج فكرة الأئمة العالمية بين الطلاب المتغرقين، لإقامة حكومة عالمية واحدة، وإقناعهم أن الأشخاص ذوي المواهب والملكات العقلية الخاصة لهم الحق في السيطرة على من هم أقل منهم كفاءةً وذكاءً (وذلك كفطاء بجرهم لاعتناق المذهب الإلحادي).

- يتم استخدام الساسة والطلاب (من غير اليهود)، الذين اعتنقا هذا المذهب كعملاء خلف الستار بعد إحلالهم لدى جميع الحكومات، بصفة خبراء أو اختصاصيين، لدفع كبار رجال الدولة إلى نهج سياسات من شأنها في المدى البعيد خدمة المخططات السرية لليهود، والتوصل إلى التدمير النهائي لجميع الأديان والحكومات التي يعملون لأجلها.

- السيطرة على الصحافة ووسائل الإعلام كافة، لترويج الأخبار والمعلومات التي تخدم مصالح اليهود، وتساهم في تحقيق هدفها النهائي، (ونشاهد يومياً فعالية هذا السلاح الخطير).

- أما القائمون على المؤامرة فهم مجموعة كبيرة منظمة من جنود إبليس، تضم حفنة من كبار أثرياء اليهود في العالم، بالإضافة إلى حفنة من كبار حاخامتات الشرق والغرب، ومن

الأسماء التي أطلقها عليهم الباحثون في مؤلفاتهم جماعة النورانيين، وحكومة العالم الخفية، واليهود العالميون، يعملون في الخفاء، وهدفهم حكم العالم اقتصادياً، ومن ثم سياسياً، عن طريق تدمير الأخلاق والأديان، وإشعال الحروب الإقليمية والعالمية، وهم وراء أغلب الجرائم، ويسطرون على كثير من المنظمات السرية والعلنية، اليهودية وغير اليهودية، تحت مسميات عديدة، ولهم عملاً ذو مراكز رفيعة ومرموقة، في معظم الحكومات الوطنية لدول العالم، من الذين باعوا شعوبهم وأوطانهم بآثمان، وتغزوا بولائهم للمطلوب للمؤامرة وأصحابها، وفيما يلي سنعرض أهدافهم وسياساتهم.

### بروتوكولات حكماء صهيون:

يقول (ويليام كار) إن هذه البروتوكولات عرضها (ماير روتشيلد) أحد كبار أثرياء اليهود، أمام اثنى عشر من كبار أثرياء اليهود الغربيين في فرانكفورت بألمانيا عام 1773م، أما كشفها فقد تم بالمصادفة عام 1784م، في ألمانيا نفسها، حيث أرسلت نسخ منها إلى كبار رجال الدولة والكنيسة، وتم محاربتها ومحاربة كل رموزها الظاهرة في ألمانيا آنذاك. ولذلك انتقلت إلى السرية التامة، وسارع معظم يهود العالم إلى التوصل منها، واستطاعوا بما لديهم من ثروة، من إرغام الناس والحكومات على تجاهلها، ومنذ ذلك اليوم الذي كُشفت فيه، وحتى متتصف القرن الماضي، والكتاب والباحثون الغربيون يتناولونها بالبحث والتقصي، ويفكرون مطابقة ما جاء فيها مع ما جرى ويجري على أرض الواقع، ويحدّرون حكوماتهم من الخطر اليهودي المحدق بأعماهم، ولكن؛ لا حياة لمن تنادي، في حكومات تتغلغل فيها اليهود، ومعظم الكتب التي حذرت - وما زالت - من الخطر اليهودي كان مصيرها الاختفاء من الأسواق، أو الإلقاء في زوايا النسيان والإهمال.

أما من يُفكّر اليوم بمناهضة اليهود ومعادتهم في الغرب فقد نكلته أمه، فخذ (هايدر) مثلاً، زعيم أحد الأحزاب النمساوية الذي أطلق يوماً عبارات مناهضة لليهود، عندما فاز حزبه ديموقراطياً بأغلبية في مقاعد البرلمان، فقادت الدنيا ولم تقدر، ضجة إعلامية كبيرة، في إسرائيل، أمريكا، بريطانيا، فرنسا، الأمم المتحدة، حتى أرغم الاتحاد الأوروبي على مقاطعة النساء، لمنع (هايدر) من الحصول على أي منصب في الحكومة النمساوية.

### الصيغة النهائية لمبادئ المخطط الشيطاني:

- 1- إن قوانين الطبيعة تقضي بأن الحق هو القوة. (يعنى أن الذي يملك القوة هو الذي يحدد مفاهيم الحق، ويفرضها على الآخرين، والقوة تعنى امتلاك المال).

- 2- إن الحرية السياسية ليست إلا فكرة مجردة، ولن تكون حقيقة واقعة. (بمعنى أنك تستطيع الادعاء ظاهرياً، بأنك ديمقراطي وتسمح بحرية الرأي، ولكنك في المقابل تمنع الرأي الآخر سراً).
- 3- سلطة الذهب (المال) فوق السلطات كلها حتى سلطة الدين. (محاربة الدين وإسقاط أنظمة الحكم غير الموالية من خلال تمويل الحركات الثورية ذات الأفكار التحررية، وتمويل المتصر منها بالقرؤض).
- 4- النهاية تبرر الوسيلة. (فالسياسي الماهر: هو الذي يلجأ إلى الكذب والخداع والتلفيق، في سبيل الوصول إلى سدة الحكم).
- 5- من العدل أن تكون السيادة للأقوى. (وبالتالي؛ تحطيم المؤسسات والعقائد القائمة).
- 6- ضرورة المحافظة على السرية. (يجب أن تبقى سلطتنا، الناجمة عن سيطرتنا على المال، مخفية عن أعين الجميع، لغاية الوصول إلى درجة من القوة، لا تستطيع أي قوة منعنا من التقدم).
- 7- ضرورة العمل على إيجاد حكام طفاة فاسدين. (لأن الحرية المطلقة تحول إلى فوضى، وتحتاج إلى قمع، وذلك لكي يتنسى لأولئك الحكام سرقة شعوبهم، وتکبيل بلدانهم بالديون، ولتصبح الشعوب برسم البيع).
- 8- إفساد الأجيال الناشئة لدى الأمم المختلفة. (ترويج ونشر جميع أشكال الانحلال الأخلاقي، لإفساد الشبيبة، وتسخير النساء للعمل في دور الدعاية، وبالتالي؛ تنتشر الرذيلة حتى بين سيدات المجتمع الرأقي، افتداءً بفتيات الهوى وتقلیداً لهن).
- 9- الغزو والسلمي التسللي هو الطريق الأسلم، لكسب المعارك مع الأمم الأخرى. (الغزو الاقتصادي لاغتصاب ممتلكات وأموال الآخرين، لتجنب وقوع الخسائر البشرية في الحروب العسكرية المکشوفة).
- 10- إحلال نظام مبني على أرستقراطية المال، بدلاً من أرستقراطية النسب، (لذلك يجب إطلاق شعارات: الحرية والمساواة والإخاء بين الشعوب بغية تحطيم النظام السابق، وكان هذا موجهاً إلى الأسر الأوروبية ذات الجذور العريقة، ومن ضمنها الأسر الملكية والإمبراطورية، ليلقى لصوص هذه المؤامرة بعدها شيئاً من التقدير والاحترام).
- 11- إثارة الحروب، وخلق التغيرات في معاهدات السلام كلها التي تعقد بعدها، لجعلها مدخلاً لإشعال حروب جديدة. (وذلك لحاجة المتحاربين إلى القرؤض، وحاجة كل من

المتصر والمغلوب لها بعد الحرب، لإعادة الإعمار والبناء، وبالتالي؛ وقوعهم تحت وطأة الديون، ومسك الحكومات الوطنية من خافقها، وتسيير أمورها حسب ما يقتضيه المخطط من سياسات هدامة).

12- إيجاد قادة للشعوب من ضعاف الشخصية الذين يتميزون بالخضوع والخنوع، (وذلك بإبرازهم وتلبيع صورهم من خلال الترويج الإعلامي لهم، لترشيحهم للمناصب العامة في الحكومات الوطنية، ومن ثم التلاعيب بهم، من وراء ستار بواسطة عمالء متخصصين، لتنفيذ السياسات المطلوبة).

13- امتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها. (ترويج الأكاذيب والإشاعات والفضائح الملفقة، التي تخدم المؤامرة).

14- قلب أنظمة الحكم الوطنية المستقلة بقراراتها، والتي تعمل من أجل شعوبها، ولا تستجيب لطلبات المؤامرة. (من خلال إثارة الفتن، وخلق ثورات داخلية فيها، لتؤدي إلى حالة من الفوضى، وبالتالي؛ سقوط هذه الأنظمة الحاكمة، وإلقاء اللوم عليها، وتصيب العمالء قادة في نهاية كل ثورة، وإعدام من يُلصق بهم تهمة الخيانة من النظام السابق).

15- استخدام الأزمات الاقتصادية للسيطرة على توجهات الشعوب. (السبب في خلق حالات من البطالة والفقر والجوع، لتوجيه الشعوب إلى تقدير المال وعبادة أصحابه، لتصبح لهم الأحقية والأولوية في السيادة، واتخاذهم قدوة والسير على هديهم، وبالتالي؛ سقوط أحقية الدين وأنظمة الحكم الوطنية، والتمرد على كل ما هو مقدس، من أجل لقمة العيش).

16- نشر العقائد الإلحادية المادية. (من خلال تنظيم محافل الشرق الكبرى، تحت ستار الأعمال الخيرية والإنسانية، كالماسونية ونوادي الروتاري والليونز، التي تخرب في الحقيقة كل ما تثله الأديان السماوية، وتساهم أيضاً في تحقيق أهداف المخطط الأخرى داخل البلدان التي تتواجد فيها).

17- خداع الجماهير المستمر، باستعمال الشعارات والخطابات الرنانة، والوعود بالحرية والتحرر. (التي تلهب حماس ومشاعر الجماهير للدرجة يمكن معها أن تصرف بما يخالف حتى الأوامر الإلهية، وقوانين الطبيعة، وبالتالي؛ بعد الحصول على السيطرة المطلقة على الشعوب، سنمحو حتى اسم "الله" من معجم الحياة).

18- ضرورة إظهار القوة لإرهاب الجماهير. (وذلك من خلال افتعال حركات تمرد وهمية على أنظمة الحكم، وقمع عناصرها بالقوة على علم أو مرأى من الجماهير، بالاعتقال

والسجن والتعذيب والقتل إذا لزم الأمر، لنشر الذعر في قلوب الجماهير، وتجنّب أي عصيان مسلح قد يُفكرون فيه، عند مخالفة الحكام لصالح أنهم).

19- استعمال الدبلوماسية السرية من خلال العملاء. (للتدخل في أي اتفاقات أو مفاوضات، وخاصة بعد الحروب، لتحويل بنودها بما يتفق مع مخططات المؤامرة).

20- الهدف النهائي لهذا البرنامج هو الحكومة العالمية التي تسيطر على العالم بأسره. (لذلك سيكون من الضروري، إنشاء احتكارات عالمية ضخمة، من جراء اتحاد ثروات اليهود جميعها، بحيث لا يمكن لأي ثروة من ثروات الغرباء مهما عظمت، من الصمود أمامها، مما يؤدي إلى انهيار هذه الثروات والحكومات، عندما يوجه اليهود العالميون ضربتهم الكبرى في يوم ما).

21- الاستيلاء والسيطرة على الممتلكات العقارية والتجارية والصناعية للغرباء. (وذلك من خلال؛ أولاً؛ فرض ضرائب مرتفعة، ومنافسة غير عادلة للتجار الوطنيين، وبالتالي؛ تحطيم الثروات والمدخرات الوطنية، وحصول الانهيارات الاقتصادية بالأمم. ثانياً؛ السيطرة على المواد الخام، وإثارة العمال، للمطالبة بساعات عمل أقل وأجور أعلى، وهكذا تضطر الشركات الوطنية لرفع الأسعار، فيؤدي ذلك إلى انهيارها وإفلاسها، ويجب ألا يتمكن العمال بأي شكل من الاستفادة من زيادة الأجور).

22- إطالة أمد الحروب لاستنزاف طاقات الأمم المتنازعة مادياً ومعنوياً وبيرياً. (لكي لا يبقى في النهاية سوى مجموعات من العمال، تسيطر عليها وتسوسها حفنة من أصحاب الملايين العملاء، مع عدد قليل من أفراد الشرطة والأمن، لحماية الاستثمارات اليهودية المختلفة).

23- الحكومة العالمية المستقبلية تعتمد الدكتاتورية المطلقة كنظام للحكم. (فرض النظام العالمي الجديد، يقوم فيه الدكتاتور بتعيين أفراد الحكومة العالمية من بين العلماء والاقتصاديين وأصحاب الملايين).

24- تسلل العملاء إلى المستويات الاجتماعية والحكومة كافة. (من أجل تضليل الشباب وإفساد عقولهم بالنظريات الخاطئة، حتى تسهل عملية السيطرة عليهم مستقبلاً).

25- ترك القوانين الداخلية والدولية التي ستَّتها الحكومات والدول كما هي، وإساءة استعمالها وتطبيقها. (عن طريق تفسير القوانين، بشكل منافق لروحها، يستعمل أولاً قناعاً لتغطيتها، ومن ثم يتم طمسها بعد ذلك نهائياً).

ثم يختتم المتحدث عرضه بالقول: "لعلكم تعتقدون أن الغرباء (غير اليهود)، لن يسكنوا بعد هذا، وأنهم سيهبون للقضاء علينا، كلا؛ هذا اعتقاد خاطئ. سيكون لنا في الغرب،

منظمة على درجة من القوة والإرهاب تجعل أكثر القلوب شجاعة ترتجف أمامها، تلك هي منظمة الشبكات الخفية تحت الأرض، وسنعمل على تأسيس منظمات من هذا النوع، في كل عاصمة ومدينة، نتوقع صدور الخطر منها.. - بتصرف من كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج).. نود أن نشير إلى أن هذا المخطط وضع قبل أكثر من 200 سنة تقريباً، وأن العمل على تنفيذه بقي جارياً على قدم وساق، وكان دائم التجدد والتطور من حيث القائمين عليه، ومن حيث برامجه وأدواته، ليتوافق مع التطورات المتسارعة التي ظهرت في القرنين الماضيين، من مُخترعات واكتشافات كوسائل الاتصال ووسائل الحرب على مختلف أنواعها، سُخرت كلها لخدمة هذا المخطط الشيطاني، وما كان لبشر من غير اليهود أن يجمعوا هذا الشرّ كله في جعبتهم، ويصهروه بهذا الشكل.

**إسقاط جميع أنظمة الحكم الوراثية العريقة في أوروبا من خلال الثورات التحررية:**

وقد استطاع اليهودـ من خلال مواظبيهم على تنفيذ هذه البروتوكولاتـ من إسقاط نظام الحكم الملكي في بريطانيا لفترة ليست بالقصيرة، ومن ثم عاد النظام الملكي بشكل صوري لا يتمتع بأي سلطة، كما هو الحال الآن، كما وقاموا بإسقاط النظام الملكي في فرنسا، ومن ثم تم تحويلها إلى النظام الجمهوريـ . وبعد إثارتهم للحرب العالمية الأولى استطاعوا إسقاط الحكم القيصري في روسيا الذي عاملهم كما عاملوا في أوروباـ ، ولكنـ بدون طردـ، وإدخال الحكم الشيوعي إليهاـ، واستطاعوا إسقاط الحكم القيصري في ألمانيا أيضاًـ، وأسقطوا الإمبراطورية العثمانيةـ، وكان آخر حصادها هو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانيـ.

**المخطط في مراحله النهائية، تحت حماية أمريكا:**

ولو أنك نظرت إلى البروتوكول رقم (23)، ستجد أن النظام الذي كان يُنادي به الرئيس الأمريكي (بوش) في بداية التسعينياتـ، بعد انهيار الاتحاد السوفيتيـ، موجود تحت الاسم نفسهـ (النظام العالمي الجديدـ)ـ وهذه العبارة نفسها مكتوبة أيضاً على الدولار باللغة اللاتينيةـ، وهذا مؤشر على أن المخطط أصبح في مراحله الأخيرةـ، حيث أن هذا البروتوكول هو الثالث قبل الأخيرـ، وما بقي عليهم للوصول إلى هدفهم النهائيـ، سوى تنفيذ البروتوكولين (24)ـ وـ (25)، وهو المتعلقان بالعزلة بجانبيها الثقافيـ والاقتصاديـ، والتي سنوضحها لاحقاًـ.

## الرؤساء الأميركيون الأوائل يُحدّرون من الخطر اليهودي:

ترجمة النص الكامل للجزء الخاص باليهود من خطاب بنجامين فرانكلين أمام الكونغرس:

أيها السادة: هنالك خطر كبير يهدد الولايات المتحدة الأمريكية ... وهذا الخطر هو اليهود ... ففي أي أرض يحلُّ بها اليهود ... يعملون على تدني المستوى الأخلاقي والتجاري فيها ... وعلى مدى تاريخهم الطويل ... ظلوا متقطعين على أنفسهم، في معزل عن الأمم التي يعيشون فيها ... ولم يندمجوا في حضارتها ... بل كانوا يعملون دوماً على إثارة الأزمات المالية وخلق اقتصادياتها ... كما حصل في البرتغال وإسبانيا.

لأكثر من 1700 سنة...وهم يكونون على قدرهم ومصيرهم المخزن...فهم لا يستطيعون العيش مع بعضهم البعض...ما يستدعي ضرورة تواجههم بين المسيحيين...أو بين أناس من غير جنسهم.

وإن لم يطردوا من الولايات المتحدة بموجب الدستور ... فإنهم خلال مائة عام على الأقل من الآن ... سيتوافدون إلى هذا البلد بأعداد كبيرة ... وبذلك الأعداد سوف يحكمونا ويدمرّونا ... من خلال تغيير أنظمة الحكم لدينا ... والتي بذلك نحن الأميركيين من أجل توطيدّها على مر السنين ... الغالي والنفيس من دمائنا وأرواحنا ومتلكاتنا وحرياتنا ... وإن لم يتم طردّهم ... وبعد مائة سنة من الآن ... فإن أحفادنا سيعملون في الحقوق ليل نهار ... من أجل إشباع بطونهم وجوبيهم ... بينما يجلسون هم في قصورهم يفركون أيديهم فرحاً واغباطاً ... بما حصدوه من غلال وأرباح.

وها أنا أحذركم أيها السادة ... إن لم تطردوا اليهود من هذا البلد إلى الأبد ... فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم في قبوركم ... ومع أنهم يعيشون بيننا منذ أجيال ... فإن مُثلهم العليا ما زالت تختلف كلّياً عما يتحلى به الشعب الأميركي من مُثل ... فالله الأرقط لا يمكنه تغيير لون جلد (عبارة مقتبسة من التوراة) ... سوف يُعرضون مؤسساتنا ومقوماتنا الاجتماعية للخطر ... لذلك؛ يجب طردّهم بنص من الدستور .

وكان فرانكلين من الرؤساء الأوائل في أمريكا، والذي استشعر الخطر اليهودي قبل تغلّله في أمريكا، من خلال دراسته للتورات ولتاريخهم في أوروبا، وما أحدثوه من خراب فيها.

وهذا قسم من خطاب الرئيس الأميركي (النوكولن) للأمة، في نهاية مدته الرئاسية الأولى:

إنني أرى في الأفق تقدّر أزمة تقترب شيئاً فشيئاً ... وهي أزمة ثيريني وتجعلني أرجوّف على سلامـة بلـدي ... فقد أصبحـت السـيـادة للـهيـنـات والـشـركـات الـكـبرـى ... وسيـترـتب على ذلك

وصول الفساد إلى أعلى المناصب ... إذ إن أصحاب رؤوس الأموال سيعملون على إبقاء سيطرتهم على الدولة ... مستخدمين في ذلك مشاعر الشعب وتخزياته ... وستصبح ثروة البلاد بأكملها، تحت سيطرة فئة قليلة ... الأمر الذي سيؤدي إلى تحطم الجمهورية.

وكان هذا الخطاب قبل أكثر من 130 سنة، بعد أن تغلغل اليهود في أمريكا، وقد اغتيل هذا الرئيس في بداية فترة الرئاسية الثانية نتيجة خطاباته، لأن أصحاب رؤوس المال الأمريكي كلهم أصبحوا من اليهود. كما اغتيل الرئيس (جون كينيدي)، عندما أعلن عن برنامجه الإصلاحي، وبناء أمريكا من الداخل، ونهج التفايish السلمي مع الخارج، كروسيا والبلدان الأخرى، وهذا مما يتعارض كلياً مع بروتوكولات أرباب المال اليهود وحكامهم.

بعد اغتيال (كينيدي) استوعب رؤساء أمريكا الدرس، وحفظوه عن ظهر قلب، فلم يجرؤ أحدهم على نهج أي سياسة، تعارض مع طموحات اليهود وتطلعاتهم على الأصعدة كافة، بل كانوا فور انتخابهم يسارعون لتقديم فروض الطاعة والولاء لأسيادهم اليهود وخدماتهم لليهود خلال الأربعين سنة الماضية ظاهرة للعيان، وأصبحت مهمة الرئيس الأمريكي تنفيذ الأوامر اليهودية وحمايتها والدفاع عنها بعد تبنيها والإيمان بها إيماناً مطلقاً.

### الحرب العالمية الثانية درس من دروس التآمر اليهودي العالمي:

الظروف التي سبقت الحرب، من كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) بتصرف:

معاهدة فرساي المجنحة بحق ألمانيا: التي كان لليهود وعملائهم اليد الطولى في صياغتها، من وراء الستار، لتكون بؤرة لتوريط ألمانيا في حرب أخرى، إذا تطلب الأمر مستقبلاً. حيث أن بنود هذه المعاهدة اقتطعت جزءاً من الأراضي الألمانية، وضمتها إلى بولندا، وأرغمت ألمانيا على دفع التعويضات، للخسائر الناجمة عن الحرب العالمية الأولى، وأبقت ألمانيا تحت طائلة الديون إلى ما لا نهاية.

وجود الحركة النازية في ألمانيا: والسبب في بلوة أفكارها، هو معرفة الألمان بفضل مؤامرة اليهودية، حيث إن الصيغة النهائية لبروتوكولات حكماء المؤامرة، التي تدعوا لتفوق العرق اليهودي، والتي كشفت أصلًا فيما سبق في ألمانيا نفسها، عادفع الألماني (كارل ريتز) إلى طرح أنكار، تدعوا إلى تفوق العرق الجermanي، ردًا على ما طرحته ببروتوكولات حكماء اليهود. ومن أقوال مؤسس الفكر النازي (كارل ريتز) الذي نشر أفكاره عام 1849م: "لكي يعود السلام والحرية الاقتصادية إلى العالم، يجب أولاً القضاء على المؤمنين اليهود، وعلى

جميع أعضاء الحركة الثورية العالمية، الذين يُوجهون الشيوعية وسيطرون عليها». ومضمون المعتقدات النازية يقضي بتفوق العرق германاني، والذي يتوجب عليه إخضاع العالم بالقوة العسكرية، ويجب أن تكون الطاعة فيه لرئيس الدولة герمانية، طاعة عمياء وبدون نقاش. وعلى ما يبدو أن رجالات الحرب الألمان، بعد الحرب العالمية الأولى، وما لحق بألمانيا من إجحاف، من خلال المؤامرات اليهودية قبل وبعد الحرب، اقتنعوا بالذهب النازي، واعتبروا مبادئ التي تتقاطع مع المخطط اليهودي للسيطرة على العالم اقتصادياً، ومن ثم السيطرة على الحكم سلبياً، فوضعوا مخططهم العسكري لاكتساح أوروبا وأمريكا للقضاء على المؤمنين اليهود، واليهود بشكل عام في أماكن تواجدهم، والاستيلاء على ثرواتهم الطائلة.

**مرتكزات السياسة الألمانية:** كانت تقوم على وجوب تحريز ألمانيا من الاتفاقيات الاقتصادية المفروضة عليها، من قبل المؤمنين والمرابين الدوليين، بعد أن أدرك الزعماء الألمان خطر هذه الاتفاقيات على استقلال البلاد، لأن الفوائد المفروضة على القروض المالية - بموجب هذه الاتفاقيات - ستؤدي حتماً إلى وقوع البلاد في براثن دائنها، (يعنى ارتهان القرار والموقف، السياسي والاقتصادي بمصلحة الدائنين، بغض النظر عن مصلحة الأمة)، تماماً كما وقعت بريطانيا عام 1694م، وفرنسا عام 1790م، وأمريكا عام 1791م. وبالتالي؛ ستكون هذه القروض ديناً واستبعاداً لكل فرد من أفراد الشعب، لأن تسديدها لن يكون إلا بفرض مزيد من الضرائب، يدفعها المواطنون جميعاً، ويكون المستفيد الذي لا يخسر أبداً هو الدائن، أي المؤمن المزابي العالمي. عندئذ صَمِّمَ القادة الألمان على خلق عملة مالية لا تستند إلى القروض، بل تعتمد على الدخل القومي، والممتلكات الوطنية، وعلى موارد الصناعة والزراعة، والثروات الطبيعية، وعلى الطاقة الإنتاجية للأمة.

**وصول هتلر إلى سدة الحكم:** شخصية هذا الرجل اعتراها الكثير من التشويه الإعلامي اليهودي الغربي، وفي الحقيقة لم يكن هتلر داعية حرب، ولم يكن معتقداً للمذهب النازي، بل كان رجلاً قومياً يسعى لرفع الظلم والإجحاف الذي لحق بأمته، من جراء معاهدة فرساي، وكان عدواً لدوداً للنازيين والمؤمنين اليهود على حد سواء، وقد جاء في الصفحة الأخيرة من كتابه (كافاري) الذي كتبه في السجن عام 1934م، قبل أن يتسلّم الزعامة، ما نصه: «يهدى؛ يقف الحزب الاشتراكي الوطني موقفاً إيجابياً من المسيحية، ولكنه لا يترك أمور العقيدة لجماعة من المنحرفين (النازيين)، ومن جهة أخرى يحارب الروح المادية اليهودية، المتغلبة في نفوسنا وفي نفوس الآخرين». أما عن معاهدة فرساي فقد كتب يقول: «إنها لم تكن لمصلحة

بريطانيا، ولكنها - كانت أولاً وأخيراً - في صالح اليهود لتدمير ألمانيا<sup>٣</sup>. ونود أن نضيف أن السبب الرئيسي في هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وهي في قمة انتصاراتها العسكرية، هو الثورات والفتن التي أحدها الممولون اليهود، بإحياء الثورات الشيوعية داخل ألمانيا، والتي أضعفـت الجبهة الداخلية، وأضعفـت الروح المعنوية لدى الجيش الألماني، والتي تسبـبت في تنازل القيسـر عن عرشه، وتوقيع الهدنة للالتفات إلى الشأن الداخلي، خوفـاً من سيطرة الشيوعية على ألمانيا، كما حصل في روسيا.

نشوء دول المحور: وجد الشعب الألماني بصورة عامة أنه يشارك شعوب اليابان وإيطاليا وإسبانيا آمالهم وأمانـهم في المستقبلـين السياسي والاقتصادـي، فظهر حلف المحور، ونظراً لديناميكـة زعماء تلك الدول، وما بذلـوه من جهود ضخـمة، تمكنـوا من إعادة بناء بلدانـهم على المستويـات كـافة؛ الصناعـية والزراعـية والعـسكرـية، بما يـشبه العـجزـاتـ.

#### كان هتلر يحمل على كـاهله أربـعة هـموم قـومـيةـ:

- 1- إعادة بناء الدولة الألمانيةـ.
- 2- استرجـاع الأجزاء المقـطـعةـ من ألمـانياـ.
- 3- محـارـبةـ أـربـابـ المـالـ الـيهـودـ، وـالـقـضـاءـ عـلـىـ الثـورـةـ الشـيـوعـيـةـ الـيهـودـيـةـ فيـ روـسـياـ، وـالـتيـ كانتـ تـمـولـ الحـركـاتـ الشـيـوعـيـةـ الثـورـيـةـ فيـ بلـادـهـ.
- 4- كـبتـ رـغـباتـ لـورـدـاتـ الـحـربـ النـازـيـنـ فيـ اـحتـلـالـ الـعـالـمـ عـسـكـرـيـاـ.

#### سينـارـيوـ الـحـربـ:

بدأ هتلر عام 1936م، محاولات التحالف مع بـريطـانياـ، وجـرتـ عـدـةـ مـحادـثـاتـ غيرـ رـسمـيةـ بـينـ دـبلـومـاسـيـ الـبـلـدـيـنـ، وـكـانـتـ الغـاـيـةـ مـنـ هـذـاـ التـحـالـفـ هوـ رـغـبةـ الـأـلمـانـ فيـ اـحتـلـالـ الـدـوـلـ الشـيـوعـيـةـ جـمـيعـهـاـ، وـتـحـرـيرـ شـعـوبـهـاـ، وـإـدـامـ الخـوـنـةـ جـمـيعـهـاـ فـيـهـاـ، وـذـلـكـ لـقـنـاعـةـ الـأـلمـانـ باـرـتـبـاطـ الشـيـوعـيـةـ بـكـارـ أـغـنـيـاءـ الـيهـودـ الـذـيـنـ يـوجـهـونـ حـرـكـتـهـاـ وـيـمـولـونـهاـ، كـماـ يـوجـهـونـ وـيـمـولـونـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ الـحـرـكـةـ الصـهـيـونـيـةـ السـيـاسـيـةـ، وـكـانـ الرـدـ الـبـرـيطـانـيـ عـلـىـ مـقـترـحـاتـ الـأـلمـانـ سـلـيـباـ، مـعـبـراـ عـلـىـ عـدـمـ موـافـقـهـ عـلـىـ هـذـهـ مـقـترـحـاتـ، فـاقـتـعـ هـتلـرـ بـأـنـهـ يـسـتـحـيلـ عـلـىـ أـيـ أـمـةـ بـمـفـرـدـهـاـ أـنـ تـحـطـمـ نـفـوذـ الـمـرـابـينـ الـعـالـمـيـنـ، وـخـاصـةـ فـيـ الـدـوـلـ الـمـسـمـاءـ بـالـدـيمـقـراـطـيـةـ، وـذـلـكـ لـتـحـكـمـهـمـ الـمـالـيـ بـهـذـهـ الـدـوـلـ، وـإـيقـاعـهـمـ إـيـاهـاـ تـحـتـ طـائـلـةـ الـدـيـوـنـ.

ولـمـ اـرـضـ هـتلـرـ أـوـامـرـ لـورـدـاتـ الـحـربـ النـازـيـنـ لـرـدـعـ الشـيـوعـيـةـ وـسـتـالـينـ منـفـرـداـ، حـاـولـواـ اـغـتـيـالـهـ، وـلـمـ أـخـفـقـواـ، حـاـولـواـ إـضـعـافـ شـعـبـيـتـهـ الـتـيـ حـقـقـهـاـ بـيـنـ الـأـلمـانـ، فـبـدـأـ الـنـازـيـونـ بـنـشـرـ

الأفكار النازية الإلحادية بين الشعب الألماني، واستغلت الصحافة المعادية ذلك، وألصقت هذه التهمة بهتلر، وبدأت وسائل الإعلام حملتها ضدّ هتلر، وانقسم الشعب الألماني إلى قسمين، ووقع هتلر بين فَكَّيْ كمامة، رجال الكنيسة من جهة، ورجال النازية من جهة أخرى، أما في بريطانيا فكانت وسائل الإعلام اليهودية ماضية في تشويه صورة هتلر وألمانيا، لمنع أي فرصة لأي تقارب ألماني بريطاني.

وعندما عرضت ألمانيا مشروعًا مقبولاً لشكلة المرء البولندي ودائرته المدنية الألمانية التي سببها معاهدة فرساي الجائرة، سارع أقطاب المؤامرة لإيجاد تحالف بريطاني بولندي من خلال فبركتهم لإذنار مزور، تنذر فيه ألمانيا البولنديين بالاستسلام خلال 48 ساعة فقط، تخوض عن معاهدة بريطانية لحماية البولنديين من أي عدوٍ ألماني، عام 1939م. ومن ثم عملوا على إقناع البولنديين بصلاحية معاهدة الحماية البريطانية، وهكذا أهمل البولنديون المذكورة الألمانية أشهرًا عديدة، في حين كانت الصحافة المعادية لهتلر تشنّ عليه الحملات العنيفة المضادة، وذلك لسبب واحد هو معاداته لأصحاب المؤامرة العالمية، واعتماده سياسة مستقلة داخل الإمبراطورية الألمانية، بعيداً عن قروضهم وخططهم الاقتصادية المدمرة، وبشكل عام كانت الصحافة الغربية قد هيأت الشعوب هناك لتفقّع موقفاً معادياً للألمان، ولجميع الدول التي تؤيد سياساتهم، وبدأت تفسّر وتخلل أقواله وأفعاله، وتقلب الحقائق وتفسير الأخبار، وتحذر من أطماء التوسيعية.

وبعد التعتن البولندي وتجاهله للمذكرة الألمانية، ضجر هتلر من انتظار الرد، ومن الحرب المشينة التي وجهتها ضده صحافة الحلفاء، فأمر جيوشه بالتحرك نحو بولندا لاسترجاع ما استقطع من أراضي ألمانيا بالقوة، ولم يتعذر إلى ما وراءها، بل توقف عند ذلك الحد. عندئذ أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا، بموجب الاتفاقية السابقة، مع علم الذين أوجدوا هذه الاتفاقية عدم قدرة بريطانيا على حماية نفسها في مواجهة القدرات العسكرية الألمانية. وعندما تأكد لهم أن رئيس الوزراء البريطاني (تشامبرلين) غير مُتحمس للدخول في حرب فعلية مع ألمانيا أستطعوه، وجاؤوا (بترشل) الذي قام بتصفيف المدن الألمانية بالطائرات. وهكذا اضطر هتلر مرغماً لتكلمته تلك الحرب المدمرة، مُستجيناً للورادات الحرب النازيين التي دامت قرابة الخمس سنوات، وانتهت بخروج معظم الدول التي شاركت فيها مثقلة بالديون والخسائر المادية والبشرية. وكان المستفيد الوحيد هم المرابون اليهود الذين مَولوا هذه الحرب في سنواتها الخمس، ومَولوا عمليات الإعمار بعدها، بفرض لم تستطع البلدان الأوروبية تسديدها إلى يومنا هذا.

وأما ألمانيا - ومن أجل عدائها المعلن لليهود، سواء من هتلر أو من قبل النازيين - فقد لاقت مصيرها المحتوم، من تقسيم أراضيها وتجحيم قدراتها، ونهب مقدراتها وثرواتها، حيث استطاع اليهود العالميون - بما يملكونه من أموال، ومن خلال سيطرتهم على اقتصاديات الدول الغربية برمتها، ومصدراً قرارها السياسي، وتجيئه لخدمة مخططاتهم الشيطانية، وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا - من التخلص من الخطر الألماني الذي كان يهدّد وجودهم، ويقضّ مضجعهم، ويقطّع مع مخططاتهم لتدمير البشرية.

ويخلص صاحب كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) المسيحي الكندي في نهاية حديثه عن الحرب العالمية الثانية إلى استنتاج يوجّهه لمن انساق وساهم من ساسة الغرب في نجاح المخطط الجهنمي للمرابين اليهود، طمعاً بما يملكونه لهم من فتات وحطام هذه الدنيا الزائلة يقول:

ـ أما الحقيقة الأولى: فهي أن الإنسان لن يصحب معه إلى القبر شيئاً من كنوز الدنيا، أو شيئاً من أكاليل المجد والثناء ... والحقيقة الثانية: هي أن القبر ليس النهاية، بل إنه الطريق الذي لا مناص منه، ولا مفرٌ - بعد القبر - من تقديم الحساب أخيراً، حيث ليس للمرابين العالميين من حول ولا قوة ـ .

### تأخر موسم الحصاد اليهودي للمحصول العالمي:

كان مخطط المؤامرة يقتضي تفزيذ ما جاء في البروتوكولات بحرفته، والغاية من ذلك السيطرة على اقتصاديات دول العالم بأسرها، وحصر رؤوس الأموال العالمية كلها في أيدي اليهود، وعندما يحين الموعد المناسب يعمد اليهود إلى شراء الذهب من الأسواق العالمية وتكتديسه، ومن ثم يُشعرون نيران الحرب العالمية الثالثة، والتي حسب تصوّرهم، ستكون كارثية بكل معنى الكلمة على العالم بأسره، وتختلف وراءها قطعاً بشرية جائعة، ملحة، لا تؤمن إلا بما هو مادي، ومنحلة لا تبحث إلا عن كل ما يُشعّغ غرائزها الجسمية، آنذاك يُعلن ملوك الذهب عن أنفسهم، ويشرطون لإنقاذ تلك القطعان البشرية من الموت جوعاً، بما أنهم يملكون الذهب، تنصيهم ملوكاً على الأرض، ليُقيموا دولتهم العالمية الدكتاتورية وعاصمتها القدس، فلا تملك تلك القطعان إلا أن تدين بالعبودية المطلقة لليهود، بعد أن جاءها نور الذهب ليُجدد ظلمة الأديان الموحشة.

إذ كان من المفترض أن تقوم الحرب العالمية الثالثة، حسب مخططاتهم، بعد (20-25) عاماً من الحرب العالمية الثانية، ولكن؛ مالم يكن في الحسبان هو موت لينين تاج المؤامرة اليهودية، وانقلاب (ستالين) على مخططاتها ومخططها، وتخالصه من القادة اليهود جميعهم

في الحزب الشيوعي، وإقامته لاتحاد سوفيتي قوي، وامتلاكه للسلاح النووي، ومقاسمه لأمريكا حُكم العالم، ودخول عصر الحرب الباردة، الذي حجم اليهود وطموحاتهم، بوقوفه ندأً قوياً في وجه أمريكا وطموحاتها، فكان لأبدٍ من تدميره وتفكيكه أولاً عن طريق الغزو السلمي التسللي، المطروح في البروتوكول رقم (٩).

فوجدوا في (غورباتشوف) ضالّهم، الذي أدخل إصلاحاته الهدامة. ولما أوشك الاتحاد على الانهيار أجهزوا عليه بعميلهم الآخر (يلتسن)، فسيطر على مقاليد الحكم بالقوة، وأنهى ما يُسمى بحلف وارسو، وأزاح الحكم الشيوعي الماهمض لأمريكا عن روسيا، وأخذ بنصائح صندوق النقد الدولي، للإصلاح الاقتصادي من خصخصة وغيرها، فاستطاع المليارديرات اليهود أمثال (بيريزوفسكي) من شراء معظم المشاريع الاستثمارية الروسية، وشراء القرار السياسي والاقتصادي الروسي، وبالإضافة إلى ما كانت تواجهه روسيا من أوضاع اقتصادية متربدة، أدخلوها في حرب استنزافية مع الشيشان في أواسط التسعينيات، وذلك كله حتى يتستّر اليهود أن يصلوا ويقولوا، في أرجاء العالم كافة ليُحقّقوا طموحاتهم، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وعندما خلت لهم الساحة بانهيار الاتحاد السوفيتي، وتغيير قرارات روسيا بالأموال اليهودية، أشعلوا حرب الخليج الثانية، باستخدام السيناريو نفسه المستخدم في الحرب العالمية الثانية، والخروج بالنتائج نفسها، وشاركت روسيا في الحملة الثلاثية على العراق، على استحياء من حليفها السابق، غير أن الحصار على العراق شمل مناحي الحياة كلها، ولم يقتصر على التصنيع العسكري كما هو الحال مع ألمانيا واليابان.

وكان مؤتمر مدريد للسلام، الذي كان في الأصل، غاية لخططي ومفكري اليهود التوراتيين في الغرب، والذي لم يكن يوافق عليه حُكّام إسرائيل العلمانيون، وذلك خلق درع من معاهدات السلام، لحماية إسرائيل من الأخطار الخارجية من دول ما وراء دول الطوق، ولتحييد دول الطوق نفسها، ودفعها لخوض الحروب نيابة عن الدولة اليهودية، في حال فكرت أي دولة بعيدة، كروسيا والعراق، العدوين اللذين حسب النبوءات التوراتية، بالإضافة إلى مصر والسودان وليبيا، والأردن وسوريا وإيران وأفغانستان، وهذه الدول كلها مذكورة في التوراة بأسمائها القديمة. ولذلك كانت هناك معاهدة السلام المصرية لقطع الطريق على مصر نفسها والسودان وليبيا، وكانت المعاهدة الأردنية لقطع الطريق على الدول الشرقية، ولم تتحقق معاهدة السلام السورية نتيجة الموقف السوري وتمسّكه باسترجاع هضبة الجولان، التي لا تستطيع إسرائيل التخلّي عنها، بأي حال من الأحوال، فكانت هناك معاهدة أمنية بين إسرائيل وتركيا بديلًا عن المعاهدة السورية مؤقتاً، لقطع الطريق على روسيا.

## **ميكانيكيات وأدوات العمل المستخدمة لتنفيذ برامج المخطط الشيطاني**

### **مجلس الأمن:**

بعضُ النظر عما يُمثله من أنظمة وقوانين وقرارات، تأخذ طابع العدالة والإنصاف، فالتطبيق في الواقع يختلف كلياً، ويأخذ طابع الجور والظلم، كما هو الحال مع فلسطين والعراق من جانب، وإسرائيل من جانب آخر. فالقرارات ملزمةٌ للجانب الأول، وغير ملزمةٌ للجانب الثاني. وخُذ إسرائيل وجنوب إفريقيا من جانب آخر كنظامين عنصريين، فالنظام الأول زالت عنه صفة العنصرية بقرار من مجلس الأمن معبقاء النظام العنصري، والثاني زالت عنه هذه الصفة بزوال النظام، وهذا ما يُسميه البعض ازدواجية في التعامل أو الكيل بمكيالين، والحقيقة أن مجلس الأمن الخاص بالأمم المتحدة يقيس الأشياء كلها وفق الرؤى اليهودية الإسرائيلية، فهو الذي أوجدها، وهو الذي حافظ على بقائها وإدامتها. وهذا ما يفسر المواقف الجريئة لسوريا تجاه قراراته.

لطرح هذه التساؤلات: كم كان عدد الدول التي كانت قلقة بمصير اليهود؟ وما الداعي لوجود دولة لليهود، بما أن اليهودية ديانة وليس قومية؟ ومنْ قال بأن القومية تعطي الشرعية لإقامة دولة؟ فهناك الأكراد والأرمن وألبان كوسوفو وغيرهم الكثير، مِمَّن هم متواجدون على أراضيهم؟ فلماذا لم يوجد لهم مجلس الأمن دولـاً؟! ويدلاً من ذلك يتغاضى عن إبادتهم وقمعهم، خاصة إذا كانوا مسلمين كالبوسنة وكوسوفو والشيشان، أو أعداءً لدولة حليفـة لليهود كأكراد تركيا، وعندما يتعلق الأمر بالعراق يُصبح الأكراد في الشمال مسألة إنسانية تُقلق مجلس الأمن. فما مصلحة أمم العالم قاطبة ومجلس أمنها، في إنشاء دولة لليهود؟! مع وجود الأنظمة العلمانية في معظم دول العالم، حتى في معظم الدول الإسلامية والعربية؟ إلا أن يكون هذا المجلس هو مجلس أمن يهودي بحت، ولكن؛ كيف تحصل اليهود على ذلك؟

الجواب بسيط جداً، من خلال التلاعب من خلف الستار، بالترغيب والترهيب الاقتصادي، للمصوتين على القرارات، لضمان الأغلبية لإصدار أي قرار يرغبون بتمريره. بالإضافة إلى إيجاد حق النقض (الفيتو) للدول دائمة العضوية، منها ثلاثة دول مؤيدة بإسرائيل بالسيطرة الاقتصادية، مع أن واحدة تكتفي لتعطيل أي قرار لا يخدم مصالح اليهود والدولة اليهودية، واثنتان لا يُرجحـى منها خيراً وهما روسيا والصين، اللتان غالباً ما كانتـا تتماشـيان مع الرغبة الأمريكية، نتيجة الاسترضاء السياسي، كـغضـب الطرف عن ممارسـات هاتـين

الدولتين فيما يخص مثلاً حقوق الإنسان في الصين، أو اضطهاد الشعوب المجاورة والأقليات العرقية أو الدينية في روسيا، بالإضافة إلى الإغراء الاقتصادي، متعدد الأوجه والخيارات. وفي حال فكرت إحداهما في استعمال أي منهما، حق النقض على قرار يخدم إسرائيل، تصبح دولة نازية ولا سامية، وتبدأ الآلة الإعلامية اليهودية العالمية بالطلب والزمر، فالامور تصبح محسومة مسبقاً، وقد كشف النقاب عن هذه السياسة علناً عندما هددت أمريكا دولة كولومبيا المستضعفة بفرض مقاطعة اقتصادية، عندما صوتت لصالح إرسال قوة حمامة دولية للفلسطينيين، وغيرها الكثير.

ولنأخذ على سبيل المثال القرارات الخاصة بالعراق، حيث أُتخذت بالإجماع، بحجة مخالفة العراق للقانون الدولي آنذاك، وطريقة تأمين الإجماع تَمَّتْ. كما هي العادة. بطريقة آلية، بالنشاط الملحوظ للديبلوماسية اليهودية الأمريكية من وراء الستار، ومن أمام الستار أحياناً بجولات مكَوَّكة. فمعظم دول مجلس الأمن كانت، إما حليفة أو صديقة أو مديونة أو منهارة اقتصادياً. وعندما وضع أول قرار بدأت الماكينة اليهودية بالدوران باقصى سرعتها وطاقتها، مدفوعة بأحقادها ومخاوفها التوراتية، لفرض قرارات جديدة، ولتأمين تطبيق القرارات وتنفيذها، والعالم كله لا يعلم لغاية الآن حقيقة التوايا اليهودية الأمريكية البريطانية الفرنسية، من وراء تلك الحرب وهذا الحصار. وفي الحقيقة ما وضع بقرار لا يُرفع إلا بقرار، وكيف يحصل هذا القرار؟.

### المنظمات الإنسانية في الأمم المتحدة:

ما الذي تنادي به هذه المنظمات؟ تنادي بحرية المرأة، وحقوق الإنسان، وحقوق الطفل، وتنظيم النسل وتحديثه، وغيرها، وهذه الحريات والحقوق كلها عند المناداء بها، غالباً ما تأخذ الطابع السياسي، فانظر إلى الدول المتهمة بانتهاك هذه الحريات وهذه الحقوق، هي الدول العربية الإسلامية أولاً، والدول الإسلامية غير العربية ثانياً، والدول الشيوعية، وما عدا ذلك. إذا كان موجوداً. فهو لنزِّ الرماد في العيون، فما الذي يريدون من وراء ذلك؟ انظر إلى الحياة الاجتماعية

في الغرب، الذي سمح ويسمح بهذه الحريات والحقوق، تجد أن الإجابة هي مايلي :

تحرر الفكر، فتتج الكفر والإلحاد وعبادة المادة وتقديسها، تحررت النساء، فتنازلن عن دورهن الفطري في الأمة وال التربية، فتتجت أنواع الإباحية والفسور والدعارة كافة، وأصبحت لحوم النساء عرضة للكلام الصالحة. وتحررت الطفولة، فتطاولت على الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات، وغَرَّدت عند البلوغ لترك الأسرة، وطفقت تبحث عن إشباع الغرائز والشهوات. لخلص من ذلك إلى أن المطالبة بحماية هذه الحقوق والحربيات هي في

الأصل دعوة للتمرد على الطبيعة البشرية وأبجدياتها، وعلى القيم الروحية والأخلاقية التي قدمتها الأديان السماوية كمنهج للحياة. تهدف إلى ضرب الأسرة، اللبنة الأساسية في بناء المجتمعات، بحرمان الأب من دوره القيادي، مما يؤدي إلى تفكك العلاقات ما بين أفرادها، وضياع الرؤى المشتركة للبقاء والاستمرار.

### صندوق النقد الدولي:

مهمة هذه المؤسسة تقديم النصائح بما يُسمى ببرامج التصحيف الاقتصادي، ومن ثم تقديم القروض، والحصول على ضمانات للسداد. ولكن؛ هل تكررت هذه المؤسسة بمصير الأموال المقدمة؟ وهل تابع تنفيذ برامجها التصحيفية؟ وما هي طبيعة هذه البرامج؟ وماذا تحمل في طياتها؟ في الحقيقة؛ تذهب معظم الأموال المقدمة إلى جيوب المتلقين في الحكم، وكفقات للأجهزة الحكومية، ولا تظهر المتابعة إلا عندما تقع الدول المديونة في أزمات اقتصادية يكون سببها في الأصل برامج الصندوق نفسها، تعجز بسببها من سداد استحقاقات الدين، فيأتي الصندوق بحزمة اقتراحات جديدة، بديون جديدة وفوائد جديدة، ومن ثم يتم إعادة جدولة الديون. ومن ضمن الاقتراحات رفع الضرائب والرسوم على كل شيء. وربما يضعون في بيتك مستقبلاً موظفاً حكومياً ليحصي عليك عدد لقمات الطعام التي تأكلها أنت وأبناؤك، أو ما تحرقه عضلاتك من سكر أثناء الحركة، بما أنها نوع من الوقود، ولتجبي منه نسبة الضريبة على كل لقمة أو غرام من السكر، مما يؤدي إلى رفع الأسعار باستمرار، ويكون ضحيتها أولًا وأخيراً المواطن المسحوق. ويُضاف دينٌ جديد للخروج من الأزمة الاقتصادية، وتُعاد جدولته مع الديون القديمة مرة أخرى، ومن ثم تقع أزمة جديدة، نتيجة الانسياب المستمر لرأس المال الوطني في المجتمعات الاستهلاكية وغير المنتجة، فضلاً عن السرقات والاختلالات، ومن ثم ديون جديدة، وهكذا دواليك، فيتضخم أصل الدين القومي ليصل إلى أرقام فلكية، لا تستطيع الشعوب حتى تسديد قيمة فوائدها السنوية، وبالتالي؛ تصادر، أو بالأحرى تُشترى القرارات السياسية، كما اشتُرِت قرارات الاتحاد السوفيتي في حرب الخليج وما بعدها، بعد أن اختلس (غورباتشوف) وحاشيته ما مجموعه أربعة مليارات دولار ثمناً لتدمير الاتحاد السوفيتي لكي يتمكن اليهود من التفرد بحكم العالم من خلال نظامهم العالمي الجديد. وبعد أن أزاح الرئيس الروسي (يلتسين) غريمه من الكرملين بقوة المدرعات أكمل صفقة البيع، فاختلس على مدى سنتين حكمه ما مجموعه سبعة مليارات دولار، من مساعدات صندوق النقد الدولي. ولما اكُشفَ الأمر من قبل الروس، وصار (يلتسين) قاب قوسين أو أدنى من الملاحقة القضائية، اشتغلت بقدرة قادر أحداث داغستان والتغيرات

الوهمية في موسكو، التي لم تُسجل أي ضحية، وشُنت حرب غير مُبررة للقضاء على الإرهاب في الشيشان، وانشغل الشعب الروسي فيها، ونسى اختلاسات (يلتسين)، الذي قدم استقالته، واشترط علينا على خليفته (بوتين) عدم ملاحقة قضائياً عند تسلمه للسلطة، فَمَن الذي مَكِنَ (يلتسين) من ذلك ؟ وكيف صعد (بوتين) من المجهول، ليصبح رئيساً لروسيا ؟ !

يُصرّح الملياردير اليهودي (سوروس)، بأن المسؤول عن تدبير ذلك، هو الملياردير اليهودي الآخر (بيريزوفسكي)، الذي قدم التمويل لثوار داغستان الإسلاميين ، وبعد اشتعال النيران وغزو الشيشان، انقطع التمويل . ويصرّح زعيم الإسلاميين (خطاب) صحفيأً . بعد أن شرب المقلب اليهودي ، وتبخرت أحلامه في إقامة دولة إسلامية في داغستان . بأن الاتفاق مع (بيريزوفسكي)، لم يتطرق إلى تدخل الطيران الروسي لتصفّف الثوار . وبالتالي؛ ذهب الشعب الشيشاني المسلم ضحية لمؤامرة (يلتسين، بيريزوفسكي، خطاب، بوتين)، كما حصل مع الشريف حسين في الثورة العربية في الحرب العالمية بعد أن غُدر به ، فكانت نتيجتها الاستعمار والانتداب وضياع فلسطين وتشريد الأمة العربية ، وكما حصل مع هتلر في الحرب العالمية الثانية .

والسؤال هنا، مَنْ هم أصحاب صندوق النقد الدولي والبنك الدولي الحقيقيون ؟ ! وإن كانت تملّکهما الدول، فما معنى أن تكون بلدان كأمريكا وبريطانيا وفرنسا واليابان مثلاً من أكثر دول العالم أرقاماً للدين القومي ؟ فالدين القومي الأمريكي المعلن لعام 2000، كما نشر في إحدى الصحف ، يصل إلى 300 ألف مليار دولار، والذين القومي الياباني يصل إلى 280 ألف مليار دولار، وهو أكبر اقتصادين في العالم . ولم يكفهم ذلك كلهم ، وكما أخوه يوسف لم يتظروا الفرصة ولم يتقاعساً ، بل سارعوا لخلق الفرصة بالمال والخيالة للظفر بأخיהם ، لم تستكن أبالية الشر ، ولم يهدأ لهم بال ، فهم دائموا الحركة والبحث في مطابخ السياسة والاقتصاد هناك في الغرب ، وكل جيل يُكمِل ما بدأه الآخر ، ويضيف عليه تعديلاته ، ويستعجل تنفيذ خطوات المخطط الشيطاني ، ويحلم كل جيل بأن يكون مجيء مليكهم المتضرر في زمانه ، وتتأخر التنفيذ يعني تأخر المجيء ، وأخر ما ثُفت عنده أذهانهم ، في حلقات هذا المسلسل الطويل ، هو فكرة العولمة ، التي لا تعدو أكثر من كونها وحِيَا شيطانياً لنشر المذهب الشيطاني وفرضه على شعوب العالم .

### العولمة:

العولمة : كلفظ مجرّد مصطلح مُبهم ، ويصبح مفهوماً وتتضّح ماهيته عندما تُضاف إليه كلمة أخرى ، كأن نقول عولمة الثقافة وعولمة الاقتصاد . وبما أننا نعلم أن مَنْ يُنادي بالعولمة

ويدعو إليها هي أمريكا، فذلك يعني أولاً: تعميم الثقافة الأمريكية، وثانياً: تعميم النظام الاقتصادي الأمريكي الرأسمالي. وبشكل شمولي هو فرض الحضارة الأمريكية الغربية بجوانبها كافة، كأسلوب جديد للحياة على شعوب العالم كافة، ولو قمنا بتقييم بسيط للحضارة الأمريكية لوجدنا أنَّ رسمَ وشكلَ معالم وأبعاد هذه الحضارة، منذ بدايات القرن الماضي، هم الأسياد الجدد لأمريكا، أعني أرباب المال اليهود، من خلال سيطرتهم المطلقة على أدوات الإنتاج الأمريكي الاقتصادي والثقافي كافة.

أما ملامح الحضارة الأمريكية، فهي في الواقع ترجمة حية لما يحمله اليهود، من عقائد كفرية إلحادية، لا تؤمن إلا بكل ما هو محسوس، تدعو إلى تأليه رأس المال والاقتصاد وعبادة أصحابه. وتدعوا إلى أخلاقيات اجتماعية تلمودية، سمتُها الانحلال والإباحية، والدعوة لممارسة كل رذيلة، والتحلل من كل فضيلة. لنخلص إلى القول إلى أن الغاية من العولمة، هو نشر العقيدة اليهودية المادية الدنيوية، الخاصة بأصحاب البروتوكولات اليهود تمهدًا لضريتهم النهائية.

في أواخر القرن الماضي تمكن اليهود من نشر هذه العقيدة في أمريكا والدول الغربية، وبعد أن استحكمت قبضتهم على موقع صنع القرار فيها من خلال امتلاكهم لرؤوس الأموال المحركة لاقتصاديات هذه الدول. ومع انتهاء الحرب الباردة وتفرد أمريكا بحكم العالم امتلك هؤلاء القوة العظمى والوحيدة في العالم، التي أصبحت كالعلم الشرس بعصاه الطويلة، الذي يسعى التلاميذ كلهم لنيل رضاه، بالانصياع لأوامره وترك نواهيه، وينفذون ما يفرضه عليهم رغبة وريبة، حتى لو أوردهم موارد الهلاك. فأصبح لدى هؤلاء القدرة أكثر من أي وقت مضى - حسب تصورِهم - على تنفيذ ما تبقى من خطوات مخططهم الشيطاني.

في الجانب الآخر من العالم، تقف بشموخ المجتمعات الشرقية، من المؤمنين بالله وحتى الملحدين والوثنيين، ذوي المعتقدات والقيم الراسخة، والتي غرسها وحافظ عليها الأنبياء والمفكرون ورجال الدين، قدماً وحديثاً، فشكلت حواجز منيعة أمام طموحات اليهودية العالمية، وكانت آخر القلاع التي يتطلعون إلى تحطيمها، وما تبقى من أسوارها في طريقه للانهيار.

ولما أصبحت الرياح مواتية لهم جلس أسياد العالم واثمروا، فتفتحت أذهانهم عن هذه الأفكار الجهنمية الخاصة بمنظمة التجارة العالمية وقوانينها، ومتطلبات الاتساق إليها، لاختراق جميع الحواجز الاقتصادية التي أقامتها الحكومات لحماية ثرواتها الوطنية من الانسياق التلقائي إلى جيوب أرباب المال اليهود. والتي سيكون بمقدورهم من خلالها، إصابة عدة عصافير بحجر واحد.

وسائلها الثقافية: بالترتيب هي ، المطبوعات ، والراديو ، والسينما ، والتلفاز ، والفيديو ، والأطباق اللاقطة ، وأخيراً؛ الإنترن特 . وكان ابتكار الإنترن特 بمشاركة الأطباق اللاقطة التي أجبت الدول العربية على السماح بدخولها واقتنائها ، قبل سنوات ، أكبر ضربة لما أقامه هؤلاء من حواجز لحماية شعوبهم من الغزو الثقافي الغربي . وجاءت العولمة الاقتصادية لترفع الرسوم الجمركية عنها ، لتصبح في متناول من لا يملك ثمن رغيف الخبز ، ولتكون بمثابة حسان طروادة ، ولكن ؛ بحلة جديدة ، لتصل إلى البدوي في خيمته ، والمشرد في كهفه ، والموظف في مكان عمله ، والطالب في جامعته ومدرسته ، وحتى الطفل في مهده .

التحذير من خطر العقائد والأخلاقيات اليهودية ، والتي يسعون الآن لنشرها تحت مسميات عولمة الثقافة وعولمة الاقتصاد جاء في بعض أقوال رؤساء الغرب :

(النوكولن): "... فقد أصبحت السيادة للهيئات والشركات الكبرى ... إذ أن أصحاب رؤوس الأموال سيعملون على إبقاء سيطرتهم على الدولة ... وستصبح ثروة البلاد بأكملها تحت سيطرة فئة قليلة ... الأمر الذي سيؤدي إلى تحطم الجمهورية ." .

(فرانكلين): " ومع أنهم يعيشون بيننا منذ أجيال ... فإن مُثلهم العليا ما زالت تختلف كليةً، مما يتحلى به الشعب الأمريكي من مُثل ... فاللهد الأرقط لا يمكنه تغيير لون جلده ." .

(هتلر): " ومن جهة أخرى يحارب الروح المادية اليهودية المتغلبة في نفوسنا وفي نفوس الآخرين ." .

بعد هذا العرض نستطيع تعريف لفظ العولمة على أنها :

مصطلح **مُضلل** استعمل كفطاء ، للتعبير عن برنامج يهودي أمريكي لتهويد العالم بأسره . أدواته الثقافية هي وسائل الاتصال والإعلام المختلفة ، وأدواته الاقتصادية صندوق النقد والبنك الدولي والشخصية ومنظمة التجارة العالمية . وغايتها أولاً: خلق ديانة مادية جديدة ، تحت عنوان الثقافة والحضارة ، وثانياً: نهب ثروات الشعوب ، تحت عنوان تحرير التجارة . وذلك لتهيئة الأجواء ، لظهور اليهود كأسيد للعالم بأسره ، عندما يحين الوقت المناسب لذلك .

**أخطار العولمة على أرض الواقع:**

الخطر الاجتماعي ؛ يتمثل في ضرب منظومة العقائد والقيم والأخلاق ، لدى الشعوب المختلفة في العالم ، والتي بدورها تُشكّل الضمير الإنساني للفرد ، الذي يُحاول السُّمو بالإنسان إلى مرتبة الملائكة . وأما الهدف النهائي المرتجى من بعدها الاجتماعي فهو تشكيل

أجيال جديدة تبحث بشتى الوسائل والسبل عما يُشبع غرائزها ورغباتها ونزواتها، لتهبط بالإنسان إلى ما دون مرتبة الحيوان، وبذلك يسهل على مُخططِي المؤامرة اليهود سياسة هذه الأجيال وتذليلها. وبالتالي؛ لن تكون هناك معارضة لهم، وهذا ما تنصبوا إليه الأجيال التي هي في طور التشكّل الآن.

وقد بدأنا في السنوات الأخيرة، نرى نماذج من المسوخ البشرية، في العديد من بيوت المسلمين. فتيان وفتيات لا يرغبون في التعلم أو العمل، والإخفاق هو السمة البارزة في أعمالهم وتوجهاتهم ونتائجهم. يجوبون الشوارع، ويرتدون الأماكن العامة، وينهبون إلى الجامعات، بحثاً عن الحب والجنون والخلague، بعد أن أصبحت جامعاتنا وشوارعنا معارض لدور الأزياء العالمية، ولا أحد يريد العفاف والطهر، لذلك تجدهم يعزفون عن الزواج، وكما قال أحد المتعلمين: «ـ ما دام الحليب موجوداً في السوق، فما الداعي لشراء البقر؟ ـ».

وأكبر الأثر في تشكيل هذه النماذج هي القنوات الفضائية العربية. فضلاً عن قنوات الإباحة الأجنبية. وخاصة التي تضم في طاقمها مقدمي ومقدّمات البرامج، بعرض الكاسيات العاريات المائلات الممبلات، اللواتي يتحدون بلسان عربي مبين، مما أعطى المبرر لفتياتنا، وكسر الحاجز النفسي والديني لديهن، ليتخدن منهن قدوة تُحتذى، بمحاركة من الأب الذي يُرثت على كتف ابنته أثناء مشاهدته لتلك الغوانية وأولئك المختفين، بعين الرضا والقبول والإعجاب والاستحسان والاستمتاع.

ماتراه اليوم من أن رجال أمة الإسلام يتحدون الله وحدوده وحرماته، عن سبق إصرار وترصد، وهم يدفعون فتياتهم بشكل مباشر لمارسة مهنة عرض الأزياء، في الشوارع والأماكن العامة والجامعات وأماكن العمل. هدفهن دائمًا وأبداً الإغراء والفتنة بحركات وأصوات لا تقوم بها إلا إناث القلط في شهر شباط، ولمرة واحدة في السنة، أما رجال بلاد العرب أوطاني، شيوخاً وشباياً، أصبحوا كذلك، ولكن؟ على مدار السنة. ليتهي بهن المطاف في أحضان الرذيلة، فلا أحد معصوم، والذباب البشري الجائع يملأ الأجواء بحثاً عن قطعة الحلوى أو كيس للقمامنة، فلا فرق عنده. وأما الإنترنت فحدث ولا حرج، النساء تتهاافت عليها أكثر من الرجال ...

أما أطفال أمة الإسلام فهم بين أيدي أمهات صفتُهن قد تقدّمت أعلاه، لا يفقهن من الزواج شيئاً، وتربيَة الأطفال لديهن تقوم على مبادئ تربية الدواجن وتمسيخ الخراف. أطفال مهمّلون في زوايا الغرف، يُحملُّون في برامج المسوخ المتحركة، وأغاني ومسلسلات وأفلام الدعاارة العربية والأجنبية. أما في المدرسة فقد عُيِّدَ في بعض البلدان العربية إلى تغيير المنهج

المدرسية لسلخ الطفل عن هويته الإسلامية العربية، فحُذفت أمجاد الأبطال والبطولات الإسلامية، وبدلًا منها تم تصميم بطولات وهمة لأبطال من ورق. وربما يضيفون غدًّا مناهج التربية الجنسية لتنقيف الأجيال الناشئة، فالغرائز تحتاج إلى تعلم.

وخلاصة القول بأنهم سيهودون العالم، تحت غطاء أمريكي مدموغ به (made in USA)، للدرجة أنهم ربما يُجبروك على الذهاب لصلاة الجمعة في يوم السبت أو الأحد، بعد إحدى ندوات حوار الأديان.

أما الخطير الاقتصادي؛ فيتمثل في ضرب قوانين الحماية، التي وُضعت للمحافظة على الشروء الوطنية. لتسهيل عملية سلب ثروات الشعوب، وتكتيسيها في المصارف العالمية وإفقارها وتجميدها. إذ لم يكفهم ما يقوم به البنك الدولي وصندوق النقد والشخصية من نهب ثروات الشعوب، من خلال تغلغل الاستثمارات اليهودية، في شتى أقطار العالم، بعد كل هزة أو أزمة اقتصادية مفتعلة، بشكل مباشر أو غير مباشر. فموجة الخصخصة - التي هي أحد برامج صندوق النقد الدولي - أتاحت لرؤوس الأموال اليهودية الدخول إلى بعض الدول العربية تحت مسميات شركات أجنبية عالمية كبرى، أو عن طريق شركات محلية بأسماء عربية صورية، مقابل حفنة من الدولارات.

بل ابتكروا ما هو أخطر بكثير، الشق الآخر الذي كان (كليتون) يُروج للانضمام له، إلا وهو (منظمة التجارة العالمية)، والتي تدعى لتحرير التجارة وتحرير رأس المال. والملاحظ أن مبادئهم الهدامة كلها، عادة ما تحمل صفة التحرير أو التحرر، وانتظر إلى هذا القول الأعرج الأعوج، فالشعوب عندما تخمي سلطتها وصنعتها تصبح مستمرة لتجارتها، لذلك فهي بحاجة إلى التحرير. أما المراد من وراء ذلك في الحقيقة، فهو السطو على مكتسبات الدول الغنية والفقيرة، بطرق شرعية ملتوية، مغطاة بأوراق التغليف البراقة الملؤنة، لتسحر أعين الشعوب المسحوبة بما يُشبه عملية التنويم المغناطيسي. ولنوضح ما تقصد به بذلك، بأنك تستطيع في البداية على سبيل المثال، الحصول على سيارة جيدة بثمن زهيد، نتيجة تخفيض الجمارك والرسوم، ولكن هذا التخفيض سيترتب عليه عجز كبير في الموازنة العامة للدولة، فمن أين ستنتهي الدولة هذا العجز برأيك، إن لم تتعتمد على فرض رسوم وضرائب بديلة تحت مسميات أخرى لتصل في النهاية إلى عدم القدرة على شراء الوقود لتلك السيارة، لعدم قدرة الراتب على تأمين متطلبات الحياة الأساسية.

فبعد أن تمكنوا من خلق مستهلكين ينظرون بعين القداسة لكل ما هو غربي ومستورد، من منتجات ثقافية وتكنولوجية استهلاكية الطابع، جاؤوا باتفاقيات هذه المنظمة لرفع القيود، من

قوانين جمركية وضريبية على السلع المستوردة، وذلك بغية فتح الأسواق الوطنية للسلع الأجنبية، وبالتالي ؛ تهافت المجتمعات الاستهلاكية على تلك السلع، فتسرب العملة الوطنية إلى الخارج بلا توقف، ويترتب على ذلك عجز كبير في ميزانيات دول العالم الثالث، التي لا تملك صناعات منافسة تعوض وتعيد جزءاً من العملة المفقودة، لذلك ستضطر الحكومات إلى اتخاذ إجراءات علاجية عديدة لسد عجز الميزانية، التي غالباً ما يتکفل بها صندوق النقد الدولي، بزيادة الضرائب بالأسكال والمسمايات كافة، بميرات ومن غير ميرات أحياناً، بالإضافة إلى تراكم ديون جديدة، وزيادة الضرائب تعني رفع الأسعار تلقائياً، وهذا دواليك...، وسيظهر التأثير المدمر على شعوب الدول التي انضمت لهذه المنظمة، خلال فترة ربما لا تزيد عن سنة أو سنتين . وذلك عندما تبدأ المؤسسات والشركات الوطنية، بالإفلاس والانهيار تباعاً، ومن ثم انتشار البطالة والفقر والجوع بين مواطنها، انتشار النار في الهشيم.

هناك فرق شاسع بين فلسفة الاقتصاد وفلسفة الدمار والخراب . تقضي فلسفة الاقتصاد بأن تتفق أقل مما تُتَّجَعُ، وتتَّخِذُ الفائض لتقلبات الزمن، وأما فلسفة الدمار والخراب فتقتضي بأن تتفق أضعاف أضعاف ما تُتَّجَعُ، لتنتهي في أحضان صندوق النقد الدولي ، ولا أظن من قال : على قد حالفك مد رجليك . كان حاصلاً على دكتوراه في الاقتصاد، ليصل إلى هذه النتيجة . وأتساءل كيف عاشت البشرية ما يُقارِبُ الستة آلاف سنة، بدون صندوق النقد الدولي وبرامجه الإصلاحية؟!

أما الآن ... فأنعم النظر والفكر والوجودان في كل ما يدور من حولك ، في بيتك ، في الشارع ، في المدرسة ، في الجامعة ، في وطنك ، بل في العالم أجمع ... وأجب عن هذا التساؤل ... على أي هدي يسير هذا الواقع الذي نحن عليه الآن ... ؟ ! على هدي القرآن ... أم على هدي أسياد هذا الزمان !

آخر ما نود قوله إن اليهود قطعوا شوطاً كبيراً، في تنفيذ مخططهم الشيطاني ، حتى صاروا (نظرياً) قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى هدفهم النهائي في ظرف سنتين قليلة، ونجاحهم يعتمد في الدرجة الأولى ، ليس على ذكائهم ومكرهم ودهائهم فحسب ، بل في العزف على وتر يطرب له الناس جميعهم ، بلا استثناء إلا من رحم وهدى ربِّي ، لأنَّ وهو سهولة وقوع النفس البشرية أسيرة لأهوائها وأطماعها ، ومن ثم إرغامها على الخلود إلى الأرض ، لترضى بالحياة الدنيا وتطمئن بها عندما تندم لديها القيم الروحية الإيمانية المُتحصلة من فهم حقيقة العلاقة ما بين السماء والأرض ، والتي توضحها سورة الإسراء بفصولها كافة ، فاقرأها إنْ رغبت في الفهم ، فهي تحكي واقعنا المعاصر بفصوله كلها .

وقد يسأل سائل: ثم ماذا؟ نجيب بقوله تعالى: «وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيْلَةُ الْمَكْرِ حَيْثُمَا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عَقِبَ الدَّارِ» (الرعد: 42) وقوله: «فَذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بِنَيْتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» (النحل: 26).

والعلو اليهودي قائم على قاعدتين؛ هما إسرائيل كموطن بما فيها القدس، كعاصمة مستقبلية للدولة اليهودية العالمية الأبدية، وأمريكا كقوة اقتصادية عسكرية لتمكين هذا الحلم اليهودي. فلا غرابة ولا عجب إن أتى الله هذا البناء من القواعد، فخر على رؤوسهم وعلى رؤوس من يشد على أيديهم، سقف أحلامهم وطموحاتهم، فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، يقول الله تعالى في الحزب الواحد والعشرين من الجزء الحادي عشر من السورة التاسعة: «أَفَمَنْ أَسْئَنَ بَنِيَّتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَرَضَوْا إِنْ خَيْرَ أَمْ مَنْ أَسْئَنَ بَنِيَّتَهُ عَلَى شَفَاعَةِ حَرْفٍ هَارِ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمُ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ لَا يَزَالُ بَنِيَّتَهُمُ الَّذِي بَنَوْا بِيَدَهُمْ إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (التوبه: 110).

والنص التالي من التوراة يؤكّد لليهود أن عاقبة أفعالهم ستكون مدمرة لا محالة، وأن الكأس التي جرّعواها للشعوب لا بدّ أن يتجرّعواها في النهاية، حتى لو تخندقوا في الحصن الأمريكي البريطاني المنبع، فذلك لن يُجدي نفعاً، ومهما كُبرت أمريكا، وعظمت، وتعالت، فالله أكبر وأعظم وأعلى.

(التوراة: سفر حقوق 2: 6 - 12) «وَيَلِمَنْ يَكُومْ لِنَفْسِهِ الْأَسْلَابُ، وَيُثْرِي عَلَى حِسَابِ مَا نَهَبَ، إِنَّمَا إِلَى مَتَى؟ أَلَا يَقُومُ عَلَيْكَ دَائِنُوكَ بِغَتَةٍ أَوْ لَا يُشَوِّرُونَ عَلَيْكَ وَيُمْلِئُونَكَ رُعَبَا؟ فَفَصَبَحَ لَهُمْ غَنِيمَةً لِأَنَّكَ سَلَبْتَ أَمَّاً كَثِيرَةً، فَإِنْ بَقِيَّةُ الشَّعُوبِ يَنْهَا بُونَكَ ثَارَأً، لَمَّا سَفَكْتَ مِنْ دَمَاءً، وَارْتَكَبْتَ مِنْ جُورٍ فِي الْأَرْضِ، فَدَمَرْتَ مُدْنَا، وَأَهْلَكْتَ السَّاكِنَيْنِ فِيهَا. وَيَلِمَنْ يَدْخُرْ لَبِنِيَّةَ مَكْسَبِ ظَلْمٍ، وَيُسْبِدُ مَسْكَنَهُ فِي مَقَامِ حَصِينٍ، لِيَكُونَ فِي مَأْمَنٍ مِنَ الْخَطَرِ. لَقَدْ لَطَّخْتَ مَؤَامِرَتَكَ بِيَتَكَ بِالْعَارِ، حِينَ اسْتَأْصَلْتَ أَمَّاً عَدِيدَةً، وَجَلَبْتَ الدَّمَارَ عَلَى نَفْسِكَ، حَتَّى حَجَارَةُ الْجَدَرَانِ تَصْرَخَ مِنْ شَرَكَ، فَتَرَدَ الدَّعَائِمُ الْخَشِيشَيةُ أَصْدَاءَهَا. وَيَلِمَنْ يَبْنِي مَدِينَةً بِالدَّمَاءِ، وَيُؤْسِسُ قَرْيَةً بِالْإِثْمِ .

قال تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعُونَاهُمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِدَنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رِزْقِنَا طَفِيفَنَا وَكُفَّرُهُمْ وَأَلْقَمُنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (المائدة: 64).

## الفصل الثاني:

### النبوءات الإنجيلية بين الماضي والمستقبل

الإنجيل في الأصل كتاب سماوي، أُنزل على عيسى عليه السلام، بنص واحد مصدقاً لما جاء في التوراة، ويحمل في طياته شريعة جديدة لليهود، وناسخة لبعض ما جاء في شريعة موسى، لتخفف عنهم الكثير من الأعباء، والكثير من القيود والأغلال، التي كانوا قد أذروا بها في التوراة، نتيجة فسقهم وعصيائهم وظلمهم.

ومن أهم ما جاء به عيسى عليه السلام هي البشرى ببني الهدى (أحمد) عليه الصلاة والسلام. وكلمة الإنجليل في اليونانية تعنى البشرى أو البشارة، ويدعى النصارى أن هذه البشرى هي بشرى الخلاص. أما فيما كانت البشارة حقيقة، فتجده في قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَبَّعِي إِسْرَئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّزْوِيرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَنَّمُهُ أَحَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِخْرَيْرُ مُؤْمِنٍ» (6 الصاف). ونص البشارة بيننا محمد عليه الصلاة والسلام موجود في الإنجليل الرابع النسوب ليعي (يوحنا) عليه السلام، في الإصلاحات (14-16)، ومسمياته هي "المؤيد" و"المؤيد الروح القدس" و"روح الحق" و"سيد هذا العالم" ، في الترجمة التي اقتبس منها هذا النص . وفي ترجمات أخرى: "روح القدس المعيين" ، "المعزى" .

أما ما هو موجود هذه الأيام في الأنجليل فهو مجرد بقايا من الوحي الإلهي المنزل على الرسل . وهذا ما يؤكده المؤمنون به من النصارى أنفسهم . فقد جاء في مقدمة نسخة العهد الجديد من الكتاب المقدس ، دار المشرق ط 13 ، مانصه "إن القارئ في عصرنا . وهو حريص على الدقة . لا ينفك يبحث عن الأحداث التي تم إثباتها والتحقق منها ، يقع في حيرة أمام تلك المؤلفات (الأنجليل الأربع وملحقاتها) ، التي تبدو له مفكرة ، يخلو تصميمها من التنسيق ، ويستحيل التغلب على تناقضاتها ، ولا يمكنها أن ترد على الأسئلة التي تُطرح عليها" .

وهكذا يعترف رجالات الدين المسيحي أن محتويات كتابهم المقدس متناقضة ، وأنها مؤلفات كُتبت بأيدي بشر ، بعد المسيح بما يزيد على 300 سنة ، وأقدم النسخ المتوفرة ذات أصل

يوناني، تعود إلى القرن الرابع الميلادي. وأما النصوص الأصلية للإنجيل بلغته العربية أو الآرامية فهي غير موجودة. ولا نستطيع أن نجزم بصحة ذلك، ونعلم أن الكثير من المخطوطات الأصلية موجود على شكل لفائف وقرطاسيس في قوارير زجاجية على رفوف، في أقبية الكنائس الكبرى. ولا يُسمح لأي كان الوصول إليها.

أما الكتاب الموجود حالياً بين يدي النصارى فهو لا يعد أكثر من كونه كتاباً يحكي سيرة المسيح عليه السلام. كما التوراة تحكي سيرة موسى - بشكل حائز ومُضطرب، تغلب عليه ذكر أفعاله أكثر من أقواله.

إنجيل يوحنا (يحيى)، وسفر الرؤيا المنسوب ليوحنا، يبدو أنهما أكثر قرباً إلى الأسفار المتأخرة من التوراة، حيث أنهما يتفقان مع أسلوب كتابة النصوص التوراتية إلى درجة التطابق، من حيث الإنشاء والألفاظ المستخدمة والألقاب، وحتى تكرار وازدواجية النصوص التي تؤكد أنهما جُمعاً ونسخاً من مصدرين مختلفين.

وقد جاء في مقدمة سِفر الرؤيا، من نسخة العهد الجديد من الكتاب المقدس، دار المشرق ط 13 مانصه: «لا يأتينا سِفر رؤيا يوحنا بشيءٍ من الإيضاح عن كاتبه. لقد أطلق على نفسه اسم يوحنا، واسم نبي، ولم يذكر قط، أنه أحد الاثني عشر (التلاميذ). هناك تقليد على شيءٍ من الثبوت، وقد عُثر على بعض آثاره منذ القرن الثاني (الميلادي)، وورد فيه أن كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا، وقد نسب إليه أيضاً الإنجليل الرابع. ييد أنه ليس في التقليد القديم إجماع على هذا الموضوع. وقد بقي المصدر الرسولي لسفر الرؤيا عرضة للشك مدة طويلة في بعض الجماعات المسيحية. إن آراء المفسرين في عصرنا متشعبة كثيرة، وفيهم من يؤكد أن الاختلاف في الإنشاء والبيئة والتفكير اللاهوتي، يجعل نسبة سِفر الرؤيا وإنجليل الرابع، إلى كاتب واحد أمراً عسيراً. وهناك مفسرون يرون أن ظروف إنشاء سِفر الرؤيا أشدّ تشبعاً من ذلك بكثير، فهو ليس مؤلفاً متجانساً، بل محاولة غير مُحكمة لجمع أجزاءٍ مختلفة، أنشئت، ثم تُفتحت في العقود الأخيرة من القرن الأول».

نجد من خلال ما تقدم أن النصارى أنفسهم كان لديهم الكثير من الشكوك حول سِفر الرؤيا. ونحن نرى أن أسلوب إنشائه هو الأسلوب نفسه الذي أنشئت به أسفار التوراة، من حيث الألفاظ والعبارات، وحتى تكرار الأفكار والنصوص وتحويرها وتحريفها، وتبدل مواضعها من تقديم وتأخير، لتشويه الرؤى النبوية التي تأتي عادة في غير صالح اليهود. والسفر يحتوي على نبوءات مشابهة لما جاء في الأسفار المتأخرة من التوراة. حيث أن سِفر زكريا في التوراة يتنهي عند ذكر الدجاج، ويُغفل ما سيأتي بعده من أحداث. وتجدر أن سِفر

الرؤيا يُعيد بعض ما جاء في الأسفار المتأخرة من التوراة ومن ضمنها سِفر زكريا، ويكمel الأحداث حتى دخول أهل الجنة، ودخول أهل النار النار.

وما تقدم يدفع للاعتقاد بأن كتبة هذين السُّفرين هم كهنة اليهود الذين أَلْفوا التوراة، إذ إن آثار أقلامهم واضحة للعيان، مما فيه من تناقض أحياناً وتكرار أحياناً أخرى، لمحاولتهم فهم هذه النبوءات وتفسيرها، حسبما يتناسب مع زمانهم، أي مع بداية التقويم الميلادي، حيث كانت مقومات ذلك العصر ورموزه، تختلف كلّاً عما لدينا في العصر الحالي، حيث بدأت هذه النبوءات هذه الأيام تأخذ مكانها على أرض الواقع.

ويبدو أن المتأخرین من الكهنة اليهود، كانوا عاقدي العزم على ضم سِفر الرؤيا والإنجيل المنسوب إلى يوحنا إلى التوراة، فأعملوا أقلامهم فيهما، ويبدو أنهم تراجعوا عن ذلك في اللحظة الأخيرة، فقرروا إسقاطهما، بعد أن تنكروا النبوة يحيى وعيسى عليهم السلام. فسِفر الرؤيا كما الحال بالنسبة للإنجيل يوحنا، يُهاجم اليهود أنفسهم، ويهاجم مجتمعات كهنتهم (المسمّاة بالسنهرة) التي كانوا يتدارسون فيها التوراة، والتي وصفها هذا السُّفر ب مجتمعات الشيطان. حيث جاء فيه:

رؤيا 2: 9: وأعلم افتراء الذين يقولون إنهم يهود، وليسوا يهود، بل هم مَجَمَعٌ للشياطين.

رؤيا 3: 9: ها إني أعطيك أناساً من مَجَمَعٍ للشيطان، يقولون إنهم يهود، وما هم إلا كذابون.

وهاتان العبارتان مثال على التكرار للمعنى نفسه وباللفاظ نفسها تقريباً.

بالإضافة إلى ذلك جاء سِفر الرؤيا بنبوءات تُخالف أهواء الكهنة، وتتناقض مع ما كان قد خطّه الكهنة المُتقدّمون. ومنها أنه يُثبت البعث والحساب والجزاء، وهذا مما يُنكره اليهود ويُجحدونه. فالتوراة على امتدادها الشاسع لا تجد فيها حتى كلمة توضح مصير الروح بعد الموت. وما يملكونه من معتقدات، فيما يتعلق بالروح والبعث والجزاء، تعتمد في الدرجة الأولى على أقوال متناقضة ومرتبكة لحكمةيهم، وهذه الأقوال مثبتة في التلمود، وهي أقرب ما تكون إلى معتقدات الوثنين، كتناخ الأرواح والخلوية.

وربما تكون نسبة هذا السُّفر إلى (يوحنا)، وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام صحيحة، حيث أن يحيى كان قد سبق عيسى - عليه السلام - في البعث لليهود، وحال سِفر الرؤيا يشبه حال الأسفار المتأخرة من التوراة، التي امتازت بالطابع الدعوي النبوي في معظمها. وبعد أن أسقط اليهود الإنجليل وسِفر الرؤيا، المنسوبين إلى يوحنا من التوراة، تلقفته كهنة النصارى، وأضافوه إلى كتابهم المقدس على ما هو عليه من ازدواجية وتكرار، في الألفاظ والأفكار.

أما الكلام في الإنجيل النسوب إلى يوحنا فهو أقرب ما يكون إلى كلام عيسى عليه السلام، حيث جاءت على لسانه البشارة بنبينا عليه الصلاة والسلام، كما نصّ عليها القرآن الكريم، وهذا الإنجيل يتميّز من باقي الأنجليل بأنه يُركّز على الأقوال التي جاء بها عيسى عليه السلام، أكثر من طابع السرد القصصي للأفعال التي قام بها، الذي غلّب على الأنجليل الأخرى.

### إنجيل يوحنا:

#### نص البشارة بنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَسْأَلُ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْوَرْقَةِ وَمُبَيِّنًا لِّرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدٌ فَمَا جَاءَهُمْ بِمَا تَبَيَّنَتْ قَوْلًا وَهَذَا سُخْرَةٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف).

١٤- ١٦ : وأنا سأأل الأب، فيهب لكم مؤيداً آخر، يكون معكم إلى الأبد، روح الحق، الذي لا يستطيع العالم أن يتلقاه لأنّه لا يراه ولا يعرفه. أما أنتم فتعلمون أنه يُقيم عندكم ويكون فيكم، لن أدعكم يتأمّى، فإني أرجع إليكم .

يُخبر عيسى أتباعه في هذا النص أنّ الأب سيرسل لهم مؤيداً آخر، غير عيسى عليه السلام، فإن كان عيسى هو الله، فإن الله سيبعث للنصارى إليها غير عيسى، وإن كان ابن الله، فإن الله سيبعث لهم ابنًا له غير عيسى، وإن كان عيسى رسول الله، فإن الله سيبعث لهم رسولاً آخر غيره. ويُخبر أيضًا أن رسالته ستكون خاتمة الرسالات السماوية، ويأتي بالحق، ويعدل به، ويُخبرهم بأنّهم امتازوا على الآخرين من سكان العالم بأن لديهم علم بهذا الرسول، ويأخذون أيضًا أن الوحي من بعده لن ينقطع .

١٤- ٢٤- ٢٥ : ومن لا يُحبني لا يحفظ كلامي، والكلمة التي تسمعونها ليست كلمتي، بل كلمة الأب الذي أرسلني. قلت لكم هذه الأشياء وأنا مُقيم عندكم .

١٤- ٢٦- ٣١ : ولكن المؤيد الروح القدس، الذي يُرسّله الأب باسمي، هو يعلمكم جميع الأشياء، ويُذكركم بجميع ما قلته. ... لقد أبأتمكم منذ الآن بالأمر قبل حدوثه، حتى إذا حدث تؤمنون. لن أُطيل عليكم الكلام بعد ذلك، لأن سيد هذا العالم آت، وليس له بد علىّ. وما ذلك إلا ليعرف العالم أنّي أحبّ الأب، وأنّي أعمل كما أوصاني .

يُخبرهم بأن هذا المؤيد سيُذكرهم من خلال الوحي بما سبقه، ويعُلّمهم أشياء جديدة، وسبب إخباره لهم بذلك هو وجوب الإيمان به واتّباعه عند ظهوره. يصفه عيسى بأنه سيد هذا العالم، ويؤكّد مجئه، وأنه ذو أفضليّة على من قبله، ويُخبرهم -في نهاية النص- أنّه بلغهم البشارة بأمانة كما أخبره ربّه.

١٤-١: قُلْتُ لَكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَايَ لَثَلَاعَتِنْرَوْا. سِيفَصُلُونَكُمْ عَنِ الْمُجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةً، يَظْنَ فِيهَا كُلَّ مَنْ يَقْتَلُكُمْ، بَأْنَهُ يَؤْدِي عِبَادَةَ اللَّهِ... وَقَدْ قُلْتُ هَذِهِ الْأَشْيَايَ لَكُمْ لِتَذَكَّرُوا إِذَا أَتَتِ السَّاعَةَ، أَتَيْ قُلْتُهَا لَكُمْ. وَلَمْ أَقْلِهَا مِنْذَ الْبَدَءِ، لِأَتَيْ كَنْتَ مَعَكُمْ. أَمَّا الْآنَ، فَإِنَّمَا ذَاهِبًا إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسَانِي إِلَى أَيِّنَ أَذْهَب؟ لَا، بَلْ مَلَأَ الْحَزَنَ قَلْوبَكُمْ، لِأَتَيْ قُلْتُ لَكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَايَ، إِنَّمَا لَمْ أَمْضِ، لَا يَاتُكُمُ الْمُؤْيِّدُ. أَمَّا إِذَا ذَهَبْتُ فَأَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ.

يُبَثِّتُ هَذَا النَّصْ بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلشَّكِّ أَنْ هَذَا الْمُؤْيِّدُ سَيُرْسِلُ لَا مَحَالَةً، وَأَنْ بَعْثَهُ مَرْتَبِطٌ بِذَهَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١٦-٨: وَهُوَ، مَتَى جَاءَ، أَخْرَى الْعَالَمِ، عَلَى الْخَطِيَّةِ وَالْبَرِّ وَالدِّينُونَةِ: أَمَّا عَلَى الْخَطِيَّةِ، فَلَا نَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى الْبَرِّ، فَلَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِيِّي، وَأَمَّا عَلَى الدِّينُونَةِ، فَلَأَنِّي سَيَّدُ هَذَا الْعَالَمَ قَدِّيْنَ.

هذا النص فيه فلسفة تفسيرية من الكاتب، محاولاً ترميم ما أفسده من تغيير للألفاظ والعبارات ومواضعها، والمعنى المراد من وراء هذا النص، أنه يأتي شاهداً ومبشراً ونذيراً، يدعو إلى البر وينذير بالخطيئة، مبشرًا بالثواب، ومنذراً بالعقاب، وشاهداً على الخلق يوم الدينونة؛ أي يوم القيمة، والله أعلم، قال تعالى: «يَأَيُّهَا أَنْبِيَاءُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكُمْ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» (٤٥ الأحزاب).

١٦-١٣: فَمَتَى جَاءَ هُوَ، أَيْ رُوحُ الْحَقِّ، أَرْشَدَكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلَّهُ، لِأَنَّهُ لَنْ يَتَكَلَّمْ مِنْ عَنْهُ، بَلْ يَتَكَلَّمْ بِمَا يَسْمَعُ، وَيُخْبِرُكُمْ بِمَا يَسْمَعُ، سِيمُجَدْنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ عَمَالِي وَيُخْبِرُكُمْ. هذا النص يُخبر بأنَّ رُوحَ الْحَقِّ سِيرَشَدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَيُلْعِنُ رسَالَةَ رَبِّهِ عَلَى أَكْمَلِ وجَهٍ، «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِنْ هُوَ إِلَّا وَتْحَنَّ يُوْحَنَّ» (٤ النجم). وَيُبَثِّتُهُمْ بِأَمْرِ غَيْبِيَّةٍ سِتَّحدُثُ لَاحِقًا.

### إنجيل متى:

#### الإنجيل يكشف حقيقة اليهود ويحذر الناس من اتباعهم:

متى : ٢٣: ١٣: وَلَكِنْ؛ الْوَيْلُ لَكُمْ أَيَّهَا الْكَتَّبَةُ وَالْفَرِسِيَّوْنُ الْمَرَاءُوْنُ، فَإِنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ فِي وُجُوهِ النَّاسِ، فَلَا أَنْتُمْ تَدْخُلُونَ، وَلَا تَدْعُونَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ، ...، فَإِنَّكُمْ تَطْوِفُونَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ، لِتَكْسِبُوْا مُتَهَوْدًا وَاحِدًا، إِنَّا تَهُوَدْ جَعْلَتُمُوهُ أَهْلًا لِجَهَنَّمَ، ضَعْفٌ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ. الْوَيْلُ لَكُمْ أَيَّهَا الْقَادِهِ الْعَمِيَّا، تَقُولُونَ: مَنْ أَقْسَمَ بِالْهِيْكِلِ، فَقَسَمَهُ غَيْرُ مُلِزمٍ، أَمَّا مَنْ أَقْسَمَ بِذَهَبِ الْهِيْكِلِ، فَقَسَمَهُ مُلِزمٌ.

٢٣: ٢٧: الويل لكم ... فإنكم كالقبور المطلية بالكلس، تبدو جميلة من الخارج، ولكنها من الداخل ممثلة بعظام الموتى وكل نجاسة. كذلك أنتم أيضاً تبدلون للناس أبراراً، ولكنكم من الداخل ممثلون بالرياء والفسق. ... الويل لكم ... فإنكم تبنيون قبور الأنبياء وترثون مدافن الأبرار، وتقولون: لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دماء الأنبياء. فبهذا تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قاتلي الأنبياء، فأكملوا ما بدأه آباؤكم، ليطفح الكيل.

### الجريمة وعقابها:

٢٤: ٣٣: أيها الحيات، أولاد الأفاعي، كيف تُقتلون من عقاب جهنم؟ لذلك ها أنا إذا أرسل إليكم، أنبياء وحكماء وعلماء، بعضهم يُقتلون وتُصلبون، وبعضهم في مجتمعكم تُجلدون، ومن مدينة إلى أخرى تُطاردون، حتى يقع عليكم كل دم سُفك في الأرض، من دم هابيل البار إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم: إن عقاب ذلك كله سينزل بهذا الجيل.

٢٥: ٣٧: أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المسلمين إليها. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، فأيّتم. ها إن بيتم يُترك لكم خراباً، فإني أقول لكم: إنكم لن تروني من الآن، حتى تقولوا: مُبارك الآتي باسم رب.

٢٦: ١: ثم خرج يسوع من الهيكل، ...، فقال لهم: أما ترون هذه المباني كلها؟ الحق أقول لكم: لن يُترك هنا حجر فوق حجر إلا ويهدم.

### المسيح يُنبئ بأحداث آخر الزمان:

٢٧: ٣: وبينما كان جالساً على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ على انفراد، وقالوا له: أخبرنا متى يحدث هذا (أي خراب أورشليم)، وما هي علامة رجوعك، وانتهاء الزمان؟ فأجاب يسوع: انتبهوا، ليَاكم أن يُضللكم أحد، فسوف يأتي كثير من الناس متحلين أسمى، ويُضلّون أناساً كثيرين. وستسمعون بالحروب وبيانات عن الحروب، فإذاكم أن تفزعوا، فلا بد من حدوثها، ولكن؛ لن تكون النهاية عندئذ. فستقوم أمّة على أمّة، وملكة على مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة، وهذا ليس إلا بدء المخاض.

### اضطهاد المؤمنين بالله وفساد الدنيا يُبشر بقرب النهاية:

٢٨: ٩: وستسلمون عندئذ إلى الضيق وقتلون، ويُبغضكم جميع الوثنين من أجل إسمي. فيشرّ أناس كثيرون، وسُسلم بعضهم بعضاً ويتاغضون .... ويزداد الإثم، ففتّر الحبة في أكثر الناس، والذي يثبت إلى النهاية فذاك الذي يخلص. وستُعلن بشارة الملكوت هذه، في العمورة كلها، شهادة لدى الوثنين أجمعين، وحيثئذ تأتي النهاية.

## قيام دولة اليهود ودمارها يُبشر بقرب النهاية:

ـ متى : 24 : 15 : فإذا رأيتم المُخرب الشنيع ، الذي تكلم عليه النبي دانيال ، قائماً في المكان المقدس - ليفهم القارئ . فليهرب إلى الجبال مَنْ كان عندئذ في اليهودية . ومنْ كان على السطح ، فلا ينزل ليأخذ ما في بيته . ومنْ كان في الحقل ، فلا يرجع ليأخذ رداءه . الويل للحوامل والمرضعات في تلك الأيام ، صلوا لثلا يكون هربكم في الشتاء أو في يوم سبت .

ـ لوقا : 20 - 24 : فإذا رأيتم أورشليم قد حاصرتها الجيوش فاعلموا أن خرابها قد اقترب . فَمَنْ كان يومئذ في اليهودية فليهرب إلى الجبال ، ومنْ كان في وسط المدينة فليخرج منها ، ومنْ كان في الحقول فلا يدخل إليها ، لأن هذه الأيام أيام نقمـة يتم فيها جميع ما كتب . الويل للحوامل والمرضعات في تلك الأيام ، فستنزل الشدة على هذا البلد ، وينزل الغضب على هذا الشعب ، فيسقطون قتلى بعد السيف ، ويؤخذون أسرى إلى جميع الأمم .

المقصود بالمخرب الشنيع في النص الأول المأذوذ من إنجيل متى هي دولة اليهود ، وهذا ما يوضحه النص الثاني من إنجيل لوقا بنص صريح بعبارة (إذا رأيتم أورشليم) . ولو أنعمت النظر في النصائح المقدمة للشعب اليهودي - لتجنب القتل والأسر - ستجد أن دخول الجيوش على أورشليم ، سيكون مُفاجئاً وسريعاً ويدون صرحة ، لدرجة أن مَنْ على سطح المنزل ، لا يشعر بدخولهم إلى بيته . وأن مَنْ في الأرياف لا يسمع بهم ، إلا مُتأخراً وأما النصارى الجدد في الغرب فيرون أن المقصود بالمخرب الشنيع - أو رجسـة الخراب في سفر دانيال - هو الدجال . عدو المسيح الذي سيظهر في القدس ، وأما اليهود فيرون أنه المسجد الأقصى .

## الحرب الكونية النووية:

ـ 24 : فستحدث عندئذ شدة عظيمة لم يحدث مثلها ، منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، ولن يحدث . ولو لم تقصـر تلك الأيام ، لما نجا أحد من البشر ، ولكن من أجل المختارين ، ستقصـر تلك الأيام .

وهذا أحد النصوص التي يستند إليها نصارى الغرب في تحليلاتهم بالقول بأن الحرب العالمية الثالثة ستكون نووية لا محالة ، لسرعة هذه الأسلحة في حسم المعركة .

## المسيح يُحدّر أتباعه من الدجال:

ـ 23 : فإذا قال عندئذ أحد من الناس : هـا هو ذـا المسيح هنا ، بل هنا ، فلا تُصدـقوه . فسيظهر مُسـحـاء دـجالـون وـأنـبيـاء كـنـابـون يـأتـون بـآيـات عـظـيمـة وـأـعـجـيبـ، ليـضـلـوا حـتـى المـختارـين (الأتقياء) لو استطاعـوا . فـهـا أنا قد أـنـبـأـتـكم .

٢٤: فإنْ قيل لكم ها هو في البرية، فلا تخرجوا إليها، أو ها هو ذا في المخابئ، فلا تُصدقوا. وكما أن البرق يخرج من المشرف، ويلمع حتى المغرب، فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان، وحيث تكون الجيفة (الدجّال) تتجمع التسور (اليهود).

#### ظواهر فلكية تسبق بداية النهاية:

٢٤: ٢٩: وعلى أثر الشدة في تلك الأيام، تُظلم الشمس (كسوف)، والقمر لا يُرسل ضوءه (خسوف)، وتساقط النجوم من السماء (الصواريخ)، وتتززع قوات السماء. وتظهر عندي في السماء آية ابن الإنسان. فتتحب جميع قلائل الأرض، وترى ابن الإنسان آتياً على غمام السماء، في تمام العزة والجلال.

وهذا النص جعل الأصوليين الإنجيليين، يعتقدون بأن مجيء عيسى عليه السلام يسبقه حرب كونية نووية شاملة، تحرق الأخضر واليابس، وهم يعملون على دفع القادة السياسيين في أمريكا إلى التحضير لها، بغية الانتصار فيها، والنجاة من أهوالها، فهي لا محالة قادمة، ومن ضمن التحضيرات -فضلاً عن التسلح النووي- إصرار أمريكا مؤخراً على إنشاء الدرع المضاد للصواريخ البالستية.

#### أحداث النهاية ستكون مبالغة:

٣٢: ٣٢: من التينة خذوا العبرة، فمتي لانت أغصانها ونبت أوراقها علمتم أن الصيف قريب، وكذلك أنتم، إذا رأيتم كل هذه الأمور، فاعلموا أن ابن الإنسان قريب، بل على الأبواب ... السماء والأرض تزولان، وكلامي لا يزول ... .

٣٧: ٣٧: وكما كانت الحال في زمن نوح، كذلك ستكون عند رجوع ابن الإنسان، فقد كان الناس قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويُزوجون، وما كانوا يتوقعون شيئاً، حتى جاء الطوفان، فجرفهم أجمعين.

#### رؤيا يوحنا:

#### خروج أصحاب البعث الثاني من أرض الفرات:

١٤: ٩: فقال للملائكة السادس: أطلق الملائكة الأربع المقيدين على النهر الكبير، نهر الفرات. وكان هؤلاء الملائكة الأربع مجهزين استعداداً لهذه الساعة واليوم والشهر والسنة، فأطلقوا ليقتلوا ثلث البشر. وسمعت أن جيشهم يبلغ مائتي مليون محارب، ورأيت في الرؤيا الخيول وعليها فرسان يلبسون دروعاً .... وكانت رؤوس الخيل مثل رؤوس الأسود، تلفظ من أفواهها ناراً ودخاناً وكربتاً، فقتل ثلث الناس بهذه البلايا الثلاث .... وكانت قوة الخيل القاتلة

تکمن في أفواهها وفي أذنابها أيضاً، أما سائر الناس الذين لم يمتو من هذه النکبات، لم يتوبوا عن أعمالهم ... .

هذا النص يُبيّن أن هنالك جيشاً كبيراً العدد، مقيداً على نهر الفرات، وسيُفك قيده في موعدٍ مُعين. ويصف هذا النص ما يملكه هذا الجيش من آليات حربية حديثة، وأن هناك أناساً سينجون من هذا الجيش، ولكتهم بالرغم من ذلك لن يتوبوا.

#### جفاف نهر الفرات وال الحرب العالمية النهائية:

١٤ - ١٦: وسکب الملأك السادس كأسه على نهر الفرات الكبير، فجفَّ ما فيه، ليصير مِرآةً للملوك القادمين من الشرق. وعند هذا رأيتُ ثلاثة أرواح نجمة، ...، وهي أرواح شيطانية، قادرة على صنع المعجزات، تذهب إلى ملوك الأرض جميعاً، وتحمّلهم للحرب في ذلك اليوم العظيم، يوم الله القادر على كل شيء.

١٦ - ٢١: وجمعت الأرواح الشيطانية، جيوش العالم كلها، في مكان يُسمى بالعبرية "هرمجدون". ثم سکب الملأك السابع كأسه على الهواء، فدوى صوت من العرش، ...، يقول: "قضى الأمر". فحدثت بروق وأصوات ورعد وزلزال عنيف لم تشهده الأرض له مثيلاً، منذ أن وُجد الإنسان على الأرض، لأنّه كان زلزالاً عنيفاً جداً. فانقسمت المدينة العظيمى إلى ثلاثة أقسام، وحل الدمار بمدن الأمم. فقد ذكر الله بابل العظيمى، ليسقيها كأساً تفور بخمر غضبه. وهربت الجُزر كلها، واختفت الجبال. وتساقط من السماء على الناس بردٌ كبير، كل حبة بمقدار وزنة واحدة، فجذف الناس على الله، بسبب هذه البالية الشديدة جداً.

هذا النص يصف هذه الحرب، وهناك صواريخ تسقط من السماء، وأصوات انفجاراتها مدوية كالرعد، محدثة زلازل عنيفة، واختفاء الجبال من شدة الزلازل، وهروب الجُزر تحت الماء، لذوبان الكتل الجليدية، وتبعثر المسطحات المائية، نتيجة ارتفاع درجات الحرارة، التي ستحدثها الأسلحة النووية.

ويصف أيضاً انقسام مدينة عظمى في هذا العصر إلى ثلاث أقسام، ولغط مدينة بالعبرية يعني دولة، والملاحظ أن كَبَّةَ التوراة، أضافوا عبارة (فقد ذكر الله بابل العظيمى) وقد أضافوها كون بابل في مُخيّلتهم تمثل الدولة العظمى والقوية في العصور القديمة.

عرس الحمل:

١٩ - ٦: ثُمَّ سمعت صوتاً، ...، يقول: "هَلْلُوياً ! فإنَّ الربَّ الإلهَ القادرَ علىَ كُلِّ شيءِ، قدَّ مَلْكَ، لنُفْرَحْ ونُبَهْجَهْ، فإنَّ عَرْسَ الْحَمْلِ، قدْ حَانَ موَعِدُهِ، وعَرْوَسَهُ قدْ

هيّات نفسها، ووهب لها أن تلبس الكتان الأبيض الناصع، والكتان يرمي إلى أعمال الصلاح التي قام بها القديسون .

١٩: ١١: ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا حصان أبيض يُسمى راكبه "الأمين الصادق" ، الذي يقضي ويحارب بالعدل . ... وكان الأجناد الذين في السماء، يتبعونه راكبين خيولاً بيضاء ، ...، وكان يخرج من فمه سيف حاد، ليضرب به الأمم، ويحكمهم بعضاً من حديد، ... .

#### عودة المسيح :

٢٠: ٤: ثم رأيت عروشاً منح الجالسون عليها حق القضاء . ورأيت نفوس الذين قُتلوا في سبيل الشهادة ليسوع ، وفي سبيل كلمة الله ، والذين ... ، وقد عادوا إلى الحياة ، وملكوا مع المسيح ألف سنة . هذه هي القيمة الأولى . أما بقية الأمم فلا يعودون إلى الحياة حتى تنقضى الألف سنة .

ظاهر هذا النص يُشير بعودة المسيح ، وأنه سيحكم من انتسب إلى الديانة المسيحية ، بعد بعثهم من الموت ، بغض النظر عن فسادَ من انتسب إليه أو صلاحه ، مدة ألف عام يعيشون فيها بسلام ، أما بقية البشر فسيقومون بعد ألف سنة فيما يُسمونه بالقيمة الثانية .

#### الدجّال وما جوج وما جوج :

٢٠: ٧ - ١٠: فحين تنقضي الألف سنة ، يُطلق الشيطان من سجنه ، فيخرج ليُضلّل الأمم في زوايا الأرض الأربع ، جوج وما جوج ، ويجمعهم للقتال ، وعددهم كثير جداً كرمل البحر . فيصعدون على سهول الأرض العريضة ، ويحاصرون من كل جانب مُعسكر القديسين (عيسى ومن معه من المسلمين) والمدينة المحبوبة (القدس) ، ولكن ناراً من السماء تنزل عليهم وتلتلهم . ثم يُطرح إبليس الذي كان يُضلّلهم في بحيرة النار والكبريت ، حيث الوحش والنبي الدجّال ، هناك سوف يُذَبِّون نهاراً وليلًا ، إلى أبد الآبدية .

(في هذا النص يُذكر الشيطان (الدجّال) الذي سيُطلق ، بعد أن كان مقيداً مدة ألف سنة . وهو في الأصل سابق لمجيء عيسى عليه السلام ، ويدرك خروج ياجوج وما جوج ، حيث أنهم يحصرون عيسى ومن معه من المؤمنين ، في جبال القدس ، هرباً منهم حيث لا قبل لأحد بهم ، فيتم القضاء عليهم والتخلص من جثتهم ، بأمر من عند الله ، أما النصارى فهم يُفسرون هذا النص على ما فسره العهد القديم أي التوراة ، حيث أخبرت أن جوج وما جوج هم الروس .

#### البعث والحساب :

٢٠: ١١ - ١٢: ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض ، هربت السماء والأرض من أمام الجالس عليه ، فلم يبق لهما مكان . ورأيت الأمم كباراً وصغاراً ، واقفين أمام العرش . وفتحت

الكتب، ثم فتح كتاب آخر هو سجل الحياة، ودين الأموات بحسب ما هو مدون في تلك الكتب، كل واحد حسب أعماله. ... وطرح الموت ... وكل من لم يوجد اسمه في سجل الحياة طُرح في بحيرة النار.

### السماء الجديدة والأرض الجديدة:

ـ 12ـ : ثم رأيت سماء جديدة، وأرضاً جديدة، لا بحر فيها، لأن السماء والأرض القديمتين قد زالتا . ورأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة، نازلة من السماء من عند الله ، .... وسمعت صوتاً هاتفاً من العرش :ـ الآن صار مسكن الله مع الناس ، هو يسكن بينهم . والله نفسه يكون معهم إلهًا لهم ، وسيمسح كل دمعة عن عيونهم . إذ يزول الموت والحزن ... ، لأن الأمور القديمة كلها زالت .

يصف هذا النص يوم الحضر والحساب ، حيث أن أورشليم هي أرض المبشر ، وهذا الموقف العظيم الوارد في هذا النص موصوف بالتفصيل في مواضع كثيرة من القرآن . ولكنَّ النصارى يفهمون النص على أنَّ إلههم (المسيح) سينزل ليسكن معهم في أورشليم الجديدة ، التي يصفونها في نهاية السفر ، وهو في الحقيقة وصف يُشبه وصف الجنة في القرآن ، والموت لا يزول إلا عندما يدخل أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار .

يفهم عامة النصارى وخاصتهم من مُجمل النصوص أعلاه أنه عندما تبدأ الأحداث المدمرة التي سيتعرض لها كوكب الأرض بأن المسيح سيعود وسيرتفع بهم فوق السحاب ، وبعد نهاية الأحداث التي لن تستمر طويلاً ، سينزل بهم ويحكمهم مدة ألف عام تحت أرض سماء جديدين . وهنا وقع خلط ما بين استعادة الأرض لبركتها بعد الخراب ، وتبدل السماء والأرض يوم القيمة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدِّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَّا لِلَّهِ الْوَاحِدُ الْفَهَارِ﴾ (48 إبراهيم) .

ولذلك ظهرت جماعة التدبريين ، التي تدعو إلى تدمير كوكب الأرض بالأسلحة النووية ، لقناعاتهم الجديدة نتيجة تفسيرهم الجديد بأن هناك أرضاً جديدة وسماء جديدة ستأتي بعد الدمار . والمصيبة الكبرى أن رؤساء وساسة أكبر دولة عظمى في العالم يؤمنون بذلك ، ويسرون بالعالم نحو الهاوية ، (فجورج بوش الابن) لا يكترث بظاهرة الانحسار الحراري ، وارتفاع درجة حرارة الأرض ، وهو غير معنى بتوقيع اتفاقية (كيoto) للحدّ من هذه الظاهرة ، بما أن هذه الأرض ستؤول إلى الزوال ، وما يعني في الدرجة الأولى هو الاستعداد للحرب النووية القادمة هجوماً ودفاعاً.

## الفصل الثالث:

### السياسة الأمريكية ونبوءات التوراة والإنجيل

ستتناول فيما يلي مسألة تأثير نبوءات التوراة والإنجيل على قرارات السياسة الأمريكية، وخاصة ما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط، لنفهم أبعاديات هذه السياسة المناحازة لإسرائيل، والمعادية للعرب والمسلمين بشكل عام، والتي اجتهد الكثير من المخلّين في تفسيرها وتحليل دوافعها. وخير من تعرّض لهذه المسألة، وأفاض في بحثها هي الكاتبة الأمريكية (غريس هالسل) في كتاب (النبوة والسياسة)، وهو منشورات (الناشر للطباعة)، ط 3، 1990م، ترجمة محمد السمّاك.

#### ملخص مقدمة المترجم (بتصرف):

يثلّ العالم العربي موقعًا متميّزًا وفريداً من نوعه في عملية صنع القرار السياسي الأمريكي، فبالإضافة إلى أهمية موقعه الجغرافي، وكونه سوقاً تجاريّة استهلاكية، ويملك أكبر احتياطي من النفط، فإن هناك عاملًا آخر، يتقدم على هذه العوامل كلها، وهو تأثير الفكر المسيحي الديني، على صياغة القرار الأمريكي المتعلّق بالصراع العربي الإسرائيلي. حيث نشأ في نهاية القرن التاسع عشر، وببداية القرن الماضي، ما يُسمى بالصهيونية المسيحية الإنجيلية القائمة على اعتناق ثلاثة مبادئ :

أولاً: الإيمان بعودة المسيح؛

ثانياً: أن عودته مشروطة بقيام دولة إسرائيل؛

ثالثاً: وبالتالي؛ تجمع اليهود في فلسطين.

وقد لعب هذا الأمر دوراً أساسياً، في صناعة القرار الخاص بقيام إسرائيل، وتهجير اليهود إليها، ومن ثم دعمها ومساعدتها، وإعفائها من الانصياع للقوانين والمواثيق الدوليّة. وأن شريعة الله وحدها - التوراة - هي التي يجب أن تُطبق على اليهود في فلسطين، بما أنهم شعب الله المختار.

ونتيجة لهذه المعتقدات ظهر الكثير من الحركات الدينية المسيحية الإنجيلية الأصولية في بريطانيا والولايات المتحدة، وأهم وأخطر هذه الحركات هي (الحركة التدبرية)، التي نشأت في الولايات المتحدة، وتضم في عضويتها أكثر من أربعين مليون أمريكي، لحظة تأليف هذا الكتاب في أواسط الثمانينيات ، ومن بين أعضائها الرئيس الأمريكي آنذاك (رونالد ريفان) وهي تسيطر على قطاع واسع من المنابر الإعلامية الأمريكية ، ومتلك محطات تلفزة خاصة بها ، ويشارك قادتها كبار المسؤولين في البيت الأبيض ، ومجلس الأمن القومي الأمريكي ، ووزارة الخارجية في صناعة القرارات السياسية والعسكرية ، المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي .

- وتعتقد هذه الحركة أن الله قد وضع في الكتاب المقدس نبوءات واضحة حول كيفية تدبیره لشؤون الكون ونهايته كما يلي :

قيام إسرائيل وعودة اليهود إليها.

هجوم أعداء الله على إسرائيل ووقوع محرقة هرمجدون النووية (وأعداء إسرائيل هم الروس والعرب ، وعلى مدى أوسع هم الشيوعيون والمسلمون بشكل عام) .

انتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين .

ظهور المسيح المخلص وتخلصه لأتباعه (أي المؤمنين به) من هذه المحرقة .

إيمان منْ بقي من اليهود بال المسيح بعد المحرقة .

انتشار السلام في مملكة المسيح في أرض جديدة وتحت سماء جديدة مدة ألف عام .

- وأن مهمة أعضاء هذه الحركة وأتباعها ، هي تدبیر وتهيئة . وكان الله قد أوصاهم بذلك كل الأمور التي من الممكن أن تعجل في عودة المسيح إلى الأرض ، ومن ضمن تلك الأمور : أولاً: ضرورة إضعاف العرب عسكرياً .

وثانياً: تلبية جميع مطالب إسرائيل بالدعم المالي والسياسي والعسكري .

وثالثاً: تعزيز ترسانتها النووية .

### مقططفات من مقدمة الكاتبة:

تؤكد الكاتبة الأمريكية (غريس هالسل) ، أن بذور هذه المعتقدات المتمرة نشأت في نهاية القرن التاسع عشر . وكان رائد هذا الاتجاه في تفسير الكتاب المقدس ، هو (سايروس سكوفيلد) ، وقد طبع أول مرجع إنجيلي له عام 1909م ، زرع فيه آراءه الشخصية في الإنجيل ، وصار أكثر الكتب

المتداولة حول المسيحية. ويدأت هذه المعتقدات في الظهور وتعزّز عندما تتابعت انتصارات إسرائيل على دول الجوار العربية، وبلغت ذروتها بعد الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان.

تقول : وفي إحدى المناسبات كان (سكوفيلد) يذكّر مُستمعيه بأنه : « عاماً بعد عام ، كان يُردد التحذير بأن عالمنا سيصل إلى نهايته بكارثة ودمار ومائدة عالمية نهائية ». ولكنه يقول أيضاً : إن المسيحيين المخلصين يجب أن يُرجّبوا بهذه الحادثة ، لأنه مجرّد ما إن تبدأ المعركة النهائية فإن المسيح سوف يرفعهم فوق السحاب ، وسيُقدّون ، وإنهم لن يواجهوا شيئاً من المعاناة التي تجري تحتهم .

وتقول : بالرغم من أن بعض الأصوليين لم يتقبلوا هذه الفكرة إلا أنها تسبّبت في انقسام كبير . فهناك مؤشر إلى أن أعداد المسيحيين الذين يتعلّقون بنظرية (هرمجدون) في تزايد مُضطرب . فهم - مثل سكوفيلد - يعتقدون أن المسيح وعد المسيحيين المخلصين بسماء جديدة وأرض جديدة . وبما أن الأمر كذلك فليس عليهم أن يقلّعوا حول مصير الأرض ، فليذهب العالم كله إلى الجحيم ليتحقق المسيح للقلة المختارة ، سماء وأرضاً جديدين .

إن استقصاء عام 1984م ، الذي أجرته مؤسسة (باتكيلو فيتش) أظهر أن 39 بالمائة من الشعب الأمريكي ، يقولون ، إنه عندما يتحدث عن تدمير الأرض بالنار فإن ذلك يعني أننا نحن أنفسنا سوف نُدمر الأرض بـ (هرمجدون) نووية . وأظهرت دراسة لمؤسسة (نلسن) نُشرت في أكتوبر 1985م ، أن 61 مليون أمريكي يستمرون بانتظام إلى مُبشرين يقولون إننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً لمنع حرب نووية تفجر في حياتنا .

- ومن أكثر الأصوليين الإنجيليين شهرة من الذين يُبشرون على شاشة التلفزيون بنظرية (هرمجدون) :

- بات روبرتسون : يملك شبكة تلفزيونية مسيحية ، مكونة من ثلاثة محطات ، عائداته السنوية تصل إلى 200 مليون دولار ، ومساهم في محطة تلفزيون الشرق الأوسط في جنوب لبنان ، يشاهد برامجه أكثر من 16 مليون عائلة أمريكية .

- جيمي سواغرت : يملك ثاني أكبر المحطات الإنجيلية شهرة ، يُشاهد برامجه ما مجموعه 25.9 مليون منزل .

- جيم بيكر : يملك ثالث أشهر محطة تبشيرية ، عائداته السنوية تصل إلى 50-100 مليون دولار ، يُشاهد برامجه حوالي 6 ملايين منزل ، يعتقد أن علينا أن نخوض حرباً رهيبة لفتح الطريق أمام المجيء الثاني للمسيح .

- أورال رويرتس : تصل برامجه التلفزيونية إلى 5.77 مليون منزل.

- جيري فولويل : تصل دروسه التبشيرية إلى 5.6 مليون منزل ، يملك محطة الحرية للبث بالكابل ، أقام بعد شرائها بأسبوع حفل عشاء على شرف جورج بوش نائب الرئيس ريفان آنذاك . وقد أخبر فولويل يومها بأن جورج بوش سيكون أفضل رئيس في عام 1988م.

- كينين كوبلاند : يُشاهد برامجه 4.9 مليون منزل . يقول : " إن الله أقام إسرائيل . إننا نُشاهد الله يتحرك من أجل إسرائيل ... إنه لوقت رائع أن نبدأ في دعم حكومتنا ، طالما أنها تدعم إسرائيل ... إنه لوقت رائع أن نُشعر الله مدى تقديرنا لجنورا إبراهيم ".

- ريتشارد دي هان : يصل في برنامجه إلى 4.75 مليون منزل .

- ريكس همبرد : يصل إلى 3.7 مليون منزل ، وهو يُشرِّع بتعاليم سكوفيلد التي تقول : " إن الله كان يعرف منذ البداية الأولى أننا نحن الذين نعيش اليوم سوف نُدمَّر الكمة الأرضية ". وتعقب الكاتبة بقولها : " لقد ذكرت ثمانية من الذين يُقدِّمون البرامج الدينية ، ويُشرِّعون بنظرية هرمودون نووية في الإذاعة والتلفزيون ، ومن بين 4آلاف أصولي إنجيلي ... هناك 3آلاف من التدبريين ، يعتقدون أن كارثة نووية فقط يمكن أن تُعيد المسيح إلى الأرض . إن هذه الرسالة تُثْثِب عبر 1400 محطة دينية في أمريكا . ومن بين ألف قسيس إنجيلي يذيعون يومياً برامج من خلال 400 محطة راديو فإن الأكثريَّة الساحقة منهم من التدبريين ". وتقول : " إن بعض هؤلاء القساوسة ورؤساء الكنائس هم من القوة بحيث يظهرون كالملوك في مناطقهم ". والرسالة التي يُرسلها هؤلاء على الدوام هي : " لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح ، وأن أي تبشير بالسلام قبل هذه العودة هو هرطقة ( تحرير وكفر ) ، إنه ضدَّ كلمة الله ( ضدَّ ما جاء في الكتب المقدسة ) ، إنه ضدَّ المسيح ". وهذا ما ي قوله أيضاً ( جيم رويرتسون ) التلفزيوني الإنجيلي الذي دعاه الرئيس ( ريفان ) لإلقاء صلاة افتتاح المؤتمر الحزب الجمهوري عام 1984م .

### كتاب آخر أعظم كرة أرضية) ومؤلفه (هال لندسي):

تقول الكاتبة إن هذا الكتاب أصبح الأكثر مبيعاً خلال السبعينيات ، حيث يبيع منه حوالي 18 مليون نسخة ، وفي تعليقها على هذا الكتاب ومؤلفه ، تقول " إن المؤلف يفسِّر كل التاريخ ، قائلاً إن دولة إسرائيل هي الخط التاريخي ل معظم أحداث الحاضر والمستقبل ". ( ومن هنا يأتي تقدس النصارى الأمريكيان لإسرائيل ، فضلاً عن اليهود ، ولاحظ أن هذا الكتاب قرأه ما لا يقل عن 18 مليون أمريكي في بداية صدوره ، أما الآن فربما قد قرأه معظم

الشعب الأمريكي، وخطورة هذا الكتاب تبع من كون الأفكار والمعتقدات التي أوردها المؤلف منسوبة إلى الله كما أوضح في كتابه المقدس لديهم .

ويقول لندسي : إن الجيل الذي ولد عام 1948م ، سوف يشهد العودة الثانية لل المسيح . ولكن ؛ قبل هذا الحدث علينا أن نخوض حربين ؛ الأولى ضد ياجوح وماجوج (أي الروس) ، والثانية في هرمجدون . والأساة ستبدأ هكذا : كل العرب بالتحالف مع السوفيت (الروس) سوف يهاجمون إسرائيل .

(وهذا تحذير من ، وتحريض للغرب النصراني ، لمعاداة العرب المسلمين والروس الشيوعيين) .

وتقول الكاتبة بعد مقابلتها للمؤلف : إن لندسي لا يبدو عليه الحزن عندما يُعلن : أن كل مدينة في العالم سيتم تدميرها في الحرب النووية الأخيرة ، وتعقب الكاتبة : تصورو أن مُدنًا مثل لندن وباريس وطوكيو ونيويورك ولوس أنجلوس وشيكاغو قد أُبْدِت .

ويقول لندسي : إن القوة الشرقية سوف تُزيل ثلث العالم ... عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى ، بحيث يكون كل شخص تقريبًا قد قُتل ، ست حين ساعة اللحظة العظيمة ، فِيُنْقَذُ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل (الفنان) .

ويُتابع لندسي : وفي هذه الساعة ستحوّل اليهود الذين نجوا من الذبح إلى المسيحية ... سيقى 144 ألف يهودي فقط على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون .

(إذن ، يجب ألا يكتثر نصارى الغرب بنشوب حرب عالمية نووية ثالثة مدمرة ما دامت مجمل ضحايا هذه الحرب ستكون من المسلمين واليهود وبقية الوثنين في الشرق غير المؤمنين بألوهية المسيح ، بل عليهم أن يستعجلوا نشوبيها ، بالعمل على تسريع المواجهة بين الشرق والغرب ، حتى يعود للأرض مرة لِيُنْقَذُ البشرية النصرانية فقط ، من الاندثار الكامل) .

### وقفة مع المبشر الإنجيلي (جييري فولويل) :

بعد عرضه لنظرية هرمجدون مستخدماً الأدلة التوراتية والإنجيلية . تقول الكاتبة بعد حضورها للعرض : رسم فولويل صورة مُرعبة عن نهاية العالم ، ولكنه لم يُدْحِنِّا أو حتى مهنتماً . في الواقع أنهى عرضه بابتسامه كبيرة ، قائلاً : ما أعظم أن تكون مسيحيين ! إن أمامنا مُستقبلًا رائعاً .

وفي إحدى تسجيلاته يقول : وهكذا ترون أن هرمجدون حقيقة ، إنها حقيقة مُركبة . ولكن ؛ نشكر الله لأنها ستكون نهاية العامة ، لأنه بعد ذلك سيكون المسرح مُعدًا ، لتقديم

الملك الرب المسيح بقوة وعظمة ... إنَّ كُلَّ الْبَشَرِينَ بِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ يَتَوَقَّعُونَ الْعُودَةَ الْخَتَمِيَّةَ لِلْإِلَهِ ... وَأَعْتَدْنَا جُزْءاً مِّنْ جِيلِ النَّهَايَةِ الَّذِي لَنْ يُغَادِرْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُسِيحُ .

• ومنذ 2600 سنة تنبأ النبي العبراني حزقيال أنَّ أَمَّةً ستقوم إلى الشَّمَالِ مِنْ فَلَسْطِينَ، قَبْلَ وَقْتٍ قَصِيرٍ مِّنَ الْعُودَةِ الثَّانِيَّةِ لِلْمُسِيحِ ... فِي الْفَصْلَيْنِ 38 وَ 39 مِنْ حَزَقِيَّالَ، تَقْرَأُ أَنَّ اسْمَ هَذِهِ الْأَرْضِ هُورُوشٌ . وَيُذَكِّرُ أَيْضًا اسْمَ مَدِيَّتَيْنَ هُما مَاشَكٌ وَتُوبَيَا ... إِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ تَبَدوُ مُشَابِهَةً بِشَكْلِ مُثِيرٍ لِمُوسَكُو وَتِبِيُولِسُكَ، الْعَاصِمَتَيْنِ الْحَاكِمَتَيْنِ الْيَوْمِ فِي رُوسِيَا ... وَكَذَلِكَ كَبَ حَزَقِيَّالَ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضِ سَتَكُونُ مُعَادِيَةً لِإِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَيَكُونُ ضَدَّهَا . وَقَالَ أَيْضًا إِنَّ رُوسِيَا سَوْفَ تَغْزِيْ إِسْرَائِيلَ بِمُسَاعِدَةِ حُلَفاءِ مُخْتَلِفِيْنَ، فِي الْأَيَّامِ الْآخِيرَةِ ... وَقَدْ سَمِعَ هُؤُلَاءِ الْحُلَفاءَ : إِيْرَانَ (الَّتِي كَانَتْ سَمِيَّهَا فَارَسَ)، وَجَنُوبَ إِفْرِيقِيَا أَوْ إِثِيُّوپِيَا، وَشَمَالَ إِفْرِيقِيَا أَوْ لِيَّيَا، وَأُورُوپَا الشَّرِقِيَّةَ (جُومَرَ)، وَالْقَوْقَازَ جَنُوبَ رُوسِيَا (تُوجْرَمَةَ) .

• بِالرَّغْمِ مِنَ الْآمَالِ الْوَرَدِيَّةِ وَغَيْرِ الْوَاقِعِيَّةِ تَمَامًا، الَّتِي أَبْدَتَهَا حُكُومُنَا، حَوْلَ اِتِّفَاقِيَّةِ كَامِبِ دِيفِيدِ بَيْنِ مَصْرَ وَإِسْرَائِيلَ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الِاتِّفَاقِيَّةِ لَنْ تَدُومْ . إِنَّا نَصْلَى بِالْفَعْلِ مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ فِي الْقَدَسِ ... إِنَّا نَحْتَرِمُ كَثِيرًا رَئِيْسِيَّ حُكُومَتِيَّ إِسْرَائِيلَ وَمَصْرَ ... وَلَكِنْ : أَنْتَ وَأَنَا نَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ هَنَاكَ سَلَامٌ حَقِيقِيٌّ فِي الْشَّرْقِ الْأَوْسَطِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ يَجْلِسُ فِيْهِ إِلَهُ الْمُسِيحِ عَلَى عَرْشِ دَاؤِدِ فِي الْقَدَسِ .

وَفِي كِتَابِهِ (الْحَرْبُ النَّوْوِيَّةُ وَالْمَجِيءُ الثَّانِيُّ ... )، فِي فَصْلِ الْحَرْبِ الْقَادِمَةِ مَعَ رُوسِيَا، يَتَبَأَ (نُولُولِيَّ) بِغَزْوِ سُوفِيَّتِيِّ لِإِسْرَائِيلِ . . . وَفِي نَهَايَةِ الْمُرْكَةِ سَيَسْقُطُ خَمْسَ أَسْدَاسِ الْجَنُودِ السُّوفِيَّةِ، وَيُذَلِّكَ يَدًا أَوْلَى اِحْتِفَالَ لِلرَّبِّ . وَيَجْرِي اِحْتِفَالَ آخِرَ بَعْدَ مُرْكَةِ هَرْمَجِدُونَ ... وَسَيَتَوقَّفُ التَّهْدِيدُ الشَّيُّوْعِيُّ إِلَى الأَبْدِ، وَسَيَسْتَغْرِقُ دُفْنُ الْمُوْتَى مَدَّةَ 7 أَشْهُرَ .

**الرَّئِيسُ الْأَمْرِيْكِيُّ (رِيْغَان)** كَانَ أَحَدَ فَرْسَانَ هَرْمَجِدُونَ النَّوْوِيَّةِ :

تَقُولُ الْكَاتِبَةُ : كَانَ (رُوْنَالْدُ رِيْغَانُ ) وَاحِدًا مِنَ الَّذِينَ قَرُؤُوا كِتَابَ (آخِرُ أَعْظَمِ كَرْتَةِ أَرْضِيَّةِ) ... فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ مِنْ عَامِ 1986م، أَصْبَحَتْ لِيَّيَا الْعَدُوُّ الْأَوَّلُ (رِيْغَانُ ) ... وَاسْتَنَادًا إِلَى (جِيمِسِ مِيلِزَ)، الرَّئِيسُ الْسَّابِقُ لِجَلْسِ الشَّيُوخِ فِي وَلَاهِيَّ كَالِيفُورِنِيَا، فَإِنَّ (رِيْغَانُ ) كَرِهَ لِيَّيَا، لَأَنَّهُ رَأَى أَنَّهَا وَاحِدَةٌ مِنْ أَعْدَاءِ إِسْرَائِيلِ الَّذِينَ ذَكَرُوهُمُ الْنَّبُوَّاتُ، وَبِالْتَّالِيٍّ ؛ فَإِنَّهَا عَدُوُ اللَّهِ .

• وَعِنْدَمَا كَانَ (رِيْغَانُ ) مَرْشَحًا لِلرَّئَاسَةِ عَامِ 1980م، كَانَ يُوَاصِلُ الْحَدِيثَ عَنْ هَرْمَاجِدُونَ، وَمِنْ أَقْوَالِهِ : " إِنَّ نَهَايَةَ الْعَالَمِ قَدْ تَكُونُ فِي مَتَّاوِلِ أَيْدِينَا ... إِنَّ هَذِهِ الْجِيلَ بِالْتَّحْدِيدِ هُوَ الْجِيلُ الَّذِي سَيَشْهَدُ هَرْمَاجِدُونَ " .

ـ إن معظم المؤمنين (بالتديبرية)، ينظرون إلى روسيا على أنها شيطانية، وأنها تمثل إمبراطورية الشيطان. ولقد جاهر (ريغان) بذلك في 8 / 3 / 1983م، عندما قال : ـ إن الاتحاد السوفياتي هو حجر الزاوية في العالم المعاصر ـ . ـ إنني أؤمن أن الشيوعية فصل حزين وسخيف في التاريخ الإنساني ، الذي يكتب الآن صفحاته الأخيرة ـ .

وتقول الكاتبة : يقول (جيمس ميلز) في مقال صحفي : ـ إن استعمال (ريغان) لعبارة إمبراطورية الشيطان ... كان إعلاناً انطلق من الإيمان الذي أعرب له عنده في تلك الليلة عام 1971م ... إن (ريغان) - كرئيس - أظهر بصورة دائمة التزامه القيام بواجباته تماشياً مع إرادة الله ... إن (ريغان) كان يشعر بهذا الالتزام خصيصاً وهو يعمل على بناء القدرة العسكرية للولايات المتحدة وحلفائها ...

... صحيح أن حزقيال تنبأ بانتصار إسرائيل وحلفائها في المعركة الرهيبة ضدّ قوى الظلام ، إلا أن المسيحيين المحافظين مثل رئيسنا لا يسمح لهم التطرف الروحي بأن يأخذوا هذا الانتصار كمسّمات . إن قوية قوى الحق تربّع هذا الصراع المهم ، هو في عيون مثل هؤلاء الرجال ، عمل يتحقق نبوءة الله انسجاماً مع إرادته السامية ، وذلك حتى يعود المسيح مرّة ثانية ...

... وبالتأكيد فإن توجّهه بالنسبة للإنفاق العسكري وبرودته اتجاه مقتراحات نزع السلاح النووي متفقة مع وجهة نظره هذه ، التي يستمدّها من سفر الرؤيا ... إن هرمجدون التي تنبأ بها حزقيال لا يمكن أن تحدث في عالم متوزع السلاح . إن كلَّ من يؤمن بتحميم وقوعها ، لا يمكن توقع تحقيقه لنزع السلاح . إن ذلك ينافض مشيئة الله كما وردت على لسانه ...

... إن سياسات الرئيس (ريغان) الداخلية والمالية مُنسجمة مع التفسير اللغطي للنبوات التوراتية والإنجيلية ؛ فلا يوجد أي سبب للغضب من مسألة الدين القومي الأميركي ، إذا كان الله سيطوي العالم كله قريباً .

وتقول الكاتبة : ـ وبناء على ذلك ، فإن جميع البرامج المحلية التي تتطلب إنفاقاً كبيراً يمكن - بل يجب - أن تُعلق من أجل توفير المال لتمويل برامج تطوير الأسلحة النووية ، من أجل إطلاق الحمم المدمرة على الشياطين ، أعداء الله وأعداء شعبه ، وأضاف ميلز :

ـ لقد كان (ريغان) على حق عندما اعتقد أن أمامه فرصة أكبر ، لينفق المليارات من الدولارات استعداداً لحرب نووية مع ياجوج وماجوح ، لو كان معظم الشعب الذي أعاد انتخابه ، يؤمن - كما أخبرني - بما يؤمن هو به ، بالنسبة (لهرمجدون) والعودة الثانية للمسيح .

وتقول نفلاً عن كتاب (ساحات المعارك النووية) : إن أمريكا تملك في الداخل 14500 رأس نووي، موزعة على 40 ولاية، وتملك : 3396 في ألمانيا، و 1268 في بريطانيا، و 549 في إيطاليا، و 489 في تركيا، و 164 في اليونان، و 151 في كوريا الجنوبية، و 81 في هولندا، و 25 في بلجيكا .

ونفلاً عن صحيفة واشنطن بوست، تقول : إن الإدارة الأمريكية اقترحت مواصلة البناء العسكري في السنوات الخمس المقبلة . وإن الإنفاق على مشاريع وزارة الدفاع يُشير إلى ارتفاع من 4.258 مليار دولار عام 1986م، إلى 6.356 مليار عام 1991م .

**الإنجيليون الأصوليون يؤمنون بأكاذيب التوراة أكثر من اليهود أنفسهم:**  
في لقاء للكاتبة مع محام فلسطيني مسيحي بروتستنتي إنجيلي يعمل في القدس - بعد أن عاد من أمريكا ليعيش في فلسطين - في معرض رده على سؤال عن رأيه في الحاجاج الأمريكيين الذين ينظمهم المبشر (فولويل) لزيارة أرض المسيح ، قال :

" بالنسبة للإنجيليين الأصوليين مثل (فولويل)، فإن الإيمان بإسرائيل يتقدم على تعاليم المسيح . إن الصهاينة يُفسدون تعاليم المسيح . إن صهيونية (فولويل) سياسية لا علاقة لها بالقيم أو الأخلاق أو بمواجهة المشاكل الحقيقة . إنه يدعو أتباعه إلى تأييد إسرائيل ، ويطلب من دافع الضرائب الأمريكي أن يُقدم لإسرائيل 5 مليار دولار كل سنة . إذ أنه يؤكد لأتباعه . وبما أنهم مؤيدون للصهيونية . فهم على الطريق الصحيح ، وفي الجانب الرابع دوماً ...

وفي الواقع ؛ فإن مسيحيين مثل (فولويل) ، يُقررون للإسرائيликين الدافع للتتوسيع ومصادرة المزيد من الأرضي ، ولا ضطهداد مزيد من الشعوب ، لأنهم يدعون أن الله إلى جانب إسرائيل ، وأن العم سام راغب في التوقيع على الفاتورة ... إن الإسرائيликين يعرفون أن مسيحيين جيدين ومؤثرين مثل (فولويل) ، يقفون معهم على الدوام ، بغض النظر عمّا يفعلون أخلاقياً ومهنياً . ومهما بلغوا من القمع فإن الإسرائيликين يعرفون أن الصهيونيين المسيحيين الأمريكيين معهم ، ويرغبون في إعطائهم الأسلحة و مليارات الدولارات ، وسيصوتون إلى جانبهم في الأمم المتحدة ."

### **المبشر (فولويل) والترويج لإسرائيل سياسياً :**

في بحث قام به اثنان من الأساتذة الجامعيين عن حياة (فولويل) ، يؤكد د. (غودمان) أن (فولويل) تحول من الوعظ الديني إلى الوعظ السياسي المؤيد للدولة الصهيونية ، بعد الانتصار في عام 1967م ، الذي كان له تأثير كبير على العديد من الأمريكيين ، في الوقت الذي كان فيه

شعور الهزيمة والخيبة يُخيّم على الكثير من الأميركيين من جراء الحرب الفيتامية، ومن هؤلاء كان (فولوبل) الذي نظر إلى الأمر بطريقة مختلفة، حيث قال: إن الإسرائيليين ما كانوا ليتصروا ولم يكن هناك تدخل من الله.

ونتيجة لذلك بدأ الإسرائيليون باستخدام (فولوبل) في السبعينيات لتحقيق أغراضهم ومطالبهم وتأييد سياساتهم لدى الشعب والساسة الأميركيان، وفي خطاب له عام 1978م، قال: "إن الله يُحبُّ أمريكا، لأن أمريكا تُحبُّ اليهود". وفي مناسبات عديدة كان يقول للأميركيين: "إن قدر الأمة يتوقف على الاتجاه الذي يتخذونه من إسرائيل ... وإذا لم يُظهر الأميركيون رغبة جازمة في تزويد إسرائيل بالمال والسلاح فإن أمريكا ستتسرّع كثيراً". وقد قامت وسائل الإعلام الصهيونية بإبرازه وتلميع صورته، ليصبح شخصية سياسية وإعلامية مرموقة على الساحة الأمريكية، لدرجة أن الرئيس (ريغان) رَتَّب له حضور اجتماع مجلس الأمن القومي (البتاغون)، ليستمع ويناقش كبار المسؤولين فيه حول احتمال نشوب حرب نووية مع روسيا.

يُتابع د. (غودمان): "في عام 1981، عندما قصفت إسرائيل المفاعل النووي قرب بغداد، تخوف (بيغن) من رد فعل سئ في الولايات المتحدة. ومن أجل الحصول على الدعم، لم يتصل بستانور أو كاهن يهودي، إنما اتصل (فولوبل) ... وقبل أن يُغلق سماعة الهاتف قال (فولوبل) (لبيغن): "السيد رئيس الوزراء، أريد أن أهشك على المهمة التي جعلتنا فخورين جداً ياترجم طائرات ف 16".

وقال د. (برايس): "إن أي عمل عسكري قامت - أو ستقوم به إسرائيل - تستطيع أن تعتمد فيه على دعم اليمين المسيحي".

**هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل، مطلب إلهي منصوص عليه فيه التوراة، كما يعتقد مسيحيو الغرب، فضلاً عن يهود الشرق والغرب:**

أثناء رحلة الحج الثانية للكاتبة، وفي لقاء مع أحد مستوطني مستعمرة (غوش أ蒙يم) - مُعقبة على قوله - قالت له: إن بناء هيكل للعبادة شيء، وتدمیر المسجد شيء آخر، فمن الممكن أن يؤدي ذلك إلى حرب بين إسرائيل والعرب، فرد قائلاً: " تماماً، هذا ما تُريده أن يحدث، لأننا سوف نربحها، ومن ثم سنقوم بطرد العرب من أرض إسرائيل، وسنُعيد بناء الهيكل، ونتظّر مسيحنا".

تقول الكاتبة: "لقد زرت قبة الصخرة، وهي واحدة من أجمل الصروح في العالم - والتي تُقارن بجمال تاج محل - وقد تم بناؤها عام 685 م، بأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وهو البناء الأجمل في القدس". وتقول: "على الرغم من أن المسيح دعا إلى إقامة المعابد في النفس، فإن الأصوليين المسيحيين يُصرُّون على أن الله يريد أكثر من بناء معبد روحي، إنه يريد معبداً حقيقياً من الإسمنت والجحارة، يُقام تماماً في الموقع الذي توجد فيه الصروح الإسلامية".

وتقول الكاتبة: "قال زميل لي في الجولة: إنني أعتقد أن الإرهابيين اليهود سوف ينسفون الأماكن الإسلامية المقدسة. وأن ذلك سيتسبب في إثارة العالم الإسلامي ودفعه إلى شن حرب مقدسة على إسرائيل، مما يحمل المسيح على التدخل. يعتقد اليهود أن المسيح سيأتي للمرة الأولى، ونحن كمسيحيين نعلم أن عودته ستكون الثانية، وأنا واثق من أنه سيكون هناك هيكل يهودي ثالث".

ويقول (التدسي) في كتاب (آخر أعظم كرة أرضية): "لم يقع سوى حدث واحد ليكمل المسرح تماماً أمام إسرائيل، ل تقوم بدورها في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية، وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم. ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه، استناداً إلى قانون موسى، في جبل موريا حيث الهيكلان السابقان".

### **نشأة المسيحية الصهيونية:**

تقول الكاتبة: "أواخر أغسطس 1985م، سافرت من واشنطن إلى سويسرا، لحضور المؤتمر المسيحي الصهيوني الأول في بازل، برعاية السفارية المسيحية العالمية في القدس، لأنترف على خلفية الصهيونية السياسية ... في أحد مقررات المؤتمر حيث المسيحيون إسرائيل على ضم الضفة الغربية، بسكانها المليون فلسطيني ... فاعتراض يهودي إسرائيلي: بأن ثلث الإسرائيليين يفضلون مقايضة الأرضي المحتلة بالسلام مع الفلسطينيين ... فرد عليه مقرر المؤتمر: إننا لا نهتم بما يصوت عليه الإسرائيليون، وإنما بما يقوله الله. والله أعطى هذه الأرض للיהודים".

وتقول: "كان تقديرني أنه من بين 36 ساعة ... فإن المسيحيين الذين أشرفوا على المؤتمر، خصصوا 1٪ من الوقت لرسالة المسيح وتعاليمه، وأكثر من 99٪ من الوقت للسياسة. ولا يوجد في الأمر ما يثير الاستغراب، ذلك أن المشرفين على المؤتمر، ب رغم أنهم مسيحيون فهم أولاً وقبل كل شيء صهاينة، وبالتالي؛ فإن اهتمامهم الأول هو الأهداف الصهيونية السياسية".

وفي بحثها عن أصل الصهيونية السياسية الداعية إلى عودة اليهود إلى فلسطين تؤكد الكاتبة أن (ثيودور هرتزل) لم يكن أصلاً صاحب هذه الفكرة، وإنما كان دُعاتها هم المسيحيون البروتستانت (ذوي الأغلبية في أمريكا وبريطانيا الآن)، قبل ثلاث قرون من المؤتمر الصهيوني الأول. حيث ضمَّ لوثر زعيم حركة الإصلاح الكنسي، في القرن السادس عشر، توراة اليهود إلى الكتاب المقدس، تحت اسم العهد القديم. فأصبح المسيحيون الأوربيون يُبدون اهتماماً أكبر باليهود، ويتجهون نحوهم.

وتقول الكاتبة: «تَوجَّهُ البروتستانت إلى العهد القديم، ليس فقط لأنَّه أكثر الكتب شهرة، ولكنْ؛ لأنَّه المرجع الوحيد لمعرفة التاريخ العام. وبذلك قلصوا تاريخ فلسطين ما قبل المسيحية إلى تلك المراحل التي تتضمن فقط الوجود العبراني فيها. إنَّ أعداداً ضخمة من المسيحيين وضعوا في إطار الاعتقاد أنه لم يحدث شيءٌ في فلسطين القديمة سوى تلك الخرافات غير الموثقة من الروايات التاريخية المدونة في العهد القديم».

وتقول: «في منتصف عام 1600م، بدأ البروتستانت بكتابة معاهدات تُعلن بأنَّ على جميع اليهود مغادرة أوروبا إلى فلسطين. حيث أعلن (أوليفر كرمويل)، بصفته راعي الكومنولث البريطاني الذي أُنشئ حديثاً أنَّ الوجود اليهودي في فلسطين هو الذي سيُمهَد للمجيء الثاني لل المسيح». ومن هناك في بريطانيا بدأت بناء الدولة الصهيونية الحديثة في التحقيق.

وفي خطاب لمندوب إسرائيل في الأمم المتحدة (بنيامين نتنياهو) عام 1985م، أمام المسيحيين الصهاينة، قال: «إن كتابات المسيحيين الصهاينة، من الإنجليز والأمريكان، أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين، مثل (لويد جورج) و(أرثر بلفور) و(ودرو ويلسون)، في مطلع هذا القرن ... الذين لعبوا دوراً أساسياً، في إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية».

وتقول: «لم يكن حلم هرتزل روحاً، بل كان جغرافياً، كان حُلماً بالأرض والقوة. وعلى ذلك فإن السياسة الصهيونية ضللت الكثير من اليهود ... وقد أدعى الصهاينة السياسيون أنه لم يكن هناك فلسطينيون، يعيشون في فلسطين ... ويقول (موش مانوحين): أنه انتقل إلى الدولة اليهودية الجديدة، على أمل أن يجد جنة روحية، ولكنه اكتشف أن الصهاينة لا يعبدون الله، ولكنهم يعبدون قوتهم».

وتقول: «لأنَّ يهود أمريكا - مثل (أندي غرين) - يُعرفون أنه يُكتَّب لهم الاعتماد على دعم 40 مليون مسيحي إنجيلي أصولي، فهم يُصدرون الأرض من الفلسطينيين بقوة السلاح». ويقول

غرين الذي انتقل إلى إسرائيل عام 1975م، ولا يزال يحتفظ بجواز سفره الأمريكي : "ليس للعرب أي حق في الأرض، إنها أرضنا على الإطلاق، هكذا يقول الكتاب المقدس، إنه أمر لا نقاش فيه. من أجل ذلك، لا أجده أي مبرر للتحدث مع العرب حول ادعاءاتهم المنسنة لنا. إن الأقوى هو الذي يحصل على الأرض".

## الحصول على الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي، هو غاية إسرائيل من التحالف مع اليمين المسيحي:

يوضح (ناتان بيرلتر) يهودي أمريكي، من حركة (بني برت). منظمة يهودية - في أمريكا أسباب تحالف يهود الولايات المتحدة مع الأصوليين المسيحيين، بقوله: "إن الأصوليين الإنجيليين، يفسرون نصوص الكتاب المقدس بالقول: إن على جميع اليهود أن يؤمنوا بال المسيح أو أن يُقتلوا في معركة هرمجدون. ولكنه يقول في الوقت نفسه: "نحن نحتاج إلى كل الأصدقاء للدعم إسرائيل ... وعندما يأتي المسيح فسوف نفكر في خياراتنا آنذاك. أما الآن دعونا نُصلّى ونرسل الأسلحة".

تشير الكاتبة إلى كتاب ( المصير اليهود ) للمؤلفة اليهودية ( فيورليخت ) ، الذي تصفه بالرائع ، حيث تقول فيه الكاتبة اليهودية : " إن أول مساهمة لليهودية كانت القانون الأخلاقي ، وإن عظمية اليهودية لم تكن في ملوكها وإنما في أنبيائها . وإن الله لم يأمر اليهود بالموت ، ولكنه أمرهم بالحياة . و تُدلل على قولها بنص من التوراة " لقد وضعت أمامكم الحياة والموت ... ولذلك عليكم أن تختاروا الحياة ". وتُضيف : مع ذلك فإن الإسرائيликين بوضع مصيرهم بيد الجيوش والأسلحة ، ويتشرفهم الجنرالات أكثر من الأنبياء . لا يختارون الحياة وإنما يختارون الموت ". و تُحذر من أن أولئك الذين يجعلون من إسرائيل إلهًا يعبد ، يدفعوننا في هذا الاتجاه . - وتلخص الكاتبة أهداف إسرائيل من التحالف ، مع اليمين المسيحي في الولايات المتحدة :

### الحصول على المال .

أن يكون الكونغرس مجرد خاتم مطاطي للموافقة على أهدافها السياسية .  
تمكينها من السيطرة الكاملة والمفردة على القدس .

وتقول على لسان ( إسرائيل شاهاك ) : " إن طبيعة الصهيونية هي البحث الدائم ، عن حام ومعيل . في البداية توجه الصهاینة السياسيون إلى إنجلترا ، والآن يتوجهون ويعتمدون كلياً على الولايات المتحدة . وقد أقاموا هذا الحلف مع اليمين المسيحي الجديد ، لكي يُبرر أي عمل عسكري أو إجرامي تقوم به إسرائيل ."

وتقول الكاتبة: "إن للقادة الأصوليين الإنجيليين اليوم قوة سياسية ضخمة. إن اليمين المسيحي الجديد هو النجم الصاعد في الحزب الجمهوري، وتحصد إسرائيل مكاسب سياسية جمة، داخل البيت الأبيض من خلال تحالفها معه".

وتنقل الكاتبة: إن (مارفن) - أحد زملائها في رحلة الحج - كفирه من اليمين المسيحي الجديد يشعر بالنشوة لأنه مع الحليف الرابع. وقد نقل إلى مرة المقطع 110 الذي يتحدث عن يهوه وهو يسحق الرؤوس، ويملاً الأرض بجثث غير المؤمنين، والمقطع 137 الذي يُعرب فيه عن الرغبة من الانتقام، من أطفال بابلين وإلقاءهم فوق الصخور. ثم قال (مارفن): وهكذا يتوجب على الإسرائييليين أن يعاملوا العرب بهذه الطريقة. ورغم أن (مارفن) كان معجبًا ومطلاً على نصوص التاريخ التوراتي، إلا أنه كان جاهلاً فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي. لأنَّه يعرف مسبقاً كل ما يعتقد أن الله يريد منه أن يعرفه. وقال لي: "إن على الأميركيين أن يتذمروا من الإسرائييليين كيف يُحاربون". ويشارك (مارفن) كذلك هؤلاء بالاعتقاد " بأننا نحن المسيحيين نؤخر وصول المسيح، من خلال عدم مساعدة اليهود، على مصادر مزيد من الأرض من الفلسطينيين".

وتخلص الكاتبة إلى القول إن عدة ملايين، من المسيحيين الأميركيين، يعتقدون أن القوانين الوضعية، يجب ألا تُطبق على مصادر اليهود واسترجاعهم لكل أرض فلسطين. وإذا تسبَّب ذلك في حرب عالمية ثالثة، فإنَّهم يعتقدون بأنَّهم تصرَّفوا بمشيئة الله".

وتذكر الكاتبة أن هناك قائمة بأسماء 250 منظمة إنجيلية أصولية موالية لإسرائيل، من مختلف الأحجام والعمق في أمريكا، ومعظم هذه المنظمات ثما خلال السنوات الخمس الأخيرة، أي منذ عام 1980.

وتقول الكاتبة في فصل مزج الدين بالسياسة: "إن الإسرائييليين يُطالبون بفرض سيادتهم وحدهم، على المدينة التي يُقدِّسها مليار مسيحي و مليار مسلم، وحوالي 14 مليون يهودي. وللدفاع عن أدعائهم هذا فإن الإسرائييليين - ومعظمهم لا يؤمن بالله - يقولون: بأن الله أراد للعبرانيين، أن يأخذوا القدس إلى الأبد. ومن أجل ترويج هذه الرسالة توجَّه الإسرائييليون إلى (مايك إيفنز) اليهودي الأميركي، الذي قدم في أحد المعابد على أنه قدّر لمساعدة شعبه، وأنَّه صديق لجورج بوش، ويحتل مكانة مرموقة في الحزب الجمهوري، ومن حديثه في هذا المعبد قوله: "إن الله يريد من الأميركيين نقل سفارتهم من تل أبيب إلى القدس، لأن القدس هي عاصمة داود. ويحاول الشيطان أن يمنع اليهود من أن يكون لهم حق اختيار عاصمتهم".

إذا لم تعرفوا بالقدس ملكية يهودية فإننا سندفع ثمن ذلك من حياة أبنائنا وأبائنا. إن الله سيبارك الذين يُباركون إسرائيل، وسيلعن لاعنيها.

### الخاتمة:

وفي الخاتمة تقول الكاتبة: "فكرت في خيارنا للحياة أو الموت، طوال السنين العديدة الماضية، مستمعة إلى (جيри فولويل) وغيره من الإنجيليين، الذين يطلون علينا عبر الهاتف، والكتاب المقدس باليد الأخرى، ناقلين عن كتاب دانيال من العهد القديم، وعن كتاب سفر الرؤيا من العهد الجديد، قائلين: إن الله قد قضى علينا أن نخوض حرباً نووية مع روسيا... اقتناعاً منهم بأن هرمجدون نووية لا مفرّ منها، بمقتضى الخطة الإلهية. فإن العديد من الإنجيليين المؤمنين بالتدميرية ألموا أنفسهم سلوك طريق مع إسرائيل، يُؤدي بشكل مباشر باعترافهم أنفسهم - إلى محقة أشدّ وحشية، وأوسع انتشاراً من أي مجرزة يمكن أن يتصورها عقل (أدولف هتلر) الإجرامي ...

لقد وجدتُ فكرهم الوعظي، تحريضياً تصادميًّا، في حثّهم على الاستعداد لنهاية العالم، إنهم يدفعونني إلى الاعتقاد بأننا قطعنا مسافة طويلة بعيداً عن بداياتنا كبشر. إن معظمنا يتمسك باعتبار حسن الجوار كعلاقة رائعة في حياتنا المعاصرة؛ معاملة الآخرين كما نحب أن يعاملونا، وفوق ذلك عاش الكثيرين بهدف أكثر نبلًا؛ وهو مغادرة هذه الدنيا في حالة أفضل من تلك التي وجدوها عليها".

بعد هذا العرض لبعض ما جاء في هذا الكتاب نستطيع القول إن الخلف المعتقد بين إسرائيل والولايات المتحدة، هو حلف عقائدي عسكري، تُغذيه النبوءات التوراتية والإنجيلية. للدرجة أن الكثير من أفراد الشعب الأمريكي الضال يتمنى لو أنه ولد يهودياً، لينعم بالانتساب إلى شعب الله المختار، الذي يقاتل الله عنهم في جميع حروبهم ضد الكفرة من المسلمين والشيوخين. ونحن كمسلمين بتواجدنا على أرض اليهود، ومقاومتنا للاحتلال الصهيوني، نمنع الله من تحقيق إرادته، بإعطاء أرض فلسطين لليهود. فالشعب الأمريكي ينظر على أن اليهود هم جنود الله، وأن الفلسطينيين هم إرهابيون وجند الشيطان، وأن قلة قليلة من شُرفاء أمريكا يعتقدون بعكس ذلك، من الذين سبروا أغوار الحقيقة، ودرسو التاريخ والجغرافيا والواقع، بعين العدالة والإنصاف، حتى إن بعضهم طعن في مصداقية كتبهم المقدسة، ولكن كل جهود الشرفاء، من مواقف ومحاضرات وبرامج ومؤلفات، ذهبت أدراج الرياح، لأنهم قلة، ولا يملكون ما يملكه اليهود وأتباعهم من القوة والمال، فكانوا كمن يُجذف بالرمال.

- ونستطيع تلخيص العلاقة ما بين إسرائيل وأمريكا (اليهود والنصارى) كما يلى:
- إن التحالف بين الدولتين - فضلاً عن كل شيء - هو حلف ديني عقائدي أقوى من أي معاهدة أو اتفاقية مكتوبة على الورق.
- كل من الأمريكان والإسرائيلىين يتظرون المسيح الخاص بهم.
- يتفق الطرفان على أن قيام الدولة اليهودية في فلسطين إشارة لقرب مجده.
- ويتفق الطرفان على وجوب سيطرة اليهود على فلسطين كاملة، واتخاذ القدس عاصمة لهم، ومن ثم يتوجب عليهم إقامة الهيكل مكان المسجد الأقصى، وأن هذه الأمور - مالم تأخذ مجريها على أرض الواقع - فإنها ستُعطَّل مجيء المسيح بالنسبة للطرفين.
- وأن ظهور المسيح سيكون مسبوقاً بحرب مدمرة ستقع بين إسرائيل وأعدائها، تحصد ما لا يُعد ولا يُحصى من أرواح البشر، وتنتهي بخراب الأرض، ورؤاد المؤامرة اليهودية العالمية يذلون قصارى جهدهم لإشعالها، لقطف ثمار مخططهم الشيطاني ، بإثارة الفتن وافتعال الأزمات.
- وبناء على ذلك، تجد أمريكا نفسها مُلزَّمة عقائدياً، بتسلیح إسرائيل ما أمكنها ذلك، ويدعمها في كل مخططاتها داخل فلسطين وخارجها. استعداداً لوقوع هذه الحرب المدمرة، لضمان انتصار إسرائيل وحلفائها ضد أعداء الله.

هكذا هي المعادلة بكل بساطة ، فساسة الشعب الأمريكي جملة وتفصيلاً صهابية أكثر من ساسة إسرائيل أنفسهم ، وما عبادة الأمريكيين لإسرائيل إلا لتقربهم إلى الله زلفى ، ولذلك يسعى الأمريكيون قبل الإسرائيلىين ، لتلبية متطلبات مجيء المسيح ، وأعجب من العرب عندما يطلبون من صهابية الغرب رفع ظلم صهابية الشرق .

ولو عدنا بالذاكرة إلى الوراء ، وبدأنا بتبَّع الرؤساء الأمريكيين المتأخرين ، لتبيَّن لنا أن الرؤساء من الحزب الديمقراطي كانوا أكثر اعتدالاً وأكثر ميلاً إلى السلام مع العرب وروسيا ، يُبعَّضُ النظر عن مفهومهم له ، وأقل تجاوباً مع متطلبات الصهيونية اليهودية ، والصهيونية المسيحية المُتطرفة ، كما هو حال الرئيس (كارتر) - الذي انتهت ولايته عام 1980م - حيث أُنجزت في عهده اتفاقية (كامب ديفيد) بين مصر وإسرائيل ، والرئيس (كليتون) ، 1992 - 2000م ، الذي أُنجزت في عهده اتفاقية وادي عربة بين الأردن وإسرائيل ، وحاول جاهداً صنع (كامب ديفيد) أخرى مع الفلسطينيين ، رغم محاولاته الخجولة لإرضاء هؤلاء بقفص مصانع الأدوية السودانية ، وقفص العراق بين حين وآخر .

ولتبين لنا أيضاً أن الرؤساء من الحزب الجمهوري اليميني المسيحي الإنجيلي التوراتي الأصولي المتطرف كانوا أكثر تطرفاً وعدوانية، وأقل اهتماماً بالسلام، ويتغافبون مع متطلبات اليهود، بل يُنفدونها بحذافيرها. فالرئيس (ريغان) 1980 - 1988م، شنَّ الحرب على ليبيا، وتم في عصره ضرب المفاعل العراقي، واجتياح بيروت، واستعملت الحرب الإيرانية، وتم إطالة أمدها، وانتهت بنهاية ولادته. والرئيس (بوش الأب)، 1988 - 1992م، شنَّ الحرب على العراق، وفرض عليه الحصار، وتم إسقاط الشيوعية وتفكيك الاتحاد السوفياتي، وأعلن عن النظام العالمي الجديد المذكور في بروتوكولات اليهود.

ومؤخراً جاء دور (بوش الابن)، ليُكمل سلسلة جرائم أسلافه من الجمهوريين، ويفوز ما أعدَّ له هؤلاء من برامج مسبقة كان أبالسة اليهود قد خطوها قبل وصوله لسدة الحكم، كما خطَّ أجدادهم أسفار التوراة والإنجيل وبروتوكولات الحكماء فيما يُسمى (بتقرير معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى 2001)، حيث بدأ بتنفيذ ما جاء فيه من أوامر فور تسلمه للسلطة:

- فضرب بغداد دون سابق إنذار، وبدأت إدارته بالترويج "للعقوبات الذكية"، التي طالب بها خباء معهد واشنطن.

- وأظهر عداءه لروسيا والصين.

- وطلب الرئيس المصري لمعاقبة مصر على موقفها المتشدد مع إسرائيل في قمة القاهرة، بخفض المساعدات وتأخير إنشاء منطقة التجارة الحرة، فيما لو أصرَّت على ذلك.

- وصرَّح عن رغبته في نقل السفارية الأمريكية إلى القدس.

- ودعم إسرائيل في قمعها لانتفاضة الإرهابيين الفلسطينيين، ويرِّ - وما زال - يُرِّ جرائمها.

- وظهر هناك من يدعون إلى انسحاب الجيش السوري من لبنان من اللبنانيين المدعومين بالأموال اليهودية تحت غطاء الدين.

- وقام وزير الخارجية بجولة في دول المنطقة لشرح السياسة الجديدة التي جاء بها هذا التقرير، الذي تمت صياغته بدهاء يهودي صرف، بناء على المخاوف النبوية التوراتية.

**تقرير معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى لعام 2001 م:**

يُؤكِّد هذا التقرير أن مصير هذه المنطقة مرهون بما جاء من نبوءات في الكتب المقدسة، ومرهون أيضاً بكيفية تفسيرهم لهذه النبوءات. وإذا أطلعتَ على هذا التقرير الذي يوضح

السياسات التي يتوجب على الرئيس الأمريكي نهجها للسيطرة على هذه المنطقة واستبعاد شعوبها ستجد أنها قد رسمت بدهاء ومكر على طريقة دس السم في العسل، بناءً على المخاوف اليهودية المنشقة من النبوءات التوراتية. حيث أن مجمل بنود هذا التقرير جاءت لدرء المخاطر عن الدولة اليهودية فقط لا غير. وفيما يلي سنعرض من فصول هذا التقرير الخمسة بعض المقطففات شديدة التعلق بموضوع هذا الكتاب. وقد نُشر هذا التقرير مترجمًا على حلقات في جريدة العرب اليوم الأردنية، في النصف الأول من شهر 3/2001.

تأسسَ معهد واشنطن عام 1985م، وهو يعمل كوحدة للبحوث تابعة للجنة للعلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية، المسماة بـ(أياك)، وهي المنظمة الصهيونية الأولى في الولايات المتحدة، التي تُعدّ خط الدفاع الأول عن إسرائيل ، ويضم في عضويته مفكرين وسياسيين وخبراء أمريكيين يهوداً ويساريين، صهاينة في الفكر والمعتقد. وقد تطور هذا المعهد ليصبح مصدر التأثير الأعظم في صنع القرارات السياسية الخاصة بالمنطقة التي تخذلها الإدارات الأمريكية المتعاقبة. ويصدر هذا التقرير في بداية كل ولاية رئاسية جديدة، ليكون نوراً يهتدى به الرئيس الأمريكي الجديد، ونجاح هذا الرئيس وفشل لدى سادته اليهود يعتمد على مدى التزامه ومقدار ما أنجزه من الأهداف الواردة في التقرير، وهذه المنظمة على علاقة وثيقة مع الرؤساء والساسة الأمريكيان، وفي العادة، تقيم مأدبة عشاء على شرف الرئيس الأمريكي، بين الحين والأخر، ليُعلن في خطابه الافتتاحي - كما جرت العادة - عن ولائه المطلق للإسرائيل ، وعبوديته لليهود العالميين .

### الفصل الأول:

دبلوماسية عربية إسرائيلية - اردع الحرب الإقليمية ، بين إسرائيل والدول العربية ، واستطلع مسالك جديدة .

تقويم دروس تجربة أوسلو، واستطلاع مسارات بديلة للسلام:

التأكيد على أن الولايات المتحدة حليفه لإسرائيل ، وأنها لا ترتبط معها بأحكام ومعاهدات مكتوبة ، وإنما بروابط أقوى من القيم والمصالح المشتركة. المضي قدماً في نقل سفارة الولايات المتحدة إلى الموقع المقرر في القدس الغربية .

تشجيع الجهود الدولية للمساعدة في تخفيف التوتر الإقليمي:

التركيز على الدول الموالية للغرب: تحتاج الولايات المتحدة إلى التواصل مع الزعماء العرب والمسلمين، ومع شعوبهم، في السعي إلى إشراكهم في حوار صادق وصريح حول آراء ومصالح كل منهم. إذ أن دور الدول الموالية للغرب في المنطقة مهم جداً في وضع الأجندة السياسية الاجتماعية الثقافية للشرق الأوسط، ويصدق ذلك بشكل خاص على مصر وتركيا، والعربية السعودية والغرب والأردن. وقد اتضح ذلك أثناء قمة كامب ديفيد 2000 وبعدها، عندما أدى غياب التشاور، مع الدول العربية الرئيسية، حول قضية القدس خصوصاً، إلى تقلص فرص قبول عرفات بأى من الحلول المختلفة التي طرحت في الاجتماع.

تحمل مصر من بين جميع الدول المسؤولية الأكبر، بصفتها الدولة العربية الأقوى، والدولة التي تحمل إجراءاتها الأثر الأكثر أهمية في المنطقة. إذ تُعد تصريحات الرئيس المصري حسني مبارك ضد أي توسيع للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي، وضد تحويله إلى حرب عربية إسرائيلية جداراً واقياً بوجه انتشار المزيد من الراديكالية (أي التوجه المعادي لإسرائيل والغرب).

المثلث الإسرائيلي اللبناني السوري: ينبغي على الإدارة الأمريكية الجديدة أن تُعزّز قوة الردع الإسرائيلي ضد احتمالات تعرضها لهجمات برية أو صاروخية، تقوم بها قوات حزب الله، المدعوم من سوريا وإيران. على الإدارة الأمريكية أن تدعم الحركة الناشئة في لبنان، والداعية إلى الضغط من أجل المزيد من الحرية في الداخل، وتخفيق قبضة سوريا المطبقة على الشؤون اللبنانية.

## الفصل الثاني:

### أسلحة الدمار الشامل - امنع الانتشار، واردع الاستخدام.

من الممكن أن تشهد السنوات الأربع القبلة تَحْقُّقَ تقديرات الاستخبارات الأمريكية بأن إيران سوف تُطُور نظاماً صاروخياً متعدد المراحل، يُمكّنها من تطوير صاروخ عابر للقارات. ومن الممكن خلال الفترة نفسها أن يُطُور العراق أو إيران سلاحاً نووياً، خصوصاً في حالة حصولها على الوقود النووي بصورة سورية من الاتحاد السوفيتي السابق مثلاً. والحصول عليها من قبل جماعات إرهابية بمساعدة بعض الحكومات.

الكثيرون في المنطقة يتهمون الولايات المتحدة بازدواجية الموقف فيما يتعلق بقدرة العراق النووية. فعلى الرغم من القلق الذي تولّه الأسلحة النووية، من وجهة النظر الداعية إلى عدم الانتشار فإن هذه الأسلحة توفر لإسرائيل هاماً من الأمان، يمكنها من المجازفة بعقد السلام مع

جارات معينة. في الوقت الذي تُطَوَّر فيه دول أخرى في المنطقة. ما زالت تهدد بتدمير إسرائيل (أي العراق). الوسائل الكفيلة بتنفيذ تلك التهديدات.

### الفصل الثالث:

**الإرهاب - اعمل على تقوية الرد على التهديدات الجديدة.**

اعزل جهود مكافحة الإرهاب عن ديناميكيات العملية السلمية، وعزز الرد على التهديدات المستمرة:

ينبغي على الولايات المتحدة، أن تتبع سياسة لا تسامح فيها؛ ففي الوقت الذي يحق للسلطة الفلسطينية أن تختلف مع إسرائيل حول القضايا الدبلوماسية، فإن العلاقة الأمريكية الفلسطينية يجب أن تدفع ثمن التهاون الذي تُبَدِّيه السلطة الفلسطينية بشأن التزامها بمكافحة الإرهاب.

ينبغي على الولايات المتحدة، أن تُعزِّز جهودها الرامية للارتقاء بالتعاون الدولي ضد شبكات العنف الإسلامية المُتطرفة. وينبغي أن تعمل مع دول أوروبا والشرق الأوسط، لممارسة ضغط جماعي على تلك الدول القليلة، التي ما زالت تقدم الملاذ للإرهابيين، أو تخضُّ النظر عنهم، وهي إيران وباكستان واليمن وأفغانستان.

### طور الاستخدام الفعال لأدوات السياسة الأمريكية المتوفرة:

لإخضاع الإرهابيين للإدانة الجنائية يتحتم على الولايات المتحدة متابعة الالتزام بملائحة أولئك المجرمين، حتى وإن واجه الأمر عقبات دبلوماسية. على الحكومة الاتحادية العمل على إيقاف المناصرين المحليين المؤيددين للجماعات الإرهابية، (المقصود هنا هو الحالات العربية الداعمة للحركات الجهادية في فلسطين).

لقد تقلص عدد الدول الداعمة للإرهاب إلى سبع دول. وأآخر الدول التي رفع اسمها هي العراق عام 1982م وأعيد عام 1991م أما آخر اسم أضيف للقائمة فهو السودان عام 1993م. على الرئيس - كجزء من عملية إعادة النظر أن يُفكِّر بتحديد الطرق التي تستطيع من خلالها تلك الدول من رفع اسمها من القائمة (أي وضع متطلبات جديدة لشهادات حسن السيرة والسلوك الأمريكية). وخصوصاً تلك التي أظهرت اهتماماً بذلك مثل ليبيا والسودان وسوريا. بعد ذلك يجب ربط درجة الدعم المقدم للإرهاب بدرجة العقوبات التي تفرضها الولايات المتحدة، وكذلك بمستوى التعامل الذي يقوم بين الحكومة المعنية وحكومة الولايات المتحدة.

## الفصل الرابع:

### العراق وإيران - اعمل من أجل التغيير.

إن الموقف من العراق وإيران يُعدُّ من أهم القضايا السياسية التي تواجه الإدارة الأمريكية الجديدة. فكل من الدولتين يُعدُّ لاعباً مهماً في الخطرين الرئيسين اللذين يتهددان مصالح الولايات المتحدة في المنطقة (والمصالح هي وجود إسرائيل فقط). وللذين حدّهـما هذا التقرير بـزعـة العملـة السـلمـية . لـدرجـة الـانـزـلاق نحوـالـحـرب . وبـامتـلاـك أـسلـحة الدـمـار الشـامـلـ .

في إيران يبدو التغيير يلوح في الأفق، وأنه سيكون ثمرة للديناميكـات السياسية الداخلية . أما بالنسبة للعراق فإن القصة مختلفة، ومن الأمور المـحزـنة كـونـنـا مـقـتـعـنـينـ بـأنـالتـغـيـرـ فيـالـعـرـاقـ يـكـادـ يـكـونـ مـرـتـبـطاـ بـصـورـةـ حـتـمـيةـ بـالـعـنـفـ،ـ أيـ بـانـقلـابـ أوـ بـانـتفـاضـةـ دـاخـلـيـةـ ،ـ ...ـ،ـ يـنـبـغـيـ عـلـىـ الرـئـيـسـ الـأـمـريـكـيـ أـنـ يـطـوـرـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ شـامـلـةـ تـنـطـويـ عـلـىـ خـطـوـاتـ فـعـالـةـ تـهـدـفـ إـلـىـ الضـغـطـ عـلـىـ صـدـامـ حـسـينـ فـيـ عـدـةـ جـهـاتـ .

وحتى يحين موعد التغيير في العراق وإيران فإن على الولايات المتحدة أن تواجه التحدـيـ لـاحـتوـاءـ الضـرـرـ الـذـيـ تـسـبـبـهـ هـاتـانـ الدـولـاتـانـ ،ـ بـالـإـضـافـةـ لـالـعـقـوبـاتـ وـالـقيـودـ المـفـروـضـةـ عـلـىـ الصـادـرـاتـ مـنـ أـجـلـ تـقـلـيـصـ المـوـارـدـ الـتـيـ يـكـنـ أـنـ تـخـصـصـهـاـ الدـوـلـاتـانـ لـلـتـحـدـيـتـ الـعـسـكـرـيـ وـنـشـرـ الـأـسـلـحةـ ،ـ وـالـحـصـولـ عـلـىـ التـكـنـوـلـوـجـيـاـ الـلـازـمـةـ لـذـلـكـ .

### وضـحـ التـهـدـيدـ الـذـيـ يـمـثـلـهـ صـدـامـ حـسـينـ لـمـصـالـحـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ :

نعتقد أن من المهم تحديد تلك المصالح الأمريكية الحيوية التي يمكن لصدام أن يهدّها ، ووضع خطوط حمراء تُشكّل عند تجاوزها تحدياً غير مقبول ، يستدعي ردًّا عسكرياً أمريكياً واسع النطاق .

ما إن يتم الانتهاء من هذه المراجعة يتوجّب على الرئيس أن يطرح مقرراتها على الشعب ، كهيـةـ لـاحـتمـالـ وـقـوعـ مـواجهـةـ عـسـكـرـيـةـ وـاسـعـةـ النـطـاقـ معـ صـدـامـ ،ـ إـذـاـ ماـ اـقـضـىـ الـأـمـرـ ...ـ فـيـ حـالـةـ العـدـوـانـ خـارـجـ أـرـاضـيـهـ ،ـ أوـ اـسـتـخـدـامـهـ لـأـسـلـحةـ الدـمـارـ الشـامـلـ ،ـ أوـ حتـىـ نـشـرـهـاـ فـيـ حالـاتـ معـيـنةـ ،ـ أوـ عـدـوـانـهـ عـلـىـ الـأـكـرـادـ .

### - يـقـصـدـ بـالـقـوـةـ وـاسـعـةـ النـطـاقـ :

أولاً ؟ حـمـلاتـ القـصـفـ التـواـصـلـةـ ضـدـ الـأـهـدـافـ الـتـيـ تـحـمـيـ النـظـامـ .

ثانياً ؛ إذا كانت الانتهاكات العراقية خطيرة بما يكفي ، يعني إرسال قوات أرضية بقدرات كافية بمشاركة الحلفاء ، لغرض إحلال التغيير في النظام العراقي .

ثالثاً ؛ في حالة استخدام أسلحة الدمار الشامل يتوجب استخدام جميع الوسائل المتاحة ، ضد نظام صدام حسين (أي استخدام السلاح النووي) .

على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة للعمل بالتنسيق مع الحلفاء الرئيسيين ، وبالأخص السعودية والكويت وبريطانيا . ويدل مزيد من الجهد لإقناع تركيا بلعب دور أكثر فاعلية ، في الرد على التحدي الذي يمثله صدام حسين .

أحد الخطوط الصفراء التي تجاوزها صدام بالفعل هو التوقف عن التعاون مع مفتشي الأسلحة . أظهرت دروس التاريخ الأليمة ، أن صدام لا يسمح بعمليات تفتيش تكشف ما تبقى من برامجه لإنتاج الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل ، كما أن الأسرة الدولية غير مستعدة لتأييد استخدام القوة لإرغام صدام على التعاون .

إلى جانب التفتيش المهني الدقيق الذي يجب أن تصر الولايات المتحدة عليه يوجد عنصر مهم آخر هو الدعم الذي يجب أن تُوفّره واشنطن لجماعات المعارضة العراقية ، كعنصر إضافي لاحتواء صدام .

ضمن عملها مع المعارضة العراقية ينبغي للولايات المتحدة أن تضع رؤية أوضاع العراق ما بعد صدام ، على واشنطن أن توضح إنه كلما ازداد العراق مسالة وافتتاحاً وديمقراطية ازداد دعمها له .

### حول العقوبات إلى أداة لانفتاح العراق :

نعتقد بأن على الولايات المتحدة أن تقوم بجهود عاجل لتركيز العقوبات على نحو أكثر حدة على صدام ونظامه العسكري . من أجل ذلك ينبغي لواشنطن أن تأخذ زمام المبادرة في إعادة صياغة العقوبات بدلاً من أن توافق مرغمة على خطوات يفرضها الآخرون .

في الوقت نفسه ينبغي للولايات المتحدة التوجّه للمنظمات الإنسانية لتحسين طرق إيصال المساعدات للشعب العراقي بدلاً من أن تكرس هذه المنظمات الكثير من جهدها لانتقاد السياسة الأمريكية إزاء العراق . وأن تُظهر لهذه المنظمات أنها تشاركها همومها الإنسانية ، مؤكدة بأن السبب في معاناة الشعب العراقي هو حكومة العراق الاستبدادية (أي استخدام الفاق السياسي) .

ينبغي للقيود التي فُرضت على السفر، من تلك الدولة أن تُعكس بشكل تام سيكون من الأفضل تشجيع التبادل الفردي، وسفر العراقيين العاديين، ومنع سفر المسؤولين العراقيين وأفراد أسرهم من الذين يُعيقون تنفيذ قرارات مجلس الأمن، أو الذين يُشتبه بارتكابهم جرائم حرب، أو انتهاكات فظيعة لحقوق الإنسان. لقد حصل هذا النوع من "العقوبات الذكية"، على التأييد في الأمم المتحدة عندما طُبق على يوغسلافيا.

#### الفصل الخامس:

##### **الاستراتيجية الإقليمية: استثمار في العلاقات الحاسمة.**

على الإدارة الأمريكية الجديدة أن تأخذ زمام المبادرة في توسيع التواصل الثقافي والتربوي مع الدول العربية وال المسلمة لغرض تطوير المعرفة المحلية، بثقافة ومجتمع وسياسة الولايات المتحدة وفهمها. وإيجاد وسائل لخارية الانطباع الخاطئ المتّفشي في الشرق الأوسط حول معاداة أمريكا للإسلام والمسلمين.

في الطرف الآخر من الطيف ينبغي للدبلوماسية الأمريكية أن تُبرز العيوب الفاضحة لدول المنطقة التي تمارس أقصى حدًّا من انتهاكات حقوق الإنسان، وبالأخص العراق والسودان ولibia وسوريا.

#### تقوية العلاقات الثنائية المهمة:

إسرائيل : أكد على التحالف غير المكتوب، فهو يعكس عمق بناء الدعم والتآخي الذي يشعر به الشعب الأمريكي إزاء إسرائيل ، والذي يشمل الأطياف السياسية الأمريكية كافة. ينبغي أن تأخذ زمام المبادرة في الارتقاء بشرائها لإسرائيل إلى مستوى مواجهة التهديدات الاستراتيجية المشتركة ... وسط جو التهديدات الجديدة، ومع اضطرار تقديم الأسلحة الحديثة فإن عليها أن تواجه التحدى السياسي المتمثل في التوضيح لجارات إسرائيل بأن أمريكا سوف تعارض أي مجهود للتوصل إلى مستوى الندية الاستراتيجية مع إسرائيل .

دول مجلس التعاون الخليجي : تقوية الأمن النفطي والعسكري والاقتصادي لضمان استمرار تدفق النفط بأسعار مناسبة. على الولايات المتحدة تعميق دعمها للإصلاحات الاقتصادية في تلك الدول بسبب مصلحتها في استقرار الأنظمة الملكية الخليجية.

مصر : لدى مصر قدرة على لعب دور إيجابي في تعزيز الاعتدال والاستقرار في المنطقة، أو لعب دور سلبي في تعقيد وإعاقة مبادرات الولايات المتحدة الإقليمية. ولو حافظت مصر

على وضعها المقبول فإن على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة للمضي قدماً، في مبادراتها الاقتصادية.

الأردن: ادعم السلم مع إسرائيل، واحذر من العودة إلى احتضان عراق صدام. أما على الجانب العسكري فينبعي له المساعدة في عملية التعامل مع الأمن الحدودي، ومكافحة الإرهاب، والخطر العراقي المحتل. أحد الأسباب المبررة لتقديم معونة أمريكية كبيرة هو المسعى الذي يبذله العراق، لجذب الأردن بتقديم مساعدة نفطية 600 - 900 مليون دولار. ولإبطال الإغراء العراقي بتوسيع دول الخليج تقديم النفط بشروط ملائمة، وتوسيع دائرة التجارة، واستخدام العمالة الأردنية.

تركيا: يُعدُّ بقاؤها كدولة ديمقراطية علمانية موالية للغرب مصلحة حيوية للولايات المتحدة حيث تلعب تركيا دوراً مركزاً في عملية احتواء العراق.

ادعم التعاون ما بين شركاء أمريكا الإقليميين، ومن ضمنها إسرائيل وتركيا ودول مجلس التعاون الخليجي والأردن ومصر. إن التعاون بين تركيا وإسرائيل، يُعدُّ الأفضل بين جميع حالات التعاون الأمني الإقليمي في المنطقة.

#### الإطار الاستراتيجي:

لدى الولايات المتحدة مصالح دائمة في الشرق الأوسط، من بينها؛ منع وقوع الحرب، وتسهيل التقدم باتجاه سلام عربي إسرائيلي، وضمان أمن وسلامة إسرائيل، وتوطيد الاستقرار والأمن والرفاهية والتنمية في تركيا والدول العربية المعتدلة، والمحافظة على حرية تدفق النفط وبأسعار معقولة. بعد الانتصار في الحرب الباردة وحرب الخليج في مطلع التسعينيات تمكنت الولايات المتحدة من ممارسة الزعامة في مجالين مهمين، هما؛ بناء السلام العربي الإسرائيلي، وتعزيز الأمن في الخليج.

#### العولمة:

على مدى العقد الأخير، كان سجل المنطقة مشوشاً بالنسبة للعولمة، فمن جانب لم تستطع الحواجز الوطنية القوية أن تمنع انتشار وسائل الإعلام الحديثة، مثل القنوات الفضائية العربية، التي أنهت - بمحاجة الإنترنت - سيطرة الدولة على المعلومات، كما تم الاعتراف على مستوى المنطقة باقتصاد السوق، والانفتاح على التجارة والاستثمار الدوليين، بصفتها أفضل

الطرق لتحقيق التنمية ... إلا أن الشرق الأوسط ، يُعد خاسراً - نسبياً - في سباق العولمة ، فحصته في التجارة العالمية في تدهور مستمر .

بفضل أجهزة الفيديو والمحمّلّات الفضائية والإنترنـت ، وأخيراً؛ وليس آخرـاً ، فمن المـتحمل جـداً أن يرتدي المتظاهرون في رام الله أو طهران بنطلونـات وأـحـذـية من إنتاج أمريـكيـ .  
بـقولـهمـ هـذاـ ، يـكـشـفـ روـادـ العـولـمـةـ وـدعـانـهـاـ عـنـ الـوـجـهـ الـقـذـرـ لـهـاـ وـلـغـاـيـاتـهاـ ، بـشـقـيـهاـ الثـقـافـيـ  
وـالـاـقـتـصـاديـ ، فـغـايـاتـ العـولـمـةـ هيـ :

أولاًـ : مـسـخـ الـهـوـيـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـإـسـلـامـيـةـ بـشـكـلـ خـاصـ ، وـالـشـرـقـيـةـ بـشـكـلـ عامـ باـسـتـهـلاـكـ  
الـثـقـافـةـ الـأـمـريـكـيـةـ عنـ طـرـيقـ وـسـائـلـ الإـعـلـامـ المـخـلـفـةـ .

ثـانيـاـ : وـمـنـ ثـمـ جـعلـ جـمـيعـ دـوـلـ الـعـالـمـ سـوقـاـ مـفـتوـحةـ لـلـمـتـجـاجـاتـ الـأـمـريـكـيـةـ بـمـخـتـلـفـ  
أـنوـاعـهـاـ ، بـإـجـبارـ الـحـكـومـاتـ عـلـىـ رـفـعـ الـقـيـودـ التـيـ وـضـعـتـ لـحـمـاـيـةـ وـدـعـمـ الصـنـاعـاتـ الـوطـنـيـةـ .  
إـذـ لـيـسـ هـنـاكـ أـيـ أـهـمـيـةـ تـذـكـرـ لـدـىـ رـوـادـ العـولـمـةـ ، بـالـنـسـبـةـ لـتـظـاهـرـكـ ضـدـ إـسـرـائـيلـ وـأـمـريـكاـ ،  
وـحرـقـ أـعـلـامـهـاـ وـصـورـ زـعـمـانـهـاـ ، بـماـ أـنـكـ تـدـعـمـ .ـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ .ـاـقـتـصـادـ الـدـولـتـيـنـ ، باـسـتـهـلاـكـ  
مـتـجـاجـاتـهـمـاـ ، مـاـ يـسـاـهـمـ بـزـيـادـةـ النـمـوـ الـاـقـتـصـاديـ فـيـهـمـاـ ، وـأـمـريـكاـ سـيـطـرـتـ عـلـىـ الـعـالـمـ اـقـتـصـاديـ ،  
وـبـذـلـكـ ، تـمـكـنـتـ مـنـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ عـسـكـرـيـاـ .

### انهيار تحالف حرب الخليج:

عـلـىـ الـمـسـتـوـىـ الدـوـلـيـ ماـ زـالـتـ هـيـمـنـةـ أـمـريـكاـ الـإـقـلـيمـيـةـ عـلـىـ مـاـ كـانـتـ عـلـيـهـ ، إـلـاـ نـهـاـيـةـ  
تـصـاعـدـاـ فـيـ عـزـمـ القـوـىـ الـأـخـرىـ وـقـدـرـتـهـاـ عـلـىـ التـأـيـيـدـ فـيـ مـجـرـىـ الـأـحـدـاثـ فـيـ الـشـرـقـ الـأـوـسـطـ ،  
خـصـوصـاـ بـاتـجـاهـ إـعـاقـةـ السـيـاسـةـ الـأـمـريـكـيـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ .ـوـبـيـرـزـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ ثـلـاثـةـ لـاعـبـينـ مـهـمـينـ :  
روـسـياـ : أـصـبـحـتـ روـسـياـ أـكـثـرـ قـوـيـةـ خـلـالـ العـقـدـ الـمـاضـيـ ، وـازـدـادـتـ شـكـوكـهـاـ فـيـمـاـ يـتـعلـقـ  
بـعـلـاقـاتـهـاـ مـعـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ ...ـلـكـنـهاـ أـصـبـحـتـ مـنـ جـدـيدـ لـاعـبـاـ مـُثـيـرـاـ لـلـمـشاـكـلـ ...ـدـأـبـتـ  
روـسـياـ عـلـىـ تـقـوـيـضـ جـهـودـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ إـلـىـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ التـسـلـحـ وـفـرـضـ الـعـقـوبـاتـ ،  
حتـىـ إـنـ الرـئـيـسـ الـرـوـسـيـ مـؤـخـراـ أـثـنـىـ بـنـفـسـهـ عـلـىـ التـعاـونـ التـامـ بـيـنـ مـوـسـكـوـ وـبـيـغـدـادـ .ـلـمـ تـبـدـ  
روـسـياـ تـعـاوـنـاـ يـذـكـرـ مـعـ مـسـاعـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـمـدـعـومـةـ بـدـوـلـارـاتـ الـمـسـاعـدـاتـ ،ـلـلـجـلـولـةـ  
دونـ اـنـشـارـ أـسـلـحـةـ الدـمـارـ الشـامـلـ ،ـوـتـكـنـوـلـوـجـياـ الصـوـارـيـخـ ،ـمـنـ روـسـياـ إـلـىـ الـشـرـقـ الـأـوـسـطـ  
وـخـصـوصـاـ إـلـىـ إـيـرانـ .

الصين : فالصين تمتلك القدرة على تغيير ميزان القوى الإقليمية بتزويد دول في المنطقة، بتكنولوجيا الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل . في الوقت الذي تستطيع الصين فيه أن تصبح قوة إيجابية بالنسبة لنمو اقتصاد العولمة إذا ما واصلت فتح أسواقها، وشخصنة اقتصادها.

أوروبا : على سبيل المثال لعبت الدول الأوروبية دوراً مهماً في تسهيل الدبلوماسية الهدامة، بين إسرائيل والفلسطينيين . وفي تأمين التمويل السخي للسلطة الفلسطينية بعد عام 1993م . وفي فرض مناطق حظر الطيران ، شمال وجنوب العراق . إنَّ مما يُؤسف له أن فرنسا قد أصبحت العقبة الكبرى في طريق تحقيق التنسيق الأميركي الأوروبي حول الكثير من قضايا الشرق الأوسط ، خصوصاً تلك المتعلقة بالعملية السلمية ، والسياسة المتبعة إزاء العراق .

على خلفية هذا الإطار الاستراتيجي نعتقد بأن الشرق الأوسط مرشح لأن يكون منطقة مضطربة خلال فترة ولاية الرئيس الأميركي الجديد . سيتغذى بعض ذلك الاضطراب ، على مشاعر عدم الرضا والرغبة في تحقيق الوحدة والأمور غير المنجزة في التزاع العربي الإسرائيلي . كما أن بعضاً منه سوف يتولد نتيجة التغيرات البركانية التي تنتظر إيران . وسوف ينبع بعضه الآخر عن ردود الفعل المترتبة على عودة انبعاث صدام حسين .

يحتاج الرئيس الأميركي الجديد وكبار مساعديه لإدراك أن الشرق الأوسط يدخل القرن الواحد والعشرين ، بقيادة زعماء جدد بلا خبرة ، يتولون الزعامة من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي ، باقتصادات راكدة وبأسلحة مرعية عالية التقنية ، لها القدرة على نقل التزاعات إلى شواطئ أمريكا . إن لجنة الدراسة الرئيسية في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط الأدنى ، قد وضعت هذا التقرير من أجل تقديم النصح للرئيس الأميركي الجديد حول الطرق الكفيلة بإدارة هذه اللحظة العاصفة على نحو يحمي مصالح الولايات المتحدة وحلفائها .  
... انتهى الاقتباس .

بنود هذا التقرير اليهودي المقدم للرئيس الأميركي واضحة ، وربما لا تحتاج لتعليق ، فالمخاوف والأهداف التوراتية واضحة خلف ما يدعى اليهود بأنه مصالح للولايات المتحدة ، تقضي بتحجيم وتدمير ثلاثة قوى ، ذات الخطر الأكبر على مستقبل الدولة اليهودية في المنطقة ، حسبما أوضحته التفسيرات الجديدة للنبؤات التوراتية ، وهي روسيا (أجوج وأجوج)، والعراق وإيران (مادي وفارس وبابل وأشور)، الدول ذات التوجه الإسلامي كافة ، التي يُسمونها بالراعية للإرهاب (خوفاً من إحياء الخلافة الإسلامية) .

والسؤال المطروح بعد الاطلاع على هذا التقرير: لماذا يشغل العراق المساحة الأكبر، في مفردات صحيفة برتوكولات حكماء صهيون الجديدة، المسماة بتقرير معهد واشنطن؟! .. وهذا ما سوف يكون مدار بحثنا في الباب الرابع.

ونختم هذا الفصل بقول لظفر الإسلام خان، صاحب كتاب (تعاليم التلمود): " وقد ساعدت كراهية بريطانيا العمياء، وغدرها بالعرب والمسلمين، وجود التزعة الصليبية الخاطئة، لدى البلدان الأوروبية وأمريكا على نجاح المخططات الصهيونية، وغزو البلدان العربية في الحرب العالمية الأولى، فنرى القائد الفرنسي (غورو) الذي فتح دمشق يقول، وقد وضع قدمه على قبر صلاح الدين: " ها نحن قد عُذنا يا صلاح الدين ! " ، والجنرال الإنجليزي (النبي) عند دخوله القدس، يقول أمام كنيسة القيامة: " اليوم، انتهت الحروب الصليبية " .

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسَ عَدَوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَاتُلُوا إِنَّا نَصْرَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسَّابُونَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكِنُونَ﴾ (82 المائدة).

## الباب الرابع

### خطوات إلى الأقصى

الفصل الأول :

الكتب المقدسة تصف أصحاب البعث

وتخبر بدمار بابل

الفصل الثاني :

﴿وَلَيَدْخُلُوا الْمَسِّجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

الفصل الثالث :

﴿وَلَيُتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَتَبَرِّرًا﴾

الفصل الرابع :

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾



## الفصل الأول

# الكتب المقدّسة تصف أصحاب البعث الثاني وتخبر بدمار بابل

تُخبر التوراة اليهود صراحةً، بأنّ البعثين كليهما سيخرجان من أرض واحدة. ويعتقدون أنها توصيهم وتأمرهم بتدميرها بعد عودتهم من الشتات لفلسطين في المرة القادمة، لإقامة دولتهم الثانية، وأنّها تحرّضهم وتحثّهم بالآية يذخروا جهداً من أجل إعادة أهلها إلى العصر الحجري، حتى لا يتمكّنا من الانبعاث عليهم مرة أخرى، عندما يأذن الله لهم بذلك.

### مما جاء في النصوص التوراتية:

موسى:

سفر الشّتنة 28: 49 ويجلب الرب عليكم أمة من بعيد، من أقصى الأرض، فتنقض عليكم كالنسر، 50: أمة [جافية الوجه] يشير منظرها الرعب، لا تهاب الشيخ ولا ترأف بالطفل (أولي بأس شديد)، 51: فستولى على نتاج بهائمكم، وتلتهم غلات أرضكم حتى تفنوا، ولا تُبقي لك قمحاً ولا خمراً ولا زيتاً، ... حتى تفنيك، 52: وتحاصركم في جميع مدنكم، حتى تنهدم أسواركم الشامخة الحصينة، التي وثقتم ببناعتها، ... .

31: لأنني واثق أنكم بعد موتي، تفسدون وتضللون عن الطريق الذي أوصيتكم بها، فيصيّركم الشر في آخر الأيام (المرة الثانية تكون في آخر الأيام)، لأنكم تقترون الشر أيام الرب، حتى تثروا غيظه بما تجنيه أيديكم ... .

32: فرأى الرب ذلك ورذّلهم، إذ أثار أبناءه وبناته غيظه، 20: وقال: ساحجب وجهي عنهم، فأرى ماذا سيكون مصيرهم؟ إنهم جيل متقلب وأولاد خونة، 21: ...، لذلك سأثير غيرتهم بشعب متوحش (أولي بأس شديد) ... .

إشعياء:

4: 26: فيرفع راية لأمم بعيدة، ويصفر لمن في أطراف الأرض، فيقبلون مُسرعين.

10 : 3 : فمَاذَا تَصْنَعُونَ فِي يَوْمِ الْعِقَابِ، عَنْدَمَا تَقْبِلُ الْكَارَثَةُ مِنْ بَعْدِ؟

14 - 24 - 27 : لَقَدْ أَفْسَمَ الرَّبُّ الْقَدِيرُ قَاتِلًا: حَقًا مَا عَزَّمْتَ عَلَيْهِ لَابْدًا أَنْ يَتَمَّ، ...: أَنْ أُحْطِمَ آشُورَ فِي أَرْضِي، وَأَطَاهُ عَلَى جَبَالِي، فَيُلْقِي عَنْهُمْ نَيْرَهُ، وَيُزَوِّلُ عَنْ كَاهْلِهِمْ حَمْلَهُ، لَأَنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ قَضَى، فَمَنْ يُطْلِقُ قَضَاءَهُ؟ .

14 : 29 : لَا تَفْرَحِي يَا كُلَّ فَلَسْطِينِ (إِسْرَائِيلَ)، لَأَنَّ الْقَضِيبَ الَّذِي ضَرَبَكَ قَدْ انْكَسَرَ. فَإِنَّهُ مِنْ أَصْلِ تَلْكَ الْأَفْعَى يَخْرُجُ أَفْعَوَانَ، وَذَرِّيَّتَهُ تَكُونُ ثَعَبَانًا سَامَّا طَيَّارًا... وَلَوْلَآيْهَا الْبَابُ، وَنَوْحِي آيْهَا الْمَدِينَةُ، ذُوبِي خَوْفًا يَا فَلَسْطِينَ قَاطِبَةُ، لَأَنَّ جِيشًا مُلْرِيًّا قَدْ زَحَفَ نَحْوَكَ مِنَ الشَّمَالِ ... .

11 : 46 : أَدْعُو مِنَ الْمَشْرِقِ الطَّائِرِ الْجَارِ، وَمِنَ الْأَرْضِ الْبَعِيدَةِ بِرْجَلٍ مُشَوْرِتِي، قَدْ نَطَقَ بِقَضَائِي، وَلَابْدًا أَنْ أُجْرِيَهُ.

إِرْمِيَا:

9 : 25 : فَهَا أَنَا أَجْنَدُ جَمِيعَ قَبَائلِ الشَّمَالِ، بِقِيَادَةِ نَبُوَخَذِ نَصْرِ عَبْدِي<sup>(1)</sup>، وَأَتَيْتُ بِهَا إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، فَيَجْتَاحُونَهَا وَيُهَلِّكُونَ جَمِيعَ سَكَانَهَا، مَعَ سَائرِ الْأَمَمِ الْمُحِيطَةِ بِهَا، وَأَجْعَلْتُهُمْ مَثَارَ دَهْشَةٍ وَصَفِيرَ، وَخَرَائِبَ أَبْدِيهِ.

10 : 22 : اسْمَعُوا، هَا أَخْبَارٌ تَوَاتِرُ عَنْ جَيْشٍ عَظِيمٍ، مَقْبِلٌ مِنَ الشَّمَالِ، لِيَحْوِلْ مَدَنِ يَهُوْذَا إِلَى خَرَابٍ وَمَأْوَى لِبَنَاتِ آَوَى.

6 : 22 : انْظُرُوا، هَا شَعْبٌ زَاحِفٌ مِنَ الشَّمَالِ، وَأَمَّةٌ عَظِيمَةٌ تَهْبَطُ مِنْ أَقْاصِي الْأَرْضِ، ... لِمُحَارِبَتِكَ يَا أُورْشَلِيمَ.

حَرْقِيَالَ:

19 : وَأَوْحَى إِلَيَّ الْرَّبُّ بِكَلْمَتِهِ قَاتِلًا: أَمَّا أَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَخُطِّطْ طَرِيقَيْنِ لِزَحْفِ مَلَكِ بَابِلَ. مِنْ أَرْضِ وَاحِدَةٍ تَخْرُجُ الطَّرِيقَانِ، وَفِي تَرْجِمَةِ أُخْرَى [وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، عَيْنَ لِنْفَسِكَ طَرِيقَيْنِ، لَجْيَيْ سِيفِ مَلَكِ بَابِلِ، مِنْ أَرْضِ وَاحِدَةٍ تَخْرُجُ الْاثْتَانِ].

22 - 23 : وَأَتَيْتُ بِهِمْ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، أَبْنَاءِ الْبَابِلِيِّينَ، وَسَائِرِ الْكَلْدَانِيِّينَ، وَمَعَهُمْ جَمِيعَ أَبْنَاءِ آشُورِ.

تُكَشِّفُ هَذِهِ النَّصُوصُ أَنَّ الْمَعْوَثِينَ عَلَى الْيَهُودِ فِي الْمَرَةِ الثَّانِيَةِ سِيَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ نَفْسَهَا الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا فِي الْأُولَى، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَرْضِ هِيَ بَابِلُ وَالْقَادِمِينَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ هُمْ

(1) (عَبْدِي) جَاءَتْ صَفَةُ نَبُوَخَذِ نَصْرِ فِي التَّوْرَاةِ.

أبناؤها وسائر الكلدانيين ومعهم جميع أبناء آشور، ورغم معرفتهم بهذه فهم يأخذون من التوراة ما يوافق أهواءهم، ويتركون ما سواه. أما ما يؤمّنون به حقاً فهو المال والقوة. وبما أنهم يملكون القوة والمال، وبما أن الله قد كشف لهم عن مُخططاته، بالنسبة لختمية القضاء على وجودهم في فلسطين، فالحل لديهم ليس التوبة والرجوع إلى الله (الذي لا يقيمون له وزناً)، نتيجة افتراءات زنادقة التلمود عليه، سبحانه وتعالى عما يصفون)، وإنما بمخالفة مُخططات الله وإبطالها، معتمدين على ما ألقه الكهنة من نبوءات خاطئة عن الملك الموعود. وذلك بكل بساطة، من خلال تنفيذ مخططات الكهنة والأحبار القدية الجديدة، التي وضعـت كحلـ لضلالـهم المستعصـيةـ معـ اللهـ، وهيـ إبـادـةـ الـكـلـدـانـيـنـ، ومحـوـ بـابـلـ عـنـ الـوـجـوـدـ، وـتـحـويـلـهـاـ إـلـىـ صـحـراءـ قـاحـلةـ، لاـ تـسـكـنـهـاـ إـلـىـ الشـاعـلـ.

### نبوءة عن دمار بابل في سفر إشعيا:

١٣-١٤: رؤيا إشعيا بن آموس بشأن بابل: «انصروا راية فوق جبل أجرد، اصرخوا فيهم، لَوْحُوا بِأيديكم، ليدخلوا أبواب [العنة] ... لأن الرب القديـر يستعرض جنود القـتـالـ. يـقـلـونـ مـنـ أـرـضـ [ـبـعـيـدةـ]ـ مـنـ أـقـصـىـ السـمـاـوـاتـ، هـمـ جـنـوـدـ الـرـبـ وأـسـلـحـةـ سـخـطـهـ لـتـدـمـيرـ الـأـرـضـ كـلـهـاـ. [وَلَوْلـاـ]ـ، إـنـ يـوـمـ الـرـبـ بـاتـ وـشـيكـاـ، قـادـمـاـ مـنـ عـنـ الـرـبـ مـحـمـلاـ بـالـدـمـارـ. لـذـلـكـ تـرـتـخـيـ كـلـ يـدـ، وـيـنـوـبـ قـلـبـ كـلـ إـنـسـانـ. يـتـابـهـمـ الفـزـعـ، وـتـأـخـذـهـمـ أـوجـعـ، يـتـلـوـونـ كـوـالـدـةـ تـقـاسـيـ مـنـ الـآـمـ المـخـاصـ ...»

١٣-١٦: هـاـهـوـ يـوـمـ الـرـبـ قـادـمـ، مـفـعـمـاـ بـالـقـسوـةـ وـالـسـخـطـ وـالـغـضـبـ الشـدـيدـ، ليـجـعـلـ الـأـرـضـ خـرـابـاـ وـيـسـدـ مـنـهـاـ الـخـطـاطـةـ ...ـ وـالـشـمـسـ تـظـلـمـ عـنـدـ بـزوـغـهـاـ (ـكـسـوفـ)، وـالـقـمـرـ لاـ يـلـمـعـ بـضـوـئـهـ (ـخـسـوفـ). وـأـعـاقـبـ الـعـالـمـ عـلـىـ شـرـهـ وـالـمـنـافـقـينـ عـلـىـ آـثـامـهـ، وـأـضـعـ حـدـاـ لـصـلـفـ الـمـغـطـرـسـينـ وـأـذـلـ كـبـرـاءـ الـعـنـةـ ...ـ وـأـزـلـ زـلـ السـمـاـوـاتـ فـتـزـعـرـ الـأـرـضـ فـيـ مـوـضـعـهـ، مـنـ غـضـبـ الـرـبـ الـقـدـيـرـ فـيـ يـوـمـ اـحـتـدـامـ سـخـطـهـ. وـتـوـلـيـ جـيـوشـ بـابـلـ (ـعـبـارـةـ جـيـوشـ بـابـلـ، غـيرـ مـوـجـودـةـ فـيـ التـرـجـمـةـ الـأـخـرىـ)ـ حتـىـ يـنـهـكـهاـ التـعبـ، عـائـدـينـ إـلـىـ أـرـضـهـمـ كـأـنـهـمـ غـزـالـ مـطـارـدـ، أوـ غـنـمـ لاـ رـاعـيـ لـهـاـ. كـلـ مـنـ يـؤـسـرـ يـطـعنـ، وـكـلـ مـنـ يـقـبـضـ عـلـيـهـ يـصـرـعـ بـالـسـيفـ، وـيـمـزـقـ أـطـفـالـهـمـ عـلـىـ مـرـأـيـهـمـ، وـتـنـهـبـ بـيـوـتـهـمـ، وـتـغـتصـبـ نـسـائـهـ ...ـ»ـ.

١٣-٢٢: هـاـأـنـاـ أـثـيـرـ عـلـيـهـمـ الـمـادـيـنـ (ـالـإـيـرـانـيـنـ)، الـذـيـنـ لـاـ يـكـتـرـئـونـ لـلـفـضـةـ، وـلـاـ يـسـرـونـ بـالـذـهـبـ، [ـفـتـحـطـمـ]ـ قـسـيـمـ الـفـتـيـانـ، وـلـاـ يـرـحـمـونـ الـأـوـلـادـ أـوـ الرـضـعـ ...ـ أـمـاـ بـابـلـ مـجـدـ الـمـالـكـ وـبـهـاءـ وـفـخـرـ الـكـلـدـانـيـنـ فـتـصـبـ كـسـلـوـمـ وـعـمـورـةـ الـلـتـيـنـ قـلـبـهـاـ اللـهـ. لـاـ يـسـكـنـ فـيـهـاـ، وـلـاـ

تعمـر من جـيل إلـى جـيل، وـلا يـنـصـبـ فيها بـدوـيـ خـيـمـهـ، وـلا يـرـبـضـ فيها رـاعـ قـطـعـانـهـ. إـفـاتـأـوـيـ إـلـيـهاـ وـحـوشـ الـقـفـرـ، وـتـعـجـ الـبـومـ خـرـائـبـهاـ، وـتـلـجـ إـلـيـهاـ بـنـاتـ النـعـامـ، وـتـتوـاـثـبـ فيهاـ [معـزـ الـوـحـشـ]ـ، وـتـعـوـيـ الضـبـاعـ بـيـنـ أـبـراـجـهاـ، وـبـنـاتـ آـوـيـ فـيـ قـصـورـهاـ الـفـخـمـةـ. إـنـ وـقـتـ عـقـابـهاـ بـاتـ وـشـيكـاـ، وـأـيـامـهاـ لـنـ تـطـولـ.

١٤: ١ : ولـكـ الـربـ [سـيرـحـ]ـ ذـرـيـةـ يـعـقوـبـ، وـيـصـطـفـيـ شـعـبـ إـسـرـائـيلـ ثـانـيـةـ، وـيـحلـهـمـ فـيـ أـرـضـهـمـ، فـيـنـضـمـ الغـرـباءـ إـلـيـهـمـ وـيـلـحـقـونـ بـيـتـ يـعـقوـبـ. وـتـمـدـ شـعـوبـ الـأـرـضـ إـلـيـهـمـ يـدـ العـونـ، وـيـصـيرـونـ عـيـدـاـ لـبـنـيـ إـسـرـائـيلـ، فـيـ أـرـضـ الـرـبـ، وـيـتـسـلـطـونـ عـلـىـ آـسـرـيـهـمـ وـظـالـمـيـهـ. فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ يـرـبـحـكـ الـرـبـ، مـنـ عـنـائـكـ وـشـقـائـكـ وـعـبـودـيـتـكـ الـقـاسـيـةـ.

١٤: ٢٣: فـسـخـرـونـ مـنـ مـلـكـ بـاـبـلـ قـائـلـينـ: " كـيـفـ اـسـتـكـانـ الـظـالـمـ؟ وـكـيـفـ خـمـدـتـ غـضـبـتـهـ الـمـعـجـرـفـةـ؟ قـدـ حـطـمـ الـرـبـ عـصـاـ الـمـنـافـقـ وـصـوـبـانـ الـمـسـلـطـيـنـ ... حـتـىـ شـجـرـ السـرـوـ وـأـرـزـ لـبـنـانـ عـمـهـاـ الـفـرـحـ، فـقـالـتـ: " مـنـذـ أـنـ انـكـسـرـتـ شـوـكـتـكـ، لـمـ يـصـعـدـ إـلـيـناـ قـاطـعـ حـطـبـ ... وـالـذـيـنـ يـرـونـكـ، يـحـمـلـقـونـ فـيـكـ وـيـتـسـاءـلـونـ: " أـهـذـاـ هـوـ إـلـيـسـانـ الـذـيـ زـعـزـعـ الـأـرـضـ وـهـزـ المـالـكـ؟! الـذـيـ حـوـلـ الـمـسـكـونـةـ إـلـىـ مـثـلـ الـقـفـرـ، وـقـلـبـ مـدـنـهـ، وـلـمـ يـطـلـقـ أـسـرـاهـ لـيـرـجـعـواـ إـلـىـ بـيـوـتـهـ؟ ... أـمـاـ أـنـتـ فـقـدـ طـرـحـتـ بـعـيـدـاـ عـنـ قـبـرـكـ، كـفـصـنـ مـكـسـوـرـ ... لـأـنـكـ خـرـبـتـ أـرـضـكـ، وـذـبـحـتـ شـعـبـكـ، فـذـرـيـةـ فـاعـلـيـ إـلـيـهـ يـبـدـ ذـكـرـهـ إـلـىـ الـأـبـدـ. أـعـدـواـ مـذـبـحـةـ لـأـبـنـائـهـ جـزـاءـ إـثـمـ آـبـائـهـ، لـثـلاـ يـقـومـواـ وـرـثـوـاـ الـأـرـضـ فـيـلـؤـواـ وـجـهـ الـبـيـسـطـةـ مـدـنـاـ. يـقـولـ الـرـبـ الـقـدـيرـ: " إـنـيـ أـهـبـ ضـدـهـمـ، وـأـمـحـوـ مـنـ بـاـبـلـ، اـسـمـاـ وـبـيـقـيـةـ وـنـسـلـاـ وـذـرـيـةـ، وـأـجـعـلـهـمـ مـيـرـاثـاـ لـلـقـنـافـذـ، وـمـسـتـقـعـاتـ لـلـمـيـاهـ، وـأـكـسـهـاـ بـمـكـنـسـةـ الدـمـارـ".

دـعـوـةـ لـلـشـمـانـةـ وـالـسـخـرـيـةـ مـنـ بـاـبـلـ بـعـدـ سـقـوطـهـ. وـدـعـوـةـ لـإـعـدـادـ مـذـبـحـةـ لـأـبـنـائـهـ؛ أـوـلـاـ: لـلـانـقـاطـمـ مـنـهـمـ لـأـفـعـلـهـ آـبـائـهـ سـابـقاـ، وـثـانـيـاـ: لـمـعـ الـأـبـنـاءـ مـنـ تـكـرـارـ فـعـلـ الـأـبـاءـ لـاحـقاـ، وـتـلـكـ هـيـ مـُـبـرـرـاتـهـمـ لـتـدـمـيرـ الـعـرـاقـ.

١٤: ٢٩: لـاـ تـفـرـحـيـ يـاـ كـلـ فـلـسـطـينـ (إـسـرـائـيلـ)، لـأـنـ القـضـيـبـ الـذـيـ ضـرـبـكـ قدـ انـكـسـرـ. فـإـنـهـ مـنـ أـصـلـ تـلـكـ الـأـفـعـيـ يـخـرـجـ أـفـعـونـ، وـذـرـيـتـهـ تـكـوـنـ ثـبـانـاـ سـاماـ طـيـارـاـ ... وـلـلـوـلـ أـيـهـاـ الـبـابـ، وـنـوـحـيـ آـيـهـاـ الـمـدـيـنـةـ، ذـوـيـ خـوـفـاـ يـاـ فـلـسـطـينـ قـاطـبـةـ، لـأـنـ جـيـشـاـ مـدـرـيـاـ قدـ زـحـفـ نـحـوكـ مـنـ الشـمـالـ ... .

وـهـذـاـ النـصـ يـحـذـرـ الـيـهـودـ مـنـ الـفـرـحـ، بـانـكـسـارـ القـضـيـبـ الـذـيـ ضـرـبـهـاـ، لـأـنـهـ فـيـ الـنـهـاـيـةـ سـيـنـهـضـ مـنـ جـدـيدـ، لـيـنـجـزـ مـاـ قـضـاهـ اللـهـ عـلـيـهـمـ. فـالـأـفـعـونـ لـاـ مـحـالـةـ خـارـجـ مـنـ أـصـلـ تـلـكـ الـأـفـعـيـ، طـالـ الزـمـانـ أـوـ قـصـرـ، وـسـيـنـفـثـ سـمـهـ فـيـ أـجـسـادـهـمـ عـنـدـ مـجـيـءـ الـمـوـعـدـ، وـذـرـيـتـهـ سـتـكـونـ أـشـدـ بـاسـاـ وـأـشـدـ تـنـكـيـلاـ.

## نبوءة عن دمار بابل من سفر إرميا:

جاء هذا النص ، تحت (مُسمى النبوة التي قضى بها الرب) ، والحقيقة أنه وثيقة للثار وتسديد للحساب القديم لمملكة بابل ، كتبه كهنةهم وأحبارهم ، بعد أن سامهم أهل بابل - في المرة الأولى - أشكالاً وألواناً من الذل والهوان والعقاب ، ولم يستطع أولئك الكهنة ، تقبل فكرة أن إلههم - الذي أرادوه حسب أهوائهم ، فجعلوه كالعجبينة بين أيديهم ، يُشكلونها كما شاءوا - يتخلّى عنهم ويسمح لأولئك البابليين الوثنيين بالقضاء على حبيبته أورشليم ، وأبنائه وأحبابه وشعب الله المختار . فكان وقع الصدمة شديداً عليهم ، حيث أتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا ، وكان غاية في البشاعة ، حتى أنهم شبّهوه في توراتهم بعذاب قوم لوط ، مما أشعل نيران الحقد والكرهية اتجاه البابليين ، التي ما زالت مشتعلة في قلوبهم إلى الآن ، بعد أن توارثوها جيلاً بعد جيل .

حَفَظَهُ التُّورَاةُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْكَهْنَةُ هُمْ أَنفُسُهُمْ مَنْ كَانَ سَيِّداً، في دمار دولتهم الأولى ، بفسادهم وإفسادهم ، وحَثَّهُمُ النَّاسُ عَلَىِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ، من حُكَّامٍ وَمُتَرْفِينَ وَعَامَةٍ، وَهُمُ الَّذِينَ كَذَبُوا، وَحَارَبُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ وَالصَّالِحِينَ مِنَ النَّاسِ، وَتَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ وَأَمْرَوْا بِقُتْلِهِمْ، لَمَّا كَانُوا يَأْتُونَهُمْ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ بِمَا يُخَالِفُ أَهْوَاءَهُمْ. وَعِنْدَمَا وَقَعَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِهِمْ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ وَأَنْكَرُوا أَنَّهُ جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ، وَأَنْكَرُوا أَنَّهُ جَاءَ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ، وَأَنْكَرُوا أَنَّهُ عَقَابٌ لَهُمْ عَلَىِ إِفْسَادِهِمْ «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَقْعُلُونَ» (13) «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَقْعُلُونَ» (14) الحشر . فخروج البابليين كان حسداً من عند أنفسهم ، ورغبة منهم للاستيلاء على كنوزهم ، لذلك كان لا بد لهم من الانتقام منهم ، عندما تردد لهم الكرة مرة أخرى ، فخطوا بأفلامهم ما مستقرره لاحقاً .

أُخْبَرَ سَبَحَانَهُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ لِلْيَهُودِ كَرَّةً عَلَىِ أَوْلَئِكَ الْعِبَادِ، وَنَسْبَ سَبَحَانَهُ رَدَّ الْكَرَّةِ إِلَىِ نَفْسِهِ، لِيُذَكِّرُهُمْ وَيُؤَذِّنَهُمْ أَنَّ مَا ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمُشِيتِهِ .

أَمَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمْرَهُمْ بِتَدْمِيرِ الْعَرَاقِ وَإِبَادَةِ أَهْلِهِ، وَتَحْوِيلِ الْعَرَاقِ إِلَىِ صَحْرَاءِ قَاحِلَةٍ تَسْكُنُهَا الشَّالِبُ، فَحَشِّا لَهُ أَنْ يَأْمُرَ أَوْ يُحرِّضَ النَّاسَ عَلَىِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ .

وَلَا يُغَيِّبُ عَنِ الْبَالِ أَنَّ هَذِهِ النَّصْ تَحْرِيْضِي، بِمَا يَحْفَلُ بِهِ مِنْ مِبَالَةٍ وَتَهْوِيلٍ، وَتَكْرَارٍ وَتَطْوِيلٍ، كُتُبٌ بَعْدِ السَّبِيِّ الْبَابِلِيِّ، قَبْلَ 2500 عَامٍ تَقْرِيباً، كَدُعْوَةٌ لِلانتِقَامِ مِنْ بَابِلِ الْقَدِيمَةِ، عَنْ عُودِهِمْ مِنْ السَّبِيِّ وَالشَّتَاتِ إِلَىِ فَلَسْطِينَ، وَإِنْ كَانَتْ بَابِلَ قَدْ وَقَعَتْ فِي أَيْدِيِ الْفَرْسِ قَدِيمًا كَمَا جَاءَ فِي التُّورَاةِ، فَمُمْلَكَةُ فَارَسْ تَقْعِدُ إِلَىِ الشَّرْقِ مِنْ بَابِلِ وَآشُورِ، وَالنَّبُوَءَةُ تَقُولُ إِنَّ مَنْ سَيُدْمِرُهَا جَمْعٌ مِنَ الْمُلُوكِ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّمَالِ .

وفي ما يلي النص الكامل لوثيقة الثأر، والدعوة لتسديد الحساب القديم لبابل الجديدة، كما جاء في الإصحاح (50-51) من سفر إرميا، بما فيها من تكرار وتطويل :

### **مسماً النبوة التي قضى بها الرب:**

#### **التحريض الإعلامي:**

”النبوة التي قضى بها الرب على بابل وعلى بلاد الكلدانيين على لسان إرميا النبي : أخِبِروا في الشعوب ، وأسْمِعوا ، وارفعوا راية ، أسمِعوا ، لا تخفوا ، قولوا : قد تم الاستيلاء على بابل ، ولحق بيبل العار ، وتحطم مردوخ (أسماء لأصنام بابل) ، خربت أصنامها ، وانسحقت أوثانها ، لأن أمّة من الشمال ، قد زحفت عليها ، لتجعل أرضها مهجورة ، شرد منها الناس والبهائم جميعاً .“

#### **التنفيذ مرتبط بعودتهم إلى فلسطين:**

”وفي تلك الأيام - يقول الرب - يتواجد بنو إسرائيل وبنو يهودا معاً، يكُون في سيرهم ويلتمسون الرب إلههم ، يسألون عن الطريق صهيون ، ويتجهون إليها قائلين : هَلْ نَضْمَ إِلَى الرب ، بعده أبدى لا يُنسى ، إنّ شعبي كفُنم ضالة قد أضلُّهم رعاتهم ، وشَرَدُوهُم على الجبال ، فناهوا ما بين الجبل والتل ، ونسوا مرضهم ، كُلُّ مَنْ وجدهم افترسهم ، وقال أعدائهم : لا ذنب علينا ، لأنهم هم الذين أخطأوا في حق الرب ، الذي هو ملاذهم الحق ، ورجاء آبائهم .“

#### **دعوة لخروج الغربياء من بابل:**

”اهربوا من وسط بابل ، واخرجوا من ديار الكلدانيين ، وكونوا كالتيوس أمام قطيع الغنم ، فها أنا أثير وأجلب على بابل حشود أعمّ عظيمة من أرض الشمال ، فيتَآلُّون عليها ، ويستولون عليها من الشمال ، وتكون سهامهم كجبار متمرس لا يرجع فارغاً ، فتصبح أرض الكلدانيين غنيمة ، وكل مَنْ يسلُّبها يُتُّخَم ، يقول الرب : لأنكم تبهجون وتطفرون غبطة يا ناهبي شعبي ، وترحون كعجلة فوق العشب ، وتصهلون كالخليل ، فإنّ أمّكم قد لحقها الخزي الشديد ، وانتابها الخجل ، ها هي تُضحي أقل الشعوب ، وأرضها تصير قفراً جافاً وصحراء ، وتظلّ باسراها مهجورة وخربة ، كُلُّ مَنْ يُمْرِّ ببابل ، يُصييه الذعر ، ويصفِّر دهشة لما ابْتُلِيت به من نكبات .“

#### **تحريض على تدمير بابل:**

”اصطفوا على بابل من كل ناحية ، يا جميع موتري الأقواس ، ارموا السهام ولا تبقوا سهماً واحداً ، لأنها قد أخطأات في حق الرب ، أطلقوا هتاف الحرب عليها من كل جانب ، فقد

استسلمت، وانهارت أُسسها، وتقوَّضت أسوارها، لأن هذا هو انتقام الرب، فاثاروا منها، وعاملوها بمثل ما عاملتكم، استأصلوا الزَّارع من بابل، والحاصل بالمنجل في يوم الحصاد، إذ يرجع كل واحد إلى قومه، ويهرب إلى أرضه فراراً من سيف العاتي .

### دوافع الانتقام:

إسرائيل قطيع غنم مشتت، طرده الأسود، كان ملك آشور أولَّ من افترسه، ونبوخذ نصر آخرَّ من هشم عظامه (كان هذا واقع حال الكهنة عند كتابة هذه الوثيقة، موضعين الدوافع، هذا التحرير)، لذلك هذا ما يعلنه الرب القدير إله إسرائيل : ها أنا أعقاب ملك بابل وأرضه، كما عاقبت ملك آشور من قبل، وأرد إسرائيل إلى مرتعه، فيرعى في الكرمل وبشان، وتشبع نفسه في جبل أفرام وجلعاد. وفي ذلك الزمان والأوان يقول الرب: يُلتمس إثم إسرائيل فلا يوجد، وخطيئة يهودا فلا تكون، لأنني أغفو عنَّ أبقيته منهما .

### التحريض مستمر:

ازحف على أرض ميراثايم، وعلى المقيمين في فقود (أرض العقاب، بابل) خَرْبٌ وَدَمَرٌ وراءهم (أثناء فرارهم)، يقول الرب، وافعل حسب كل ما أمرك به. قد عَلَّتْ جلبة القتال في الأرض، صوت تحطم عظيم، كيف تكسرت وتحطم بابل، مطرقة الأرض كلها؟ قد نصبتُ الشرك فوقعت فيه يا بابل من غير أن تشعري، قد وُجِدتِ (أخذتِ) وَقُبِضَ عليك، لأنك خاصمتِ الرب، قد فتح الرب مخزن سلاحه، وأخرج آلات سخطه (التعبير هنا أكثر دقة وبمصطلحات حديثة)، لأنه ما برح للسيد الرب القدير عمل يُنجزه في ديار الكلدائين، ازحفوا عليها من أقصى الأرض، وفتحوا أهراها، وكوّموها أعراماً، واقضوا عليها قاطبة، ولا تتركوا منها بقية، اذبحوا جميع ثيرانها، أحضروها للذبح، وَبَلْ لهم لأن يوم موعد عقابهم قد حان .

### التحريض الإعلامي (تكرار):

اسمعوا، ها جلبة الفارين الناجين، من ديار بابل ليذيعوا في صهيون أنباء انتقام الرب إلينا والثأر لهيكله، استدعوا إلى بابل رماة السهام، جميع موتي리 القسي، عسكروا حولها فلا يُقتل منها أحد، جازوها بعُتُضى أعمالها، واصنعوا بها كما صنعت بكم، لأنها باغت على الرب قدوس إسرائيل، لذلك يُصرع شبابها في ساحاتها، وبيد في ذلك اليوم جميع جنودها، يقول الرب. ها أنا أقاومك أيتها المتغطرسة، يقول الرب القدير، لأن يوم إدانتك، وتنفيذ العقاب فيك قد حان، فيتعثر المُتغطرس ويُنكبو، ولا يجد من يُهضمه، وأضرم ناراً في مُدنه فتلتهم ما حوله .

## دوافع الانتقام (تكرار):

• وهذا ما يعلنه رب القدير: قد وقع الظلم على شعب إسرائيل (عقابهم من قبل بابل كان ظلماً لهم)، وعلى شعب يهودا، وجميع الذين سبوا بهم وتشبّثوا بهم ولم يطلقواهم، غير أن فاديهم قوي، رب القدير اسمه، وهو حتماً يُدافع عن قضيتهم، لكي يُشيع راحة في الأرض، ويُقلق أهل بابل. ها سيف على الكلدانين، يقول رب و على أهل بابل، وعلى أشرافها وعلى حكامها.

## طبيعة العقاب اليهودي لبابل:

• ها سيف على عرائفها فيصيرون حمقى، وهـا سيف على محاريبها فيمثلون رعباً. هـا سيف على خيلها وعلى مرکباتها، وعلى فـرق مـرتزقـها فيصـيـرون كالنسـاء، هـا سـيفـ على كـوزـها فـتـهـبـ، هـا الحـرـ على مـياـهـاـ فيصـيـبـهاـ الجـفـافـ لأنـهـاـ أـرـضـ أـصـنـامـ، وـقـدـ أـولـعـ أـهـلـهاـ بالـأـوـثـانـ. لـذـلـكـ يـسـكـنـهاـ وـحـشـ القـفـرـ معـ بـنـاتـ آـوـىـ، وـتـأـوـيـ إـلـيـهـاـ رـعـالـ النـعـامـ، وـتـظـلـ مـهـجـورـةـ إـلـىـ الأـبـدـ. غـيرـ آـهـلـةـ بـالـسـكـانـ إـلـىـ مـدـىـ الـدـهـرـ. وـكـمـاـ قـلـبـ اللـهـ سـدـومـ وـعـمـورـةـ وـمـاـ جـاـوـرـهـاـ، هـكـذـاـ لـنـ يـسـكـنـ فـيـهاـ أـحـدـ، أـوـ يـقـيـمـ فـيـهاـ إـنـسـانـ.

## لـفـيفـ منـ الـمـلـوـكـ لـتـدـمـيرـهـاـ:

• هـاـ شـعـبـ مـقـبـلـ منـ الشـمـالـ، أـمـةـ عـظـيـمةـ وـلـفـيفـ منـ الـمـلـوـكـ، قـدـ هـبـواـ منـ أـقـاصـيـ الـأـرـضـ، يـمـسـكـونـ بـالـقـسـيـ وـيـتـقـلـدـونـ بـالـرـماـحـ، قـسـاـةـ لـاـ يـعـرـفـونـ الرـحـمـةـ، جـلـبـتـهـمـ كـهـدـيرـ الـبـحـرـ، يـمـطـلـونـ الـخـيـلـ، وـقـدـ اـصـطـفـواـ كـرـجـلـ وـاحـدـ لـحـارـبـتـكـ يـاـ بـنـتـ بـاـبـلـ، قـدـ بـلـغـ خـبـرـهـمـ مـلـكـ بـاـبـلـ، فـاسـتـرـخـتـ يـدـهـ وـاـنـتـابـتـهـ الضـيـقةـ، وـوـجـعـ اـمـرـأـةـ فـيـ مـخـاضـهـاـ. انـظـرـ، هـاـ هوـ يـنـقـضـ عـلـيـهـاـ، كـمـاـ يـنـقـضـ أـسـدـ مـنـ أـجـمـاتـ نـهـرـ الـأـرـدنـ، هـكـذـاـ وـفـيـ لـحظـةـ أـطـرـدـهـمـ مـنـهـاـ، وـأـوـلـيـ عـلـيـهـاـ مـنـ أـخـتـارـهـ. لـأـنـهـ مـنـ هـوـ نـظـيرـيـ؟ وـمـنـ يـحـاكـمـنـيـ؟ وـأـيـ رـاعـ يـقـوـيـ عـلـىـ مـوـاجـهـتـيـ؟ـ (منـ مـنـظـلـقـ العـنـجـهـيـةـ وـالـقـوـةـ الـعـمـيـاءـ).

## خطـةـ الـرـبـ لـإـسـقـاطـ بـاـبـلـ:

• لـذـلـكـ اـسـمـعـواـ مـاـ خـطـطـهـ الـرـبـ ضـدـ بـاـبـلـ (بلـ مـاـ خـطـطـهـ وـدـبـرـهـ عـمـيـانـ الـقـلـبـ وـالـبـصـيرـةـ، مـنـ كـهـتـهـمـ وـأـحـبـارـهـ الـحـاقـدـينـ)، وـمـاـ دـبـرـهـ ضـدـ دـيـارـ الـكـلـدـانـيـنـ، هـاـ صـفـارـهـمـ يـجـرـوـنـ جـرـآـ، وـيـخـربـ مـساـكـنـهـمـ عـلـيـهـمـ. مـنـ دـوـيـ أـصـدـاءـ سـقـوـطـ بـاـبـلـ تـرـجـفـ الـأـرـضـ، وـيـتـرـدـدـ صـراـخـهـ بـيـنـ الـأـمـمــ.

• وهذا ما يـعلـنـهـ الـرـبـ: هـاـ أـنـاـ أـثـيـرـ عـلـىـ بـاـبـلـ، وـعـلـىـ الـقـيـمـيـنـ فـيـ دـيـارـ الـكـلـدـانـيـنـ رـيـحاـ مـهـلـكـةـ، وـأـبـعـثـ إـلـىـ بـاـبـلـ مـنـزـلـيـنـ يـنـذـرـونـهـاـ، وـيـجـعـلـونـ أـرـضـهـاـ قـفـراـ، وـيـهـاجـمـونـهـاـ مـنـ كـلـ جـانـبـ.

في يوم بليتها . ليوتر (يُذَخِّر) الرامي قوسه وليتدرج سلاحه ، لا تغفوا عن شُبّانها ، بل أبدوا كل جيشها إبادة كاملة ، يتراكم القتلى في أرض الكلدانين ، والجرحى في شوارعها ، لأن إسرائيل وبهذا لم يهملها ربُّ القدير ، وإنْ تكون أرضهما تفيضُ بالأثم ضدَّ قدوس إسرائيل (ربِّهم معهم دائمًا حتى لو وصل إفسادهم عنان السماء) .

### دعوة لخروج الغرباء من بابل (تكرار):

ـ اهربوا من وسط بابل ، ولنجُّ كل واحد بحياته ، لا تبدوا من جراء إنتمها ، لأن هذا هو وقت انتقام رب ، وموعد مُجازاتها ، كانت بابل كأس ذهب في يد الله (الثروة والقوة) ، فسُكِرت الأرض قاطبة ، تجُّرعت الأمم من خمرها ، لذلك جُنِّت الشعوب . فجأة سقطت بابل وتحطم ، فَوَلَوْلُوا عليها ، خذوا بسلاماً لجرحها علها تبراً . فُمنا بمداواة بابل ، ولكن؛ لم ينجع فيها علاج . اهجروها ، ولم يمض كُلُّ واحد منا إلى أرضه ، لأن قضاءها قد بلغ عنان السماء ، وتصاعد حتى ارتفع إلى الغيوم .

### تحریض الماديين على تدمير بابل:

ـ قد أظهر رب برنا ، فتعالوا النذيع في صهيون ما صنعه رب إلينا . سُنوا السهام ، وتقلدوا الترس ، لأن رب قد أثار روح ملوك الماديين (الإيرانيين) ، إذ وطد العزم على إهلاك بابل ، لأن هذا هو انتقام رب ، والثار لهيكله . انصبو راية على أسوار بابل ، شددوا الحراسة ، أقيموا الأرصاد أعدوا الكماش ، لأن رب قد خطط وأنجز ما قضى به على أهل بابل ، أيتها الساكنة إلى جوار المياه الغزيرة ، ذات الكنوز الوفيرة ، إن نهايتك قد أزفت ، وحان موعد اقتلاعك ، قد أقسم رب القدير بذلك ، قائلاً: لأملأتك أناساً كالغوغاء ، فتعلو جلبهم عليك .

### قدرة رب القدير سيُتم تدمير بابل:

ـ هو الذي صنع الأرض بقدرته ، وأسس الدنيا بحكمته ، ومدَّ السماوات بفتحته ، ما إن ينطق بصوته ، حتى تجتمع غمار المياه في السماوات ، وتصعد السحب من أقصى الأرض ، ويجعل للمطر بروقاً ، ويُطلق الريح من خزائنه ، كل أمرٍ خامل وعديم المعرفة ، وكل صائغ خزيٍّ من تمثاله ، لأن صنم المسبوك كاذب ولا حياة فيه ، جميع الأصنام باطلة وصنعة ضلال ، وفي زمن عقابها تبید . أما نصيب يعقوب فليس مثل هذه الأوثان ، بل جابل كل الأشياء . وشعب إسرائيل ميراثه ، واسم رب القدير ، أنت فأس معركتي وألة حربي ، بك أمزق الأمم إرباً ، وأحطم مالك ، بك أجعل الفرس وفارسها أشلاء ، وأهشم الملكة وراكبها ، بك أحطم الرجل والمرأة ، والشيخ والفتى والشاب والعذراء ، بك أسحق الراعي وقطيعه ، والحارث وفداه والحكام والولاة .

## **خطيئة بابل في حق صهيون:**

· سُجّاري بابل وسائر الكلدانين على شرّهم الذي ارتكبوه في حق صهيون، على مرأى منكم، يقول رب . ها أنا أقلب عليك أيها الجبل المخرب، أنت تُفسد كل الأرض، لذلك أمدّ يدي عليك، وأدحر جك من بين الصخور، وأجعلك جبلاً محترقاً، فلا يقطع منك حجر لزاوية، ولا حجر يوضع لأساس ، بل تكون خراباً أبداً، يقول رب .

## **تحريض الأمم والممالك على تدمير بابل (تكرار):**

· انصبوا راية في الأرض، انفخوا في البوّق بين الأمم، أثيروا عليها الأمم لقتالها، وألّبوا عليها مالكَ أراط ومتى وأشكانز (تركيا وما حولها)، أقيموا عليها قائداً، أجعلوا الخيل تزحف عليها، كجحافل الجنادب الشرسة . أثيروا عليها الأمم وملوكَ الماديين، وكل حكامِهم وولاتهم وسائر الديار التي يحكمونها . الأرض ترتجف وتتشعر، لأن قضاء رب على بابل يتم، ليجعل أرض بابل خراباً وقراً .

## **أهل بابل بيدر، أزف موعد حصادة:**

· قد أحجم مُحاربو بابل الجبارية عن القتال، واعتصموا في معاقلهم، خارت شجاعتهم وصاروا كالنساء، احترق تمساكن بابل وتحطم مزيجها، يركض عداءً للاقاء عداء آخر، ويسرع مُخبر للقاء مُخبر، ليبلغ ملك بابل أن مديته قد تم الاستيلاء عليها من كل جانب، قد سقطت المعابر، وأحرقت أجمات القصب بالنار، واعتري المحاربين الذعر، لأن هذا ما يُعلنه رب القدير إله إسرائيل: أنَّ أهل بابل كالبيدر، وقد حان أوان درس حنطته، وبعد قليل يأذف موعد حصادهم .

## **دوافع الانتقام (تكرار):**

· يقول المسيؤن: قد افترسنا نبودن نصر ملك بابل، وسحقنا وجعلنا إناءً فارغاً، ابتلعنا كتئين، وملا جوفه من أطايينا، ثم لفظنا من فمه . يقول أهل أورشليم: ليحلّ ببابل ما أصابنا، وما أصاب لحومنا من ظلم ، وتقول أورشليم: دمي على أهل أرض الكلدانين . (مطالبة بالثار مستقبلاً من الأجيال القادمة).

## **خطوات التنفيذ:**

· لذلك هذا ما يُعلنه رب: ها أنا أدفع عن دعواك وأنتقم لك، فاجفف بحر بابل وبنابيعها، فتصير بابل ركاماً، وماوى لبنيات آوى، ومثار دهشة وصفير وأرضاً موحشة، إنهم يزأرون كالأسود، ويُزمجون كالأشبال عند شبعهم، أعدّ لهم مأدبة، وأسکرهم حتى

تأخذهم نشوة، فيناموا نوماً أبداً لا يقظة منه، يقول الرب. وأحضرهم كالحملان للنبح، وكالكباش والتيوس .

### المصير المرعب الذي كان اليهود يتمنونه لبابل حتى الآن:

ـ كيف استولى على بابل؟! كيف سقطت فخر كل الأرض؟! كيف صارت بابل مثار دهشة بين الأمم؟! قد طغى البحر على بابل، فغمّرها بأمواجه الهائجة، وأصبحت مدنها موحشة، وأرض قفر وصحراء، أرض لا يأوي إليها أحد، ولا يجتاز بها إنسان، وأعاقب الصنم بيل في بابل، وأستخرج من فمه ما ابتلعه، فتكف الأمم من التوافد إليه، وينهدم أيضا سور بابل .

### دعوة أخرى لخروج الغرباء من بابل (تكرار):

ـ أخرجوا من وسطها يا شعبي، ولنجُ كل واحد بحياته، هرباً من احتدام غضب الرب، لا تخرّّلواكم ولا تفزعوا، مما يشيع في الديار من أبناء، إذ تروج شائعة في هذه السنة، وأخرى في السنة التالية، ويسود العنف الأرض، ويقوم مُسلط على مُسلط. لذلك ها أيام مُقبلة، أعقاب فيها أصنام بابل، ويلحق العار بأرضها كلها، وتساقط قتلها في وسطها، عندئذ تغنى بسقوط بابل السماوات والأرض وكل ما فيها، لأن المُدمرين يتقاطرون عليها من الشمال، يقول الرب .

### المستهدف هو شعب بابل:

ـ كما صرعت بابل قتلى إسرائيل، هكذا يُصرع قتلى بابل في كل الأرض (السُّنُ بالسُّنَّ والعين بالعين)، يا أيّها الناجون من السيف، اهربوا، لا تقروا، اذكروا الرب في مكانكم بعيد، ولا تبرح أورشليم من خواطركم. قد لخنا الخزي لأننا استمعنا للإهانة، فكسا الخجل وجوهنا (إساءة الوجه)، إذ انتهك الغرباء (أي البابليون) مقادس هيكل الرب (بعدم حوله الكهنة إلى بورصة للتباولات التجارية الروبية، حسبما ذكر أنبياؤهم) .

ـ لذلك ها أيام مُقبلة، يقول الرب، أُنذر فيها قضائي على أصنام بابل، ويشنّ جرحها في كل ديارها، وحتى لو ارتفعت بابل فبلغت عنان السماء، وحتى لو حصلت معاقلها الشامخة، فإن المُدمرين ينقضون عليها من عندي، يقول الرب .

### المصير المرعب الذي كان اليهود يتمنونه لبابل حتى الآن (تكرار):

ـ ها صوت صراغ يتردد في بابل، صوت جلبة دمار عظيم، من أرض الكلدانين، لأن الرب قد خرب بابل، وأخرس جلبتها العظيمة، إذ طفت عليها جحافل أعدائها، كمياه

عجاجة، وعلا ضجيج أصواتهم، لأن المدمر قد انقض على بابل، وأسر مُحاريبها، وتكسرت كل قسيئها، لأن الرب إله مُجازاة، وهو حتماً يحاسبها، إني أُسکر رؤساه وحكماءها ومحاريبها، فينامون نوماً أبداً لا يقظة منه، ...، وهذا ما يُعلنه الرب القدير: إن سور بابل العريض، يُقوَّض ويُسوَّى بالأرض، وبواباتها العالية تخترق بالنار، وينذهب تعب الشعوب باطلأً، ويكون مصير جهد الأمم للنار .

وكان إرميا قد دون في كتاب واحد جميع الكوارث التي ستُبلى بها بابل، أي جميع النبوءات المدونة عن بابل، (وأرسله إرميا إلى بابل وقال لحامله): " حالما تصل إلى بابل ، اعمل على تلاوة جميع هذه النبوءات ، وقل : أيها الرب ، قد قضيتَ على هذا الموضع بالانقراض ، فلا يسكن فيه أحد من الناس والبهائم ، بل يُصبح خراباً أبداً " ، ومتى فرغت من تلاوة هذا الكتاب اربط به حجراً واطرحه في وسط الفرات ، وقل : " كذلك تفرق بابل ، ولا تطفو بعد ، لما أوقعه عليها من عقاب ، فيعيَا كل أهلها " .

هذه الوثيقة المرعبة التي خطّها مؤلفو التوراة ، على أنها عقوبة الله لبابل ، ما هي إلا العقوبة التي تنتظرهم مستقبلاً ، ولكنهم أرادوها لبابل ، وتقذوا فصولها ، فصلاً تلو الآخر ، وهم يسعون الآن من وراء الكواليس لتنفيذ بقية فصولها .

#### نبوءة عن سقوط بابل من سِفر الرؤيا ليوحنا :

قلنا في السابق إن إنجيل يوحنا ورؤياه ، لا بد أن تكون أسفاراً توراتية ، وكان من المفروض أن تكون ملحقة بالتوراة ، ولكنها أُسقطت في وقت متأخر ، بعد أن تم التلاعب فيها من قبل اليهود ، فلتلقّفها النصارى ، وضمّوها إلى الإنجيل أثناء جمعه وتحريفه ونسخه ، وليس أدلة على ذلك من تكرار نصوص الوثيقة السابقة من سفر إرميا في التوراة ، بالأفكار والعبارات أنفسها تقريباً ، ولكن ؛ بدرجة أقل من المبالغة والتهويل والتطويل ، في سِفر الرؤيا الملحق بإنجيل النصارى .

١٨ - : بعد هذا رأيت ملاكاً آخر ، نازلاً من السماء ، ... ، وصاح بأعلى صوته : " سقطت بابل ، سقطت بابل العظمى ، وصارت وكراً للشياطين ، ومؤوى لكل روح نجس ، ... ، ثم سمعت صوتاً آخر ، يُنادي من السماء : " أخرجوا منها يا شعبي ، لثلاثة شتر كانوا في خطايها ، فصاiblyاها ، فقد تراكمت خطايها حتى بلغت عنان السماء ، وتذكّر الله ما ارتكبته من آثام . افعلنوا بها كما فعلت بكم ، وضاعفوا لها جزاء ما اقترفت ، .... ستنتقضّ عليها البلايا في يوم واحد ، من موت وحزن وجوع ، وستخترق بالنار فإن الله الذي يُدينها ، هو ربُّ قادر " .

- ١٨ - ٩ : وسيكى عليها ملوك الأرض ، الذين زنوا وترفهوا معها ، وسينحوون وهم ينظرون إلى دخان حريقها ، فيقفون على بُعد منها ، خوفاً من عذابها ، وهم يصرخون : الويل ، الويل ، أيتها المدينة العظمى ، بابل القوية ! في ساعة واحدة حلَّ بك العقاب ! .
- ١٨ - ١٢ - ١٧ : وسيكى تُجَارَ الأرض ، ويحزنون عليها ، ... ، هؤلاء التجار الذين اغتروا من التجارة معها ، يقفون على بُعدِ منها ، خوفاً من عذابها ، ي يكون عليها وينتحبون ، قائلين : الويل ، الويل ، على المدينة العظمى ، ... ، وقد زال هذا كله في ساعة واحدة ! .
- ١٨ - ١٩ : ويقف قادة السفن وركابها وملائحتها على بُعدِ منها ، ينظرون إلى دُخان حريقها ، أية مدينة مثل هذه المدينة العظمى ؟ ويدرون التراب على رؤوسهم ، وهم يصرخون باكين متหجين : الويل ، الويل ، على المدينة العظمى التي اغتنى أصحاب سفن البحر جميعاً بفضل ثروتها ! ها هي في ساعة واحدة قد زالت ! .
- ١٨ - ٢٠ : اشمتى بها أيتها السماء ! واشتموا بها أيها القديسون والرسل والأنباء ، فقد أصدر الله حكمه عليها بعد أن أصدرت أحكامها عليكم .
- ١٨ - ٢١ - ٢٤ : وتناول ملوك قوي حجراً كأنه حجر طاحونة عظيم ، وألقاه في البحر ، قائلاً : هكذا تُدفع وتُطرح بابل المدينة العظمى ، فتخفي إلى الأبد ! لن يسمع فيك عزف موسيقى بعد ، ... ، ولن تقوم فيك صناعة بعد الآن ، ولن يسمع فيك صوت رحى ، ولن يُضيء فيك نور مصباح ... فقد كان تُجَارُك سادة الأرض ، وبسحرك ضللَت جميع أمم الأرض . وفيها وُجدت دماء أنبياء وقديسين وجميع الذين قُتلوا على الأرض .
- ١٩ - ١ : وبعد هذا سمعت صوتاً عالياً ، ... يقول : هللويا ! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلينا ! فإن أحكامه حق وعدل ، لأنَّه عاقب الزانية الكبرى ، التي أفسدت الأرض ، وانتقم لدم عبيده منها .
- الحقيقة أن هذه النبوة تتحدث عن دولة عظمى في العصر الحاضر ، تصاهي عظمة بابل القديمة وقوتها ، تقع على البحر ، أغنت التجار في البر والبحر ، وهي أم الصناعة وتُجَارُها سادة الأرض ، والملوك قد زنوا وترفهوا معها ، وفيها دماء جميع من قتل على الأرض .
- فماذا تصف هذه النصوص في الواقع ؟ ! تصف حال أمريكا بقوتها الاقتصادية والعسكرية ، وما أحدثه في هذا العصر من فساد وإفساد ، وسفك للدماء في مشارق الأرض ومغاربها ، فهي تحكم الكرة الأرضية بأسرها ، ونصبت نفسها كإله يُعبد ويُقدس ، فهي تحدد

في تقارير وزارة خارجيتها، مَنْ أصلح وَمَنْ أفسد، وَمَنْ حافظ على الحقوق وَمَنْ هضمها، وَمَنْ أرعب وَمَنْ لم يرهب. وعلى قائمة مقاطعاتها الاقتصادية حوالي 46 دولة، فهي المُنعم والمُكرِّم والمُفضَّل على خلق الله، والكلُّ يخطب وَدَّ ورضا هذه الآلهة الجديدة، وأما كلمة بابل في هذه النص إما أن تكون أضيفت عن قصد من قبل الكهنة، بسبب الحقد والكراهية والرغبة في الانتقام من بابل، وإما أن تكون قد استُخدمت لترمز إلى الدولة العُظمى في هذا العصر. ولو حذفتَ كلمة بابل ووضعتَ كلمة أمريكا لوجدت أن النص سُيُّبِح أكثر صدقًا وتطابقًا مع الواقع.

ولكنَّ أغلب المفسِّرين الجدد من النصارى بوجه خاص - كما تشير الكاتبة الأمريكية غريس هالسل - يأخذون بالتفسير اللغطي للمسِّيميات التي جاءت في النصوص التوراتية والإنجيلية، ويقدمون شروحاتهم وتفسيراتهم لنصارى الغرب من ساسة وعامة، على نحو مغاير لما تُخبر عنه النصوص حقيقة، فبابل القديمة أينما جاءت في النصوص تعني بالنسبة لهم بابل الجديدة أي العراق، بالرغم من أن النصوص تصف دولة عظمى هي أقرب إلى أمريكا منها إلى العراق، وتؤوي بأن لفظ بابل استُخدام كاستعارة لفظية.

أما اليهود فهم يعلمون حقيقة ما تُخبر عنه النصوص، وبيان الدمار القادم والذي تُخبر عنه النصوص سيكون لهم ولأمريكا، ولكنهم يستغلون الفهم الخاطئ والمضطرب للنصارى، لخدمة أغراضهم ومخطباتهم الشيطانية، ولحماية أنفسهم من الأخطار المحدقة بهم. فهم متّفقون على أن هذه النبوءات تتحدث عن تدمير لبابل الجديدة، وبما أنها جاءت تحريرية بصيغة الأمر، فقد اتحدوا لتنفيذ ما قضى به الرب على بابل، فالحرب عليها حرب مُقدّسة، لأنهم موقنون تماماً بأن بقاءها يعني حتمية زوالهم، فانظر ماذا فعلوا وما سيفعلون!!

## الفصل الثاني:

### ﴿ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسِّجَدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

تبين لنا من خلال هذه القراءة الجديدة، في تاريخبني إسرائيل ، في القرآن والسنة والتوراة والتلمود أن اليهود على يقين بأن البابليين هم أصحاب البعث الأول، وبناءً على ذلك، فهم أصحاب البعث الثاني. وظننا منهم بأنهم قادرون على مخالفه أمر الله، بمن تحقق البعث الثاني، خططوا، ونفذوا، وما زالوا يخططون لدرء خطر هذا البعث الموعودين به، بإبادة أصحابه بشتى الوسائل والسبل، لقناعتهم بأن بقاء دولتهم يتحتم عليه محوبابل وأهلها عن خريطة العالم.

#### حقيقة ما يضممه الغرب للعراق:

دأبت أمريكا ومن سار في ركابها على إعلان عدائها لقيادة العراق الحالية، والرغبة في إسقاطها، وجعلت من بقاء القيادة العراقية على سدة الحكم في بغداد، وسابقتها في غزو الكويت، مثالاً لعدوانية هذه الحكومة وخطورتها على جيرانها، وذرعية لإدامه الحصار لتجريد العراق من مقومات وجوده. ليصل العالم والشعب العراقي إلى قناعة بأن المستهدف حقيقة من وراء الإصرار الأمريكي على إبقاء الحصار مفروضاً على العراق، هي القيادة العراقية الحالية، بتوجهاتها العدوانية ضد جيرانها، مما يهدد أمن منطقة الخليج الحيوية للعالم، وبإسقاط هذه القيادة ستنعم منطقة الخليج بالأمن مجدداً، حسب الرؤى الأمريكية.

ومع أن أمريكا لا تبدي أدنى اهتمام بمصير الشعب العراقي ، بل على العكس من ذلك، كان وما زال بعض مسؤوليها من اليهود يُبدون سعادة عارمة ، بلا خجل أو مواربة ، بوقوع المزيد من الضحايا في العراق ، حيث الغالية العظمى من الأطفال الذين سقطوا من جراء نقص الأدوية والغذاء ، حين تصرح وزيرة الخارجية الأمريكية (أولبرايت) ، في حوار صحفي في محطة (CBS) : بأن تسبب أمريكا بموت نصف مليون طفل عراقي "أمر يستحق العناء" ، إلا أن العالم أجمع ، والشعب العربي وحتى الشعب العراقي ، لم يبحث عن دوافع ، هذا العداء الأمريكي للعراق .

“إِشْعَيَاٰ : ١٣ - ١٦ : كُلُّ مَنْ يُؤْسِرُ يُطْعَنُ، وَكُلُّ مَنْ يُقْبَضُ عَلَيْهِ يُصْرَعُ بِالسَّيْفِ، وَيُمْزَقُ أَطْفَالَهُمْ عَلَى مَرَأَيِّهِمْ، وَتُهْبَطُ بَيْوَتَهُمْ، وَتُغْتَصَبُ نِسَانَهُمْ”.

“إِشْعَيَاٰ : ١٤ - ٢٣ : فَذَرْيَةٌ فَاعِلٌ لِلْإِثْمِ يَبْدِي ذِكْرَهَا إِلَى الْأَبْدِ. أَعْدَوْا مَذْبَحَةً لِأَبْنَائِهِ جَزَاءً إِثْمَ أَبَانَهُمْ، لَثَلَّا يَقُومُوا وَيَرْثُوا الْأَرْضَ فَيَمْلَأُوهَا وَجْهَ الْبَسِيْطَةِ مُدْنَاً. يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ : إِنِّي أَهُبُّ صَدَّهُمْ، وَأَمْحُو مِنْ بَابِلَ، اسْمًا وَيَقِيَّةً وَنَسْلًا وَذَرِيَّةً، وَأَجْعَلُهُمْ مِرَايَاً لِلْقَنَافِذِ، وَمُسْتَقْعِدَاتٍ لِلْمَيَاهِ، وَأَكْنَسَهَا بِمَكْسَنَةِ الدَّمَارِ”.

“وَهَذَا مَا يُعْلَمُنَا الرَّبُّ : هَا أَنَا أُثْيِرُ عَلَى بَابِلَ، وَعَلَى الْمُقِيمِينَ فِي دِيَارِ الْكَلْدَانِيِّينَ رِيحًا مُهْلِكًا، وَأَبْعَثُ إِلَى بَابِلِ مُذْرِيْنَ يُذْرَوْنَا، وَيَجْعَلُونَ أَرْضَهَا قَفْرًا، وَيُهَا جَمُونُهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي يَوْمٍ بَلِيَّهَا. لِيَوْتَرُ (يُنْدَخِرُ ) الرَّامِي قَوْسَهُ وَلِيَتَدَجَّجَ بِسَلَاحِهِ، لَا تَعْفُوا عَنْ شَبَانَهَا، بَلْ أَبْيَدُوا كُلَّ جَيْشَهَا إِيَادَةً كَامِلَةً، يَتَسَاقِطُ الْقَتْلَى فِي أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ، وَالْجَرْحَى فِي شَوَارِعِهَا (مِنْ الْمَدِينَيْنِ طَبِيعًا) .”

وباستجابة (أولبرait)، والجوقة اليهودية كافة ، في الإدارات الأمريكية المتعاقبة لأوامر الرب القدير الواردة في التوراة، نرى أن الذي نزل - وينزل - على شعب العراق يطابق - أو يزيد - على ما أنزله البابليون باليهود في المرة الأولى ، فهل يكون العراقيون هم من ردّت الكرة عليهم ، كما قال الله تعالى : « ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرْهَةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْتَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا » ؟ (٦ الإسراء)

ولو عدنا إلى كامل النصوص التوراتية ، ونظرنا إلى ما يجري حقيقة على أرض الواقع ، لتبيّن لنا أن المستهدف الحقيقي هو العراق لإيمان اليهود بأنه أرض البعث ، والشعب العراقي لأنّه يحمل صفة أهل البعث .

فالمعضلة الأساسية لدى الغرب - الملوك من قبل اليهود - هي وجود عراق قوي وقدر ، فكما صدق نبوءات التوراة - في عودتهم من الشتات إلى فلسطين . فهم يخشون أيضاً ، صدق النبوءات الأخرى فيما تصفه في نصوص عديدة ، من عقاب حتى ، غاية في البشاعة ، سينزل بهم بعد العودة إليها ، من قبل أصحاب البعث الأول ، بالرغم مما أضيف إليها من نصوص قليلة مُضَلَّة ، لا تُسْمِنُ و لا تُغْنِي من جوع ، تُخْبِرُ عن ملكهم الأبدي ، تبعث في تخبّطها وعدم منطقيتها في نفوسهم القلق أكثر مما تبعث على الطمأنينة . ليجد اليهود أنفسهم مُلَمَّين ، بتسيير إمكانياتهم كلها ، دون كلام أو ملل لدفع قادة الغرب إلى القضاء المبرم على العراق ، كما هي عادتهم دائماً وأبداً ، يدفعون الآخرين لخوض حروبهم نيابة عنهم ، مذ طلبوا

من موسى وريه الذهاب للقتال عليهم، وحتى حربهم الأخيرة على العراق، التي خاضتها وما زالت تخوضها - أمريكا وبريطانيا في العلن، وغيرها في الخفاء، وال الحرب الوحيدة التي كسبها اليهود منفردين في مواجهة جيش هي عند دخولهم فلسطين مع طالوت في المرة الأولى، وكان ذلك بتأييد من الله للقلة المؤمنة، ويشجاعة نبي الله داود - عليه السلام - فالمسألة لديهم مسألة حياة أو موت .

### الخيارات القائمة أمام اليهود لدرء الخطر العراقي:

العمل علىبقاء الحصار على ما هو عليه ما أمكنهم ذلك ، ومنع أي محاولة لتفكيكه أو إضعافه . والاستمرار في نهب ثروات العراق ، وحرمانه من تطوير أسلحته وتجديدها .  
محاولة إسقاط القيادة العراقية ، عن طريق إحداث فتن وثورات داخلية ، أو عن طريق مواجهة عسكرية واسعة النطاق ، بعد خلق المبررات لها .

ضرب العراق نووياً كخيار آخر ، وهذا الاحتمال غير قائم حالياً ، حيث أنه مرفوض عالمياً ، فمثل هذا الأمر ، سيؤلّب العالم بأسره ضد أمريكا ومؤيديها . ولكنَّ هذا الاحتمال سيقوى ، في حال أخفقت الخيارات السابقة ، وخاصة عند امتلاك أمريكا لل الدرع المضاد للصواريخ الباليستية .

والسؤال الآن :

### هل من الممكن أن يكون هناك ضربة نووية للعراق ؟

جاء في سِفْر الرُّؤْيَا مَا نَصَهُ : " وَسَكَبَ الْمَلَكُ السَّادِسُ كَأْسَهُ عَلَى نَهْرِ الْفَرَاتِ الْكَبِيرِ ، فَجَفَّ مَاؤُهُ ، لِيُصِيرَ مَرْأَةً لِلْمُلُوكِ الْقَادِمِينَ مِنَ الْشَّرْقِ " .

أما في الْسُّنْنَةِ النَّبُوَّيَّةِ فقد جاء ما نَصَهُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذُهُ شَيْئًا " . رواه البخاري ، وأخرجه مسلم والترمذى ، وأبو داود وابن ماجه وأحمد . وفي نص آخر من روایة مسلم : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ " ، يحسر أي ينكشف عن .

يُخبر النص في سِفْر الرُّؤْيَا أن شيئاً ما سيسكب على نهر الفرات ، فيجف ماؤه ، ويُخبر الحديث الصحيح عن انحسار الفرات عن كنز من ذهب ، قبل قيام الساعة ، وانحسار الفرات يعني ذهاب ماءه ، فهل سيكون جفافه نتيجة لما تنتجه الأسلحة النووية من حرارة شديدة عند انفجارها؟

يقول فتحي خطاب وهو صحفي من القاهرة في مقال له في جريدة العرب اليوم الأردنية (في أوائل الشهر الثالث من عام 2001، على الأغلب) : « حذر خبراء عسكريون من مخطط عسكري أمريكي إسرائيلي يستهدف فرض السيطرة المطلقة على المنطقة، وتطبيق ما يُعرف في (البتاغون) بخطة إعادة دمج المنطقة عسكرياً وأمنياً ... وأن توجّه (شارون) لاستحداث وزارة تُعنى بتطوير الأسلحة النووية، وأسلحة الدمار الشامل، واستحداث وزارة للشؤون الاستخباراتية، في سابقة هي الأولى من نوعها، يأتي في إطار ما تفرضه ضرورات نظام الحماية الأمنية الجديد ... وكشف الخبراء العسكريون في مصر عن الترتيبات الأمريكية لإنشاء أكبر شبكة صاروخية في منطقة الخليج العربي، تتمتع بمدى قتالي واسع يشمل العراق وإيران ودول أخرى، بالإضافة إلى مناطق شمال إفريقيا والبحر الأحمر. لضمان أمن منطقة الخليج، وملاحقة الطائرات المُنيرة، والتدمر السريع لأية أهداف معادية .

وأكّد الخبراء أن وزير الخارجية الأمريكي (كولن باول) حصل على موافقة دول خليجية... على إنشاء الشبكة التي سيتم تزويدها بأحدث أجهزة الاتصالات الحديثة والإذار المبكر، التي ستكون لها القدرة على التعامل السريع مع العمليات الطارئة، وقدرة على منع إصابة الشبكة بأي خلل أثناء العمليات العسكرية . وسوف تتحمل دول الخليج النصيب الأكبر من تكلفة مشروع هذه الشبكة الصاروخية، وأن هناك مشاورات واتصالات عسكرية للترتيب لإنشاء هذه الشبكة، ولإعداد التفصيلات الفنية المتعلقة بها ... وحذر الخبراء من المخطط العسكري الإسرائيلي لضرب العراق بالقنابل النيترونية ، والتي سيتم إطلاقها على منطقة غرب العراق وفق إعلان (شارون). التي تُعد نقلة نوعية في التسلح بالمنطقة ...

وأوضح العالم الفيزيائي الدكتور طارق النمر بقوله : « إن القنابل النيترونية النووية هي قنابل إشعاعية ذات أحجام مختلفة ، منها أسطوانات إبرية في حجم القلم ، و تستطيع قتل جميع الكائنات الحية ، في مساحة قطرها مُحدّد سلفاً ، وتأثير كل قنبلة منها يتحدد حسب حجمها ، بحيث يتم زراعتها داخل الأراضي العراقية ، وفي الوقت المحدد سيتم تفجير هذه القنابل بواسطة أشعة الليزر ... وإن إسرائيل مهتمة بتجربة أسلحتها الجديدة على أرض العراق ، بعدما نفذت عدة تجارب أسفل مياه خليج العقبة ... ولا أستبعد أن تعمل أمريكا وبريطانيا على زرع قنابل نيترونية في مناطق من العراق ، بحيث تبقى بغداد تحت التهديد الدائم ، بتدمر حقول القنابل النيترونية بواسطة أشعة الليزر ، في نطاق العقوبات الذكية » .

والشيء الملفت في هذا التقرير الصحفي هو انسجامه مع المخاوف اليهودية التوراتية ، حيث يُسمى الدول والمناطق التي تضم الدول المعادية لإسرائيل توراتياً ، ومنها إيران والعراق ، ولبيا في

شمال إفريقيا، والسودان وإثيوبيا بمحاذاة البحر الأحمر، واللتان كانتا قديماً دولة واحدة، ويُشير أيضاً إلى ضرورة ضرب العراق، حسب ما تدعو وتحرض عليه النصوص التوراتية.

وفي تقرير آخر من واشنطن للصحفي محمد دلبح، نُشر في جريدة الدستور الأردنية يقول فيه:

“تحث وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون)، إنتاج قنابل نووية من نوع جديد قادرة على اختراق مراكز القيادة والتحصينات التي يستخدمها الزعماء والقادة. ونقلت صحيفة (واشنطن بوست) عن مصادر في الحكومة الأمريكية والكونغرس قولها: إن الهدف من إنتاج هذه القنابل هو تجنب ما تسميه الحكومة الأمريكية الأضرار الجانبية التي تحدثها الأسلحة التدميرية بأنواعها. ويقول المدافعون عن هذا النوع من القنابل النووية الصغيرة - مقارنة بغيرها - أنها قد تعمل على قيام الولايات المتحدة، بتخفيض مخزونها الحالي من القنابل النووية دون أن تتعرض مفاهيمها الأمنية لأخطر أو تعديلات. ونسبت الصحيفة إلى مستشاري وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسفيلد) قوله: إن الأسلحة النووية الأمريكية الحالية لن تردع الرئيس العراقي صدام حسين، لأنه يعلم بأن الرئيس الأمريكي لن يقوم بالقاء قنبلة نووية - بقوة مائة كيلو طن - على بغداد، ليُدمّر المدينة بأكملها، ويقضي على سُكّانها، بهدف القضاء على أسلحة الدمار الشامل ... ومن ناحية أخرى يعتزم اتحاد العلماء الأمريكيين، إصدار تقرير هذا الأسبوع يقول فيه: إن إضافة هذا النوع من القنابل النووية إلى المخزون النووي في العالم سيجعل استخدام هذا النوع من السلاح أكثر احتمالاً.”

### الموقف العالمي إزاء العراق:

كانت غاية الغرب في السنوات الأخيرة - وما زالت - هي تدمير العراق تحقيقاً لرغبات اليهود في حماية إسرائيل. وما كان للغرب أن يتحقق هذا الهدف بالخروج على الأعراف والمواثيق الدولية، بأي شكل من الأشكال، كالقيام بعدوان مباشر ومكشوف على العراق، وما كان لأمريكا بعظمتها أن تقوم منفردة بعمل عدواني ضدّ العراق، لأنها في هذه الحالة ستتجاهله العالم بأسره. وبما أن مأرب اليهود - من خلال حرب الخليج الأولى - لم تتحقق، بل على العكس من ذلك تماماً خرج العراق من هذه الحرب محفوظاً بقوته، وقادت قيادته بتهديد اليهود جهاراً نهاراً بالحرق حال الاعتداء على أي بلد عربي، فكانت هذه القيادة - كمن حك لليهود على جرب - .

أنذاك قامت الدنيا ولم تقعده، طُبِّلَ وُزُمِّرَ في الشرق والغرب، لتأكيد عدوانية العراق ونaziته، فحرق اليهود هو فعل هتلري نازي، وكان ذلك لتهيئة الرأيين الغربي والعالمي

لاستقبال هتلر جديد يسعى لحرق اليهود. وبعد غزو العراق للكويت -بغض النظر عن أسبابه ومنْ كان وراءه-، استطاعت أمريكا أن تُوجَد مبرراً قانونياً لتدمير العراق، فغزو العراق للكويت كان مخالفًا للقوانين والأعراف والمواثيق الدولية، وبذلك استطاعوا إضفاء الشرعية على عدوائهم، لتحقيق مآربهم الحقيقة تحت غطاء الشرعية الدولية، ويدلأ من أن تواجه أمريكا المعادية العالم بأسره أصبحت الضحية العراقية تواجه العالم، بعد أن أصبحت معادية، كما حصل مع ألمانيا، بنفس السيناريو ما قبل الحرب العالمية الثانية، وبكل حياته.

أما في الوقت الحالي فقد بدأت دول العالم مؤخراً تصوّم من أكاذيب الإدارات الأمريكية المتّعّقة لتبرير ما تنتهجه من سياسات إزاء العراق، فالميررات السابقة كلها لم تعد موجودة، وأصبحت الأعمال الأمريكية العدوانية تُجاهِب بالمعارضة الشديدة من قبلأغلب دول العالم. وحتى قرارات الشرعية الدولية تُجاهِب كثير من الدول ومنها روسيا والصين إلى التغاضي عن البحث في مسألة التزام العراق بها من عدمه، ومنها مسألة فرق التفتيش عن الأسلحة. بل تعمد هذه الدول أحياناً إلى خرق هذه القرارات سراً، حتى وصل الأمر بمجلس الدوما الروسي إلى المطالبة بالتصويت على عملية رفع الحصار عن العراق من جانب واحد.

حتى جاءت أحداث الحادي عشر من أيلول لتفتح الباب على مصراعيه أمام أمريكا لتجهيه آلتها العسكرية نحو أي بقعة في العالم بدعوى مكافحة الإرهاب، في غياب تام لتعريف محدّله، سوى أنَّ مَنْ لم يقف مع أمريكا فهو ضدّها، وهو إما إرهابي أو راعٍ للإرهاب !، والكل لن ينجو وفق تصريحات رئيس الدولة العظمى الأولى في العالم. وبالطبع بدأ تحرير قوائم الاعداءات المعدة سلفاً، وكان العراق في المقام الثاني بعد أفغانستان.

وعلى الرغم مما سبق نستطيع القول إنه، أولاً؛ بأن الموقف العالمي إزاء الصراع الأمريكي العراقي أصبح مختلفاً، بل مغايراً لما كان عليه في السابق، إذ بدأت الأصوات ترتفع ضدّ توسيع حرب أمريكا، وببدأت المواقف المناهضة لأمريكا واليهود، والمعاطفة مع العراق وفلسطين بالظهور. ثانياً؛ بأن الموقف الأمريكي المعادي للعراق -عند عدم عزوه للمخاوف التوراتية اليهودية- يُصبح أمراً لا يُمكن فهمه من قبل الآخرين.

## هل يكون العراق هو منْ سيدخل المسجد الأقصى ؟

يقول الله تعالى : «**قُلْ آذْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الظُّرُورِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلَهُمْ**» (56 الإسراء)، ولفظ «**الظُّرُور**» ورد في القرآن (29) مرة فقط، ويعنى واحد هو الأذى أو العذاب في الحياة الدنيا، والمعنى الإجمالي للأية بأن الله سبحانه وتعالى يخاطب أنساناً أثناء نزول العذاب

بهم، متحدياً إياهم، بدعة من انكروا عليهم من دونه، لرفع عذاب الله عنهم. ووعد الآخرة هو وعد إلهي لليهود بالعذاب الذي لن يملك أحد من الجن والأنس رفعه أو حتى تحويله عنهم. وبذلك، فإذا كان العراق سيقوم بالغزو، فذلك يعتمد على انفراد العراق باليهود، وللأمر وجهان:

الأول: أن يكون هذا الغزو مسبواً، بدمار جميع القوى العسكرية التي يمتلكها الغرب واليهود، كنتيجة لتدخل بشري بقيام حرب نووية عالمية، بين الغرب والشرق، أو كنتيجة لتدخل إلهي، بإحداث كوارث طبيعية هائلة في الغرب، شبيهة بأحداث يوم القيمة.

الثاني: أن يكون هذا الغزو ضمن معطيات الواقع الحالي، معبقاء جميع القوى العسكرية التي يمتلكها الغرب واليهود. باستخدام العراق لتقنيات وخطط عسكرية بسيطة، تحمل في طياتها منطقاً عسكرياً جديداً لم تألفه الشعوب، ولا توقعه ضمن المعطيات الحالية، يكون من شأنه أثناء الغزو إلغاء أو تهميش القدرات العسكرية اليهودية والغربية كلها.

على الرغم من أن المؤشرات على الساحة العالمية والمحلية تؤكد على أن العراق، لن يستطيع الصمود حتى وقت متاخر جداً، والصبربدأ ينفذ، والتحركات السياسية المتعددة للخلاص من الحصار، على المستويين الإقليمي والدولي باتت غير مجده، ورغم ذلك كله، لا يبدو أن هناك ضوءاً في آخر النفق، والضغوط والتهديدات الأمريكية في تزايد مستمر. وكذلك الأمر بالنسبة للشعب الفلسطيني في فلسطين. إذا ما استمر الحال على ما هو عليه. فقد تكون النتيجة مأساوية على المدى البعيد.

فإن الأمرين كليهما ضعيف الاحتمال. الآن على الأقل..

**معطيات الواقع الحالي تشير إلى الانفجار في وقت قريب:**

وذلك من عدة وجوه، أولاً: في التطاول على الله والمقدسات، ففي خبر نشرته -أخبار الشرق- عبر موقعها على الإنترنت نقاً عن القدس برس في الرابع عشر من آذار 2002، جاء فيه: "دعت هيئة إسلامية أمريكية الجمهور إلى الاعتراض على ما نشرته مجلة محافظة من مواد عدائية ضد الدين الإسلامي. فقد دعا مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية 'كير' المسلمين والعرب والمعتدلين في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها إلى الاتصال بإدارة تحرير مجلة 'ناشيونال ريفيو'، التي تعد واحدة من أكبر المجالات الأمريكية المعبرة عن صوت الاتجاه السياسي المحافظ في أمريكا، وذلك لتسجيل اعتراضهم على نصوص مسيئة للإسلام. فقد حذر المجلس من خطورة كتابات أحد محرّري المجلة، ويدعى ريتشارد لوري، التي أوردتها على

موقع المجلة الإلكتروني، والتي اقترح فيها أن يتم تسديد ضربة بقنبلة نووية إلى مكة المكرمة ليكون ذلك بمثابة إشارة تحذيرية رادعة للمسلمين. وقد جاءت كتابات ريتشارد لوري ردًا على رسائل تلقاها من بعض القراء بشأن رد الفعل الأمريكي المناسب في حالة تعرضها لهجوم نووي، إذ ذكر أن الرسائل احتوت على تأييد كبير لضرب مكة (المكرمة) بقنبلة نووية، وأضاف إن بغداد وطهران هما الأقرب لتلقي الضربة النووية الأولى. ولو كان لدينا قابل نظيفة تضمن حصر الدمار في نقطة الهجوم لوضعنا غزة ورام الله على القائمة أيضًا. ويجب أن نُحذّر دمشق والقاهرة والجزائر وطرابلس والرياض من خطر الإبادة الفورية إذا أظهروا أي علامة (اعتراض)، حسب تعبيره. وأدعى لوري في نصوصه المشورة أن مكة متطرفة، بالطبع، بالطبع، ومن ثم قد يموت بعض الناس، ولكن ذلك سوف يرسل إشارة. وحاول لوري نفي انحيازه الديني بالإشارة إلى أن الديانات الكبرى عانت كوارث من قبل، موضحاً أن الوقت حالياً هو وقت الجد، وأنه يجب التحرك الآن قبل أن يقع آلاف الضحايا الأميركيين، كما أشار لوري إلى عامل الردع النفسي الذي سيساور المسلمين الراديكاليين إذا علموا أن الأميركيين شديدي الغضب، للدرجة قد تدفعهم إلى تحويل مدinetهم المقدسة إلى تلال من الحطام، حسب ما ذهب إليه من هراء. كما شارك في النقاش الذي دار على موقع المجلة الإلكتروني بشأن هذه القضية أحد كتاب الموقعة وهو رود درهر، والذي كتب يقول: أعتقد أن بغداد وطهران والرباط يجب أن يُشكّلوا القائمة، جميعهم، وبماً أيضًا دمشق. وبالنسبة لمكة (...) فإن (فكرة) تدميرها (تؤدي إلى) شعور جيد، ولكننا بذلك سوف نغصب كل مسلم على الكراة الأرضية لعصور وعصور، على حد تعبيره، ضمن التعبيرات التي جاءت في أحد زواياها موقع المجلة على الإنترنت يُسمى الركن (Corner)...، وكانت تصريحات مسيئة للدين الإسلامي أدلى بها مؤخرًا أحد قادة الاتجاه الديني اليميني المتشدد في الولايات المتحدة قد تسببت في إثارة موجة انتقادات واسعة النطاق. إذ وردت تصريحات مثيرة للجدل لبات روبرتسون في شباط الماضي، وهو مرشح رئاسة سابق، في برنامجه التلفزيوني المعروف تادي السبعمائة، أدعى فيها أن الإسلام يرفض أن يقيم المسلمون أية علاقات صداقة مع غير المسلمين، إذ يطالب القرآن المسلمين بقتل غير المسلمين أينما وجدوهم، على حد زعمه. كما وجه روبرتسون انتقادات شديدة اللهجة إلى سياسات الهجرة الأمريكية، قائلاً إنها تخلت عن أوروبا، واتجهت نحو الشرق الأوسط، وفتحت الطريق أمام المسلمين للعيش في وسط المجتمع الأمريكي، وهناك دون شك خلايا إرهابية بينهم. كما ذكر روبرتسون أن هدف المسلمين في أمريكا هو التعايش، حتى يتحكموا وسيطروا، ثم يدمروا، حسب ما ذهب

إليه . . . ، وأكد أن الإسلام من وجهة نظره ليس دين سلام وأن "القرآن يشير بوضوح إلى هذا الأمر (لل المسلمين)"، إذا رأيتَ كافراً فيجب عليك قتله، وهو ما يمثل تعدياً سافراً على النص القرآني إلى حد الاختلاف. وسبق لروبرتسون أن أساء إلى الأميركيين الذين يعتقدون الإسلام خلال إحدى حلقات برنامجه التلفزيوني "نادي السبعينات" في أواخر التسعينيات، ووصفهم بـ"الجنون"، وأشارت هذه التصريحات ردود أفعال غاضبة ضده في الأوساط السياسية والدينية المعتدلة في ذلك الحين. انتهى.

وما هذا إلا غيض من فيض للأصوات التي تعلو الآن لتناهض الإسلام والقرآن والمقدسات بشكل غير مسبوق وغير واعٍ.

ثانياً: في القيادة الحالية لليهود، بقيادة أكثرهم إجراماً ووحشية، ودورها في ازدياد حدة ودموية الانتفاضة الجديدة.

ثالثاً: في حالة المجتمع اليهودي الراهنة، وخاصة بعد اختياره لقيادة هي الأكثر دموية بين سبقاتها، وبأغلبية ساحقة مما يُشير إلى أن الشعب كله أصبح أيضاً شعباً دموياً فاسداً ومفسداً، وعندما تصبح الأمة بأسرها تملّك هذه الصفة، وحسب السنن الإلهية، نجد أن هلاكها بات وشيكاً جداً. وإذا علمنا أن السفاح (شارون) يحمل على عاته تنفيذ مجمل أحلام اليهود التوراتية الواردة في الفصول السابقة، قبل نهاية ولايته، وعلى رأسها هدم المسجد الأقصى، نستطيع القول بأن هلاك هذه الأمة أصبح وشيكاً جداً.

رابعاً: في القيادة الحالية الأمريكية غير المتزنة، ففضلاً عما أثارته من استياءين عالمي ودولي، لسياستها المعادية لدول الشرق الأقصى والأدنى من روسيا شمالاً وحتى اليمن جنوباً، ومن الصين شرقاً وحتى ليبيا غرباً، وخلفانها الغربيين من الدول غير المنحازة لسياساتهما، وبالخصوص لحربيها ضد الإرهاب - كما تسميه -. يأتي مشروع الدرع المضاد للصواريخ المثير للجدل، والذي تروج له أمريكا على أنه مشروع دفاعي بحث تسعى لامتلاكه متذرعة بمخاوف غير منطقية، من هجوم نووي ربما تقوم به إحدى الدول المارقة، كإيران وكوريا الشمالية، أو جماعات إرهابية، من الممكن أن تحصل يوماً ما على السلاح النووي، لضمان تأييد حلفانها لهذا المشروع، الذين أبدوا حوله الكثير من التحفظات، لعدم قناعتهم بالمسوغات الأمريكية لهذا المشروع. والذي يُواجهه أيضاً بمعارضة شديدة من قبل روسيا والصين، كون هذا المشروع سيلغي قوة الردع النووية لأي دولة تمتلك السلاح النووي. فالسلاح النووي في الأصل هو قوة ردع كفيلة بمنع أي دولة مارقة أو غير مارقة، من مجرد

التفكير بضرب أمريكا نووياً، ليتبين لنا أن دوافع أمريكا المعلنة لامتلاك هذا الدرع غير مبررة وغير منطقية.

أما دوافعها غير المعلنة لامتلاك هذا الدرع فهي نابعة من المخاوف التوراتية والإنجيلية، فيما يتعلّق بالمواجهة المقبلة بين الشرق والغرب، والتي تناولناها سابقاً. وبامتلاك أمريكا لهذا الدرع تتحوّل صواريختها النووية إلى أسلحة هجومية قادرة على ضرب أي جماعة، أو دولة نووياً أو غير نووياً في حالة قيامها بتهديد المصالح أو أمن أمريكا وحلفائها، دون أن تكتثر بأي هجوم نووي مضاد، حتى من قبل روسيا والصين، وبذلك تستطيع أمريكا فرض إرادتها على أي دولة بالقوة إنْ لم تُمثل لسياساتها طاعنة، ضاربة بـ«هيئات الأمم» و المجالسها وقراراتها ومواثيقها عُرض الخائن. ولو بحثتَ عَمَّنْ يسعى بحماس لترويج فكرة هذا الدرع في الإدارة الأمريكية ومجلس الشيوخ والنواب لوجدتَ أنهم في معظمهم من اليهود ومن التصهينيين النصارى من عبادة إسرائيل المskونين بالمخاوف التوراتية والإنجيلية. وأن الهدف المشود من إقامة هذا الدرع هو تكين النبوءات التوراتية المستقبلية التي توافق أهواءهم وأماناتهم من التحقق، وتعطيل جميع النبوءات التي تخالفها.

بالإضافة إلى ذلك كله تأتي حرب أمريكا ضدّ بقاع العالم تحت غطاء الحرب ضدّ الإرهاب، فتتجه بالاعتداء على أي بقعة في أي دولة دون أن تقوم هناك حرب بينها وبين تلك الدولة، مما يضعف الحقد والغضب تجاه أمريكا.

### **الأجواء الآن مغايرة تماماً للأجواء التي سادت عند وبعد دخول اليهود فلسطين:**

منذ أكثر من مائة سنة، قام اليهود بوضع مخطط طويل الأمد جمعوا فيه ما بين مطامع أرباب المال اليهود في السيطرة الاقتصادية وأحلام الحاخams التوراتية في فلسطين. وكان الهدف النهائي للعمل الجماعي اليهودي - وما زال - هو السيادة الكاملة على كوكب الأرض من خلال حكم ملكي ديكاتوري يتخذ من القدس عاصمة له، لتحقيق مطلب الطرفين معاً. نظرياً - ويأغفال القدرة الإلهية، التي لا يؤمن اليهود بوجودها - فإن مخططهم الإفσادي قابل للتحقق على أرض الواقع. أما عملياً - ويأخذ القدرة الإلهية - يُصبح أمر تحقق مخططهم هنا ضريراً من الخيال.

وقد تمكن اليهود - من خلال هذا المخطط - من تحقيق السيطرة الاقتصادية على العالم الغربي، بامتلاك الصناعة المصرفية، وشراء الاستثمارات بأشكالها كافة، وأهمها الصناعات العسكرية والإعلامية. مما مكّنهم من السيطرة على مجلل سياسيات تلك الدول الداخلية والخارجية، ومن ثم تم تسخيرها لخدمة أهداف المخطط اليهودي آنف الذكر.

وبناءً على ظروف المنطقة التي سبقت الحربين العالميتين الأولى والثانية نجد أنها تتفاوت كلّياً مع المخططات اليهودية بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، في ظل موقف السلطان عبد الحميد الرافض حتى لإقامة اليهود فيها كأفراد، حتى استیأست رسل اليهود من الأمر. وبناءً على ظروف النتائج التي خذلتها خدمت المخطط اليهودي بشكل ملفت للنظر، حيث تخضعت الحرب الأولى عن انهيار الدولة العثمانية، ومن ثم إصدار وعد بلفور، ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ومن ثم فتح باب الهجرة اليهودية. ومن ثم قامت الحرب الثانية، فتخضعت عنها إنشاء الأمم المتحدة من خمس دول حليفة ومتصرّة، وفي تلك الأوجاء تم استصدار قرار أممي بتقسيم فلسطين، من خلال دعم غربي أمريكي بريطاني فرنسي، وعدم معارضته شرقية روسية صينية، حيث كان لكل دولة من تلك الدول والمؤخوذة بنشوء الانتصار أطماع لنيل جزء من الكعكة العالمية بعد الحرب، وكان أحد المطالب الغربية هو تقديم فلسطين لليهود على طبق من ذهب. وفي المقابل، نجد أن نتائج هذه الحرب كانت مأساوية على مجتمع الدول التي شاركت فيها، حتى المتصرّة منها، بما أنها تكبدت بالديون اليهودية إلى ما لا نهاية، والمستفيد الوحيد دائمًا وأبداً هم تجار الحروب من سادات اليهود، أثرياء وحاشامات، ممّن يحكمون العالم الغربي في الخفاء.

**لنتخلص إلى أن قيام دولة لليهود واستمرارها، اعتمد على عدة أمور:**

- تمكن بريطانيا من السيطرة على فلسطين، لاستصدار وعد بلفور الذي لم يكن كافياً لتحقيق الحلم اليهودي بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين. ومن ثم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، لتمكن بريطانيا من تنفيذ الوعود، بفتح أبواب الهجرة، وخلق واقع جديد، يسمح لليهود بإقامة الدولة.

- التضليل الإعلامي المستمر للرأي العالمي، بترويج مقوله "أرض بلا شعب، وشعب بلا أرض". بالإضافة إلى التضليل الإعلامي لمسألة الاضطهاد الأعمى لليهود، وخاصة ترويج حكاية ضحايا المحرقة النازية الستة ملايين. لكسب تعاطف وتأييد الرأي العالمي الغربي. ومن ثم استغلال الحلفاء الخمسة المتصرّفين، والمؤسسين للأمم المتحدة، لاستصدار قرار أممي بتقسيم فلسطين، حيث كانت حسبة المصالح للدول الخمسة الكبرى آنذاك تسير في مركب واحد.

- الرعاية الاقتصادية والسياسية والعسكرية الأمريكية والأوروبية المستمرة لليهود، في حالتي السلم والحرب.

**والسؤال الآن، هل حافظت تلك الظروف على بقائها واستمراريتها؟**

فور خروج الجيش البريطاني، وفور إعلان اليهود عن إقامة دولة لهم، استطاعت الجيوش العربية قهر جيشهما، والوصول إلى مشارف تل أبيب، ولو لا استجابة العرب للأوامر الأمريكية بوقف القتال، لما استطاع الغرب من إمدادهم بالعدة والعتاد، مما مكّنهم لاحقاً من الانتصار.

بعد الانفتاح الإعلامي، وعالمية وسائل الاتصال، وتعدد مصادر المعلومات، أتيح للرأي العالمي، وخاصة المناهض لأمريكا وسياساتها، رؤية الجانب الآخر من الصورة، الذي عملت وسائل الإعلام الغربية على التعطيم عليه، فيما مضى، فبات الكل يعلم أن فلسطين لم تكن يوماً من الأيام أرضاً بلا شعب، بل فيها شعب لا مثيل له بين الشعوب، له إرادة تفلُّ الحديد، ويستحق التقدير والاحترام. وبات الكل يعلم، أن الشعب الذي كان يتباكي من الإضطراب النازي له، تبيّن أنه أكثر نازية ووحشية من النازيين أنفسهم، فبدلَ التعاطف معه إلى سخطٍ عليه، واستياءً وخجل عالميين من أفعاله.

لو تتبّعنا الحروب العربية كافة ضدّ اليهود لوجدنا أن اليهود لم يكونوا قادرين - بأي حال من الأحوال - على مجاهدة الجيوش العربية، بل لم يكونوا قادرين على حماية أنفسهم، لو لا الدعم العسكري الأمريكي البريطاني الفرنسي المعلن والخففي بالسلاح والأفراد، من خلال الجسور الجوية التي كانت توصل هذا الدعم. فالمواجهة في الحروب كلها، لم تكن بين العرب واليهود، وإنما كانت بين العرب والغرب.

### صفة جيش البعث في التوراة:

سفر يوئيل: ١ : ١ : هذا ما أوحى به الرب إلى يوئيل بن فتوئيل : اسمعوا هذا أيها الشيوخ، وأصنعوا يا جميع أهل الأرض ، ...

١ : ١٥ : يا له من يوم رهيب ، لأن يوم الرب قريب ، حاملاً معه الدمار من عند القديرين ، ... اصحوا أيها السكارى ، وابكوا يا جميع مُدمّنى الخمر ... فإن أمة قوية قد زحفت على أرضي ، أمة قوية لا تُحصى لكثرتها ، لها أسنان ليث وأنيات لبؤة ، ....

٢ : هو يوم ظلمة وتجهم ، يوم غيوم مُكْهَرَةً وقتمان دامس ، فيه تزحف أمة قوية وعظيمة ، كما يزحف الظلام على الجبال ، أمة لم يكن لها شبيه في سالف الزمان ، تلتهم النار ما أمامها ، ويُحرق اللهيب ما خلفها ، الأرض أمامها جنة عدن ، وخلفها صحراء موحشة ، يشرون على رؤوس الجبال ، في جلبة كجلبة المركبات ، كفرقعة لهيب نار يلتهم القش ، وكجيشه عات مُصطفٍ للقتال . تنتاب الرعدة منهم كل الشعوب ، وتشحّب كل الوجوه ، يندفعون كالجبابرة وكرجال الحرب ، ... ، ينسّلون بين الأسلحة من غير أن يتوقفوا ، ينقضّون على المدينة ،

ويتواثبون فوق الأسوار، يتسلقون البيوت، ويتسقّلون من الكوى كاللصوص، ترتعد الأرض أمامهم وترجف السماء، ...، يجهز الرب بصوته في مقدمة جيشه، لأن جنده لا يُحصى لهم عدد، ومن يُنفّذ أمره يكون مُقدّراً، لأن يوم الرب عظيم ومخيف، فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ؟! .

**سفر حبّوق:** ١ : ٣ : أينما تلقت أشہد أمامي جوراً واغتصاباً، ويثور حولي خصم ونزاع، لذلك بطلت الشريعة (تعطّلت) وباد العدل، لأن الأشرار يُحاصرُون الصديق، فيصلُر الحكم مُحرفاً عن الحق.

١ : ٥ : تأملوا الأمم وأبصروا، تعجبوا وتخبروا، لأنني مُقبل على إنجاز أعمال، في عهدهكم، إذا أخبرتم بها لا تصدقونها. فها أنا أُثير الكلدانين، هذه الأمة الحانقة المندفعه، الزاحفة في رحاب الأرض، لتسودي على مساكن ليست لها، أمّة مُخيفة مُرعبة، تستمد حُكمها وعظمتها من ذاتها. خيولها أسرع من النمور، وأكثر ضراوة من ذئاب المساء، فرسانها يندفعون بكبرياء، قادمين من أماكن بعيدة، مُتسابقين كالنسر المُسرع، للانقضاض على فريسته، يُقبلون جميعهم ليعيشوا فساداً، ويطفئي الرعب منهم على قلوب الناس قبل وصولهم، فيجمعون أسرى كالرمل. يهزّون بالملوك ويعثرون بالحكام، ويُسخرون من الحصون، يجعلون حولها تللاً من التراب، ويستولون عليها. ثم يجتاحون كالريح ويرحلون، فقوة هؤلاء الرجال هي إلههم .

٢ : ٣ لأن الرؤيا لا تتحقق إلا في ميعادها، وتسرع إلى نهايتها، إنها لا تكذب، وإن توانت فانتظرها، لأنها لا بد أن تتحقق، ولن تتأخر طويلاً .

### **اليهودي وصفة الجبن الملزمة له عبر العصور:**

كلنا يعلم أن وجود اليهود وبقاءهم لا يعتمد في الدرجة الأولى على مقوماتهم الذاتية، مهما بلغت قوتهم العسكرية من عدة وعتاد، فحصنهم المنبع هو أمريكا بقوتها وعظمتها، والخصن الآخر هو الطوق الأمني من معاهدات السلام والأحلاف العسكرية، التي سعوا جاهدين للتتوقيع عليها مع دول الجوار. وهذا الحصنان هما ما يتکل عليه اليهود، كضمانة لاستمرار وجودهم، وشعورهم نسبياً بالأمان، الذي يُمكّنهم من البدء في تنفيذ مشاريعهم التوراتية على أرض فلسطين.

أما اليهود في الحقيقة فليس لديهم عقيدة أو مبدأ ليذلوا أرواحهم في سبيل الدفاع عنها، كما هي الحال عند غيرهم من شعوب الأرض. لذلك تجلّهم أشد الناس حرضاً على الحياة، فلا يُقاتلون إلا مجبرين، وفي قرى محصنة أو من وراء جدر، فعادة الخروج للقتال ليست من

شأنهم، أما الخروج للقتل وسفك دماء غير المقاتلين، فهذا أكثر ما يستطيعون القيام به، وعلى تخوف من إصابتهم من قبل خصمهم الأعزل، وهذا ما نشاهده على أرض الواقع هذه الأيام. أما في حال المواجهة المعلنة المكشوفة فأول ما يُفكّر به الجندي اليهودي المدجج بالسلاح هو البحث عن ملجاً يتحصن خلفه، هذا إن تجرأ على القتال. وإن لم يجرؤ، فأول ما يُفكّر به، هو أن يولي الأدبار، مُطْلِقاً لساقيه العنان، هارباً إلى حيث لا يدرى. فهو مهزوم بالرعب من قبل أن تبدأ المعركة.

### من صور الدخول في القرآن:

نطرح فيما يلي بعضاً من صور الدخول، مما ورد ذكره في القرآن الكريم:  
 «وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكَلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْوًا حِطَّةً تَفَرِزُ لَكُمْ خَطَبَيْكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُخْسِنِينَ» (58 البقرة).

هذا وصف لكيفية الدخول التي أمر بها بنو إسرائيل على قرية مدين شبه الخاوية، بعد هلاك أغلىية أهلها بال العذاب، وتركهم لأرضهم ومساكنهم ومتلكاتهم من الزروع والمواشي، وهذا ما يُشير إليه قوله تعالى «فَكَلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا»، أي أن ما فيها من خيرات وأنعام أصبح في متداول أيديهم بمجرد الدخول، وهذه العبارة قيلت لآدم وزوجه عند أمرهما بدخول الجنة، وكان هذا من لطف الله بهما ومنته وكرمه عليهما، ولذلك طلب منهم عند دخول باب القرية التعبير بالقول والهيئة عن شكرهم وطاعتكم لله على هذه النعمة، التي كانوا قد طلبواها سابقاً، وتحصلوا عليها دون جهد أو عناء، إذ لم يُجاهبوا بأية ممانعة أو مقاومة، بل على العكس، قوبلوا بالترحيب من قبل شعيب والقلة المؤمنة مِمَّنْ بقي من قومه، لصاهرة موسى عليه السلام لهم، وإقامته عندهم فيما مضى، والله أعلم.

«قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ حَنَّافُورَ أَتَقْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلُوكُمْ غَلِيلُونَ» (23 المائدة).

هذا وصف لكيفية الدخول الذي أمر به بنو إسرائيل للدخول الأرض المقدسة المأهولة بالسكان، في محاولة من رجلين مؤمنين عالمين بواقع الحال، لتشجيعهم وطمأنتهم، لعلهم يرجعون عن موقفهم الرافض، لدخولها وطرد سكانها الوثنين، والاستيطان فيها بدلاً منهم، حيث يؤكد لهما الرجال بأنهم لن يتعرضوا للأذى عند الدخول، وفي حال كانت هناك مواجهة، فلن يُكلفهم ذلك سوى كسر الباب، بقتل الحراس المتواجدين عليه وبمagentaة أهلها في الداخل. وعلى ما يبدو أن موسى - عليه السلام - قبل أن يأمربني إسرائيل بالدخول كان قد

بَعْثَ هذين الرجلين للتجسس على أهل المدينة المقدّسة ، فوجدا أنّ أهلها على غير استعداد للحرب ، وأنّهم لا يملكون جيشاً ، ولم يكونوا جبارين حقيقة ، كما أدعى بنو إسرائيل لاحقاً ، وأنّهم لا يملكون سوى بضعة حرّاس على باب المدينة فقط . وعندما أمر موسى قومه بالدخول رفضوا امْتِرَاعِينَ بجبروت أهلها تقاعساً وخذلاناً وجيناً ، فعقب هذان الرجالان على قول موسى بقولهم ذلك تفدياً لادعائهم ، وتوضيحاً لحقيقة الأمر ، كما رأوها بأُمّ أعينهم ، ومع ذلك أصرّ بنو إسرائيل على موقفهم ، بقلة إيمانهم وفسقهم وجبنهم . ودخول كهذا يحتاج للمبالغة كعنصر أساسي ، لمنع الخصم من الاستعداد والجاهزية للقتال ، مما يُقلّل أو يمنع الخسائر في المواجهات المكشوفة ، ويدفع الخصم إلى الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع ، ومن ثم الرحيل عن الأرض ، والله أعلم .

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَمَ أَهْلَهَا أَذْلَهُ وَكَذَّلَكَ يَفْعَلُونَ﴾ (34 النمل) .

هذا وصف لكيفية دخول الملوك على القرى المتمردة والمطاؤلة على أمرهم ومكانتهم ، على لسان ملكة سبا تخذيرآ لقومها من عصيان أمر الملك سليمان عليه السلام ، وهذا الدخول هو الأسوأ على الإطلاق . وانظر في قول سليمان عليه السلام ، عندما تمردوا على أمره ، ولم يأتوه مسلمين كما طلب ، حيث قال : ﴿أَزْرِجْ إِلَيْنَاهُمْ فَلَمَّا تَبَيَّنَهُمْ بِحَمْنَدٍ لَا قِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجُهُمْ مِنْهَا أَذْلَهُ وَهُمْ صَفَرُونَ﴾ (37 النمل) ، فعصيان أمر الملوك ذوي القوة والعزة والأفة والطأول عليهم ، بأي شكل من الأشكال ، يُحمل على أنه تحذير وتقليل من شأنهم ، ويُعدُّ إهانة لا يستطيعون غفرانها . والرد عليها عادة ما يكون ، كما هو ظاهر في رد سليمان عليهم ، بإرسال جيش لا قبل للخصم به ، لا من حيث العدد ولا من حيث العدة ، ونتيجة فعلهم هي كما وصفته ملكة سبا في الآية الأولى ، وما أكد عليه سليمان في الآية الثانية أعلاه .

وغاية هذا الدخول في العادة تكون للانتقام ورد الاعتبار ، باستباحة الأرض والمال والعرض ، بتخريب الممتلكات والقتل والتنكيل في العامة ، وأسر علية القوم وإذلالهم ، ومن ثم قتلهم والتنكيل بهم ، وسي نسائهم وأطفالهم ، وتسخيرهم للعمل كجواري وخداماً في القصور إمعاناً في إذلالهم . ودخول كهذا عادة ما تعلن فيه الرغبة في الانتقام ، ويتم فيه تهديد الخصم مسبقاً لإذلاله وإدخال الرعب في قلبه ، مما يكون أدعى لانهياره وسرعة تداعيه عند المواجهة ، في حال تجرأ على ذلك ، والله أعلم .

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ أَرْذَلَهُ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِيَتْ مُحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ (27 الفتح) .

هذه هي المرة الأخرى والوحيدة في القرآن، التي يرتبط فيها ذكر الدخول بالمسجد، وهو دخول المسجد الحرام في مكة، ولو أنعمتَ النظر في نص الآية، ستجد أنها تصف المسلمين أثناء تأدية العمرة، وقد جاء في كتب التفسير أن هذه الرؤيا قد تحققت فيما سُمي لاحقاً بعمره القضاء، في العام التالي لصلح الحديبية، فأُنذرت هذه الآية تصديقاً للرؤيا و وعداً بالفتح. وأما الدخول العسكري لمكة والمسجد الحرام فسُمي في القرآن فتحاً وليس دخولاً. والمعروف أن المسلمين عندما خرجو الغزو مكة كانوا قد أعدوا عدداً من المهمات. وقد روى الإمام مسلم عن جابر: "أن رسول الله دخل مكة، وعليه عمامة سوداء، من غير إحرام"، وقال ابن كثير في تفسيره للأية (24) من السورة نفسها، والتي سيرد نصها في الحديث عن فتح مكة، أن الرسول عليه الصلاة والسلام: "لم يُقْتَلْ عَمَّا جَاءَ مُحَارِبًا مُقاتلاً فِي جَيْشِ عَرْمَمْ".

#### المقصود بدخول المسجد:

الدخول القادم للمسجد الأقصى، لن يكون لتخريبه كما وقع في المرة الأولى، ولن يكون بقصد الزيارة فقط، لأداء عبادة من العبادات، كما هو الحال عند دخول المسجد الحرام، الموصوف في الآية أعلاه. فالمقصود بقوله تعالى «وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» هو الدخول إلى الأرض المباركة التي تحوي هذا المسجد، أي فلسطين ككل والسيطرة عليها. وذكر المسجد - الذي هو بمثابة القلب من الجسد، بالنسبة للأرض المباركة والمقدسة - جاء للإشارة ولتأكيد أن تنفيذ الوعيد بشكل كامل، سيحصل أخيراً بدخول القدس، بعد إزالة العلو اليهودي من فلسطين، وإنها الوجود اليهودي فيها، الذي يفيده تقدّم ذكر الإساءة عن ذكر الدخول.

ولو أنعمتَ النظر في قوله تعالى: «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيَسْتَغْوِيَنَّكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» (الإسراء 7)، ستجد أن الغاية من البعث في الأصل، هي إساءة وجوه اليهود، وستحصل هذه الإساءة من جراء ما وقع منهم من قتل وتنكيل وسي وفرار. ومن ثم جاء ذكر المسجد، ليكون دخول القدس واستعادتها نتيجة تناهى من جراء ما وقع في اليهود من إساءة. والأدنى والأكثر إيلاماً لليهود هو أن تُتَّخذ القدس عاصمة لدولة عربية أو إسلامية كبرى، لتصبح أحلام يهود الشرق والغرب المتعلقة بها هباءً متشارراً، بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من التتحقق. وبالتالي؛ يكون مجيء لفظ الدخول في هذه الحالة تأكيداً لتحرير فلسطين واستعادة المسجد والاستيلاء عليه من قبل المبعوثين، وأن البعث لم يقتصر على إساءة الوجوه فقط. والتشبيه هنا كان لصفة الدخول، منذ اجتيازهم حدود الأرض المقدسة، بما تخلله من قتل وتنكيل وأسر وإذلال، حتى وصولهم إلى قلب مدينة القدس، ليتأكد لنا زوال علوهم منها بشكل كامل قهراً وقسراً، بالضبط كما حصل في المرة الأولى، عند دخول البابليين بقيادة نبوخذنصر.

ومن جانب آخر، نجد أن قوله تعالى: (لَيَسْتُوا ... وَلَيَدْخُلُوا ... كَمَا دَخَلُوا...) يصف ما سيجري على أرض فلسطين لحظة الوصول إليها، وحتى استعادة كامل أرضها. والذي سيجريحقيقة على أرض الواقع، حسب الوصف القرآني، ليس بحركة، وإنما غزو من قبل أمّة لا تعرف الرحمة، لأمة ضعيفة وجبانة مستباحة الأرض والمال والعرض. ولو أنك فكرت بهذا الحدث نظرياً كما جاء به النص القرآني، وحاولت مطابقته مع معطيات الواقع الحالي، ستتجد بأنه عملية تحقّق ضرب من الخيال، ضمن الظروف الراهنة، التي توّكّد رجحان كفة موازين القوى العالمية، لصالح اليهود وحلفائهم الغربيين.

### صور من التاريخ الإسلامي:

في السنة السادسة للهجرة كان الرسول عليه الصلاة السلام وألف وأربعينات رجل من المسلمين قد أحرموا بالعمره مُتوجّهين إلى مكة، فعلم مشركي قريش بذلك، فخرجو باخيلهم لصدّهم عن دخول المسجد الحرام. فسلك عليهم الصلاة والسلام طريقاً غير التي كان عليها، حتى وصل إلى الحديبية، بركت الناقة على غير عادتها، فعلم عليهم الصلاة والسلام، أنها لن تعود مكانتها وبأن العمرة لم تُكتب لهم ذلك العام، فأقام ومن معه فيها. فكان فيها الصلح الذي كان من بنوده؛ حرمان المسلمين من أداء العمرة في ذلك العام، على أن يعودوا لأدائها في العام المقبل، فشق ذلك على المسلمين، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي أراد قتالهم والدخول قسراً، ولم تهدأ سورة غضبه، إلا بعد أن أنزلت آيات سورة الفتح، مُبيّنة الحكم الإلهية، التي غفل عنها بعض من أيّد قتال أهل مكة، من الصحابة رضوان الله عليهم.

قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي كَفَّأَ يَدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيهِمْ عَنْهُمْ بِسْكٌنٌ مَّكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرْتُكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَصْدُوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَهْذَى مَعْكُوفًا إِنْ يَتَّلَعَّجُلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ يَطْعُوْهُمْ فَتُصْبِيْكُمْ مَّنْ هُمْ مُّغَرَّرُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَّمْ يَدْخُلُ اللَّهُ فِي رَحْبَيْهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْزَرِبُوا عَذَابَنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (الفتح، 25).

بالرغم من توافر التأييد الإلهي للMuslimين في مواجهاتهم للمشركين، وأسر المسلمين لمن خرج لصدّهم عن المسجد من مشركي قريش، منع المسلمين من الدخول لمكة قسراً، ولذلك حكمة يعلّمها الحال، ويمكن أن تكون ثلاثة يُلحقوا الأذى بالمؤمنين، غير المعلومين من أهل مكة، وأنه لو كان هؤلاء ظاهرين ومعلومين، لسمح للMuslimين بقتال المشركين، ودخول مكة قسراً.

قلنا في فصل سابق إن صفة دخول المسجد الأقصى في المرّة الثانية مشابهة لصفة دخوله في المرّة الأولى، والدخول الأول كما علمنا كان من قبل البابليين. ولكن؛ ما نوّد أن نوّكّد عليه هنا،

أن ظروف الدخول الأول مختلفة عن ظروف الدخول الثاني، فالدخول الأول وقع على كفرا اليهود وفسقهم، بعد أن قاموا بإخراج المؤمنين المستضعفين من ديارهم، وإبعادهم إلى خارج حدود المملكة. وما نراه أمامنا على أرض الواقع في فلسطين ككل هو تداخل المدن الفلسطينية بالمدن اليهودية والمستوطنات، واحتلال السكان من عرب ويهود، في بعض المدن وخاصة في مدينة القدس. وهذا الواقع مشابه - إلى حد ما - ظروف مكة قبل الفتح، حيث احتلال المؤمنين سرآ بالكفار. وهذا مما ينفي - والله أعلم - استخدام القوة بشكل مفرط، أثناء الدخول لفلسطين - إذا بقي الحال على ما هو عليه -، وما ينفي وقوع مواجهة شاملة، في حرب معلنة ومكشوفة، ولنறع على الفكر العسكري لرسول الله عليه الصلاة والسلام في كيفية التعامل مع هذا الواقع، وكيفية التدبير الإلهي في تنفيذ وعده، سنعرض بعض الملامح من فتح مكة.

لما كان صلح الحديبية، دخل بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكانت الهدنة. فاغتنمتها جماعة من بنى بكر، في السنة الثامنة للهجرة، فأصابوا من خزاعة ثاراً قد يألهم، وكانت قريش قد رفت بنى بكر بالسلاح والرجال. فخرج نفر من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله عليه الصلاة والسلام، فأخبروه بما أصيب منهم، ومظاهره قريش لبني بكر عليهم، فوعدوا بالنصر، ثم انصرفوا راجعين. فخرج أبو سفيان حتى قدم المدينة، ليطلب الشفاعة، ويشدّ في العقد ويزيد في المدة، فرجع خائباً.

في تلك الأثناء، أمر المسلمين بالجهاد، وأخفيت جهة الخروج عن الناس في بادئ الأمر، كما أخفى موعد الخروج، ثم إن رسول الله أخبر الناس - قبيل خروجه بفترة قصيرة - أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجلد والتبيؤ، وقال: "اللهم، خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها". وكلنا يعلم قصة حاطب بن أبي بلتعة عندما حاول إعلام قريش بما كان من أمر المسلمين، فكشف الله أمره عن طريق الوحي. وشاء الله، فعمّت الأخبار عن قريش، ونزل جيش الفتح بالقرب من مكة.

كان العباس عم الرسول عليه الصلاة والسلام قد أعلن إسلامه عند مقدم جيش المسلمين لغزو مكة، وما قاله حين نزل رسول الله من الظهران: "واصبح قريش، والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة، قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر". فخرج العباس - رضي الله عنه - ليبحث عن رجل من قريش، ليطلب لها الأمان، من رسول الله عليه الصلاة والسلام، خوفاً من أن يهلكها جيش المسلمين القادر للانتقام منها لنقض العهد، فوجد صاحبه أبي سفيان، فاستجلبه ليطلب الأمان. ولو لا ما أعطى أبو سفيان من الأمان لأهل مكة، وإطلاق سراحه صباحاً، ليُخبرهم قبل دخول جيش المسلمين، لهلكت قريش.

كانت قريش - بعد أن نقضت العهد - توقع خروج الرسول عليه الصلاة والسلام عليها، ولكن معرفتها لوقت خروجه على وجه الدقة لم تكن متحصلة، لذلك لم تقم بالاستعداد للمواجهة، وكانت تعتمد على خبر يأتيها من عمليات التجسس، التي بدأت على القيام بها، منذ نقضها للعهد، للبدء في الاستعداد. ولكن ذلك الخبر لم يأتِ، بمشيئة الله، حتى كان صباح يوم الفتح، على لسان أبي سفيان، الذي كان قد أسلم، داعياً أهل مكة إلى الاستسلام، لا داعياً إياهم إلى التفير.

### مقومات وظروف فتح مكة:

كان مُحرّك الخروج على قريش هو الرغبة في الانتقام منها لنقضها العهد، والثار لبني خزاعة، بالإضافة لدافع أخرى، أما رسول الله عليه السلام فكان أرحم بأهل قريش من أنفسهم.

- توافر الوعود الإلهي لرسوله وللمؤمنين بالفتح.

- إحاطة عملية الخروج بالسرية التامة، لتوفير عنصر المباغة، مما حرم قريش من الاستعداد للمواجهة، سواء بإعداد العدد والعدة، أو بالاستعانته بمن حولها من القبائل، مِنْ كانوا على عداء مع المسلمين. مع العلم بأن المسافة ما بين المدينة ومكة تزيد على 400 كم، وأن وسائل الانتقال كانت بدائية وبطيئة جداً، ومع ذلك؛ تمكّن المسلمون من الوصول وبمبالغة أهل مكة، من خلال الأخذ بالأسباب، ومن ثم الاعتماد على التأييد الإلهي.

- تأمين الكثرة، لدب الرعب في قلوب المشركين، وإجبارهم على الاستسلام لأنعدام القدرة على المواجهة، ولسحق أي مقاومة محتملة، مهما كان حجمها، حيث بلغ تعداد الجيش قرابة عشرة آلاف رجل، وهو العدد نفسه الذي استطاعت قريش وحلفاؤها من القبائل، جمعه في غزوة الخندق، وهو ما حُرمت قريش من فعله عند فتح مكة.

- علم المسلمين التام بجغرافية مكة ومحيطها، مما أفاد المسلمين قبل وأثناء الدخول.

- والأهم مما تقدّم كله هو التأييد والتمكن والتدبّر الإلهي، من البداية إلى النهاية، لإنجاز ذلك الوعد.

### كيف سيكون دخول المسجد:

على ما يبدو، وبعد هذه القراءة المطولة، أنه لن تكون هناك معركة معلنة ومكشوفة وطويلة الأمد، تُستخدم فيها الآليات الحربية، من مدافع ودبابات وصواريخ وطائرات. وإنما غزو سريع وبمبالغة، بجيش عرم، بعدد هائل من الجنود، مدربين على سرعة الانتقال والانتشار،

ومزودين بأسلحة خفيفة، هم أشبه - كما تصورُهم التوراة - باللصوص في خفة حركتهم وانسيابهم وتسلّلهم وبالنور بسرعة انتقضاضها، وبالأسود في قوتها وجبروتها وبطشها.

وكون هذا الهجوم مباغتاً، يُفهم من تحذير الإنجيل لليهود، بأن من سمع بمحاصرة أورشليم بالجيوش، إذا كان في الحقل، فلا يرجع إلى المدينة، وإذا كان على سقف المنزل، فلا ينزل إلى أسفل، ليجلب متعاماً أو ما شابه، أي أن هناك مَنْ سيسمع بهذا الغزو بعد خروجه إلى الحقل، وأن هناك مَنْ سيسمع بالغزو، بعد صعوده إلى سطح منزله، والخروج من المدينة إلى الحقل والعودة، ربما لا يتجاوز سويّات معدودة، وأما الصعود إلى سطح المنزل والتزول عنه، فربما لا يتجاوز دقائق معدودة. فالفارق الزمني قصير جداً ما بين الحالتين، فالذى خرج إلى الحقل لم يكن يعلم بالغزو قبل خروجه، والذي صعد إلى سطح المنزل لم يكن قد سمع بالغزو قبل صعوده، والله أعلم.

### الوعد والموعد والواقع:

وبالعودة إلى الوراء قليلاً، نجد أن المسلمين استأدوا كثيراً، عندما منعوا من أداء العمرة، بصحبة رسول الله عليه الصلاة السلام، في السنة السادسة للهجرة، وما زاد في قهرهم هو ذلك الصلح، الذي منع دماء المشركين منهم، وأبقى المسجد الحرام في أيديهم، لمدة عشر سنوات قادمة، فعقب سبحانه وتعالى على ذلك قائلاً: «فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا»، والذي كان يعلم رب العزة مسبقاً هو أنهم سيؤدون العمرة في العام التالي، وأن هذا الصلح، الذي استأدوا من عقده مع مشركي قريش، وأضفوا عليهم شعوراً باليأس والإحباط، سيكون هو نفسه سبباً ومبرراً لفتح مكة، عند نقضه من قبل قريش بعد ستين من إبرامه، فعقب بقوله: «فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا» (27 الفتح).

حتى أكثر المسلمين إيماناً ويقيناً وتفاؤلاً، لم يكن يتصور - لحظة منعهم من أداء العمرة وإبرام الصلح - بأن فتح مكة سيكون بعد ستين فقط، من تاريخ تلك اللحظة، وبتلك الصورة الاحتفالية والمشترفة، لتكون تأدية فريضتي الحج والعمرة متاحة لهم في أي وقت شاؤوا.

وبالنظر لواقع المسلمين في غزوة الأحزاب، وهم قلة، وقريش وقبائل الجزيرة بمشركيها وبيهودها يتربصون بهم ريب المئون، من الداخل والخارج، هل كان من الممكن أن يُتصور أن هذه الحال، ستقلب رأساً على عقب، بعد ثلاث سنوات، فيغزو المسلمين مكة بعشرة آلاف مقاتل؟

وبالرغم من اختلاف طبيعة الوعود الإلهية، من حيث الثواب والعقاب، إلا أنها تحدث هنا عن الوعود بحد ذاته، لنقول بأن الوعود الإلهي لا يحدده زمان ولا مكان ولا واقع، ولا ننسى بأن وعد الآخرة، هو وعد بعقاب اليهود في المقام الأول.

قال تعالى: «وَسَتَقْرِبُونَكُمْ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمٌّ لِجَاءَهُمْ أَعْذَابُ وَلَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» (53 العنكبوت)، وقال: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيْرِهِمْ لِأَوَّلِ  
الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنَنْتُمْ أَنَّهُمْ حُصُوبُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ حَيَّٰتِ لَمْ يَخْسِبُوا  
وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةَ خَرِبُونَ بِيُوْهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِيِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَعْتَبُرُوا يَأْتُونِي الْأَبْصَرِ» (2 الحشر).

### الفصل الثالث:

﴿ وَلَيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبَّرِّإِ ﴾

إن كل ما علا ببني إسرائيل عليه أو به أو فيه سيصله الدمار لا محالة، لعموم لفظ العلو، كما مر معنا، حتى علوهم في الغرب، إذ أن الذي أبقى علوهم قائماً ومستمراً في فلسطين، هو علوهم في الغرب. ولذلك يصبح دمار عناصر هذا العلو في الغرب أمر محتماً، وبذلك تنفي تماماً قدرتهم على العلو مرة أخرى، إذ أن هذا العلو هو علوهم الأخير في الأرض.

ويؤكد سبحانه أن السبب في زوال هذا العلوهم اليهود أنفسهم، حيث أن الله كان قد اشترط عليهم الإحسان لإدامة هذا العلو، وحذّرهم من زواله إن هم أساوا، وجاء هذا الشرط مباشرة قبل إخباره عن وعد الآخرة في الآية السابعة، فاليهود حكموا على أنفسهم بالهلاك، وعلى علوهم بالزوال:

أولاً: وذلك لأنهم لم يحسنوا، بل على العكس من ذلك أساوا، ولم يألوا في ذلك جهداً بالإفساد في الأرض، ضارين بالتحذير الإلهي عرض الحائط.

ثانياً: والأنكى من ذلك أنهم قاموا بتوجيه رسالة أخرى لرب العزة، ومؤداتها يقول: بأننا سنفعل ما يحلو لنا، وسنفسد في الأرض، وسنمنعك من بعث عبادك الأشداء، الذين تهدّدنا بهم، لأننا سنُنيدهم عن بكرة أبيهم، قبل أن تُفكّر في بعثهم، مظهرين إصراراً على تحديهم لرب العزة، بأن ينزل بهم ما وعدهم، متّكلين على مَنْ هم دونه، لحمايتهم ووقايتهم من أمر الله، منكرين ربوبية الله وألوهيته، وقدرته على تصرف أمور الكون، وكذلك حقيقة البعث بعد الموت، وهذه الأمور هي ما تتناوله سورة الإسراء، على امتدادها، من وجوه متعددة.

ثالثاً: هي حرب الله عليهم، لا حرب أحد، ذلك بأنهم تحذّروا الله، وأعلنوا حربهم عليه، وعلى كل مَنْ يؤمن به، رياً وإلهاً واحداً أو حداً، خاب وخسر الذين من دونه.

وفي الأصل كما أوضحتنا سابقاً أن علّوهم غير المسبوق في الغرب، هو الذي أوجد علّوهم في فلسطين لاحقاً، ولما كان كل ما علا بنو إسرائيل به أو فيه، سيصله الدمار لا محالة، لذلك كان لازماً زوال علّوهم في الغرب وأمريكا خاصة، والله أعلم.

فاليهود لهم من حيث المكان إفسادات:

أولاً: في فلسطين، إفساد بسفك الدماء، وإخراج الناس من ديارهم، والاستيلاء على عتلياتهم، وإتلاف الأخضر واليابس، ومنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، والسعى في خرابها ... إلى آخره.

وثانياً: في أمريكا والدول الغربية، إفساد بنشر العقائد المادية الإلحادية، وإشاعة الرذيلة والانحلال الخلقي والأخلاقي في شتى مناحي الحياة، بالإضافة إلى تفريق الناس وتصنيفهم واستضعاف طوائف منهم، وسمومهم سوء العذاب.

### زوال العلو اليهودي في أمريكا بعد فلسطين:

قال تعالى: «ضَرَبَتِ اللَّهُ أَنَّ مَا ثَقَفُوا إِلَّا يَخْتَلِفُ مِنَ اللَّهِ وَحْتَلِفُ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ» (آل عمران: 112)، الذلة هي الضعف والانخاض، وهي تقىض العزة والعلو، وأين ما ثقوا، أينما وجدوا، في الأرض على امتداد رقعتها، وخلاصة ما تقوله هذه الآية أن الشعب اليهودي - كامة وأفراد - سيمر بخمسة مراحل، وهي على التوالي: ذلة، علو، ذلة، علو، ذلة. ومن ذلك نفهم أن صفة العلو، وهي المرحلة الرابعة، ستزول عنهم في شتى بقاع الأرض، سواء في فلسطين أو في أمريكا، أو فيما سواها من دول العالم، ليدخل الشعب اليهودي بأسره، في المرحلة التي تليها، ولتعود إليه صفة الذل التي هي القاعدة، أينما وجد أيضاً، وعلى مستوى الأفراد والجماعات، حيث كان العلو استثناءً لرتين فقط.

ولو أننا نظرنا إلى أمريكا كدولة، وما تقوم به حالياً، نظرة مُتحصّنة وشاملة، سنجد أنها فاقت فرعون، في علوه واستعلائه وفساده وإفساده، باحتضانها للعقائد اليهودية الشيطانية، والشهر على تطبيقها وترويجها، في الأرض على عمومها، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى.

والعقاب الإلهي الموعود به بنو إسرائيل، كان للإفساد الناجم عن العلو، وعلوهم الآن يتمثل في مكانين تحديداً، هما فلسطين وأمريكا، وفضلاً عن ذلك، فإن أمريكا المتعالية على شعوب الأرض، وبصرف النظر عن كونها مكاناً للعلو اليهودي - فهي تجمع ما بين علوين

وإفسادين، هما: العلو والإفساد اليهودي، والعلو والإفساد الذاتي لها، لذلك فمن غير المستبعد إجراء لسنة الله في القرى وإلاكها أن تكون هدفاً لانسكاب الغضب الإلهي.

وقد يستغرب ويستنكر كثير من أمة الإسلام، والأصح من المؤمنين بالإله (أمريكا)، مجرد التفكير بأن أمريكا قد تنتهي، وكأنهم لا يقررون قوله تعالى: «أولئك يسيرون في الأرض فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الَّذِينَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا فَدِيرًا» (44 فاطر). وقوله: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَتْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَإِثْرًا فِي الْأَرْضِ فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانُوا لَهُمْ مِنْ آللَّهِ مِنْ وَاقِعٍ» (21 غافر).

### الهدنة بين العرب وبين الأنصار آخر الستة قبل الساعة:

عن عوف بن مالك، قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم، في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: اعد ستاً بين يدي الساعة؛ موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كفعاوص الغنم، ثم استفاضة المال، حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبينبني الأنصار، فيغترون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تخت كل غاية اثنا عشر ألفا) رواه البخاري، وأخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد.

جاء في شرح هذا الحديث في فتح الباري: قوله هدنة، هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه، قوله بنى الأنصار، هم الروم، قوله غاية أي راية.

يخبر هذا الحديث عن هدنة تكون بين المسلمين والروم، والهدنة - كما جاء في الشرح - هي صلح على إيقاف القتال قبل اشتعال فتيله أو في بداياته، ومن ثم يغدر الروم فيغزون ديار المسلمين، بجيشه قوامه ما يقارب المليون جندي.

### اما الهدنة وما يسبقها، فيوضاحه الحديث التالي:

عن حسان بن عطية، قال: مال مكحول وأبن أبي زكريأ، إلى خالد بن معدان، وملت بهم، فحدثنا عن جبير بن ثقيب، عن الهدنة، قال: قال جبير: انطلق بنا إلى ذي مخبر، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فأتياه، فسأله جبير عن الهدنة، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ستصالحون الروم صلحًا أمنا، فتفزون أتمهم وهم عدوا من ورائكم، فتتصارون، وتغنمون، وتسلمون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرج ذي

تُلُول، فَيَرْقَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلَبِيَّةِ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلَبِيُّ، فَيَغَضِبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدْفَعُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ، تَغَدِّرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلملَحَّمَةِ، رواه أبو داود، وصححه الألباني، وأخرجه ابن ماجه وأحمد والحاكم والبيهقي.

وتكملاً للحديث، في رواية أخرى بسند آخر لابن ماجه: فَيَجْتَمِعُونَ لِلملَحَّمَةِ، فَيَأْتُونَ حِيتَنِدِ، تَحْتَ ثَمَانِينَ غَایَةً، تَحْتَ كُلِّ غَایَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا.

جاء في شرح هذا الحديث في (عون المعبد): "الروم جيل معروف، في بلاد واسعة تُضاف إليهم، فيقال بلاد الروم، ومشارق بلادهم وشمالهم الترك والروس والخزر، وجنوبيهم الشام والإسكندرية، ومغاربهم البحر والأندلس، وكانت الرقة والشامات كلها تَعَدُ في حدودهم أيام الأكاسرة، وكانت أنطاكية دار ملوكهم، إلى أن نفاهم المسلمين إلى أقصى بلادهم. انتهى... . فسأله جبير عن الهدنة، أي الهدنة التي تكون بين المسلمين وبين الروم، آمناً؟ أي ذا أمن، فتفاوضوا أنتم؟ أي فتقاولون أيها المسلمين، وهم؛ أي الروم المصالحون معكم، عدواً من ورائكم؛ أي من خلفكم، وقال السندي في حاشية ابن ماجه؛ أي عدواً آخرين بالمشاركة والاجتماع، بسبب الصلح الذي بينكم وبينهم، فتنصرون بصيغة الجھول، وتغنمون بصيغة المعلوم؛ أي الأموال، وتسلمون من السلام؛ أي تسليمون من القتل والجرح في القتال، ثم ترجعون؛ أي من عدوكم، حتى تنزلوا؛ أي أنتم وأهل الروم برج؛ أي الموضع الذي ترعى فيه الدواب قاله السندي، وفي النهاية أرض واسعة ذات نبات كثيرة، ذي تلول بضم التاء جمع تل، وهو موضع مرتفع، قاله القاري وقال السندي: كل ما اجتمع على الأرض، من تراب أو رمل؛ انتهى. فيقول؛ أي الرجل منهم، غلب الصليب أي دين النصارى، فيدقه؛ أي فيكسر المسلم الصليب، تغدر الروم؛ أي تنقض العهد، وتجمّع؛ أي رجالهم ويجتمعون للملحمة؛ أي للحرب".

هذا الحديث يُخبر بأن هناك صلحًا آمناً؛ أي لا قتال فيه، سيكون بين المسلمين والنصارى، لمدة من الزمن، ثم يقاتلون جنبًا إلى جنب عدواً مشتركاً، فينتصرون بلا خسائر، وبعد النصر يقع الخلاف بين المتصارعين، بسبب ادعاء أحد النصارى أن النصر كان للصلب دون الإسلام، فيقتل الطرفان، ومن ثم يُفضي الاشتباك، وتُعلن الهدنة، ومن ثم يعود النصارى إلى ديارهم مضطربين الغدر، ليعودوا في قادم في الأيام، في جيش عرمم، لغزو المسلمين في زمن المهدى. والله أعلم.

## الروم قدماً وحديثاً:

نعلم أن الإمبراطورية الرومانية القديمة كانت قد انقسمت إلى قسمين؛ شرقي وغربي، وأتخذت القسطنطينية عاصمة للجزء الشرقي، وروما عاصمة للجزء الغربي، وذلك قبل ظهور الإسلام بحوالي مائتي سنة، وبقيت القسطنطينية عاصمة لملكة الروم الشرقية منذ ذلك الوقت، حتى تم فتحها، على يد محمد الفاتح، سادس السلاطين العثمانيين، وبذلك اختفت مملكة الروم الشرقية إلى الأبد، وأما سكان تركيا الحاليون فمعظمهم من الأتراك المسلمين، الذين يعودون في أصولهم إلى غرب الصين، مع بقاء نسبة قليلة من النصارى فيها، ذوي الأصول الرومية، أما النسبة الأكبر من الروم، فقد هاجرت وانتشرت فيما حولها من بلدان أوروبا الشرقية.

ولنذكر هنا أن المسلمين حاصروا القسطنطينية إحدى عشرة مرة، ولم يتمكنوا من فتحها، إلا بعد أن بدأت شمس العثمانيين الترك بالظهور فيما يُسمى باسيا الصغرى، بعد ضعف الدولة السلجوقية وانحلالها عام 1300م تقريباً، فبدأت دولتهم بالاتساع غرباً على حساب مملكة الروم الشرقية شيئاً فشيئاً، حتى اقتصرت مملكة الروم الشرقية على القسطنطينية وضواحيها، عند تسلُّم محمد الفاتح لمقاليد الحكم، الذي لم يتوانى عن فتحها سنة 1453م. ومن ثم استمرت فتوحات العثمانيين، حتى شملت معظم بلدان منطقة البلقان، في أوروبا الشرقية.

والمتبع للتاريخ الحديث سيجد أن روسيا القيصرية بعد بزوغ شمسها أصبحت الوريث الأكبر لمملكة الروم الشرقية بعد زوالها، حيث كانت - وما زالت في القرنين الأخيرتين - تحاول تنصيب نفسها كراعية وحامية لصالح نصارى الشرق ذوي المذهب الأرثوذكسي، وأخذت على عاتقها - بعد أن اشتد عودها - مهمة استعادة القسطنطينية من الأتراك، ومن ثم إعادةها كعاصمة دينية للكنيسة الأرثوذكسيَّة، كما كانت في السابق، وهو ما تحاول الاستئثار به حالياً الكنيسة اليونانية الموالية للغرب. وفيما يلي بعض البنود التي جاءت في وصية بطرس الأكبر، المؤسس الحقيقي للملكة الروسية، في أواخر القرن السابع عشر، من كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) لفريد بك المحامي :

"البند التاسع: ينبغي التقرب بقدر الإمكان من استبول والهند، وحيث أنه من القضايا المسألة أن من يحكم على استبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها، ....

البند الحادى عشر: ...، وحينما نستولي على استنبول، علينا أن نُسلّط دول أوروبا القديمة على دولة التمساح حرباً، أو نُسكن حсадها ومراقبتها لنا، بإعطائهما حصة صغيرة من الأماكن التي تكون قد أخذناها من قبل، وبعدها نسعى إلى نزع هذه الحصة منها.

البند الثاني عشر: ينبغي أن تستميل لجهتنا جميع المسيحيين، الذين هم من مذهب الروم، المنكرين لرياسة البابا الروحية، والمتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية، ونجعلهم أن يتخدوا دولة روسيا مرجعاً ومعيناً لهم، ومن اللازم قبل كل شيء إحداث رياضة مذهبية، حتى تتمكن من إجراء نوع من السلطة الدينية عليهم ... .

## المذاهب النصرانية:

بالنظر إلى الطوائف الثلاثة الكبرى المهيمنة على العالم المسيحي، نجد أن معتنقى المذهب البروتستانتي، والذى تمثله أمريكا وبريطانيا وهولندا، هم الأشدّ عدواً وكراهية لل المسلمين والعرب بشكل خاص، والمعروفين بميلهم وتأييدهم لليهود. ويليهم في ذلك معتنقو المذهب الكاثوليكى، والذى تمثله فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا وباقى الدول الغربية، وأقلّهم عدواً وكراهية هم معتنقو المذهب الأرثوذكسي، والذى تمثله روسيا ودول أوروبا الشرقية.

والتابع للتاريخ القديم والحديث سيجد أن الطوائف المسيحية الثلاثة على خلاف دائم، وأن العداوة والبغضاء مستفحلة وذات جذور عميقة، فنصارى الشرق الأرثوذكس لم ينسوا ولم يغفروا، لنصارى الغرب من الكاثوليك ما أوقعوه بهم من مذابح في حملات الغرب الصليبية، ولم يقبلوا مؤخرًا اعتذار البابا عنها. والعداوة والبغضاء مستفحلة حتى بين الكاثوليك والبروتستانت من جهة أخرى، كما هو الحال في أيرلندا الشمالية، وهذا ما أخبر عنه سبحانه وتعالى في قوله: «وَمِنَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّا نَصْرَنَاهُ أَخْذَنَا مِنْهُمْ هُنَّ فَسَوْا حَظًا بِمَا ذُكِرَوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُتَبَيَّنُهُمْ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (14 المائدة)، وهذه العداوة والبغضاء لا انقطاع لها، مستمرة إلى يوم القيمة، وهذا ما أكدته التأريخ الأوروبي القديم والحديث.

والتابع للتاريخ الإسلامي والعربي، سيجد أن ما تُخبر عنه هذا الأحاديث النبوية أعلاه، من شأن مصالحة المسلمين أو العرب للنصارى، والتحالف معهم ضدّ عدو مشترك، وتحصيلهم معاً على النصر والغنية والسلامة، ومن ثم الاختلاف، وإضمار الغدر، ومن ثم العودة لمقاتلة المسلمين لم يكن قد تحصل قدّيماً أو حديثاً. وكما يَبْيَأُّ أن التحالف هو آخر ستة أمور قبل قيام الساعة، فلا شك أن هذه الحرب التي سيخوضها المسلمين وحلفاؤهم ضدّ عدوهم

المشترك، للمرة الأولى والأخيرة، ستقع في وقت قريب، والأحاديث النبوية تُخبر أن هناك ثلاثة أطراف؛ المسلمين، والروم، وعدواً مشتركاً للمسلمين والروم.

والروم ضمن معطيات الواقع الحالي، وفي ضوء ما أخبرت عنه الأحاديث، ما زالوا ينقسمون إلى قسمين:

نصارى الشرق من معتنقى المذهب الأرثوذكسي، وهم المقيمون إجمالاً في أوروبا الشرقية، أو دول حلف وارسو القديم، الذي كانت فيه الرعامة. وما زالت -للدولة الروسية.

نصارى الغرب من معتنقى المذهب البروتستانتي والمذهب الكاثوليكى، وهم المقيمون إجمالاً في أمريكا وأوروبا الغربية، أو دول حلف الناتو بزعامة أمريكا.

وكل من الفريقين يُكنّ عداوة مذهبية، قلّ نظيرها، للفريق الآخر. ولو نظرنا إلى الواقع الحالى، لوجدنا أن أمريكا وبريطانيا وفرنسا هي الدول الأشدّ عداءً للعرب والمسلمين، منذ حروبهم الصليبية الأولى التي كانت تقودها فرنسا بصفتها الراعية للمذهب الكاثوليكى، منضوياً تحت لوائها كل من ألمانيا وإيطاليا وإنكلترا، وحتى حروبهم الاستعمارية في العصر الحديث بقيادة أمريكا، وما موالاة هذه الدول لبعض الدول العربية إلا مداهنة، من قبيل الحرص على مصالحها فقط، بل هي أكثر مقتاً واحتقاراً وامتهاناً لتلك الدول نفسها من غيرها. ولوجدنا أيضاً أن الروس ونصارى الشرق إجمالاً مِنْ يعتقدون المذهب الأرثوذكسي هم الأقلّ عداءً للعرب والمسلمين من مجموع المذاهب النصرانية.

لنخلص إلى القول بأنهم على الأغلب الفريق الذي سيكون حليفنا في المعركة القادمة، وأن هذا التحالف سيحصل بداعي المصالح أولاً وعلى قاعدة (عدُوٌّ عدوٌّ صديق) ثانياً، وليس جاً بالعرب أو المسلمين، ولكن؛ لتعارض المصالح ولوجود الكراهية المتأصلة.

قال تعالى

﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَخْنَادَ اللَّهِ وَلَدًا ﴾

مَا هُم بِيهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَاهِمَ كَبَرْتَ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١﴾

فَلَعِلَّكَ بَتَخْرُجُ نَفْسَكَ عَلَى أَثْرِهِمْ إِنْ لَدُنْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا ﴿٢﴾

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِيَّةً لَمَّا لَبَثَوْهُمْ أَهْمَمُهُمْ أَخْسَنُ عَمَلاً ﴿٣﴾

وَإِنَّا لَجَعَلْنَا مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزاً ﴿٤﴾ (الكهف: 4-8).

## الفصل الرابع:

### ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾

قال تعالى : «إِنَّ أَحَسَنُّهُ أَحَسَنَتْ لَأَنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيُسْتَأْنِوْا وُجُوهُكُمْ وَلَيَذْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ مَرَّةٍ وَلَيُبَيِّنُوا مَا عَلَوْا تَقْبِيْلًا» (7 الإسراء)، ترتبط هذه الآية بالبعث الثاني ، وتأكد أن ذلك هو وعد المرة الثانية ، ومعنى «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» : أي حضر وقت ما وعدوا من عقوبة المرة الأخيرة ، ومجيء ذلك الوعد يفيد ثبات وقته ، والله تعالى عندما يطلق وعداً فلا بد من تحقق هذا الوعد وفي الوقت المحدد.

قال تعالى : «حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعِيَادَ» (31 الرعد). وقال أيضاً : «وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمْفَعُولاً» (108 الإسراء). فالوقت مُعین وهو آتٍ لا محالة ، إلا أن القرآن لم يكشف هذا الوقت صراحة ، لحكمة من الله يعلمهها هو ، ولعلها أن الناس إذا علمت بهذا الوقت ركنت إليه وتركت الأسباب ، فتختلف بذلك سنة الله في الأخذ بالأسباب ، ومن ثم الاتكال عليه وحده لتحقيق المراد . وقد اجتهد بعض الباحثين مؤخرًا للكشف عن هذا الموعد ، واعتمدوا في تحديده على التوافق العددي واللغوي في القرآن والتطابق في عدد الكلمات وموقع الآيات وترتيبها ، وينضم ذلك إلى ما سُمي بالإعجاز العددي في القرآن الكريم ، وخرجت عدة أبحاث وكتب في هذا المجال ، بدأها أحد الكتاب المصريين عندما أخرج بحثاً يقوم على العدد 19 ومضاعفاته ، ومن بعده الأستاذ بسام جرار الذي قدم كتاباً عجيبة تسعه عشر بين تخلف المسلمين وضلالات المدعين . وكتاب "زوال إسرائيل عام 2022 م" . وغيرهم ، - وإننا - وبعيداً عن مدى قناعتنا بذلك الأبحاث أو جدواها - رأينا إيراد ما يتصل منها بموضوع الكتاب ..

### أمثلة على توافق العدد والكلمة في القرآن:

لاحظ عدد كلمات الآيات في الأمثلة التالية :

قال تعالى «وَأَمَّا الْجَدَارُ فَكَانَ لِفُلَمَيْنِ<sup>4</sup> يَتِيمَيْنِ<sup>5</sup> فِي الْمَدِيْنَةِ<sup>7</sup> وَكَانَتْ<sup>8</sup> تَحْتَهُ<sup>9</sup> كَنْزٌ<sup>10</sup> لَهُمَا<sup>11</sup> وَكَانَ<sup>12</sup> أَبُوهُمَا<sup>13</sup> صَلِيْحًا<sup>14</sup> فَأَرَادَ<sup>15</sup> رَبِّكَ<sup>16</sup> أَنْ<sup>17</sup> يَتَلَقَّا<sup>18</sup> ...» (82 الكهف) .

كلمة (يَتَلْفَأ) حملت العدد (18)، ويطابق هذا العدد سن الرشد الذي هو 18 سنة، وفي سورة الكهف أيضاً «أَمْ أَحِبُّتَ<sup>2</sup> أَنْ<sup>3</sup> أَصْخَبَ<sup>4</sup> الْكَهْفَ<sup>5</sup> وَالرَّقِيمَ<sup>6</sup>». . . . وحتى الآية 25 «وَلَبِثُوا<sup>306</sup> فِي كَهْفِهِمْ تَلَثٌ<sup>309</sup>»، ونحن نعلم أنهم لبثوا في كهفهم (309) سنوات، كما نص القرآن الكريم. وقد أخذ البحث في هذا المجال اتجاهين يقومان على عد الكلمات بالاتفاق على أن كل كلمة تعبّر عن سنة، وفق منظورين مختلفين:

الاتجاه الأول:

يقوم هذا الاتجاه على الرقم 19 والرقم 76، وهو عدد السنين اللازمـة لدورـة مذنب هالي، ويفترض أن وقت الزوال لدولـة اليهود عام 1443 هـ، وفق نبوـة غامـضة مفادـها أن عمر دولة اليهود هو 76 سنة، فيما يلي بعض المطابـقات العـددـية لـذلك:

- إذا قمنا بإحـصـاء الكلـمات من الآيـة «وَإِاتَّيْنَا<sup>1</sup> مُؤْمِنَ<sup>2</sup> الْكَتَبَ<sup>3</sup> وَجَعَلْنَاهُ<sup>4</sup>» (2)، حتى نصل إلى عـبـارة «جـعـنا<sup>1441</sup> بـكـرـ<sup>1442</sup> لـفـيـا<sup>1443</sup>» (104 الإسراء)، سنجـدـ أنـ كـلمـة (لـفـيـا) تحـمل العـدـدـ 1443، وهو عـدـ كـلمـاتـ القـصـةـ.

. - الإسراء حـدـثـ قبلـ سـنـةـ منـ الـهـجـرـةـ، فـيـكـونـ 1 + 1443 = 1444 = 76 × 19.

- بـطـرـحـ هـذـاـ الرـقـمـ منـ عـدـ سـنـينـ دورـةـ مـذـنـبـ هـالـيـ، نـجـدـ 1443 - 76 = 1367 هـ = 1948 مـ.

- وـفـاةـ نـبـيـ اللـهـ سـلـيـمانـ عـلـيـ السـلـامـ عـامـ 935 قـ.ـ مـ، وـحـادـثـ الإـسـرـاءـ عـامـ 621 مـ، يـكـونـ 621 + 935 = 1556 سـنـةـ، وـهـوـ عـدـ كـلمـاتـ سـوـرـةـ الإـسـرـاءـ.

- مـجـمـوعـ أـرـقـامـ العـدـ 1556، وـكـذـلـكـ العـدـ 935 هـ هوـ 17، وـهـوـ تـرـتـيبـ سـوـرـةـ الإـسـرـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ.

- عـدـ سـنـينـ مـنـ الـهـدـنـةـ الـأـوـلـىـ عـامـ 1948 إـلـىـ هـدـنـةـ 1967 هـ هوـ 19.

- إـنـ عـدـ كـلمـاتـ الـتـيـ تـنـتـهـيـ بـالـأـلـفـ المـدـوـدـةـ فـيـ نـهـاـيـةـ كـلـ آـيـةـ مـنـ سـوـرـةـ الإـسـرـاءـ هـوـ 76 أي 19 × 4.

- عـدـ آـيـاتـ الـتـيـ عـدـ كـلمـاتـهاـ 19 هـيـ 4 آـيـاتـ أيـ 4 عـدـ كـلمـاتـهاـ 19 = 76.

- الآية 76 من سورة الإسراء تتحدث عن الإخراج من الديار «وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِرُونَكَ»، والجذر فرز اشتق منه في القرآن الكريم فقط ثلاث كلمـاتـ، وهذه الكلـماتـ الثلاث موجودـةـ في سورة الإسراء الآيات 64، 76، 103، ونجـدـ أنـ الكلـمةـ الـأـوـلـىـ هيـ «وَأَسْتَفِرْزَ»، وهي تـقـعـ في آـيـةـ منـ 19 كـلمـةـ، والـكـلمـةـ الثـانـيـةـ هيـ «لَيَسْتَفِرُونَكَ» تـقـعـ في الآية 76، والـكـلمـةـ الثـالـثـةـ هيـ «يَسْتَفِرُهُمْ» وهيـ الـكـلمـةـ رقمـ 1444 فـيـ سـوـرـةـ الإـسـرـاءـ، 1444 = 76 × 19.

وغير ذلك من الكثير من المطابقات العددية، حتى يخلص بالنتيجة إلى أن عمر دولة اليهود هو 76، وسوف تنتهي في عام 1443 هـ الموافق لـ 2022 م.

### الاتجاه الثاني:

قام بإحصاء الكلمات في سورة الإسراء، وعددها تمثل مدة لبث اليهود بالسنين القمرية على النحو التالي :

- قال تعالى «وقضيَنا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ»<sup>٤</sup> ... (4 الإسراء)، بالتتابع إلى «جئنا بِكُمْ لَفِيفًا»<sup>١٤٢١</sup> (104)، نجد أن كلمة (لفيفًا) تحمل العدد 1422، وهو عدد كلمات القصة، وهو عدد من السنين القمرية، التي تشير إلى نهاية مدة لبث بنى إسرائيل، في الأرض المذكورة بداية السورة، أي أن نهاية هذا اللبث ستكون بعد 1422 سنة قمرية.

- 1422 - (إعلان اليهود إقامة دولتهم) = 55، وبإضافة الشهور حيث الإعلان كان في شهر أيار، فنهاية الدولة اليهودية ستحقق في بحر السنة (ال السادسة والخمسين ) من عمرها.

- بداية القصة «وقضيَنا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ»<sup>٤</sup> ... (4) و العبارة التي تشير إلى نهايتها، ونهاز وعد الآخرة فيها هي عبارة «وَلَيَدْخُلُواٰلْمَسْجِدَ»<sup>٥٦</sup> ... (7)، وما جاء بعدها هي عبارات للتعقيب فقط ، فكلمة (المسجد) تحمل العدد (56).

- وإذا قمت بإحصاء الكلمات في نهاية السورة، من عبارة («وَلَقَدْ أَتَيْنَاٰ مُوسَىٰ ...»<sup>٣</sup>) حتى تصل إلى عبارة (...جئنا بِكُمْ لَفِيفًا»<sup>١٤٢٢</sup> (104)، فكلمة (لفيفًا) أيضاً تحمل العدد (56).

- إذا قمت بإحصاء 56 كلمة ، من حيث الكلمة التي تلي كلمة . قليلاً . مباشرة ، في قوله تعالى : «وَتَظُنُونَ إِنَّ لِتَثْرَثَ إِلَّا قَلِيلًاٰ وَقُلِ الْعَبَادِيٰ»<sup>٢</sup> ... (53) و توقفت عند الكلمة التي تحمل العدد (56) ، ستجد أنك توقفت في نهاية العبارة «فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضرَّ عَنْكُمْ» ، في الآية «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضرَّ»<sup>٥٤</sup> عنكم<sup>٥٦</sup> «وَلَا تَحْوِيلًا»<sup>٥٦</sup> (56) ، والذين سيق بهم الضُّرُّ؟ أي الأذى والعقاب الدنيويين ، عند مجيء وعد الآخرة هم اليهود.

الآية التي توقف العدد فيها عند العدد 56 ، على عبارة «فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضرَّ عَنْكُمْ» ، هي الآية التي تحمل العدد (56) أيضاً ، وهذه الآية تقع في منتصف السورة تماماً.

- بقسمة عدد آيات السورة (111) على (2) نحصل على (55.5) ، وهي تقريراً الحسبة نفسها التي خرجنا بها سابقاً ، لتشير إلى أن زوال دولتهم ، سيكون في بحر السنة السادسة والخمسين من عمر دولتهم.

- ياحصاء 56 كلمة، من حيث الكلمة التي تلي الكلمة (قليلاً) مباشرة، في قوله تعالى: «وَإِذَا لَيَلْتُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةً أَمَّنْ فَقَدْ أَرَى سَلَنَا» ... (77)، وبالتوقف عند الكلمة التي تحمل العدد (56)، يكون في الآية «وَقُلْ جَاءَ دَالْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ كَانَ زَهُوقًا» (81)، ومجيء الحق هو مجيء الوعد، وزهق الباطل هو بلال نفاذ الوعد، بزوال دولة الإفساد.

- بعد الكلمات من قوله تعالى «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» ... (7) في بداية السورة، إلى ما قبل عبارة «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» (104) في نهاية السورة، أي عند عبارة «أَسْكُنُوا الْأَرْضَ»، في قوله «وَقُلْنَا ... لَيْسَ إِنْزَابَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ»<sup>1366</sup> (104). نجد العدد (1367)، وهذا العدد هو عام إعلان اليهود دولتهم بالتقسيم الهجري.

- عدد كلمات القصة من بدايتها حتى نهايتها هو (1422) كلمة، وعدد كلمات المقدمة بدءاً من قوله تعالى: «سُبْحَنَ اللَّهِ الَّذِي أَسْرَى» ... (1) إلى قوله تعالى: «... كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» (3)، هو (42) كلمة، وعدد كلمات الخاتمة، بدءاً من قوله تعالى «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ» ... (105) إلى قوله تعالى ... «وَكَيْزَرُ تَكْبِيرًا» (111) هو (92) كلمة. وبجمع النواتج الثلاثة، نحصل على عدد كلمات السورة كاملة:  $42 + 1422 + 92 = 1556$  كلمة.

- في العدد الكلي لكلمات السورة، لو فصلنا خاتمي الأحاديث والعشرات عن خاتمي المثاث والألف ستحصل على العدددين (56) و (15)، والعدد الأول معلوم، والعدد الثاني يُعبر عن القرن الخامس عشر الهجري، والذي تقع فيه السنة 1422. كما أن مجموع أرقام هذا العدد، يُمثل ترتيب سورة الإسراء في القرآن:  $6 + 5 + 5 + 17 = 1 + 5 + 15 = 56$ .

إن عدد كلمات عبارة «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْتَفْوَأُ جُوهَرُكُمْ وَلَيَذْخُلُوا الْمَتْجَدَ» هو ثمانية كلمات، وأن عدد كلمات عبارة «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جَنَّتَا بِكُلِّ أَفْيَافِهَا» هو سبعة كلمات. حاصل ضرب العدددين هو:  $8 \times 7 = 56$  وحاصل جمع العدددين هو:  $7 + 8 = 15$ . ومجموع الناتجين، هو:  $15 + 56 = 71$ .

وخلص هذا الاتجاه إلى أن نهاية دولة اليهود ستكون في بحر سنة 1422هـ.

ويرى أصحاب الاتجاهين أن الفترة الزمنية التي سينفذ فيها وعد الآخرة، والتي قاموا بكتشها إن صحت، لم يقوموا هم بتحديدها، فهي محلدة أصلاً من قبله سبحانه وتعالى، في سورة الإسراء، وكل ما قاموا به هو الكشف عن هذه الفترة الزمنية وقراءتها بشكل صحيح ودقيق. وبما أن القرآن جاء بهذه التفاصيل كلها، من حيث ماهية العباد وكيفية الدخول

وموعده، وبالرغم من كونه حدثاً مستقبلاً، فإن حيثيات هذا الوعد لم تعد بوجودها في القرآن غالباً على الإطلاق.

## هل بدأ يوم القيمة؟

لقرأ معاً وتفكر بتأنٍ وتروٌ، قوله تعالى: «إِذَا قَالَ اللَّهُ يَعْبُسِي إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأَيْتُكَ إِنَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاءُكَ الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَكُمْ فَأَخْحُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (55 آل عمران).

يقول سبحانه وتعالى، في معرض خطابه لعيسي عليه السلام، (وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)، والذين كفروا بعيسي وطهره الله من أقوالهم وأفعالهم هم اليهود، (وَجَاءُكَ الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ) والذين اتبعواهم هم النصارى إجمالاً، بغض النظر عن صحة معتقدهم وصدق التزامهم بتعاليمه، (فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) والفوقيه تعني العلو والاستعلاء، والذين كفروا هم اليهود، (إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ) واليوم في الميزات السماوي يساوي ألف سنة بالميزات الأرضية، وهذا اليوم هو الذي سيقوم الناس فيه من قبورهم، ولا ندرى فيما كانت الناس ستقوم في أوله، أم في وسطه، أم في آخره.

ومفاد الآية أعلاه أن الفوقي ستكون للنصارى على اليهود، إلى يوم القيمة، بمعنى أن فوقي النصارى على اليهود لها متنه، وقد حددته هذه الآية بمحاجة يوم القيمة، وأن تحول هذه الحالة إلى العكس تماماً؛ أي أصبحت الفوقي لليهود على النصارى فهي إذن بيده يوم القيمة بالميزات السماوي. ومحاجة (ثم) يفيد التراخي للرجعة إلى رب العزة، والله أعلم.

ولو تبعينا التاريخ اليهودي لوجدنا أن الاضطهاد النصراني لليهود بدأ منذ اعتناق الرومان للنصرانية، واتخاذها كدين رسمي للإمبراطورية الرومانية، واستمر حتى بدايات القرن الماضي، وزال كلية بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد إعلان اليهود عن دولة لهم في فلسطين، حيث انقلب الحال، فأصبحت الفوقي لليهود على النصارى، وبدأ عصر الاضطهاد اليهودي للنصارى وغيرهم.

قال تعالى :

«قُلْ لِئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْصِي طَهِيرًا ﴿١﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٢﴾ (الإسراء).



## الباب الخامس

### الإنذار الأخير

الفصل الأول:

﴿فَإِنَّمَا يَسْرِّهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

الفصل الثاني:

﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾

الفصل الثالث:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ﴾

الفصل الرابع:

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾



## الفصل الأول:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرَنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

تبدأ سورة الدخان بتعظيم شأن الليلة التي أنزل فيها، وتركت السورة على الإنذار دون البشري، حيث قال سبحانه في إرسال محمد عليه الصلاة والسلام «يَتَأَبَّلُ النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» (45 الأحزاب). ويؤكد سبحانه أنه أرسله منذراً للبشر من قبل أن يحل بهم العقاب، رحمة منه بعباده. والعقاب الذي تأتي على خبره الآيات وتحذر منه هو البطشة الكبرى، التي لم تُحدَّد ماهيتها هنا، ونذير هذه البطشة، الذي سيسبقها بقليل، هو الدخان، فليرتقبه الناس، فإن ظهر وعاينوه فليعتبروا، وليرحروا، وليعودوا عمما هم عليه من الشك والتشكيك في أمر ربهم، واللعب في أمر دينهم، والطعن في رسولهم الكريم، الذي بعث إليهم بشيراً ونذيراً، فإن لم يفعلوا، ولن يفعلوا، فليرتقبوا البطشة الكبرى.

### تعريف بسورة الدخان:

مكة، كما روی عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم، ووجه مناسبتها لما قبلها أنه عز وجل ختم ما قبلها (الزخرف) بالوعيد والتهديد، وافتتح هذه بشيء من الإنذار الشديد، وذكر سبحانه هنا، كقول الرسول - صلى الله تعالى عليه وسلم - : يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (في نهاية سورة الزخرف)، وهنا نظيره، فيما حكى عن أخيه موسى عليهما الصلاة والسلام، بقوله تعالى : «فَذَعَرَتْهُ أَنْ هَتُّلَّا وَقَوْمٌ بَغْرُونَ» ، وورد بفضلها أخبار ، الألوسي .

### أقوال بعض المفسرين في آيات سورة الدخان:

﴿حَمٌ وَالْكَعْبَ الْمُبِينٌ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أُمَّرِ حَكِيمٍ أُمَّرِّا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

يقول تعالى - مخبراً عن القرآن العظيم - إنه أنزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، أمر حكيم، أي محكم لا يُبدَّل ولا يُغيَّر، ولهذا قال جل جلاله، «أُمَّرِّا مِنْ عِنْدِنَا» ، أي جميع ما

يكون ويُقدّره الله تعالى وما يوحيه، فبأمره وإذنه وعلمه، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾؛ أي إلى الناس رسولًا يتلو عليهم آيات الله مبينات ، ابن كثير.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَخْتِي - وَيُعِيتُ رَبِّكُمْ وَرَبُّ أَبَابِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾.

أي إنْ كنتم من أهل الإيقان علمتم كونه سبحانه رب السماوات والأرض ، لأنَّه مَنْ أظهر اليقينيات دليلاً ، وفي هذا الشرك تنزيل إيقانهم ، منزلة عدمه ، لظهور خلافه عليهم ، وهو مراد من قال : إنه من باب تنزيل العالم منزلة الجاهل ، لعدم جريه على موجب العلم ، قيل : ولا يصح أن يقال : إنهم نزلوا منزلة الشاكين ، لما كان قوله سبحانه بعد : بل هم في شك ، ولا أدرى بأساساً في أن يقال : إنهم نزلوا أولاً كذلك ، ثم سُجّلُ عليهم بالشك ، لأنَّهم وإنْ أقرُوا بأنه عزَّ وجَلَ رب السماوات والأرض - لم ينفكوا عن الشك لإلحادهم في صفاته ، وإشراكهم به تعالى شأنه ، الألوسي .  
﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ ﴿٧﴾﴾ .

بل هؤلاء المشركون ، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي قد جاءهم الحق اليقين ، وهم يشكّون فيه ، ويترون ولا يصدقون به ، ثم قال عزَّ وجَلَ متوعداً لهم ومهدداً ، ﴿فَازْتَقَبْتَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءَ﴾ ، ابن كثير .

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي ليسوا على يقين ، فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار ، في قولهم إن الله خالقهم ، وإنما يقولونه لتقليد آبائهم ، من غير علم ، فهم في شك ، وإنْ توهموا أنهم مؤمنون ، فهم يلعبون في دينهم ، وقيل يلعبون ؛ يضيفون إلى النبي صلى الله عليه وسلم الافتراء والاستهزاء ، ويقال أعرض عن المواعظ لاعب ، وهو كالصبي الذي يلعب ، فيفعل ما لا يدري عاقبته . القرطبي .

لا يقولون ما يقولون ، مما هو مطابق لنفي الأمر عن جدر وإذعان ، بل يقولونه مخلوطاً بهزء ولعب ، وهذه الجملة خبر بعد خبر لهم والالتفات عن خطابهم ، لفطر عنادهم وعدم التفاتهم ، والفاء في قوله تعالى : فارتقب لترتيب الارتكاب ، أو الأمر به على ما قبلها فإن كونهم في شك يلعبون ، مما يوجب ذلك ، أي فانتظر لهم ، يوم تأتي السماء بدخان مبين . الألوسي .

ونحن نرى أن هذا الوصف لم يكن بحال من الأحوال لشركى قريش ، فهو لاء كذبوا وكفروا بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ، جملة وتفصيلاً . والشك في المعتقد عادة ، يتأتى بعد الإيمان ، بوحي من شياطين الإنس والجنّ والهوى ، مما يدفع الإنسان في النهاية إلى

الكفر . وأما اللعب فقد جاء بمعنى الإعراض عما ينفع والاستهزاء به ، والانشغال بما لا ينفع ، بل وبما يضر ، وهي صفة يمتاز بها الصبية والأولاد الصغار ، لصغر عقولهم ، وقلة مداركهم ، وضيق أفقهم ، وعدم مقدرتهم على أخذ العبرة والعظة .

أما هؤلاء القوم من أمة محمد ، فهم في شرك من أمر الله ، والشرك هو انعدام اليقين ، بمعنى أنهم غير موقنين ، مما أخبر عنه في كتابه المبين ، الذي جاء به الرسول المبين ، بلسان عربي مبين ، من أمور الغيب ، وعلى رأسها انعدام اليقين بربوبيه وألوهية الله ووحدانيته وإنكار البعث ، أي الشرك بملكية الله للسماء والأرض وما بينهما ، وقدرته على تصريف الأمور ، والشرك بأمر البعث بعد الموت . لذلك فهم لا يتورعون ، عن اتخاذ دينهم هزواً ولعباً ، إذ لا يبعث ولا حساب ولا عقاب يردعهم .

قال تعالى : «يَتَأْمُوا الَّذِينَ أَتَخْذَلُوا إِيمَانَهُمْ هَرْوَا وَلَعْبًا مِّنَ الَّذِينَ أَتُوا  
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ أُولَئِكَ وَأَتَقْوَا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ» (57 المائدة) ، فالذين يوالون الذين  
اتخذوا دين الله هزواً ولعباً ، من اليهود والنصارى والكافر إجمالاً ، وهم يُظهرون الإيمان  
ليسوا بمؤمنين ، فما بالك بمن يتخذ دين الإسلام ، هزواً ولعباً ويحاربه ، وهو يتسبّب إليه !!

وقال تعالى : «وَذَرِ الَّذِينَ أَتَخْذَلُوا دِينَهُمْ لَعْبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ  
تُبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْبِ اللَّهِ وَلِيٰ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَذَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا  
أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسُلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيرٍ وَعَذَابُ أَلِيمٍ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ»  
(70 الأنعام) ، وقال : «الَّذِينَ أَتَخْذَلُوا دِينَهُمْ لَهُوَا وَلَعْبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَسْنَهُمْ  
كَمَا نَسْوَاهُ لِقاءَ يَوْمَهُمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِفَاعِلِيَّتِنَا مُجْهَدُوْنَ» (51 الأعراف) .

### فهؤلاء القوم يتصفون بأمرتين :

الأول : أنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر .

الثاني : أن شغفهم الشاغل هو الحياة الدنيا ، وأنهم يتخذون أمور دينهم مادة للهزل  
والسخرية واللهو .

«فَازْتَقَبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿٥﴾ يَعْنِي النَّاسَ هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٦﴾» .

ارتقب معناه انتظري يا محمد بهؤلاء الكفار ، يوم تأتي السماء بدخان مبين ، قاله قنادة .  
وقيل معناه احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم ، القرطبي .

يعني تعالى ذكره بقوله «فَازْتَقَبْ» ، فانتظر ، يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك ،  
الذين «هُمْ فِي شَكٍ يَلْعُبُونَ» ، «يَغْشَى النَّاسَ» يقول يغشى أبصارهم ، من الجهد الذي

بصيهم، «هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ» يعني أنهم يقولون، مما نالهم من ذلك الكرب والجهد، هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ . الطبرى.

### أقوال المفسرين في الدخان:

تفسير ابن مسعود: عن مسروق، قال: يَنْتَمِا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كُنْدَةَ، فَقَالَ: يَجِيءُ دُخَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ بِأَسْنَامِ الْمُتَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهِيْتَهُ الرُّكَامِ، فَقَزِّعُنَا. فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودًا، وَكَانَ مُتَكَبِّرًا، فَغَضِبَ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلِقْلِعُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، فَلِقْلِعُ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ، أَنْ يَقُولُ لَمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنِسْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَلِمَا أَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ) وَإِنْ قَرِيشًا أَبْطَلُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتِيْ يُوسُفَ، فَأَخْدَتُهُمْ سَنَةً حَتَّىٰ هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكْلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ، وَرَأَيَ الرَّجُلُ مَا يَبْيَنُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، كَهِيْتَهُ الدُّخَانُ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفَيْفَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدًا جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصَلَةِ الرَّحْمَمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ (فَقَرَأَ فَارْتَقَبْ يَوْمَ ثَانِي السَّمَاءِ بِدُخَانِ مُبِينٍ - إِلَى قَوْلِهِ - عَائِدُونَ) أَفِيكَشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ، إِذَا جَاءَهُمْ عَادُوا إِلَىٰ كُفَّرِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَوْمَ تَنَطَّشُ الْبَطْشَةُ الْكَبِيرَى) يَوْمَ بَذْرُ وَ(الِّزَّامَا) يَوْمَ بَذْرٍ (الِّمْ غَلَبَتِ الرُّومُ) إِلَى (سَيَغْلِبُونَ) وَالرُّومُ قَدْ مَضَى . رواه البخاري، وأخرجه مسلم والترمذى وأحمد.

رواية لابن مسعود: عن مسروق عن عبد الله بن مسعود، قال: مَضَى خَمْسَ الدُّخَانَ وَالرُّومُ وَالقَمَرُ وَالْبَطْشَةُ وَاللَّزَامُ . رواه البخاري، وأخرجه مسلم والترمذى وأحمد.

حديث حذيفة: عن حذيفة بن أسد الغفارى، قال: اطْلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: (مَا تَذَكَّرُونَ؟) قَالُوا: نَذَكِرُ السَّاعَةَ، قَالَ: (إِنَّهَا لَنَ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكِرُ الدُّخَانَ، وَالدِّجَالَ، وَالدَّبَّابَةَ، وَطَلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَزُولَ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَاجُوجَ وَمَاجُوجَ، وَكَلَائِهَ خُسُوفُ خَسْفَ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفَ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ) رواه مسلم، وأخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

قال ابن كثير: وقد وافق ابن مسعود - رضي الله عنه - على تفسير الآية بهذا، وأن الدخان مضى، جماعة من السلف، كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي، والضحاك وعطاء العوفي وهو اختيار ابن جرير. وروى ابن جرير، عن ريعي بن حراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - يقول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول الآيات

الدَّجَّالُ، ونَزَولُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْدَنَ أَبِينَ،  
تَسْوِقُ النَّاسَ إِلَى الْمُحْشَرِ، تَقْبِيلُهُمْ إِذَا قَالُوا، وَالْدُّخَانُ، قَالَ حَدِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -  
يَارَسُولَ اللَّهِ: وَمَا الدُّخَانُ؟ فَتَلَاقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَذِهِ الْآيَةُ: «فَأَرَتِقْتُ يَوْمَ  
تَأْلِفَ السَّمَاءَ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ» <sup>يَعْنِي النَّاسَ هَذِهَا عَذَابَ أَلِيمٍ</sup> يَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، يَمْكُثُ  
أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُصَبِّهُ مِنْهُ كَهْيَةً الزَّكْمَةَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ،  
يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِرِهِ وَأَذْنِيهِ وَدِيرِهِ)، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَوْ صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ لَكَانَ فَاصِلًا، وَإِنَّا لَمْ  
أشْهَدْ لَهُ بِالصَّحَّةِ .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا: عَنْ أَبِي مَالِكَ الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (إِنْ رِبَّكُمْ أَنْذِرَكُمْ ثَلَاثَةَ الدُّخَانَ، يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَالْزَكْمَةِ، وَيَأْخُذُ  
الْكَافِرَ، فَيَنْفَخُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ، وَالثَّانِيَةُ الدَّابَّةُ، وَالثَّالِثَةُ الدَّجَّالُ) وَرَوَاهُ  
الطَّبَرَانِيُّ، عَنْ هَاشِمَ بْنِ مَرْئَدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ بْنِهِ، وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسِيدٌ .

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَلِيْكَةَ، قَالَ: غَدُوتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا - ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا نَمَتُ الْلَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ؟ قَلَتْ: لَمْ؟ قَالَ: قَالُوا طَلَعَ الْكَوْكَبُ  
ذُو الذَّنْبِ، فَخَشِبَتِ أَنْ يَكُونَ الدُّخَانُ قَدْ طَرَقَ، فَنَمَتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ) وَهَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي  
حَاتِمَ فَذِكْرُهُ، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حِيرَةُ الْأَمَّةِ وَتَرْجِمَانُ  
الْقُرْآنِ، وَهَذَا قَوْلُ مَنْ وَاقَهُ مِنَ الصَّحَّابَةِ وَالْتَّابِعِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مَعَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ  
مِنَ الصَّحَّاحِ وَالْحَسَانِ وَغَيْرِهِمَا، التِّي أُورَدُوهَا، مَا فِيهِ مَقْنَعٌ، وَدَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ، عَلَى أَنَّ الدُّخَانَ  
مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَنَظَّرَةِ، مَعَ أَنَّهُ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : «فَأَرَتِقْتُ يَوْمَ تَأْلِفَ السَّمَاءَ  
بِدُخَانٍ مُّبِينٍ» أَيْ بَيْنَ وَاضْحَى، يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَعَلَى مَا فَسَرَ بْنُ مُسَعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِنَّمَا  
هُوَ خَيَالٌ رَأَوْهُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ شَدَّةِ الْجُوعِ وَالْجَهَدِ، وَهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى **«يَغْشَى النَّاسَ»** ، أَيْ  
يَتَفَشَّاهُمْ وَيَعْيَاهُمْ، وَلَوْ كَانَ أَمْرًا خَيَالِيًّا يَخْصُّ أَهْلَ مَكَةَ الْمُشْرِكِينَ، لَمَّا قَلَّ فِيهِ يَغْشَى النَّاسَ،  
وَقَوْلُهُ تَعَالَى **«هَذِهَا عَذَابَ أَلِيمٍ»** ، أَيْ يَقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيبًا وَتَوْبِيخًا .

وَقَالَ الْقَرْطَبِيُّ: ' وَفِي الدُّخَانِ أَقْوَالٌ ثَلَاثَةٌ؛ الْأُولُّ: أَنَّهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، لَمْ يَجِدْ  
بَعْدَ، وَأَنَّهُ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، يَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُصَبِّهُ مِثْلُ  
الْزَّكْمَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْفَاجِرُ فَيُدْخَلُ فِي أَنْوَفِهِمْ، فَيُثْقِبُ مَسَامِعَهُمْ، وَيُضِيقُ أَنفَاسَهُمْ، وَهُوَ  
مِنْ آثَارِ جَهَنَّمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمِمَّنْ قَالَ إِنَّ الدُّخَانَ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ عَلَيْهِ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عَمْرَو وَأَبْوَ  
هَرِيرَةَ وَزَيْدَ بْنِ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَابْنِ أَبِي مَلِكِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ؛ وَالثَّانِي: أَنَّ الدُّخَانَ هُوَ مَا أَصَابَ

فريشاً من الجوع، بداعي النبي صلى الله عليه وسلم، حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخاناً، قاله ابن مسعود؛ والثالث: إنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة، قاله عبد الرحمن الأعرج .

وقال الألوسي: أي يوم تأتي بجذب ومجاعة، فإن الجائع جداً يرى بينه وبين السماء، كهيئة الدخان، وقد فسر أبو عبيدة الدخان به، والمراد باليوم مطلق الزمان، أي ارتفع وعد الله ذلك اليوم، وبالسماء جهة العلو، وإسناد الإتيان بذلك إليهما، من قبيل الإسناد إلى السبب، لأنه يحصل بعدم إمطاره، وتفسير الدخان - بما فسرناه به - مروي عن قتادة وأبي العالية والنخعي، والضحاك ومجاده ومقاتل، وهو اختيار الفراء والزجاج، وقد روي بطرق كثيرة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وظاهره، بذلك ما في تاريخ ابن كثير، على أن القصة كانت بمكة، فالآية مكية، وفي بعض الروايات أن قصة أبي سفيان، كانت بعد الهجرة، فلعلها وقعت مرتين، وقد تقدم ما يتعلق بذلك في سورة المؤمنين، وقال علي - كرم الله تعالى وجهه - وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري وزيد بن علي والحسن: إنه دخان يأتي من السماء، قبل يوم القيمة، يدخل في أسماع الكفرة، حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ، ويعتري المؤمن كهيئة الزكام، فالدخان على ظاهره، والمعنى فارتقب يوم ظهور الدخان.

وَحَمِلُّ مَا فِي الآيَةِ، عَلَى مَا يَعْمَلُ الدَّخَانُينِ، لَا يَخْفِي حَالَهُ. هَذَا؛ وَالْأَظْهَرُ حَمِلُ الدَّخَانِ عَلَى مَارُوِيِّ عَنْ أَبِنِ مَسْعُودٍ أَوْلَى، لِأَنَّهُ أَنْسَبُ بِالسَّيَاقِ، لِمَا أَنْهُ فِي كُفَّارِ قَرِيشٍ، وَبِيَانِ سُوءِ حَالِهِمْ. «يَغْشَى النَّاسَ» أَيْ يَحْيِطُ بِهِمْ، وَالْمَرَادُ بِهِمْ كُفَّارُ قَرِيشٍ، وَمَنْ جَعَلَ الدَّخَانَ، مَا هُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، حَمَلَ النَّاسَ، عَلَى مَنْ أَدْرَكَهُ ذَلِكُ الْوَقْتُ، وَمَنْ جَعَلَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَمَلَ النَّاسَ عَلَى الْعُمُومِ، وَالْجَمْلَةُ «يَغْشَى النَّاسَ» صَفَةُ أُخْرَى لِلْدَّخَانِ، وَقُولُهُ تَعَالَى: «هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ»، وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ، إِخْبَارًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَهْوِيَّلًا لِلْأَمْرِ، كَمَا قَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَصْةِ النَّذِيبِ، «إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتَوُ الْمُبِينُ» .

نلاحظ مما سبق أن المفسرين اختلفوا على ثلاثة مواقف؛ فمنهم من وافق تفسير ابن مسعود، ومنهم من وافق تفسير ابن عباس، ومنهم من أخذ بالاحتمالين. وكل منهم أكمل تفسير السورة على ما ارتأى من صوابية اعتقاده، بالنسبة لهذا الدخان. وأما من حيث زمن الوقع، فالاحتمال الأول يقول بأن الدخان والبطasha قد مضيا في مشركي قريش، والاحتمال الثاني يقول بأنه قبل يوم القيمة، والاحتمال الثالث يقول بأنه من أحداث يوم القيمة.

﴿رَأَيْنَا أَكْثَفَ عَنَا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ .

· أي يقول الكافرون، إذا عابنا عذاب الله وعقابه، سائلين رفعه وكشفه عنهم، «رَبَّنَا أَكْثَفَ عَنَا الْعَذَابَ» ابن كثير.

· قوله «رَبَّنَا أَكْثَفَ عَنَا الْعَذَابَ» يعني أن الكافرين الذين يصيّبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسالتم إيه كشف ذلك الجهد ، الطبرى .

· كما صرّح به غير واحد من المفسّرين، وَعَدْ مِنْهُمْ بِالإِيمَانِ، إِنْ كَشَفَ جَلَّ وَعَلَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ، فَكَأْنُوهُمْ قَالُوا: رَبُّنَا، إِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الْعَذَابَ آمَّا، لَكُنْ؛ عَدَلُوا عَنْهُ . الألوسي .

ونرى بأن هذا هو دعاء المعرضين عن ذكر الله، كما هي العادة، من المسرفين والمرشكين والكافر، من الناس إجمالاً، كلّما مستهم الضراء والأساء، سواء من أمّة الإسلام أو من غيرها، كما في قوله تعالى: «وَإِذَا مَسَّ أَهْلَنَسْنَ الْضُّرَّ عَنَّا لِجَنْبِهِ، أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنَّهُ ضُرُّهُ مَرَّ كَأْنَ لَزِيدَ عَنَّا إِلَى ضُرِّ مُسْهَّلٍ، كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (12 يونس).

· ولا حظّ ضمير المخاطب (كم)، والذي يعود على المخاطبين بالقرآن، في قوله تعالى: «وَمَا يُكْمِمُ مِنْ نَعْمَةٍ فَمِنْ أَنَّ اللَّهَ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الْضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يَرْتَهِمُونَ» (54 التحل)، وقوله: «وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَخْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَاهُ فَلَمَّا جَنَحَّ إِلَى الْبَرِّ أَغْرَضُمُ وَكَانَ أَهْلَنَسْنَ كَفُورًا» (67 الإسراء).

· والأقرب والأظهر - بالنظر في دعواهم تلك، وإقرارهم بأساتهم ما ليس في قلوبهم من الإيمان، عند غشيان الدخان لهمـ أن يكون هؤلاء من أمّة محمد عليه الصلاة والسلام، فسقوا عن دينهم مع كونهم مسلمين، نفاقاً على الأغلب، وشرّكهم في الله جاء بعد الإيمان بهـ. وحال هؤلاء كحال من قال فيهم سبحانه، في مطلع سورة البقرة:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۖ مُخْتَدِعُونَ ۗ اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدِعُونَ ۚ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۖ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادُهُمُ اللَّهُ مَرْضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْنِيُونَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا كُنَّا مُصْلِحُونَ ۖ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كَمَا إِنَّ النَّاسَ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا إِنَّا أَمَّنَ السُّفَهَاءَ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَإِذَا أَفْوَأُوا الَّذِينَ إِنَّمَا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعْكُمْ إِنَّمَا كُنُّ مُسْتَهْزِئُونَ ۖ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُفْقَيْهِمْ يَعْمَلُونَ ۖ أَوْ لَيْكَ الَّذِينَ أَشْتَرُوا الْأَضْلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَجَحَتْ نَحْرَتْهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۖ» (16 البقرة).

حيث قال سبحانه «وَمِنَ النَّاسِ» ، ولم يحصر هذا السلوك بطائفة من الناس، أو بزمن معين، وهذا السلوك بدأ بالظهور بعد ما قويت شوكة الإسلام في المدينة المنورة، واستمر على مر العصور، حتى يومنا هذا .

﴿أَن لَهُمُ الْذِكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعْلَمٌ مَجْنُونٌ ﴾ .

يقول: كيف لهم بالذكر، وقد أرسلنا إليهم رسولاً، بين الرسالة والندارة، ومع هذا تولوا عنه، وما وافقوه، بل كذبواه، وقالوا: «معلمٌ مجنون» ابن كثير.

قال ابن عباس: أي يتعظون، والله أبعدهم من الاتخاذ والذكر، بعد توليهم عن محمد صلى الله عليه وسلم، وتكتذبهم إياه، «وَقَالُوا مُعْلَمٌ مَجْنُونٌ» أي علمه بشر، أو علمه الكهنة والشياطين، ثم هو مجنون وليس برسول، القرطبي.

يقول تعالى ذكره: من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر، من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا، حين جاءهم مدبرين عنه، لا يتذكرون بما يُتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا، ويقولون: إنما هو مجنون عُلم هذا الكلام . الطبرى.

«أَن لَهُمُ الْذِكْرَى» تقى صدقهم في الوعد، وأن غرضهم إنما هو كشف العذاب والخلاص، أي كيف يتذكرون، أو من أين يتذكرون بذلك، ويقون بما وعدوه من الإيمان، عند كشف العذاب عنهم، وقد جاءهم رسول مبين، أي الحال، أنهم شاهدوا من دواعي التذكر ومحاجات الاتخاذ، ما هو أعظم من ذلك في إيجابهم، حيث جاءهم رسول عظيم الشأن، ظاهر أمر رسالته بالأيات والمعجزات، التي تخر لها صم الجبال، أو مظهراً لهم مناهج الحق، «ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ» أي عن ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم يقل ومجنون بالعطف لأن المقصود تعريف قبائحهم ، الألوسي.

ونحن نقول من أين لهؤلاء القوم الذكرى؟! أي التوبة والإنبابة إلى الله، وقد سبق منهم الإعراض، عما جاء به الرسول الكريم، الذي لا يشكك في كرم أخلاقه، أو حسنه أو نسبة أو لسانه العربي ، محمد عليه الصلاة والسلام، بعد مجئه والإيمان به ، والانتساب إلى دينه. وفضلاً عن سبق الإعراض عن رسالته ، بعد احتضانها لمدة من الزمن ، تولوا عنه وأعرضوا عمما جاء به ، واتهموه بالتعلم من الكهان والشياطين بحوادث ميتافيزيقية ، وأضافوا إليه صفة الجنون ، إمعاناً منهم في الإجرام والافتراء والاستهزاء ، فإن سلماً من الكهانة ، لم يسلم من الجنون . ولكن يرد عليهم ربهم هذا ، بقوله لرسوله : «فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِتَعْقِيمِ رِبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ» (29 الطور) ، «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (4 القلم) ، «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» (40 الحاقة).

ومفاجأة هي أن المقصود بهذا القول ليسوا مشركي قريش ، بل مشركي ومنافقى هذا العصر من أمة الإسلام ، وأنهم قالوا هذا القول وأكثر ، في رسول الله عليه الصلاة والسلام . «إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَâبِدُونَ ﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكَبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ .

• والاحتمال الثاني أن يكون المراد، إنما مُؤخِّرُ العذاب عنكم قليلاً، بعد انعقاد أسبابه، ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم . ابن كثير.

«إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ» يعني الضر النازل بهم، يقول تعالى ذكره، إنكم أيها المشركون، إن كشفتُ عنكم العذاب النازل بكم، والضر الحال بكم، ثم عدتم في كفركم ونقضتم عهدمكم، الذي عاهدتم ربكم، انتقمتُ منكم، يوم أبطش بكم بطيشتي الكبرى، في عاجل الدنيا، فأهللكم ، الطبرى.

«إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا»، وعد أن يكشف عنهم ذلك العذاب قليلاً، أي في زمان قليل، ليعلم أنهم لا يفون بقولهم، بل يعودون إلى الكفر بعد كشفه، قاله ابن مسعود. ومن قال؛ إن الدخان متظر، قال؛ أشار بهذا إلى ما يكون من الفرجة بين آية وأية، من آيات قيام الساعة، ثم من قضى عليه بالكفر، يستمر على كفره. ومن قال هذا في القيامة، قال؛ أي لو كشفنا عنكم العذاب لعدتم إلى الكفر، وقيل، معنى إنكم عائدون إلينا، أي مبعوثون بعد الموت ، القرطبي.

وقيل؛ المعنى وارتقب الدخان، وارتقب يوم نبطش، فحذف واو العطف، كما تقول: اتق النار، اتق العذاب، والبطشة الكبرى في قول ابن مسعود، يوم بدر، وهو قول ابن عباس وأبي بن كعب، ومجاهد والضحاك، وقيل؛ عذاب جهنم يوم القيمة، قاله الحسن وعكرمة وابن عباس أيضاً، واختاره الزجاج ، القرطبي.

أي إن كشفنا عنكم العذاب كشفاً قليلاً، أو زماناً قليلاً عدتم، والمراد على ما قيل، عائدون إلى الكفر، وأنتم تعلم أن عودهم إليه، يقتضي إيمانهم، وقد مرّ أنهم لم يؤمنوا، وإنما وعدوا الإيمان، فإما أن يكون وعدُهم مُنذلاً مَنْزَلَةَ إيمانهم، أو المراد عائدون إلى الثبات على الكفر أو على الإقرار والتصرّع به. «يَوْمَ تَبْطِشُ» يوم نسلط القتل عليهم، ونوسّع الأخذ منهم، وفي القاموس، بطش به، أخذه بالعنف والسطوة، كأبطشه، وبالبطش، الأخذ الشديد في كل شيء ، الألوسي.

فسر ذلك ابن مسعود - رضي الله عنه - يوم بدر، وهذا قول جماعة مِنْ وافق ابن مسعود - رضي الله عنه - على تفسيره الدخان بما تقدم، وروي أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من رواية العوفي عنه، وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو محتمل . والظاهر أن ذلك يوم القيمة، وإن كان يوم بطيشة . وروى ابن جرير عن عكرمة، قال: قال ابن

Abbas رضي الله عنهما : ( قال ابن مسعود - رضي الله عنه ) : البطasha الكبرى يوم بدر ، وأنا أقول هي يوم القيمة ) ، وهذا إسناد صحيح عنه ، وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه ، والله أعلم ، ابن كثير .

يُبيّنُ مَا سبقَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُخْبِرُ بِأَنَّهُ سِيرُفُعُ الْعَذَابُ عَنْهُمْ قَلِيلًا، بَعْدَ اتِّقَادِ أَسْبَابِهِ، بِكَشْفِ الدُّخَانِ، بَعْدَ نِيلِهِمْ قَسْطًا مِنْ أَذَاءٍ، نَزُولًا عِنْدَ رُغْبَتِهِمُ الْسَّابِقَةِ، وَإِقْرَارِهِمُ بِالْإِيمَانِ عِنْدَ غُشْيَانِهِ لَهُمْ، فَالْدُّخَانُ مُجْرَدُ تَحْذِيرٍ، وَلَفْتُ اِتْتِبَاهِ لَهُمْ، بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَبِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، كَمَا أَمَاتُ آبَائِهِمْ، وَلَثَلَّا تَكُونُ لَهُمْ حَجَّةٌ، بِأَنَّهُ لَمْ يُعْطِهِمْ الفَرْصَةَ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنْبَابَةِ . . . وَمِنْ ثُمَّ يَقْرَرُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُمْ سَيَعُودُونَ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ، مِنَ الشُّكُوكِ وَاللَّعْبِ، وَسِيَاضِيفُونَ إِلَيْهَا التَّوْلِيَّ وَالْإِعْرَاضِ وَالْعَصِيَانِ وَالْإِتْهَامِ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ، لِيَسْتَوْجِبُوا - عَنْ جَدَارَةِ وَاسْتِحْقَاقِهِ - أَنْ يَبْطِشُ بِهِمْ رَبُّ الْعَزَّةِ بِطْشَتَهُ الْكَبْرِيَّ . قَالَ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ يُؤَذُّونَ رَسُولَ اللَّهِ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ » (61 التَّوْبَةَ) « إِنَّ الَّذِينَ يُؤَذُّونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ وَالْآخِرَةُ وَأَعْدَدُهُمْ عَذَابًا مُهِينًا » (57 الأَحْزَابَ).

أما بطش رب العزة، فهذا وصفه «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ» (12 البروج). ونستطيع تصور طبيعة هذه البطشة، من قوله تعالى في سورة القمر: «كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُّوطَ بِالنَّذْرِ إِنَّا أَنْذَلْنَا عَلَيْنِيهِ حَاصِبًا إِلَّا إِلَّا لَوْطَ حَبَّتْهُمْ بِسَحْرِنَّعْمَةَ مِنْ عِنْدِنَا كَذَّلِكَ مُجْزِي مَنْ شَكَرَ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَنَا فَتَمَارَوْنَ بِالنَّذْرِ وَلَقَدْ رَأَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذَوْقُوا عَذَابَنِي وَنَذْرِنَّ وَلَقَدْ صَبَحُهُمْ بَكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقْرِرٌ فَذَوْقُوا عَذَابَنِي وَنَذْرِنَّ وَلَقَدْ يَسَرَّنَا الْقُرْآنُ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُّذَكَّرٍ» (40 القمر) وتماروا بالنذر، أي كذبوا إنذارات لوط عليه الصلاة والسلام، وتحذيراته لهم، وأكثروا الجدال والاستهزاء بها ومنها، فبطش بهم ربيهم، وما وقع من قوم لوط، هو ما وقع من هؤلاء، بعد أن جاءهم رسولهم الكريم نذيراً من غضب الله، فغضبهم الدخان، وسبغتهم البطشة الكبرى، وهم ما زالوا يمارون ويتمارون، في شك يلعبون، من أمر هذا الرسول المبين، وأمر هذا الكتاب المبين، وأمر هذا الدخان المبين.

وَمَا نَزَّلْ بِقَوْمٍ لَوْطًا نَسْتَخْلُصُهُ مِنَ الْآيَاتِ التَّالِيَةِ :

كان ذلك في الصباح الباكر، حيث رُفعت قرية لوط - عليه الصلاة والسلام - بِمَنْ فيها إلى السماء، وتقول بعض الروايات إن الملائكة في السماء الأولى سمعت نباح كلابهم، ومن حِجَارةَ مِنْ سِجِيلٍ مَنْصُوبٍ (مَسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْيِدُ) (83 هود).

ثم قُلبت، ورميت من ذلك الارتفاع الشاهق إلى الأرض، فأخذت ذلك الجرف الجغرافي المتند من على طول نهر الأردن ووادي عربة، ومن ثم أمطرت بالحجارة، التي لا تزال ظاهرة إلى يومنا هذا، بانغراسها في الطين المتحجر في تلك المنطقة على سواحل البحر الميت، وفي سفوح الجبال حوله. وخلاصة القول؛ إن البطشة تعني خراب الديار وهلاك أهلها، بغضّ النظر عن الوسيلة، مشهد يحمل في ثناياه أبغض صور للانتقام الإلهي، حين يوغل الناس بإصرار في الإجرام بحق الله وحق رسلي الكرام، دون وازع أو رادع، ضاربين يانذارات ربيهم عرض الحائط، مستحقين بذلك غضباً إلهياً عارماً، يصيّبهم جراء ما اقترفت أيديهم.

﴿وَلَقَدْ فَتَّاقَتْهُمْ قَوْمٌ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿أَنَّ أَدُوًا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ زَسُولُ أَمِينٌ﴾  
وَأَنَّ لَا تَعْلُوَ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ أَنْتَ مُكْرِمُ الْمُكْرَمِينَ ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنَّ تَرْجُمُونِ﴾  
وَإِنَّ لَهُ تَوْمِئُوا لِ فَاعْتَرِلُونِ ﴿فَذَغَارَةٌ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ (الدخان).

ـ يقول تعالى ، ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين ، قوم فرعون ، وهم قبط مصر ، وجاءهم رسول كريم ، يعني موسى كليمه ، عليه الصلاة والسلام ، ابن كثير .

ـ «رسول كريم» أي مكرم معظم عند الله عز وجل ، أو عند المؤمنين ، أو عنده تعالى وعندهم ، أو كريم في نفسه متصف بالخصال الحميدة والصفات الجليلة حسباً ونسباً ، وقال الراغب : الكرم إذا وصف به الإنسان ، فهو اسم للأخلاق والأفعال الحمودة التي تظهر منه ، ولا يقال هو كريم ، حتى يظهر ذلك منه ، الألوسي .

ـ «وَلَئِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ» أي التجأتُ إليه تعالى ، وتوكلتُ عليه جل شأنه «أن ترجمونِ» ، من أن ترجموني ، أن ترذلوني ضرباً أو شتماً ، أو أن تقتلوني ، وروي هذا عن قنادة وجماعة ، قيل : لما قال : «أن لَا تَعْلُوَ عَلَى اللَّهِ» ، توعدوه بالقتل ، فقال ذلك ، وفي البحر أن هذا كان قبل أن يخبره عز وجل بعجزهم عن رجمه بقوله ، «وَإِنَّ لَهُ تَوْمِئُوا لِ فَاعْتَرِلُونِ» ، ف تكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ، ولا تتعرضوا لي بسوء ، فليس ذلك جزاء من يدعوك إلى ما فيه فلا حكم ، فدعاري بعد أن أصرروا على تكذيبه عليه السلام ، «أن هؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ» ، الألوسي .

ـ وفي اختصار كأنه قيل : إن هؤلاء مجرمون ، تناهى أمرهم في الكفر ، وأنت أعلم بهم ، فافعل بهم ما يستحقونه ، قيل : كان دعاؤه عليه السلام ، اللهم عجل لهم ما يستحقون بجرائمهم ، وقيل : قوله «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» ، إلى قوله ، «فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» ، وإنما ذكر الله سبحانه السبب الذي استوجبوا به الهلاك ، لعلهم منه دعاؤه والإجابة معاً ، وإن دعاءه على يأس من إيمانهم ، وهذا من بلية اختصارات الكتاب المعجز ، الألوسي .

ونرى بأن حال هؤلاء القوم، مع محمد الكريم الأمين المبين، عليه الصلاة والسلام،  
كحال فرعون وقومه مع موسى الكريم الأمين المبين، عليه الصلاة والسلام، وذلك نفيًا لما قاله  
هؤلاء عنهم، سواء من فرعون وقومه، أو مِنْ أشرك وكفر من أمة محمد. ومن تشبيه الحال  
بالحال، نستطيع التعرف على موقف هؤلاء القوم من محمد، من خلال معرفة موقف فرعون  
وقومه بين موسى، الذي ورد بالتفصيل في القرآن الكريم، حيث أن الآيات التي تصف موقف  
فرعون وقومه من موسى ورسالته تكاد تبين ما تحويه سورة الدخان من مقاصد إلهية تكتنفها  
الآيات الكريمة.

### حال فرعون وقومه مع موسى:

دعا موسى - عليه الصلاة والسلام - فرعون وقومه إلى تقوى الله، فجادلوه واستهزأوا  
به، وبما جاء به، وأنكروا ربوبية الله، واتهموا فرعون بالجنون، وهذده بالسجن إن اتَّخذ إليها  
غيره، فأراه موسى آيات ربه الكبرى، فاتهموا بالسحر وبلغوا مرتبة عالية في علمه، ليصبح  
كبيراً للسحرة، ونفذ تهديده فيمَّا اتبعه وأمن به من السحرة.

«وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَتَّقُونَ ۝ قَالَ رَبُّكَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ  
يَكْذِبُونَ ۝ ... فَأَتَيَاهُ فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا سُوْلُرَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ أَنَّا أَزِيلُ مَعْنَابَنِي إِنْزَاءَ يَلَ ۝ ... قَالَ  
فِرْعَوْنَ وَمَارِبُ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ  
حَوْلَهُ لَا تَسْتَعِنُونَ ۝ قَالَ رَبِّكُرْ وَرَبِّ إِبَابِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أَزِيلَ إِلَيْكُمْ  
لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقْلِيْنَ ۝ قَالَ لِمَنْ أَخْنَثَ إِلَيْهَا غَيْرِي  
لَا جُنَاحَ لَكَ مِنَ الْمَسْجُوْبِينَ ۝ قَالَ أَوْلَوْ جِنْتُكَ يَسْتَعِنُ بِسِينَ ۝ قَالَ فَأَتَ يَهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ  
الصَّابِدِينَ ۝ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هُنْ ثَعَبَانٌ مُّبِينٌ ۝ وَتَرَعَ بَدَهُ، فَإِذَا هُنْ بَيْضَاءُ لِلنَّسَطِرِينَ ۝ قَالَ لِلْمَلَأِ  
حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا السَّحِيرُ عَلِيمٌ ۝ ... قَالَ إِنَّمَاتُهُ لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَأْذِنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَمَكُمُ الْشَّخْرَ  
فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قَطْعَنْ أَنْدِيْكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا صَلَبِيْكُمْ أَجْعِيْتُ ۝ ...» (الشعراء).

ولهذا تشابهت لغة الخطاب وتشابهت الحجة في قول الرسولين الكريمين:

موسى : «قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ۝ ... رَبِّكُرْ وَرَبِّ إِبَابِكُمُ  
الْأَوَّلِينَ ۝» (26 الشعراء).

محمد : «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ۝ ... رَبِّكُرْ وَرَبِّ إِبَابِكُمُ  
الْأَوَّلِينَ ۝» (8 الدخان).

فأنذرهم الله بعدنابات، من المألوفة للناس، كالقطط والجوع، مشعرًا إياهم بقدرته على أخذهم، لعلهم يرجعون، ولكنهم ردوا هذه الابتلاءات إلى "الوش التحس" (باللهجة المصرية)، لموسى ومن معه، ولم ينسبوها إلى الله. وأصرّوا على كفرهم، فأرسل عليهم ما لم يالفوه، كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاستكثروا و كانوا قوماً مجرمين. ولكنهم لما وقع بهم العذاب وعاينوه، وعدوا موسى بالإيمان، في حال كشف عنهم. ورفع العذاب عنهم لأجل مُسْتَقْدِمٍ، هم بالغوه، وفور شعورهم بالرخاء، نكثوا عهدهم، وعادوا لما سبق، فانتقم الله منهم، لتكتذبهم لآيات الله وغفلتهم عنها.

**﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ إِلَيْ فِرْعَوْنَ بِالْأَسْبِيَنَ وَنَقْصِنَ الْكَمَرِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾** فَإِذَا جَاءَهُمْ أَحَدٌ حَسَنَةً قَالُوا تَاهَدِنَاهُمْ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْبِرُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَمَنْ مَعَهُمْ إِلَّا إِنْمَا طَهِيرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَتَّلَمُونَ ﴾ وَقَالُوا تَاهَمَّا تَاهَتَا بِهِمْ مِنْ إِلَيْهِ لَتَشْخَرَنَا هُنَّا فَمَا مَنَّ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ فَأَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْطُوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقَمَلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ إِيَّاكَ مُفْصِلَتِ فَاسْتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ لَمْ يَرِدْ كَشْفَتْ عَنَّا الْرِّجْزُ لَنُؤْمِنُ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ ﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْرِّجْزَ إِلَى أَجْلِهِمْ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُنُونَ ﴾ فَأَنْتَقَمْنَا بَيْنَهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ كَذَبُوا بِأَيْمَانِهِمْ وَكَانُوا عَنْهَا غَنِيَّلِينَ ﴾ وَأَرْزَقْنَا الْفَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَطِعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا إِلَيْهِ بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَيْنِ إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَارَ بَصْنَعِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (37 الأعراف).

فما آمن موسى سوى فئة قليلة من مجموعبني إسرائيل، وتبعهم فرعون إلى البحر، وعندما أدركه الغرق ندم فرعون، فخان قومه، وأعلن توبيه وإيمانه ياله آخر، هو الإله الذي آمنت به بنو إسرائيل، حسب قوله.

**﴿ثُمَّ بَعْثَانَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَنُوْرُوتَ إِلَيْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ بِقَائِمَتِنَا فَاسْتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾** ... فَمَآءَ آمَنَ لِمُوسَى إِلَى ذُرِيَّةِ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفِيْنِ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِمْ أَنْ يَفْتَهِمُهُ وَإِنْ فِرْعَوْنَ لَعَالِمٌ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ... وَجَلَّ زَنَبِيْنِ إِسْرَائِيلَ الْبَغْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنَ وَجَنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرْقَ قَالَ مَاءَنْتَ أَنْهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي مَاءَنْتَ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (90 يونس).

وأما عامة المصريين فقد اتبعوا إلههم وربهم الأعلى فرعون، بعد أن استخفّ عقولهم فاطاعوه، وأضلّهم عن السبيل، فكانوا قوماً فاسقين كإلههم.

«وقال فرعون يتأثراً بالمال أعلمكم من إله غيري فأوقدل بهم عن على الطين فاجعل لي صرحاً على أطلع إلى إله موسى ولن لأطعه، من الكذبة» (38 القصص). «فأرنه الآية الكبيرة فكذب وعصى ثم أذرب شعراً فحضر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى» (24 النازعات). «فاستخف قومه فأطاغوه إلههم كانوا قوماً فاسقين» (54 الزخرف). «وأصل فرعون قومه وما هدئ» (79 طه). أما عليه القوم؛ حاشية السوء، فكان رأيهم أنهم هم المصلحون، وأن موسى ومن معه من المؤمنين بالله، هم المفسدون في الأرض، بمعنى أنهم سيدفعون الناس إلى عبادة الله، فيتركوا عبادة آلهة فرعون، مما يجعلهم يستنكفون عن طاعته، فتُفْسَدُ بِذَلِكَ أُرْكَانُ ملْكَهُ، ما يُؤْوِلُ بِهِ إِلَى الْزَوَالِ، ففسد الأرض، لذلك يجب التخلص من شرورهم، بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقهرهم، وقتل الرأس المحرّكة للفتنة.

«وقال أللّٰهُمَّ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْدَرْتُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرِكُوهُ إِلَيْهِنَّكَ قال سُقْتَلَ أَبْنَاهُمْ وَنَسْنَحِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقُهُمْ فَهُرُوتَ» (127 الأعراف). «وقال فرعون ذُرْوَنِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلَيَدْعُ رَبَّهُ إِلَيَّ أَخْافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» (26 غافر).

وأما مؤمن آل فرعون فقد كان له رأي آخر، إذ قال لقومه، «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا»؟! «يَنْقُرُنَا لَكُمُ الْمَلْكُ الْأَيُّوبُ ظَهَرَيْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قال فرعون مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِي كُمْ إِلَّا سَبِيلَ الْرَّشادِ» (29 غافر).

وجاء نصر الله لرسوله الكريم، فأنجاه من مكر فرعون وملته، وأنزل بهم ما استجلبوه على أنفسهم، من عذاب الدنيا والآخرة.

«فَوَقَنَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِهِمْ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ الْأَنْذَارُ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا عَدُوًا وَعَشِيشًا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخُلُوا إِلَى فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» (46 غافر).

وأخيراً، تهديد وتحذير شديد اللهجة لمن كفر بالذير محمد، من ملاقة المصير نفسه، فليس هناك استثناء لأحد، حتى ولو انتسب لأمته وادعى الإسلام، فملة الكفر عند رب العزة واحدة، ومصيرها واحد، إذ لا خيرية في الكفر.

«وَلَقَدْ جَاءَ إِلَى فِرْعَوْنَ النُّذْرُ كَذَبُوا بِيَأْيِتَنَا كُلُّهَا فَأَخْذَنَّهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ أَكْفَارُ كُنْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بِرَاءَةٌ فِي الْزُّبُرِ» (43 القمر). «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنَ أَرْسُولَ فَأَخْذَنَّهُ أَخْذًا وَبِلَاءً» (16 الزمر).

«وَأَتَرَكَ الْبَخْرَ رَهْوًا إِلَيْهِمْ جُندًا مُغْرِقُونَ كَمَا تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْنٍ ... كَذَلِكَ وَأَوْرَثَتْهَا قَوْمًا أَخْرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ الْسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» (الدخان).

يقول تعالى ذكره، كم ترك فرعون وقومه من القبط، بعد مهلكهم، وتغريق الله إياهم، من بساتين وأشجار وعيون ومقام كريم، يقول وموضع كانوا يقمونه شريف كريم. وقوله «كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا أَخْرَى» يقول تعالى ذكره، وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم، وما كانوا فيه من النعمة قوماً آخرين، وقيل عني بال القوم الآخرين بنو إسرائيل ، الطبرى .

«كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا أَخْرَى» وهم بنو إسرائيل كما تقدم، قوله سبحانه وتعالى «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» أي لم تكن لهم أعمال صالحة، تصعد في أبواب السماء، فتبكي على فقدتهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم، فلهذا استحقوا أن لا يُنظروا، ولا يُؤخروا، لكرهم وإجرامهم وعُتُوهُم وعنادهم ، ابن كثير .

قال الزجاج: أي الأمر كذلك، فيوقف على كذلك، وقيل: إن الكاف في موضع نصب، على تقدير فعل فعلاً كذلك، بمن نريد إهلاكه، وقال الكلبي: كذلك أفعل بمن عصاني، وقيل: كذلك كان أمرهم، فأهلكوا، وأورثناها قوماً آخرين، يعنيبني إسرائيل ، ملوكهم الله تعالى أرض مصر، بعد أن كانوا فيها مُسْتَبْدِين، فصاروا لها وارثين لوصول ذلك إليهم، كوصول الميراث ونظيره، وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض وغارتها ، الآية ، القرطبي .

ونعتقد بأن الذين ورثوا أرض مصر، هم ليسوا ببني إسرائيل ، فتاريخ مصر القديم والحديث، لا يدل على ذلك، وكذلك تاريخ بني إسرائيل ، في القرآن والسنة والتوراة والتلمود، كما أبناه سابقاً، وأما المقصودون بوراثتها هاهنا، هم أهل مصر من أبناء من بقي من قوم فرعون وعيده، الذين لم يهلك منهم في اليوم غرقاً سوى من تبع بني إسرائيل أثناء خروجهم من مصر .

«وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ آخْرَتْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُم مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ (الدخان) .

يعني ما كانت القبط، تفعل بهم بأمر فرعون، من قتل الأبناء، واستخدام النساء، واستعبادهم إياهم، وتکلفهم الأعمال الشاقة، وقيل: أي أنجيناهم من العذاب، ومن فرعون، «إِنَّهُ كَانَ عَالِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ» ، ولقد اخترناهم يعني بني إسرائيل ، القرطبي .

واختلف أهل التأویل في ذلك البلاء، فقال بعضهم ابتلاهم بنعيمه عندهم، وقال آخرون، بل ابتلاهم بالرخاء والشدة، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله أخبر

أنه آتى بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدة، ولم يضع لنا دليلاً من خبر ولا عقل - أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله أخبرهم، بالمعنىين كليهما جمِيعاً ، الطبرى .

«إِنْ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿١﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشِرِينَ ﴿٢﴾ فَأَتُوا بِنَعَمَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبْغِيُّهُمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٤﴾» .

ـ «إِنْ هَؤُلَاءِ» ، كفار قريش ، لأن الكلام فيهم ، وذكر قصة فرعون وقومه ، استطرادي للدلالة على أنهم مثلهم ، في الإصرار على الضلال ، والإندار على مثل ما حل بهم ، وفي اسم الإشارة (هؤلاء) تحذير لهم (ال يقولون) : «إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ» أي ما العاقبة ونهاية الأمر ، إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الأولى ، «وَمَا نَحْنُ بِمُنْشِرِينَ» أي بمعوثرین بعدها ، الألوسي .

ـ «إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشِرِينَ ﴿١﴾ فَأَتُوا بِنَعَمَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾» ، يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قول مشركي قريش ، لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد ، ليقولون إن هي إلا موتنا الأولى ، التي غوتها ، وهي الموتة الأولى ، وما نحن بمنشرين بعد مماتنا ، ولا بمعوثرین ، تكذيباً منهم بالبعث والثواب والعذاب ، الطبرى .

ـ «أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبْغِيُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ» ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير ، أم قوم تبع يعني تبعاً الحميري ، وكانت عائشة تقول : لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً . قوله «وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأمم الكافرة بربها ، يقول فليس هؤلاء بخير من أولئك ، فنصف عنهم ولا نهلكهم ، وهم بالله كافرون ، كما كان الذين أهلكناهم ، من الأمم من قبلهم كفاراً ، وقوله «إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ» ، إنما أهلكناهم لجرائمهم وكفرهم بربهم ، الطبرى .

ـ عن عائشة قالت : كان تبع رجلاً صالحاً ، ألا ترى أن الله تعالى دم قومه ولم يذمه ، الألوسي .

ـ «أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبْغِيُّهُمْ» هذا استفهام إنكار ، أي إنهم مستحقون في هذا القول العذاب ، إذ ليسوا خيراً من قوم تبع ، والأمم المهلكة ، وإذا أهلكنا أولئك فكذا هؤلاء ، القرطبي .

ـ «وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أي قبل قوم تبع كعاد وثمود ، أو قبل قريش فهو تعريم ، بعد تخصيص ، «أَهْلَكْنَاهُمْ» ، استناف لبيان عاقبة أمرهم هدّد به كفار قريش ، «إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ» ، تعليل لإهلاكهم ، أي أهلكناهم ، بسبب كونهم مجرمين ، فليحذر كفار قريش ، الألوسي .

ونقول بأن سبحانه يُقرّ بـ«هَنْوَلَاءٌ» أي أصحاب الدخان، يُنكرون البعث والنشور، كما يُقرّ سبحانه وتعالى أنهم ليسوا بخير من قوم تَبَعَّ، والذين من قبلهم، حيث أهلكهم الله بجرائمهم. ومن المفهوم ضمناً بأن في هذا وعيداً، لِمَنْ يُجْرِمُونَ في حق الله ورسله وكبه، وينكرون البعث. حيث أنهم لو آمنوا بحقيقة رجعتهم إلى الله في اليوم الآخر لقديم الحساب، ونيل ما ترتب على أقوالهم وأفعالهم تلك، من ثواب وعقاب، وتحصل لديهم اليقين بذلك، لما تجرّوا على الإجرام، كما أجرم الذين من قبلهم.

ولا أحد مِنْ أَجْرَمْ في حق الله، بمفارزة من العذاب، وما ترَكُهم في طغيانهم يعمهون، إلا حين مجيء أجدهم المعلوم سلفاً، وتأخير العذاب عنهم، ما كان لعجز، أو لقصراً ذات يد. إذ أنهم كلما أمعنا في الكفر ازدادوا مقتاً وغضباً وخسارة، وكلما اقترب إليهم أجدهم، وهم لا يشعرون.

﴿فَإِنَّمَا يَسْرُرُهُ بِإِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ فَازَّقَتِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ (الدخان).

ـ أي أنزلناه سهلاً واضحاً بيأجلينا، بيسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلالها وأحلالها وأعلاها، «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أي يتفهمون ويعلمون، ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان، من الناس، من كَفَرَ وخالفَ وعاندَ، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، مسلياً له وواعداً له بالنصر، ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك. «فَازَّقَتِبْ» أي انتظر، «إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ» أي فيسيطون لِمَنْ ستكون النصرة والظفر وعلوُ الكلمة في الدنيا والآخرة. ~ ابن كثير.

ـ «فَإِنَّمَا يَسْرُرُهُ بِإِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ فَازَّقَتِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ يقول تعالى ذِكره، لنبه محمد صلى الله عليه وسلم، فإنما سهلتنا قراءة هذا القرآن، الذي أنزلناه إليك بيسانك، ليذكر هؤلاء المشركين، الذين أرسلناك إليهم، بغيره وحُججه، ويتغطوا بعظاماته، ويتفكروا في آياته، إذا أنت تتلوه عليهم، فيُنْبِيُوا إلى طاعة ربهم، ويدعنوا للحق عندما تبينهموه. وقوله «فَازَّقَتِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ» يقول تعالى ذِكره، لنبه محمد صلى الله عليه وسلم، فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك، والنصر على هؤلاء المشركين بالله، من قومك من قريش، إنهم متظرون، عند أنفسهم قهرك وغلتك، بِصَدَّهُمْ عَمَّا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، مَنْ أَرَادَ قبوله واتبعك عليه ~ الطبرى.

ـ «فَإِنَّمَا يَسْرُرُهُ بِإِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أي كي يفهموه، ويتذكروا به ويعملوا بوجبه، «فَازَّقَتِبْ» ، أي وأن لم يتذكروا بما يحل بهم، وهو تعيم بعد تخصيص، بقوله تعالى «فَازَّقَتِبْ يَوْمَ تَلَقَّ السَّمَاءَ ... حَتَّىْ قَوْلَهُ ... إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ» وقيل: معناه مرتقبون ما يحل بهم تهكمـا، وفي الآية من الوعده، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما لا يخفى ~ الألوسي.

أي أن الله سبحانه سهل هذا القرآن، بلسان عربي مبين، وجعله قابلاً للفهم والهضم لمن أراد فهمه، رغبة في الذكرى والتذكرة، ومن لم يُرِد الذكرى منه، وارتاده لأمر ما غير ذلك، حُجب عنه الفهم، ووجده طلاسم ورموز لا يفقه منها شيئاً، فكذب، وجادل، وكفر، ونسب إلى كتاب الله ما ليس فيه، وأعرض عن اتباعه، ونهى عن العمل به، وحاربه بشتى الوسائل والسبيل:

قال تعالى : «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِنَاسَهُ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ... وَمِنْهُمْ مَنْ نَسْتَعِنُ بِإِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قَلْوَبِهِمْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَفْقَهُوهُ وَفِي أَذْانَهُمْ وَقْرَأُوا إِنْ يَرَوْا أَكْلًا إِلَّا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُوكَ حُجَّيْدَلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سُطُورُ الْأَوَّلِينَ وَهُمْ يَنْهَاونَ عَنْهُ وَيَسْتَغْوِيْنَ عَنْهُ وَإِنْ يَهْكُّوْنَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَلَوْ تَرَى إِذَا وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْلَاتُرْدُولَا لَكَذَبَ بِنَاسَتِرَبَانَا وَلَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأُهُمْ مَا كَانُوا يُخْفِيْنَ مِنْ قَبْلِهِ وَلَوْرُدُولَا العَادُو الْمَاهِيْرَا عَنْهُ وَاهِمْ لَكَذَبُونَ وَقَالُوا إِنْ هَيْ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَعْبُوثِيْنَ (29 الأنعام) .

﴿فَارْتَقِبُ﴾ خاص برسوله عليه الصلاة والسلام، وفيه وَعْدٌ بنصرته ونصرة أتباعه، يأهلاك خصومه، وعام لمن يخاطبهم القرآن، ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ أي مرتقبين هلاكهم، غير مصدقين، مستهزئين غير عابثين بما وعدهم الله من أمر البطشة الكبرى، وفيه تهكم من الله بهم وتحقيقاً لشأنهم. قوله ﴿فَارْتَقِبُ﴾ يفيد أن ذلك سيقع مستقبلاً، وفيه حثٌ على الترقب والانتظار، كقوله ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ لمعاينة الحدث الأول، (أي الدخان) الذي بين رب العزة خبره، وبين ما سيكون قوله عند نزوله بهم، وما سيكون موقفهم بعد كشفه عنهم، ومن ثم ﴿فَارْتَقِبُ﴾ في آخر السورة، لمعاينة الحدث الثاني (أي البطشة الكبرى)، لتعلم ولعلم المؤمنون بأن ما أخبر عنه هذا القرآن الكريم المبين هو الحق، وأن مَنْ أَنْزَلَهُ هُوَ الْحَقُّ، وأن مَا يُنْكِرُهُ هُؤُلَاءِ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُضِيرُكُمْ وَلَا يُضِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ كُفْرُهُمْ وَفَسُوقُهُمْ وعصيانهم، فلن تأسف عليهم السماء ولا الأرض، كما لم تأسف على مَنْ أَهْلَكَنَا هُمْ مِنْ قَبْلٍ . والله أعلم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ حَيْثُماً فَيَبْيَثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (105المائدة).

## صفات الدخان:

- بين واضح لا يُنس فيه، لا يختلف عليه اثنان، وهو المعروف المأثور بين الناس، وهو الذي ينجم عن عملية الحرق في العادة، ذو طبيعة غازية، ولون أسود، ورائحة كريهة نفاثة مؤذية، بدلالة قوله تعالى: «بِدْخَانٍ مُّبِينٍ» .

- هو من الأمور المنتظرة والمرتقبة، قادم لا محالة في يوم من الأيام، بدلالة تكير الكلمة **«يَوْمٌ»**.

- مصدره من السماء، لا الأرض، بدلالة قوله تعالى: **«ثَانِي السَّمَاءَ»** ، أي أن السماء ستأتي به، وبذلك ستكون الغازات المؤلفة لهذا الدخان غير تلك الغازات، التي تولف الدخان الناجم عن الحرائق على الأرض.

- ظهوره مفاجئ ومباغت، وغير مسبوق بما يُنْبئ عن قدمه، لكي يتغدر على الناس بإيجاد تبريرات وأسباب مادية ومنطقية لظهوره، ليؤكد سبحانه بأن مصدره هو السماء، وأنه عذاب من عنده، وأنه نذير سوء، وأن هناك ما هو أفظع منه وأقسى، ألا وهو البطشة الكبرى، بدلالة قوله تعالى: **«فَارْتَقِبْ»** ، وهو خطاب بلطف المفرد خاص برسول الله عليه السلام، ومراد به العموم، من يسُؤُهم ما يسوء الله ورسوله، أي فارتقبوه لترفوه إذا ظهر، وليرتبه المعنيون به ليحدروها ما يكون من أمر الله بعده.

- إحاطته بالناس من الجوانب كلها. بمعنى أنه ينزل من السماء، ويكتثر قريباً من الأرض، ملازماً للناس، يملأ عليهم معايشهم ومساكنهم، بدلالة قوله تعالى **«يَعْنَى النَّاسَ»** ، والناس هنا، هم الذين سيُظهرون الشك واللوع في أمر دينهم، دون غيرهم، لأن الآيات السابقة لها حددت حقيقة معتقدهم **«فِي شَكٍ»** ووصف فعلهم **«يَلْعَبُونَ»** . وفي العادة فإن الدخان، يتصاعد إلى أعلى بعيداً عن الناس ومساكنهم، ومن ثم يتشر في السماء ويختفي تدريجياً، ومن ثم تترزق ذراته مع ذرات الماء والغبار، وتترسب وتتعود إلى سطح الأرض، خلال سويعات قليلة. ولكن هذا مخالف لكل ما سبق، يهبط من أعلى إلى أسفل، ويبقى ملازماً للأرض وللناس، ولا يتشر ولا يترسب، حتى تحصل الغاية من إرサله، بتعذيب أولئك القوم.

يُصاب الناس منه بالأذى والضرر، وعادة ما يُحدث الدخان ضرراً، في الأنف والعين والحنجرة، وقد يتسبب بحالات اختناق نتيجة نقص الأوكسجين، في أسوأ الأحوال، من جراء غشيانه وإحاطته بهم، ولكن؛ دون الموت والهلاك، بدلالة قوله تعالى: **«هَذَا عَذَابُ أَيْمَنٍ»** ، وهذا تقرير من رب العزة بأنه عذاب لمن قد يُشكك في ذلك، أي أن المقصود بإنزاله تعذيب من ينزل بهم، وليس موتهم، لأمور اقترفوها، توضحها الآيات فيما يليها.

- هذا الدخان حدث عارض، وغشيانه للناس مؤقت، وانكشف هذا الدخان، سيكون بأمر من الله، لقوله: **«إِنَّا كَاسِفُوا الْعَذَابَ قَبِيلًا»** ، إذ إن الهدف منه هو الإنذار فقط، بالرغم من انعقاد الأسباب الموجبة للعذاب، ولكن؛ يلزم الإصرار من قبل القوم، على ما هم فيه من

**العُتُّ والكُبُرُ**، قبل نزول البطشة الكبرى بهم، وهذا رحمة من الله، حتى يُعنَّ يُؤذيه، ويُؤذى  
رُسله من عباده.

### حقيقة معتقد هؤلاء القوم وصفة أقوالهم وأفعالهم:

- انعدام اليقين بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكل ما أخبرت عنه الكتب السماوية، **﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ﴾**.
- الإعراض عن آيات الله، والاستهزاء بها، واتخاذها هزواً ولعباً، كمادة للتسلية والفكاهة والتذرد **﴿يَلْعُبُونَ﴾**.
- النفاق حتى مع الله، فحقيقة أفعالهم تتنافى مع ما يُظهرونه من إيمان أو اتساب للإسلام، فقولهم هو **﴿رَبَّنَا أَكْثَرُ فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُ عَنِ الْعِدَّةِ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾**، وشهادة رب العزة تُكذب قولهم **﴿أَنَّ لَهُمُ الْذِكْرَ﴾**.
- الكفر بعد الإيمان، بالإعراض عن هدي رسول الله، عليه الصلاة والسلام،  
**﴿ثُمَّ تَوَلُّوْا عَنْهُ﴾**.
- الطعن في خُلُقِهِ الكريم، واتهامه بالجبنون أي المس، وبالتعلم من البشر والكهان والسحر، **﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ بِجَبْنُونَ﴾**.
- إنكار البعث والنشور وما يليه من حساب وثواب وعقاب، **﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾** إن هي إلا مُؤْنَثَنَا الأُولَئِي وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَشِرِينَ
- ماديون منشغلون ومتغلون في الحياة الدنيا، فهم من عباد الدنيا ومظاهرها الخادعة، لا يؤمنون إلا بما هو محسوس من الدلائل الدافعة للشك والموجبة لل YYقين، لطلبهم الدليل المادي بقولهم **﴿فَأَتُوا بِنَارَبِنَارٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** ، للتأكد من حقيقة القدرة على البعث، وما هم بمؤمنين، فقولهم قاصرة عن فهم الدلائل العقلية المطروحة في القرآن، والتي لا تتحصل إلا بالتفكير والتذير.
- مجرمون ومصررون على إجرامهم، فلا وازع ولا رادع يثنانهم عن غيهم وطغيانهم، ولا تعنيهم التحذيرات والتذير، **﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبْعِيْدُهُمُ الْأَنْجَانُ أَهْلَكَنَّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾**. والله أعلم.

ظهور هذا الدخان بصفته الموضحة أعلاه لم يتحصل في حياته عليه الصلاة والسلام، حيث لو عاينه في حياته لأخبر عنه، أو أخبر عنه أصحابه، ولو رد خبره في كتب السيرة

والتأريخ، ونرى أنه خاص بأناس من أمة الإسلام، وسبب غشيانه لهم هو أنهم كفروا بعد أن كانوا مسلمين، وأما السبب الموجب للبطشة الكبرى فهو إينادهم لرسوله الكريم، بالرغم من تحذيرهم بالدخان.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمٌ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ .

جاء في لسان العرب أن "جماع معنى الفتنة، الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخذ من قوله فنت الفضة والذهب إذا أذتهم بال النار، لتميز الرديء من الجيد". ويوضح معناها من قوله تعالى: ﴿وَبَنَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَأَخْتِرُ فِتْنَةً﴾ (35 الأنبياء)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَسَبَ النَّاسُ أَنَّ يُرَثُّكُوا أَن يَقُولُوا إِنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ ... وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءاْمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (11 العنكبوت)، ليكون معنى الفتنة هو الامتحان والاختبار، ويكون ذلك بالابتلاء بالشر أو بالخير، ليعلم الله الصادق من الكاذب، وليعلم المؤمن من المنافق.

والملاحظ في الآيات أعلاه أن المخاطب في الآية (35) من الأنبياء هم المعاصرون لرسالة الإسلام، وأن الحديث في الآية (2) من العنكبوت، كان عن الناس إجمالاً وبشكل عام. أما قوله ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فالضمير (هم) يعود على المعاصرين لرسالة الإسلام، والذين فتنوا من قبلهم، هم كُلُّ من سبقت فتنتهم، قبل مجيء الإسلام، إذ لم يكن في هذه العبارة تحديد لأقوام بأعينهم سبقت فتنتها، فهي أسبقة زمانية لا مكانة.

وأما في سورة الدخان، فيقول سبحانه وتعالى، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾ ، وضمير الغائب (هم) في كلمة (قبلهم)، يعود حصراً على أصحاب الدخان، الموعودين بالبطشة الكبرى، ويجيء التحديد لقوم بعينهم، بقوله تعالى ﴿قَوْمٌ فِرْعَوْنَ﴾ ، تصبح أسبقة ﴿قَوْمٌ فِرْعَوْنَ﴾ لهؤلاء الناس، مكانة وزمانية في آن واحد، ونلاحظ هنا، أن الفتنة كانت للقوم بشكل عام، إذ لم يقل سبحانه (فرعون) أو (فرعون وقومه) أو (فرعون وملوئه)، وإنما قال ﴿قَوْمٌ فِرْعَوْنَ﴾ .

ليصبح المعنى، بأننا قمنا بامتحان واختبار هؤلاء القوم ( أصحاب الدخان )، فكان منهم ما كان، من أمر رسولهم، ورسبو في الامتحان الذي قدم إليهم، بمجيء محمد عليه الصلاة والسلام، الرسول الكريم، وتبين لنا وتأكد أنهم كاذبون، فاستحقوا بطشتنا الكبرى، فبطشنا بهم، كما كنا قد فتنا قبلهم في الأرض نفسها، قوم فرعون، ببعث رسولنا الكريم موسى إليهم، فكتابوه، وحاربوه، واتهموه بالسحر والجحون، فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر.

وهنا نفهم من قوله تعالى، «يَغْشَى النَّاسَ» ، بأن المقصودين هنا، أناس بأعينهم لا جملة البشر، وحقيقة هؤلاء الناس موضحة في الآيات بشكل لا يُبس فيه، وأهم ما يتميزون به هو الكفر والنفاق، وأن هذا الدخان سيشاهدهم كعذاب وليس كابتلاء، وذلك لكرفهم ونفاقهم، مما ينفي أن هذا الدخان سيُتلى به عامة البشر، من مؤمنين وكفار ومنافقين، ويُفهم من قوله «النَّاسُ» ، أنه سيغشى عامة الناس المقيمين في المكان، الذي أحدث الناس فيه ما وصفته الآيات أعلاه، دون سائر البشر.

أما الإشارة الثانية للمكان فجاءت في قوله تعالى: «وَلَقَدْ نَجَّبَنَا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَمْمِينِ ﴿١٣﴾ مِنْ فِرَغَتْ...» ، ونجاتهم كانت بخروجهم من مصر، وذكر بني إسرائيل أيضاً جاء هنا، لاشراكهم مع الفراعنة بالفساد والإفساد في الأرض، وانعدام الإيمان بالله واليوم الآخر، ومحاربتهم لله ولرسله وأنبيائه والصالحين من الناس، قبل العُلُوِّ وبعده، فأنزل الله بهم العذاب تلو العذاب.

وقوله تعالى: «إِنَّ هَؤُلَاءِ» أصحاب الدخان، «أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٤﴾» وفيه تهديد ضمني للمخاطبين بالقرآن، من كفرة أمّة محمد عليه الصلاة والسلام، بالإهلاك كما أهلك الذين قبلهم، لما فعلوا مثل فعلهم. والله أعلم .

ترتيب المشاهد حسبما وردت في سورة الدخان:

المشهد الأول: الشك واللعب.

المشهد الثاني: غشيان الدخان للناس، ومن ثم زواله.

المشهد الثالث: العودة لما كانوا عليه، بل والإمعان في التولي والإعراض، وأخيراً الإساءة لرسول الله.

المشهد الرابع: البطشة الكبرى.

## الفصل الثاني:

﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾

### الدخان يغطي القاهرة

نعرض فيما يلي - ومن خلال صحفة الأهرام المصرية - المقالات التي تعرضت لدخان - غشى سكان القاهرة في الفترة الواقعة ما بين 20 - 30 / 10 / 1999 م.

#### سر سحابة الدخان التي أزعجت سكان القاهرة الكبرى ١١

الصفحة الأولى / الأحد / 15 من رجب 1420 هـ، 24 أكتوبر 1999 ، السنة 124 . العدد 41229 .

تزايادت طوال الليلة الماضية ظاهرة تراكم الأدخنة والغازات والروائح الفضفاضة في سماء مدينة القاهرة ، المستمرة منذ نحو ثلاثة أيام سابقة ، وقد وصلت هذه الظاهرة في مساء أمس إلى حد تسبّب في حالة من القلق بين سكان القاهرة ، وطوال الليل لم تقطع الاتصالات التليفونية من المواطنين إلى الأهرام يشكون ويستفسرون ، بعد أن اضطروا إلى إغلاق نوافذ منازلهم ، وبعد لجوء بعضهم إلى المستشفيات لعلاج الالتهابات التي أصبت بها عيون أطفالهم . وفي محاولة لتفسير هذه الظاهرة أجرت الأهرام عدداً من الاتصالات مع مسؤولي الأرصاد الجوية والبيئة ، طوال ليلة أمس . فقد صرّح مصدر مسؤول ب الهيئة للأرصاد الجوية لفوزي عبد الحليم ، مندوب الأهرام ، بأن الظاهرة ناتجة عن حرق المزارعين في المحافظات حول القاهرة ، لخلفات محصول الأرز ، بالإضافة إلى تراكم الأدخنة الناتجة عن عوادم السيارات والمصانع ، وتزامنت هذه الأدخنة مع وجود مرتفع جوي شمال البلاد ووسطها ، أدى إلى احتباس حراري ، واستقرار الحالة الجوية ، الأمر الذي أدى بدوره إلى تركيز الأدخنة في طبقة الهواء القريبة من سطح الأرض ، واحتفاظ الهواء بمكوناته كلها . وقال : إنه من المنتظر انتهاء هذه الظاهرة فور تحرك المرتفع الجوي بعيداً عن القاهرة .

ومن ناحية أخرى ، نفى الدكتور إبراهيم عبد الجليل ، الرئيس التنفيذي لجهاز شؤون البيئة ، ما تردد على لسان المواطنين عن وجود حرائق بمناطق تجمّع القمامات ، حول القاهرة

والجizada، كمصدر لانتشار هذه الأدخنة في القاهرة. وقال: إنه أجرى اتصالاً بمحافظ القليوبية، المستشار صبري البيلي، أكد خلاله انتشار الأدخنة بالمحافظة نتيجة حرق قش الأرز بها، كما أكد الدكتور حسين كاظم محافظ الشرقية المعلومات نفسها في محافظته خلال اتصال مكالمة. وأضاف عبد الجليل أن جهاز شؤون البيئة طلب من وزارة الزراعة إصدار تعليمات بمنع حرق قش الأرز، أو أي مواد مائلة لمنع تكرار هذه الظاهرة مستقبلاً.

وفي محاولة لطمأنة المواطنين ناشد الدكتور محمود عمرو، أستاذ ورئيس قسم الأمراض المهنية، ومدير مركز السموم بقصر العيني المواطنين بعدم المبالغة في القلق، ووصف ما حدث بأنه ليس كارثة، على الرغم من أن الأعراض المبدئية للتعرض لها، تشمل التهاب العيون والأذن والصدر، وأكد أن الاحتياطات الالزمة تستدعي التركيز على حماية الأطفال، وعدم إغلاق النوافذ ضماناً للتهوية الالزمة، وكذلك توفير الحماية الالزمة للمرضى بالمستشفيات، أما الأصحاء البالغون فلن يتعرضوا لخطورة من التعرض للأدخنة، مشيراً إلى أن ندى الفجر سيغسل الهواء، ويخفق من حدة التلوث. وأكد الدكتور عمرو أن هذه الظاهرة قد حدثت من قبل عام 1949 م، في لندن، بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة، والحماس الزائد للتلوث الصناعي، وانتشار المداخن، أما في مصر فالطبيعة الصحراوية للبلاد تتنفس الملوثات الزائدة في المدن، لهذا؛ فلن يشعر بها سكان الصعيد.

### سحابة الدخان تتلاشى نهائياً من فوق القاهرة خلال 48 ساعة:

الصفحة الأولى / الإثنين / 16 من رجب 1420 هـ، 25 أكتوبر 1999 م، السنة 124 . العدد 41230 .

توقع خبراء الأرصاد الجوية أن تتلاشى نهائياً سحابة الدخان الكثيف التي خيمت ليلة أمس الأول على القاهرة وضواحيها، خلال الساعات الثمانية والأربعين المقبلة، وأضافوا أن الكتلة الهوائية التي حملت هذه السحابة، الناتجة عن إحراق مخلفات محصولي الأرز والقطن في المحافظات المجاورة، آخذة في التحرك شرقاً، لتحول محلها كتلة هوائية نظيفة، مقبلة من الشمال الغربي، وأوضحاوا أن نسبة الرطوبة سوف تتحفظ أيضاً، بفعل هذه التغيرات في حالة الطقس، وقد قامت الدكتورة نادية مكرم عبيد وزيرة الدولة لشؤون البيئة أمس بجولة في محافظتي الشرقية والقليوبية، بوصفهما المصدر الرئيسي للدخان، الناتج عن إحراق مخلفات الأرز والقطن، وصرحت بأنه سيتم تدريب المزارعين على استخدام غاز الأمونيا، لتحويل قش الأرز إلى أعلاف حيوانية، بحيث تنتهي الحاجة تماماً إلى إحراقه، كما أعلنت الجهات المسئولة في المحافظتين عن اتخاذ إجراءات حاسمة لوقف عمليات إحراق المخلفات الزراعية في الحقول .

## سر اختناق القاهرة ١

تحقيقاً / الإثنين / 16 من رجب 1420هـ، 25 أكتوبر 1999م، السنة 124. العدد 41230.

حرق حطب القطن وقش الأرز، مع خليط الفازات المركبة، سبب سحابة الدخان. المواطنون: إصابات بالأنف والحلق، وصعوبة في التنفس، نتيجة للتلوث. مصدر أمني: 5 بلاغات فقط حول حرائق المخلفات، وتم إخمادها.

تحقيق وجدي رياض ومحمود النويي: تعرّضت سماء الدلتا والقاهرة حتى الجيزة للتلوث هوائي شديد، خلق حالة من الهباء الجوي - بخار ماء مع ملوثات - أثار ذعر السكان، وسبّب بعض حالات الاختناق لمن لديهم حساسية صدرية، أو ربوية، أو أمراض سوء التنفس. كما تعرّض بعض سكان القاهرة إلى أزمات تنفسية، نتيجة لزمة (كما جاءت في الصحفة) الهواء وغياب الأوكسجين الكافي، ويرجع سبب حدوث هذه الحالة النادرة إلى عدة اعتبارات تم رصدها، كان من أبرزها:

- صدور الأوامر إلى المزارعين من مديريات الزراعة بضرورة حرق حطب القطن المتخلّف عن زراعات القطن، للتخلص من دودة اللوز، ومن المعروف أن الدلتا بخصوصية أرضها، تزرع حوالي 750 ألف فدان، بزراعات القطن الذي تم جمعه هذا الشهر.

- ارتفاع نسبة الرطوبة في مثل هذا الوقت من السنة، مع ارتفاع في درجة الحرارة، مما أدى إلى حدوث حالة من الهباء الجوي، أدى إلى كتمة (كما جاءت في الصحفة) الهواء، وغياب الأكسجين الكافي.

- ساعد على ذلك - أيضاً - انتشار احتراق آثار الحصاد، من حطب القطن وقش الأرز. ومع حركة الرياح أدى إلى تغطية هواء سكان القاهرة، بحالة من الدخان، مع سكون للهواء، وارتفاع في درجة الحرارة، مع ملوثات كربونية، آزوتية وغازية، وكبريتية عالقة في الجو. ومن ناحية أخرى فقد أدت عمليات احتراق أحطاب القطن، للقضاء على دودة اللوز وفقاً للقرار الذي صدر من مديريات الزراعة بالمحافظات، بالعقوبات المقررة لمن يحتفظ بالحطب، مما دفع الفلاحين إلى سرعة حرق الأحطاب، تنفيذاً لقرارات وزارة الزراعة في الحقول.

ومن جانبه أثار المستشار صبري البيلي، محافظ القليوبية، مشكلة حرق حطب القطن في المزارع أمام وزيرة البيئة، ورئيس جهاز شؤون البيئة، في اجتماع هذا الأسبوع. وقال المستشار البيلي: إن القانون 4 سنة 1994 المادة 37، بشأن البيئة، يمنع منعاً باتاً حرق المخلفات والقمامة ومخلفات الحقول، حتى لا يتلوث الهواء، وفي الوقت نفسه؛ يحتم القرار الوزاري على

الفلاحين حرق الأحطاب. من هنا، وقف المحافظ عاجزاً عن إصدار قرار بمنع الحرق، أو الحرق في الحقول! ومن ناحية أخرى، تدرس وحدة البيئة والتنمية في الصندوق الاجتماعي الاستفادة من دراسات عديدة أشارت إلى أهمية الاستفادة من حطب القطن في صناعات خشبية، كأحد مقومات المشاريع الصغيرة التي يدفع بها الصندوق إلى السوق لتشجيع الشباب على الدخول في هذه المشاريع التنموية.

ومن المعروف، أن هناك 32 محطة، أقامتها الدانمارك في الأرض المصرية، لرصد حالة الهواء، بالأكسيد الأزوتية الكبريتية والكريونية. وقد تم تركيب هذه المحطات، لتغطي أرض الدلتا، وهي تعمل لمدة 24 ساعة، ويتم بها رصد حالة الهواء ومكوناته، ولم نسمع أن أحداً فتح هذه المحطات، ورصد ما بها من تسجيل، وما حدث من ملوثات، بهواء الدلتا وعواصم مدنها.

وفي القاهرة الكبرى، حوالي 40 محطة لرصد الهواء، وقد أقام المشروع الأمريكي، لتحسين هواء القاهرة، حوالي 33 محطة، لرصد الذرات الصغيرة العالقة من 2.5 جزء في المليون، إلى عشرة أجزاء في المليون، كما تقوم برصد الرصاص، وهناك 7 محطات دانمركية، تقوم برصد أول وثاني أكسيد الكربون، وأول أكسيد الكبريت، والغازات الأخرى، ولم تُبع هذه المحطات بأسرار ما حدث من تلوث في هواء القاهرة الكبرى والدلتا والجيزة.

قاماليابانيون بإنشاء معمل مركزي، تابع لجهاز شؤون البيئة، ومعامل أخرى متنقلة، لرصد حالة الجو عند حدوث أزمة أو كارثة أوردة فعل لأي شكوى، ويشرف على المعامل جهاز شؤون البيئة، ويديرها خبراء مصريون، وتدرّب عليها الخبراء.

ومن المعروف أيضاً أن المصادر الطبيعية لتلوث هواء القاهرة، مصدرها بخار الماء الضار، والبكتيريا والفطريات والأملاح، ونواتج الاحتراق ذو النشاط الطبيعي. أما المصادر الصناعية في تلوث هواء القاهرة الكبرى، فهي حرق الوقود والطاقة، وعمليات الإنتاج الصناعي، ووسائل النقل والقطارات والطائرات وال\_boats.

ومن ناحية أخرى، لم تقطع الاتصالات التليفونية للمواطنين بالأهرام، طوال ليلة أمس الأحد، حيث اشتكوا من وجود سحابة دخان كثيفة غطت أجواء القاهرة، خاصة منطقة مدينة نصر ومصر الجديدة، ومناطق وسط البلد ومصر القديمة، وأصابت الأطفال وكبار السن بالاختناق.

وتقول السيدة نجية الشال، من سكان شارع مصطفى النحاس بمدينة نصر: إن سحابة الدخان أصابتها وأطفالها بحالة اختناق، حيث تعاني من حساسية في الصدر، أدت إلى عدم قدرتها على التنفس، رغم إغلاق النوافذ بالشقة، وتساءل هل عمال جمع القمامه هم

السبب، أم القائمون على حرق القمامات؟! أم العمال المختصين، بجمع القمامات من الشوارع، هم الذين أحرقوا هذه القمامات، التي أدت إلى هذا الدخان الكثيف؟! وتساءل السيدة نجية الشال، أين وزيرة شؤون البيئة؟ وأين القائمون على النظافة في بلدنا؟. وكيف يتركون هذا الأمر دون متابعة، أدت إلى عدم قدرتها على التنفس؟ رغم إغلاق النوافذ بالشقة . ومن الروضة بالمنيل استغاث بنا محمد أبو سريع عبد الكرييم، قائلاً: ما هي حكاية الدخان الكثيف، الذي يمتد من حلوان إلى المعادي والمنيل والمهندسين؟! ويقول: إننا لا نستطيع التنفس، ونكافد نصاب بحالة اختناق شديدة.

أما السيدة سمر عمر محمود، من سكان مدينة نصر، فقد وصفت الدخان بأنه عبارة عن دخان ينبعث من آبار بترول تخترق، وليس دخاناً عادياً، ينبعث من مخلفات قمامات، كما أن الجو الحار ساعد على حدوث انتباخت في حالة الجو، جعلتنا لا نستطيع التنفس.

أحمد علي أبو الحسن، مشرف اجتماعي بجامعة الأزهر، بمدينة نصر، يقول: إنه يشعر بحالة اختناق شديدة، وحرقان بعينيه، لم يستطع معها الإبصار بصورة جيدة.

ومن جانبه أكد مصدر أمني بنجدة القاهرة بأن النجدة لم تلقَّ بلاغات حرائق، ليلة أمس، عدا حريقاً محدوداً شبَّ في محطة بنزين التعاون، بشارع قصر العيني . وذكر المصدر الأمني أن الإدارة تلقت ليلة أمس حوالي 5 بلاغات حريق في مخلفات قمامات، وتم إخمادها فوراً، وأوضح أن الإدارة تلقت إشارة بان الشبورة (كما جاءت في الصحيفة)، التي أحاطت سماء القاهرة ليلة أمس، كانت نتيجة حرق مخلفات محصول القطن والأرز بالأرياف.

وحول أسباب الظاهرة كتب عبد المجيد الشوادفي من الشرقية، في محاولة سريعة وعاجلة، لاحتواء الأسباب التي أدت إلى ظهور السحابة السوداء، فوق سماء القاهرة، وعدد من محافظات الدلتا، نتيجة لقيام الفلاحين بحرق قش الأرز المتخلّف، عن حصاد المحصول، مما ترتب عليه، حدوث اختناقات، وإصابات في العيون، بين الكثيرين من أبناء محافظة الشرقية.

قرر المحافظ الدكتور حسين رمزي كاظم، تنفيذ عدة إجراءات، للقضاء على هذه الظاهرة، التي انتشرت في مختلف مساحات الأراضي المزروعة بالأرز، والتي تبلغ حوالي 150 ألف فدان. وتم الاتفاق مع اللواء محمد صادق أبو النور، مساعد وزير الداخلية لأمن الشرقية، تكليف رؤساء الوحدات المحلية، بالقرى والمدن وأموري مراكز الشرطة بتنظيم حملات لإخماد عمليات حرق قش الأرز، والاستعانة بفرق الدفاع المدني، والحريق لإطفاء النيران المشتعلة في الحقول، وتحرير محاضر للمخالفين.

كما تم الاتفاق على تشكيل غرفة عمليات تضمًّا ممثلين لأجهزة الحكم المحلي والشرطة، لمتابعة هذه العملية، وتحميم البلاغات بشأنها. وتم إخطار وزارة الزراعة، للبحث في إمكانية الاستفادة من مخلفات محصول الأرز، والتوصل إلى وسائل لاستثمارها، بما يعود بالنفع العام على المزارعين، وحتى لا تتكرر هذه الظاهرة مرة أخرى.

وكانت سحابة الدخان الكثيفة، التي خيمت على مدى الأيام الماضية، فوق محافظة الشرقية، نتيجة حرق قش الأرز، قد امتدت إلى مناطق متعددة، في المحافظات المجاورة، وغطت الطرق الرئيسية التي تربط بينها وبين الطرق الصحراوية، مما أدى إلى إعاقة الرؤية أمام سائقى السيارات، وعرضتهم إلى ارتكاب حوادث التصادم.

ومن جانبه صرَّح المهندس محمود الجمل، وكيل وزارة الزراعة بمحافظة الشرقية بأنَّ عمليات حرق قش الأرز التي يقوم بها الفلاحون، وسط المقول، يستهدفون من ورائها، زيادة نسبة التسميد للأراضي، حيث أنَّ مخلفات حريق القش، تسهم في خصوبة الأرض، وارتفاع الحصوية فيها، نتيجة لما يحويه القش المحرق من عناصر متعددة ومختلفة، تؤدي إلى تحسين التربة الزراعية، وترفع من إنتاجيتها في مختلف المحاصيل التي تزرع فيها.

ومن القليوبية كتب أبو سريع إمام: أكَّد المستشار أحمد صبري البيلي محافظ القليوبية، أنه بالنسبة للشبوره (كما جاءت في الصحفية) الملوثة الناجمة عن حرق مخلفات زراعة الأرز، فإبني اتخذت الإجراءات منذ يوم 12 أكتوبر، وتمت إزالة بعض المخالفين والمتسيسين، في هذه الأدخنة الملوثة، إلى النيابة العامة، طبقاً لقانون البيئة، والأكثر من ذلك، بأنني قمتُ بعرض هذه المشكلة في مؤتمر حماية البيئة يوم 14 أكتوبر، برئاسة الدكتورة نادية مكرم عبيد، وزيرة الدولة لشؤون البيئة. وأوضح محافظ القليوبية، أنه طلب من وكيل وزارة الزراعة اتخاذ الإجراءات لوقف عمليات حرق مخلفات الأرز، فاكتُد أنه لا يوجد تعليمات بمنع الحرق بالأراضي الزراعية. ويقول المهندس عبد الحميد خاطر، وكيل وزارة الزراعة بالقليوبية: إنَّ المحافظة غير مسموح لها بزراعة الأرز. وإنما زراعة هذا المحصول تمت على مساحة 21 ألف فدان بالمحافظة، وقامت أجهزة الري، بعمل محاضر لأصحاب هذه الأراضي، لأنَّ أجهزة الري هي الجهة الوحيدة المسؤولة عن تحريز محاضر، بالمخالفات لزارعي الأرز.

وأوضح اللواء محمود وجدي، مساعد وزير الداخلية لأمن القليوبية، أنه تم على الفور عمل دوريات مرورية، ليلية ونهرية، لمحاولة السيطرة السريعة، للحدّ من عمليات الحريق، حتى يتم بشكل منظم.

## **انتهاء السحابة الملوثة خلال 48 ساعة :**

**تحقيقـات / الإثنين / 16 من رجب 1420 هـ، 25 أكتوبر 1999 م، السنة 124 . العدد 41230 .**

أكـد فوزي غنيمي - مدير مركز التنبؤات - أن خبراء الأرصاد الجوية يتوقعون انتهاء هذه الظاهرة الجوية، خلال الساعات الـ 48 المقبلة، بسبب تحرك هذه الكتلة الهوائية جهة الشرق، وتقدم الكتلة الهوائية المقبلة، من جنوب وشرق أوروبا، مما يحرك الهواء، ويجدده ويقلل نسبة الرطوبة، وبالتالي؛ سيدأ الدخان في الاختفاء التدريجي، وتتبـه المسؤولون في المحافظات المجاورة للقاهرة لإعطاء تعليمات بمنع حرق مخلفات الزراعة، إلا بأسلوب علمي، وفي الوقت المناسب، والهيئة على استعداد لإمدادهم ببيانات اللازمـة، والأحوال الجوية المتوقـعة.

**المزارعون: القش بريء .**

**تحقيقـات / الإثنين / 16 من رجب 1420 هـ 25 أكتوبر 1999 م، السنة 124 . العدد 41230 .**

كتـبت أهداف البنداري : في قرية الناي بمحافظة القليوبية، إحدى المحافظات التي تزرع الأرز، قال عبد الله إبراهيم فلاح : إنه يتم حرق 5طنان قش في كل فدان أرز، و تستغرق كل كمية يتم حرقها ربع ساعة، ولا يصل دخان هذا الحريق إلى مدينة قليوب التي تبعد خمسة كيلو مترات عن قرية الناي . ويضيف عادل عطا أن مواعيد حرق القش ، تختلف في القرية الواحدة، من مكان لآخر، وما زالت أماكن لم تبدأ الحرق بعد . وتساءـل فلاح آخر بأن رماد حريق القش يتربـبُ، ثم يتـبخـرُ، فكيف يصل إلى القاهرة التي تبعد عن قليوب 30 كيلو متر؟ ! (تساؤـل وجـيه)، وأضـافـ أن ميعـاد حرق القـش يـبدأـ من 15 أكتـوبرـ، ويسـتمـرـ 20 يومـاـ، وـماـ يـصلـ ارتفاعـ الدخـانـ إـلـىـ حـوـالـيـ عـشـرـةـ أـمـتـارـ . وفيـ مـرـكـزـ شـبـينـ القـناـطـرـ، أـرجـعـ فـلاحـ سـبـبـ الدـخـانـ الغـامـقـ اللـونـ، الـذـيـ ظـهـرـ الـأـيـامـ الـماـضـيـةـ، إـلـىـ طـبـقـةـ مـفـتوـحةـ فـيـ الـأـوـزـوـنـ، وـقـالـ: إـنـهـ شـاهـدـ شـبـورـةـ معـ دـخـانـ أـزـرـقـ (أـيـ أـنـهـ أـتـتـ مـنـ السـمـاءـ)، لـاـ يـعـرـفـ سـبـبـهاـ، وـإـدـارـاتـ الـمـرـرـورـ هـيـ المـفـرـضـ أـنـ تـشـرـحـ أـسـبـابـهاـ !

**سر اختناق القاهرة (2) :**

**تحقيقـات / الثلاثاء / 17 من رجب 1420 هـ، 26 أكتـوبرـ 1999 م، السنة 124 . العدد 41231 .**

تحـقيقـ أـهدـافـ البـندـاريـ: كـشـفـ اختـناقـ القـاهـرةـ، الـذـيـ اـسـتـمـرـ لـثـلـاثـةـ أـيـامـ متـالـيةـ، عنـ وجودـ العـدـيدـ مـنـ الـمـلـوـثـاتـ، فـيـ سـمـاءـ الـعـاصـمـةـ . فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ تـقـومـ فـيـ الـدـولـةـ بـالـحـفـاظـ عـلـىـ سـلـامـةـ الـمـوـاطـنـينـ، وـالـاهـتـامـ بـتـجـمـيلـ الـقـاهـرةـ الـكـبـرـىـ، تـنـتـشـرـ مـقـالـبـ الـقـامـةـ بـيـنـ الشـوـارـعـ وـالـمـيـادـينـ، وـعـلـىـ أـسـطـحـ الـمـنـازـلـ، حـسـبـ ماـ شـاهـدـتـهـ وزـيـرـةـ الـبيـئةـ، فـيـ جـوـلـتـهاـ بـالـطـائـرـةـ، فـوقـ الـقـاهـرةـ، وـيـؤـديـ حـرـقـهاـ بـلـأـيـةـ ضـوابـطـ إـلـىـ تـلـوثـ هـوـائـيـ، يـصـيبـ الـعـدـيدـ مـنـ الـمـوـاطـنـينـ بـالـأـمـراضـ .

وعلى الرغم من أن مقالب القمامات الرسمية قد أوقفت حرق القمامات منذ أكثر من عام، بقرار صادر من وزيرة البيئة إلا أن مقالب القمامات الخاصة مازالت تعمل بلا ضوابط. والسؤال الآن.. متى تخفي مقالب القمامات من شوارع العاصمة؟! في البداية، تقول نادية مكرم عبيد وزيرة البيئة، إنها رصدت سحابة الدخان، وشعرت بها مثل كل المواطنين، وأدركت أن هناك شيئاً غير طبيعي، في الهواء منذ عشرة أيام، فبحثت مع كل الجهات المعنية، لتعرفحقيقة هذا الدخان.. . وتضيف : قمتُ بجولة جوية بالطائرة، لمدة ثلاثة ساعات بعد استجابة فورية من المدير محمد طنطاوي وزير الدفاع، شملت القاهرة الكبرى، في محافظات القاهرة والجيزة والقليوبية . وشاهدت حالات اشتعال ذاتي في حوالي 7 أو 8 مواقع للقمامات ، في مناطق عشوائية، وتلوث في جنوب القاهرة، من بعض المصانع. كما شاهدت حرق قش الأرز، ولفت نظري انتشار القمامات على أسطح المنازل.

من هنا أرجعت هذه السحابة الدخانية إلى تزامن عدة عوامل في آن واحد. فالأسباب التي تصدر من الاشتعال الذاتي للقمامات التي يلقاها الأهالي بطريقة عشوائية ، نتيجة سلوك غير سوي ، مع استقرار الهواء بدون رياح ، أدى إلى تعلق دخان القمامات المشتعلة والقش محترق ، والذي يقوم الفلاحون بحرقه منذ سنوات ، لكننا شعرنا بدخان هذا الاحتراق ، نتيجة اتحاد العوامل السابقة معاً . فالأدخنة المعلقة سبب شعورنا بأن هناك شيئاً يحرق في الهواء .

... ومن جانبه أكد د. عبد الرحيم شحاته، محافظ القاهرة، أن سحابة الدخان التي غطت القاهرة ليست بسبب القمامات ، فالمحافظة خصصت 18 مليون جنيه سنوياً، لميزانية شركات القمامات ، وأن الدولة تقوم بدورها ، من حيث توفير جهاز مسؤوليه ومعداته ، لنظافة القاهرة ، ولم تعد لدى إدارات مقالب القاهرة الرسمية أية محارق ، إلا أن المحافظة ، وكل الأجهزة المعنية لن تستطيع أن تقضي على القمامات في الشوارع ، فذلك يتوقف بنسبة 100٪ على سلوك المواطنين ، واستشهد محافظ القاهرة بسلوك المواطنين ، الذي يساعد على استمرار تلال القمامات الشوارع ، حيث أن 50٪ فقط من سكان القاهرة يتعاملون مع جامعي القمامات ، والباقي يرفض دفع 3 جنيهات ، مفضلاً إلقاء مخلفاته على الجزيرة الوسطية في الشارع . . .

**رئيس هيئة النظافة وتحميم القاهرة يبرئ مقالب القمامات ويتهم القش:**

تحقيقات / الثلاثاء / 17 من رجب 1420 هـ ، 26 أكتوبر 1999 م، السنة 124 - العدد 41231 .

كتب عبد العظيم الباسل : أثارت سحابة الدخان الحاذق التي غطت القاهرة، أول أمس ، تساؤلات عديدة حول أسبابها . . البعض أرجعها لحرق مقالب القمامات المنتشرة حول القاهرة،

وعلّلها البعض الآخر بحرق بقايا جذور نبات الأرز في الحقول المتشرة حول القاهرة الكبرى . وأيًّا كانت أسبابها الحقيقة ، فقد انزعج العديد من الأهالي ، التي أصابها أحمرار بالعين ، وضيق بالتنفس الصدري ، نتيجة لهذا الدخان الخانق الذي لفَّ القاهرة .

من جانبه يؤكد اللواء مجدي البسيوني ، رئيس هيئة التجميل والنظافة بالقاهرة : أن هذه السحابة العالقة بسماء القاهرة ، لا ترجع إلى حرق القمامات ، خاصة أن لدينا ثلاثة مقالب كبرى ، بالوفاء والأمل والقطامية ودار السلام ، مساحة كُلُّ منها 15 فدانًا ، ولم يتم حرق قمامة إحداها ، طوال الأيام الثلاثة الماضية . . فضلًا عن أننا قمنا بالتفتيش على مقالب قمامة القطاع الخاص ، ووجدناها لا تعمل أيضًا ، وقبل هذا وذاك ، فإن رائحة حرق القمامة مميتة ، وهي تختلف عن رائحة الدخان التي انبعثت فوق القاهرة .

ومن هنا فقد تأكّلنا وفقًا لشكاوي المواطنين القادمين من الطرق السريعة ، والذين أكدوا أنهم فقدوا الرؤية على الطرق السريعة ، نتيجة لانبعاث الأدخنة من الحقول المجاورة ، على جانبي الطريق ، على غرار ما حدث في العام الماضي ، خلال نفس التوقيت . وأضاف : من المعروفة ، تأكّلنا من اشتعال 9 مواقع في المساحة المحمورة ، من مزارع الأرز ، بين الطريق الدائري والطريق الزراعي ، عند مدينة قليوب ، بالإضافة لمساحات أخرى ، كانت ظاهرة من طريق بلبيس الصحراوي ، باتجاه الخانكة . .

### عودة سحابة الدخان إلى سماء القاهرة :

الصفحة الأولى / الأربعاء / 18 من رجب 1420 هـ ، 27 أكتوبر 1999 م ، السنة 124 - العدد 41232 .

تجدد انتشار الدخان في سماء القاهرة الكبرى ، مساء أمس ، وتلقت الأهرام اتصالات هاتفية من قاطني الساحل وشبرا مصر ومصر الجديدة ومدينة السلام والعجوزة والمنيل والهرم ، بإحساسهم بتكاثر الدخان ، وأنهم أغلقوا نوافذ مساكنهم . وصرحت الدكتورة نادية مكرم عبيد ، وزيرة شؤون البيئة ، بأن كثافة سحابة الدخان ، التي عادت إلى سماء القاهرة ، أقل مما كانت عليه مساء السبت الماضي ، حين بلغت ذروتها . وقالت لنديبي الأهرام ، إنها في اجتماع دائم مع خبراء البيئة المصريين ، وبعض الخبراء من الدنمارك لرصد وتحليل الأدخنة الموجودة في سماء القاهرة الكبرى . وأكدت وجود مرتفع جوي قادم من شمال الجمهورية ، وأنه أدى إلى عدم تشتت الملوثات العالقة في الجو ، وزيادة شعور المواطنين بها ، في بعض مناطق القاهرة الكبرى . وحضر الدكتور طارق صفت ، رئيس قسم الأمراض الصدرية في جامعة عين شمس ، من أن هذه السحابة تزيد مخاطر التهاب الشعب الهوائية للمواطنين ، وحدوث

النزلات الربوية، وحساسية جهاز التنفس. ونفي مدير أمن القليوبية، ما تردد عن احتراق مخلفات أحد المصانع الكبرى بـ(بنها).

### عودة الدخان الخانق أطوارئ في وزارة البيئة لفك لغز السحابة السوداء:

تحقيقات / الأربعاء / 18 من رجب 1420هـ، 27 أكتوبر 1999م، السنة 124. العدد 41232.

متابعة: عبد العظيم الباسل وناجي البرجاوي وسالي وفائي وأشرف أمين.

في حوالي الساعة السابعة والنصف مساء أمس، 26 أكتوبر، تلقت الأهرام العديد من المكالمات التليفونية، تؤكد عودة سحابة الدخان مرة أخرى، في مناطق الساحل وشبرا ومصر الجديدة ومدينة السلام والعجوزة والمنيل والهرم. وقد أغلق المواطنون النوافذ لشعورهم بالاختناق. وصرّحت الدكتور نادية مكرم عبيد، وزيرة شؤون البيئة، بأن سحابة الدخان الخانق، عادت إلى سماء القاهرة بالأمس، ولكن؛ ليست بكثافة السحابة التي غطّت القاهرة منذ ثلاثة أيام. وقالت: إنها في اجتماع دائم، مع خبراء البيئة المصريين وبعض الخبراء الدانماركيين، لرصد وتحليل الأدخنة المنبعثة والمتشربة في سماء القاهرة الكبرى.

وأشارت إلى أن التحليل المبدئي للأدخنة، أكد وجود نسبة عالية من الجسيمات العالقة والأتربة الرفيعة، ساعد على انتشارها سكون الجو، وعدم تحريكها بواسطة الرياح، وما زالت أبحاثنا مستمرة للوصول إلى حقيقة هذه الأدخنة، خلال الـ 48 ساعة المقبلة. وعلّلت الأدخنة إلى تضارف مجموعة من العوامل أهمها المسابك والصناعات الملوثة للبيئة، وحرق بقايا محصولي الأرز والقطن في الحقول المجاورة للقاهرة.

أكّدت السيدة نادية مكرم عبيد أن استمرار ظهور الدخان المتشرب في سماء القاهرة الكبرى، هو نتيجة وجود مرتفع جوي، قادم من شمال الجمهورية، أدى إلى عدم تشتت الملوثات العالقة في الجو، والتي شعر بها المواطنون في بعض مناطق القاهرة الكبرى. وقالت الوزيرة إن الوزارة تقوم حالياً، بالتعاون مع الأجهزة المعنية، بمتابعة الموقف للتخفيف من تركيز تلك الملوثات، حيث أشارت مصادر الأرصاد الجوية إلى توقيع استمرار هذه الظاهرة لمدة 3 أيام على الأقل.

ومن جانبه، قال الدكتور محمود نصر الله، مدير معمل تلوث الهواء بالمركز القومي للبحوث: إن حرائق القمامات، والملوثات الناتجة من العربات والصناعات الصغيرة، ليست السبب الأوحد في هذه الحالة المتأخرة، فهناك نوع من الركود للحركة الرئيسية والأفقية للهواء، هذا بالإضافة إلى انخفاض سرعة الرياح، وتغير العوامل الجوية، مما يؤدي إلى حالة

من الاحتباس الحراري، لذلك يجب أن تُشكّل غرفة عمليات، في مثل هذه الحالات لإيقاف الملوثات المنبعثة.

وشرح الدكتور محمود نصر الله مدير معمل تلوث الهواء أنه من المتوقع أن تكون الأدخنة ناتجة عن احتراق وقود البترول أو القمامـة ! هذه الأدخنة عبارة عن جسيمات عالقة من الدخان الأسود، ثاني أكسيد الكربون، وثاني أكسيد الكبريت، أول أكسيد الكربون، وأكاسيد النيتروجين، لذلك يجب أن يكون هناك حل سريع وفوري، وتشكيل غرفة عمليات، لرصد مصادر التلوث، وكل منطقة سكنية بها محروقة أو مقلب زبالة يجب أن تبلغ الجهات المسؤولة، مثل وزارة البيئة وجهاز شؤون البيئة، حتى تخدم هذه الحرائق فوراً.

ويضيف الدكتور محمود نصر الله : إننا الآن أمام احتمالين، إما أن تنشط حركة الهواء مرة أخرى، ويعود المناخ لوضعه الطبيعي، أو يستمر الوضع على ما هو عليه، مما يؤدي إلى ترکز الهواء، وبالتالي ؛ تراكم الملوثات، والتي سيُضار منها مرضى الصدر والدورة الدموية والقلب . ويضيف الدكتور محمود نصر الله، أنه للأسف لا توجد خريطة توضح مراكز التلوث بالقاهرة، مثل المحارق وبعض الورش والمصانع، والتي من الممكن التحكم بها في مثل هذه الحالات بإيقاف مصادر التلوث، بشكل تدريجي ومؤقت، لحين عودة الرياح لنشاطها.

ويضيف الدكتور محمود نصر الله : أن حادثاً مشابهاً، وقع في لندن عام 56، حيث ازدادت كثافة السحب المعبأة بالملوثات، مما أدى إلى إصابة العديد بالالتهابات الشعبية، وتطور الأمر إلى مرحلة الاختناق والوفاة. لذلك يطالب الدكتور محمود نصر الله بأن تتبع محطات الرصد التابعة لجهاز شؤون البيئة، تغيرات مكونات الهواء في كل منطقة، وتحدد مصادر التلوث سواء كانت محارق أو مصانع . ووقفها بشكل مؤقت، لحين تحسن الحالة الجوية، وعودة الرياح لسرعتها الطبيعية.

ومن جانبه أكد مجدي البسيوني، رئيس هيئة النظافة وتجهيز القاهرة: أنه قام بجولة ميدانية، للوقوف على مصادر انبعاث الأدخنة، من جديد، فوجـد أن المقالب الرسمية لم يحدث بها أي اشتعال للقمامـة، بينما لاحظ وجود الأدخنة بكثافة في المناطق المتاخمة للأراضي الزراعية، على امتداد المشروع البليسي . وأجمعـت المصادر على أن الحرائق لا تزال مشتعلـة في الحقول، بمنطقة الخانكة والطريق الدائري . وطالب البسيوني : بضرورة تحرك الأرصاد والبيئة، للكشف عن سر هذه الظاهرة التي تفاجئ القاهرة بين الحين والآخر... ونفى مدير أمن القليوبية ما تردد عن احتراق مخلفات أحد المصانع الكبرى بـ(بنها) مسيبة الدخان الذي غطى سماء القاهرة.

## مرضى الصدر ضحايا التلوث ١

تحقيق / الأربعاء / ١٨ من رجب ١٤٢٠ هـ، ٢٧ أكتوبر ١٩٩٩ م، السنة ١٢٤ . العدد ٤١٢٣٢.

تحقيق: عبد المحسن سلامة ونادية يوسف .

أدى الدخان الكثيف الذي تعرضت له القاهرة مؤخراً إلى ازدياد معاناة مرضى الحساسية الصدرية، وزيادة أعداد المتردّين على أنواع الصدر بالمستشفيات، بعد أن شعر المرضى بالاختناق، وضيق التنفس، الناتج عن تهيج الأغشية المخاطية للعين والأنف. ويقول د. محمد تاج الدين، أستاذ الأمراض الصدرية، ونائب رئيس جامعة عين شمس: ... وبالنسبة لدخان السحابة الأخيرة، فقد اتسم بالكثافة، ووجود رائحة نفاذة مصاحبة له، مما أحدث تهيجاً في الأغشية المخاطية، للعين والأنف لمن تعرضوا له، وأدى ذلك إلى إصابتهم بضيق في التنفس، نتيجة تهيج هذه الأغشية، فارتفع عدد الحالات المصابة، وزاد عدد المتردّين على أنواع الصدر، بالمستشفيات العامة والخاصة. وقد تلقى هؤلاء المرضى العلاج، وخرجوا على الفور، لأن معظمها حالات مؤقتة كان الدخان السبب الرئيسي لها، وتركّز علاجهم في موسوعات الشعب الهوائية، وعلاج للأغشية المخاطية .

وأكمل د. طارق صفوتو، رئيس قسم الأمراض الصدرية، بجامعة عين شمس: أن هذه السحابة مبعث للتلوث، وانتقال أمراض التهابات الشعب الهوائية والتزلّات الريبوية، وتشكل حساسية شديدة في الجهاز التنفسي لمرضى الأمراض الصدرية، ومرضى الأنف والأذن، لأنها تُسبّب التهابات في الجيوب الأنفية، والعيون، أي جميع الأغشية المخاطية. وينصح د. صفوتو بوضع ماسكات واقية للذين لديهم حساسية ربوية، لتجنب استنشاق هذه الأدخنة. وقد استقبل قسم الأمراض الصدرية أكثر من ضعف الأعداد التي يستقبلها القسم في الأيام العاديّة. ولابدّ من الالتزام بعلاج مرضى الصدر، مع طبيتهم الاستشاري واستخدام بخاراً. وأضاف أنه لا يُشترط أن تكون الأزمة حادة، لكنْ؛ تزيد أعراض المرض في فترة انتشار الدخان، ويقول الدكتور هشام قاسم أخصائي الصدر بمستشفى الصدر بالعباسية: إنه لم ترد أي حالات اختناق أو إعياء للمستشفى، بسبب التلوث، ويوصي الدكتور هشام مرضى الحساسية بإغلاق النوافذ والابتعاد عن الملوثات بقدر الإمكان، كما يجب وضع منديل مبلل، على الأنف والفم والتنفس من خلاله، كما من الممكن أن يصاب الناس في حالة كافية للأدخنة باختناق الحلق والتهاب شديد في الشعب الهوائية والعينين .

### تقرير لرئيس مجلس الوزراء حول ظاهرة الدخان :

الصفحة الأولى / الخميس / ١٩ من رجب ١٤٢٠ هـ، ٢٨ أكتوبر ١٩٩٩ م، السنة ١٢٤ . العدد ٤١٢٣٣.

مرتفع جوي فوق القاهرة تسبّبَ في تكوين طبقة عازلة منعت انسياب الدخان والملوثات إلى طبقات الجو العليا.

تلقى الدكتور عاطف عبيد، رئيس مجلس الوزراء، تقريراً شاملأً، مساء أمس، من الدكتورة نادية مكرم عبيد، وزيرة الدولة لشؤون البيئة، حول ظاهرة الدخان الكثيف، الذي غطّى سماء القاهرة، منذ يوم السبت الماضي، وعاد إلى الظهور، يومي أمس وأمس الأول. وقال عبيد: إنه سيتم بحث هذا التقرير، بشكل تفصيلي، لمعرفة أسباب تلك الظاهرة، وكانت الأهرام، قد تلقت طوال ليلة أمس سيلًا من الشكاوى حولها، من عشرات المواطنين، الذين يشكون من الاختناق، وعودة الدخان إلى الظهور بشكل كثيف في أنحاء متفرقة من القاهرة، كما أكدت وزيرة البيئة أن السبب وراء زيادة نسبة الدخان في الجو، هو ظهور المرتفع الجوي الذي ساد منطقة شمال الجمهورية، وأدى إلى تحرك كتلة من الهواء المشبع بخار الماء، باتجاه الدلتا والقاهرة، وقالت: إن هذه الكتلة كونت طبقة عازلة فوق الهواء، تمنع انسياب الملوثات إلى طبقات الجو العليا. وأضافت في مؤتمر صحفي عقدها بعد ظهر أمس: أن ذلك تزامن مع انخفاض سرعة الرياح، وحرق المخلفات الزراعية داخل الحقول، في محافظات الدلتا القريبة، وهي : القليوبية والشرقية، بالإضافة إلى مصادر التلوث الموجودة على مدار العام، مما أدى إلى تكون سحابة من الدخان، غطّت أجواء القاهرة الكبرى، وشعر بها المواطنون نتيجة لتركيز تلك الملوثات وعدم تشتتها أو انسيابها إلى طبقات الجو العليا.

وكان بيان لهيئة الأرصاد قد أعلن: أن العاصمة تأثرت أمس بارتفاع جوي أدى إلى تباطؤ سرعة الرياح. كذلك أكدت الوزيرة: ضرورة اتخاذ إجراءات عاجلة، حتى يمكن التخفيف من حدة تلك الظاهرة، بما في ذلك التنبية على المصانع الكبرى، حول القاهرة الكبرى، للعمل على التقليل من حدة الانبعاثات الملوثة، خلال الأيام القليلة المقبلة، وقيام الأجهزة المعنية بالإيقاف الفوري للأنشطة العشوائية الملوثة، مثل الجيارات والفوواخير، والمسابك ومصانع الطوب والحرق المكشوف، أيًّا كان مصدره، وقيام أجهزة الشرطة بمنع سير السيارات التي يتبع عنها عدم كثيف، تطبيقاً لأحكام قانون المرور.

#### والى يطلب سرعة وقف حرق مخلفات الزراعة :

الصفحة الأولى / الجمعة / 20 من رجب 1420 هـ، 29 أكتوبر 1999 م، السنة 124 . العدد 41234 .

أصدر الدكتور يوسف والي، نائب رئيس مجلس الوزراء، ووزير الزراعة واستصلاح الأراضي تعليمات بسرعة وقف حرق قش الأرز وحطب القطن، للحد من ظاهرة تراكم الأدخنة في سماء القاهرة الكبرى. وصرّحت الدكتورة نادية مكرم عبيد، وزيرة الدولة لشؤون

البيئة بأن معدلات تلوث الهواء، وصلت أخيراً إلى 300 ميكروجرام في المتر المكعب، بما يتجاوز أربعة أضعاف نسب التلوث الأمنية. ومن ناحية أخرى، قال خبراء الأرصاد الجوية إن القاهرة الكبرى ستتأثر اليوم بامتداد مرتفع جوي قريب من سطح الأرض، يؤدي إلى استمرار الاستقرار في الأحوال الجوية، وهدوء في سرعة الرياح ليلاً، مما يساعد على ظهور الأدخنة في سماء القاهرة الكبرى، في حالة استمرار عملية حرق مختلف المحاصيل الزراعية في الأرض الخجولة بإقليم القاهرة الكبرى.

### وزيرة البيئة: استمرار متابعة ظاهرة الدخان للحد من آثارها :

الصفحة الأولى / الجمعة / 20 من رجب 1420 هـ، 29 أكتوبر 1999 م، السنة 124 . العدد 41234 .

كتبت سالي وفاني : صرّحت السيدة نادية مكرم عبيد، وزيرة الدولة لشؤون البيئة، بأن غرفة العمليات المشكلة في الوزارة في حالة عمل مستمر لمواجهة ظاهرة الدخان، والحد من آثارها. وقالت : إنها تلقت تقريراً من الدكتور حسين رمزي كاظم محافظ الشرقية، أكد خلاله، أنه تم إيقاف عمليات حرق قش الأرز وأعواد القطن، وإخماد النيران عن طريق رشها بالماء.

وأشارت الوزيرة إلى أنه يتم الاتصال بصورة دائمة، بالسادة الوزراء والمحافظين، ومتابعة المصانع، للتأكد من خفض نسب الانبعاثات الملوثة، خلال الأيام القليلة القادمة، وحتى يتعمي المرتفع الجوي المشبع بخار الماء، والذي يسود البلاد حالياً، مع استمرار الجولات المفاجئة للوزارة، بالاشتراك مع قوات الشرطة، لوقف الممارسات البيئية الخاطئة. وقالت السيدة نادية مكرم عبيد : إن القياسات المسجلة لنسب تلوث الهواء، والصادرة عن ثمانى محطات، منتشرة في نطاق القاهرة الكبرى، وصلت أخيراً إلى 300 ميكروجرام في المتر المكعب من الجسيمات العالقة، في حين أن الحدود التي نص عليها قانون البيئة، هي 70 ميكروجرام، حيث تسبب المنخفض الجوي في عدم انسياق تلك الجسيمات، والتي تنتج عن الأنشطة الصناعية الكبرى، وكذلك الصناعات التقليدية، مثل المسابك والفوائر وقمائن الطوب، بالإضافة إلى عوادم السيارات، والرمال القادمة من الصحراء، وكذلك الأنشطة الموسمية للزراعة. ... انتهى .

### من صحيفية الشعب:

#### السحابة وسقوط الطائرة وتهديد السودان: حلقات متكاملة لإرهابنا :

من مقال للكاتب عادل حسين من صحيفة (الشعب) المصرية، في عددها الذي صدر يوم الجمعة ١١/٥/1999م.

لاحظ المواطنون أن المصائب توالت علينا، منذ إعلان الانقلاب الوزاري الأخير، بدءاً من اختطاف طائرة بسكتن، وانهيار بعض المدارس، ثم انتهاءً بالسحابة السوداء الغامضة،

والسقوط المروع للطائرة المصرية في المياه الأمريكية، وهذه الملاحظة عن تتابع المصائب،  
صحيحة بالقطع، وقد استنتج الناس أن الوزارة (وشها نحس).

إلا أنها لا تتفق طبعاً مع هذا التفسير، ومن واجبنا أن نتبه إلى ما جرى، أخطر كثيراً من  
كونه مجرد أحداث متفرقة، تتابعت بسبب النحس ...

### لغز السحابة السوداء:

بالنسبة للسحابة السوداء، مؤكداً أن هناك إجماعاً على رفض التفسير الرسمي المعلن،  
بحكاية مقابل الزبالات، وحرق قش الأرز وما شابه ... طبعاً؛ لو صاح التفسير لكان سبيلاً إضافياً  
لعزل (يوسف والي) !! ولكننا لا نصدق مثل غيرنا هذا التفسير المتهافت والمتهين للعقل،  
ونحن لا نتسقط أسباباً لعزل (والي)، فوالى مش ناقص، والاتهامات الأخرى الثابتة في حقه  
تكتفي وزيادة للإطاحة به ومحاكمته. (كما ورد في المقال).

ولكن؛ مع الرفض الجماعي لإعلان الحكومة عن حكاية قش الأرز، حاول الناس أن  
يتوصلوا بمعرفهم -للأسباب الأكثر احتمالاً ومنطقية لحكاية السحابة السوداء، وفي سعيهم  
هذا حاولوا أن يرصدوا أي تغير جديد، يربطونه بنشوء هذه الظاهرة المفاجئة وغير المألوفة، فلم  
يجدوا أمامهم إلا مناورات النجم الساطع، وانتشر بين الناس أنها السبب، وهذا التفسير  
للظاهرة العجيبة والمؤذية، يُعبر في تقديرني عن اتجاه سليم في التحليل، فهو من ناحية يعكس  
وعياً شعبياً عميقاً في التعامل مع الحلف الصهيوني الأمريكي على أمثلة موجودنا ... ومن جهة  
أخرى، فقد خمن الناس أن جوء الحكومة إلى كثبة مفوضحة وسخيفة، يُخفى حرجها من  
إعلان السبب الحقيقي للأزمة السحابة السوداء، فتأكد عندهم أن مناورات النجم الساطع قد  
تكون السبب المثير للرجح.

وقد ذكرتُ أن ما وصل إليه جمهور الناس وخاصتهم يُعتبر تحليلاً في الاتجاه الصحيح،  
ولكن؛ قد لا تكون مناورات النجم الساطع بالذات مسؤولة، وبشكل مباشر عن هذه  
الظاهرة، إذن؛ كيف حدثت؟ لا أستبعد أن تكون الحكومة عاجزة مثلنا عن الإمساك  
 وبالدليل، بالسبب الحقيقي لمصدمة السحابة السوداء، ولا غرابة في قوله هذا، فمن الثابت  
الآن أن ترسانة الأعداء، في مجال الحرب البيولوجية والكييمائية فيها الكثير من الطلاسم  
والأسرار، التي يصعب فهم كنهها، وفيها تنوع هائل، بعضها يمكن أن يقتل، وبعض  
 الآخر يمكنه الإيذاء دون القتل، وحسب الدرجة المطلوبة ...، وفي كل الأحوال، فإن الميزة  
العظمى لهذه الأسلحة السرية أنها تحدث فعلها المدمر، دون أن تتمكن الضحية من معرفة  
السبب أو من التثبت من نوع الوسائل التي حملت إليها أسلحة القتل والإيذاء.

(ويسبّب الكاتب قليلاً، في الحديث عن الأسلحة السرية، ويضرب قصة المحاولة الإسرائيلية الفاشلة لاغتيال خالد مشعل، واستخدام اليورانيوم المست福德 في العراق ويوغسلافيا، ومنتجات الهندسة الوراثية في الأغذية، ومن ثم يختتم كل ذلك بقوله):

في إطار ما سبق، لم لا تكون سحابتنا الغامضة ضمن وسائل الحرب السرية؟! ولا يعني هذا أن ما جرى كان بالضرورة في إطار أسلحة الإبادة الشاملة، فقد ذكرت أن أسلحتهم أصبح فيها درجات متضاعدة من الإيذاء الذي قد لا يصل في كل الحالات إلى القتل.

إن الابتلاء الذي مثلته السحابة السوداء الغامضة، قد يكون مجرد إشارة تحذير وشدة للأذن، فالدولة قد توصل إلى نفس الاستنتاج الذي وصلناه، وهذا في ظنهم يكفي - مع ضغوط أخرى - لكي تخضع الدولة، وتُفْزَع ما يُطلب منها، خوفاً من تكرار الظاهرة وتصاعدتها، إن الدولة قد لا تتمكن من تقديم أدلة قاطعة ثبت وقوع الجريمة، وإن كانت ترجح قيمها، ولكنَّ هذا الغموض هو ما يُميِّز الأشكال الجديدة للحروب الكيماوية والبيولوجية، والتي يُمكن أن تتحقق ما يستهدفه القصف النووي بالصواريخ، ولكن؛ دون ضجيج ودليل ... انتهى. (صحيفة الشعب، والتي أخذ منها هذا المقال، موقفة عن العمل، من قبل الحكومة المصرية).

### قراءة سريعة في صحيفة الأهرام :

#### وصف المسؤولين الصحفيين والأطباء والمواطنين للظاهرة:

الأدخنة والغازات والروائح النفاذة ... ظاهرة غريبة بحاجة إلى تفسير ... سحابة دخان كثيفة ... الدخان الكثيف ... السحابة العالقة بسماء القاهرة ... دخان ينبعث من آبار بترول تحرق، وليس دخاناً عادياً ... بأن هناك شيئاً يحرق في الهواء ... هذا الدخان الخانق ... وبالنسبة لدخان السحابة الأخيرة فقد اتسم بالكتافة، وجود رائحة نفاذة مصاحبة له. تقول د. نادية مكرم عبيد وزيرة البيئة إنها رصدت سحابة الدخان، وشعرت بها مثل كل المواطنين، وأدركت أن هناك شيئاً غير طبيعي في الهواء منذ عشرة أيام ... لغز السحابة السوداء.

#### مدى انتشار الدخان:

تعرَّضت سماء الدلتا والقاهرة حتى الجيزة لتلوث هوائي شديد ... غطَّ أجواء القاهرة، خاصة منطقتي مدينة نصر ومصر الجديدة، ومناطق وسط البلد ومصر القديمة ... الدخان الكثيف الذي يمتدُّ من حلوان إلى المعادي والمنيل والمهندسين ... نتيجة لهذا الدخان الخانق،

الذى لفَّ القاهرة... فوق سماء القاهرة، وعدد من محافظات الدلتا ... التي خيمت على مدى الأيام الماضية، فوق محافظة الشرقية ... تجدد انتشار الدخان، في سماء القاهرة الكبرى، مساء أمس ، وتلقت الأهرام اتصالات هاتفية من قاطني الساحل وشبرا مصر ومصر الجديدة، السلام والعجزة والميل والهرم، بإحساسهم بتكاثر الدخان.

### الضرر النفسي والجسدي الذي أحدثه:

اختناق القاهرة الذي استمر ثلاثة أيام متالية ... وأيًّا كانت أسبابها الحقيقة، فقد انزعج العديد من الأهالي ...، تسبَّبَ في حالة من القلق بين سكان القاهرة ... أثار ذعر السكان ... بعدم المبالغة في قلق، ووصف الحدث، بالكارثة ..

الأعراض المبدئية للتعرض لها تشمل التهاب العيون، والأنف والأذن والصدر والحلق، وصعوبة في التنفس ... وسبَّ بعض حالات الاختناق ... أزمات نفسية، نتيجة لزمرة الهواء، وغياب الأوكسجين الكافي، وأصابت الأطفال وكبار السن بالاختناق ... عدم القدرة على التنفس رغم إغلاق نوافذ الشقق ... لا تستطيع التنفس، ونکاد نصاب بحالة اختناق شديدة ... أصيب بحالة اختناق شديدة، وحرقان بعينيه، لم يستطع معها الإبصار بصورة جيدة... وغطَّت الطرق الرئيسية، مما أدى إلى إعاقة الرؤية أمام سائقى السيارات، وعرضتهم إلى ارتكاب حوادث التصادم... وقد أغلق المواطنون النوافذ لشعورهم بالاختناق.

ويقول د. محمد عوض تاج الدين، أستاذ الأمراض الصدرية، ونائب رئيس جامعة عين شمس : ... وبالنسبة للدخان السحابة الأخيرة فقد اتسم بالكتافة، ووجود رائحة نفاذة مصاحبة له، مما أحدث تهيجاً في الأغشية المخاطية، للعين والأنف، لِمَنْ تعرَّضوا له، وأدى ذلك إلى إصابتهم بصيق في التنفس، نتيجة تهيج هذه الأغشية، فارتفع عدد الحالات المصابة، وزاد عدد المتردد़ين على أقسام الصدر بالمستشفيات العامة والخاصة .

### عودة الدخان ... ولا حرائق تؤخذ بعين الاعتبار ... ١

ورغم الإجراءات الاحترازية والاحتياطات الالزمة كلها، التي اُتُّخذت على الأرض، بمنع الحرائق في القاهرة وما حولها، يعود الدخان بالكتافة نفسها، ويبقى عالقاً في سماء القاهرة، ليدب الذعر والرعب بين سكان القاهرة، من جديد، في ليل 26 / 10 / 1999 م، ليصبح لغزاً غامضاً، لا يقبل تبريراً منطقياً، ولا يجد تفسيراً علمياً.

وبعد هذا العرض نقول: إن ظاهرة السحابة السوداء، والتي غطت القاهرة، لهي بحق جديرة بالتأمل والبحث، إذ أنها - وعلى الرغم مما أوردناه من تصريحات للمسؤولين المصريين حول هذه الظاهرة، وحول أسبابها المحتملة - بقيت في حقيقتها الأكيدة سراً غامضاً. ويفرض أنها ليست المقصودة بالأيات المذكورة في سورة الدخان فهي مناسبة لتووجه إلى أنفسنا وإلى العزيزة مصر وإلى شعبها الطيب لمراجعة الحسابات، وإعادة النظر في بعض جوانب الحياة (وعلى الأخضر الثقافية والاجتماعية والفنية)، والتي قد تخطّطونا بخطوات واسعة نحو الخلل بعيداً عن مصالحتنا في الدين والدنيا. وما سنورده لاحقاً هو إضافة على أحد هذه الجوانب ليكون في قائمة حساباتنا، ولنكون قد اتبعنا قوله تعالى: «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَيْرَةِ» (النحل 125)، مذكّرين بحديث النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، فقد روى النسائي عن أبي سعيد الخدري قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ رَأَى مُنْكِرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ).

### الفصل الثالث:

## ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ﴾

### وليمة لأعشاب البحر :

مع الاعتذار للقارئ الكريم من ورود بعض الكلمات التي قد تكون دون المستوى الأخلاقي أو الثقافي، والتي كان من الضروري إبرادها، لاكتمال الصورة وتقريب المعنى .

يقول الأستاذ الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربي :

”الرواية في ميزان الإسلام : ساقطة دائرة ..

في ميزان العقل : مختلة فاسدة ..

في ميزان الأدب : ضعيفة مهترئة .. .

مقطفات من مقالات د. محمد عباس في رواية وليمة لأعشاب البحر:

صحيفة الشعب : 28/4/2000 ، عنوان المقال :

لا إله إلا الله ..

من يباعني على الموت ..

تبَّتْ أَيْدِيكُمْ .. لَمْ يَقِنْ إِلَى الْقُرْآنِ ..

ما ذا لو قلنا إن رئيس الوزراء خراء ؟ !

ـ لا إله إلا الله ... بكثُـت ... لم يكن طول الجرح بالمسافة، بل بالزمن .. جرح طوله ألف وخمسة عام .. صرخت: تَبَّتْ أَيْدِيكُمْ .. أَيْمَا كُتُمْ .. وَأَيْمَا كُتُمْ .. وَأَيْمَا<sup>أ</sup> كان مَنْ وراءكم .. يا كلاب النار، يا حطب جهنم ..

أمسكتُ بالهاتف، واتصلت بصديق كي أبْثَه همي ... استطعتُ بعد جهد جهيد أن أقرأ للصديق بعض الجمل التي انصبت على جسدي كالنار .. كرصاص منصهر .. طفت من كتاب داعر فاسق فاجر كافر .. طبعته لنا، ونشرته بيتنا وزارة الثقافة المصرية .. وليس الإسرائيلية ولا الأمريكية ...

حرونُ هو القلم في يدي.. . وقلبي لا يطاوعني أن أنقل لكم الكلمات الفاسقة الداعرة الكافرة، التي أوردها كتاب فاسق داعر كافر.. نشرته هيئة، لا بدَّ أن تكون... ، تحت رئاسة مسئول (كما وردت في المقال)، لا بدَّ أن يكون... .

إليكم ما طبعته ونشرته وزارة الثقافة المصرية: «هؤلاء يهمشون التاريخ، ويعيدونه مليون عام إلى الوراء، في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر، يحكموننا بقوانين آلية البدو، وتعاليم القرآن.. خراء.. .

لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. .؟!

صرختُ في نفسي: كيف يا صفيق قرأتها فلم تمت الفور؟! كيف؟! ..

تراءى لي الرسول- صلى الله عليه وسلم - يناظرني معاً، يوم القيمة، فصرختُ من الخجل.. .

تراءى لي الزبير بن العوام يهتف صارخاً في حروب الردة: مَنْ يَبَايِعُنِي عَلَى الْمَوْتِ... .

تراءى لي ملايين وملايين من الشهداء والصابرين.. . بذلوا حياتهم، واحتسبوا صبرهم، لتقديس اسم الله، ورفع كلمته.. ثم أتى.. ، ليكتب ما يسميه كتاباً، تعتبره وزارة الثقافة المصرية.. . أديباً، فتشعره على الناس كي تنورهم.. .

وزارة الثقافة المصرية في بلد الأزهر وصلاح الدين وقطز وخالد الإسلامي تنشر - يا قرآء - كتاباً يدعى أنه رواية، يقول: إن القرآن خراء.. . ثم لا يلبث أن يقول: إخراً بربك... (نعود بالله من إثم ذلك).

لا إله إلا الله.. أول مرة ألقى مثل هذا الألم في حياتي.. .

...

ملاذنا الأخير ينتهي ويهان.. .

كان صديقي ما يزال على الهاتف... . و كنتُ ما أزال أبكي، وأنا أقرأ له، مما نشرته وزارة الثقافة المصرية.. . رائدة... لا التوير: "الله قال انكحوا ما طاب لكم. رسولنا معظم كان مثالنا جميعاً، ونحن على سُنته.. . لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة، بين شرعية وخليلة ومتعة.. ."

ثم يدعى الكتاب الفاجر - الذي لا ينشره إلا... ، ولا يطبعه إلا... على القرآن ما ليس فيه، حين يقول ساخراً من القرآن: "والله تعالى قال في كتابه العزيز، فإذا ابتليتم بالمعاصي فاستروا... . وصرخ مهدي ضاحكاً: يا عمي الحاج، رغبنا في الاستمار، فإذا بمخابرات ربي تقرع علينا الأبواب الموصدة.. .

ثم يستطرد الكتاب الفاجر الكافر، الذي يلبس عباءة رواية، وليس برواية، إلا في عقول.. شاذة مريضة، .. يستطرد مجرئاً على الذات الإلهية، ليقول : "إن رب هذه الأرض كان يزحف وهو يتسلل من عصور الرمل والشمس ببطء السلفة" . (والعياذ بالله). ويسوق في حوار فاجر كافر : " هو من صنع ربى .. لا بد أن ربك فنان فاشل إذن .. لا إله إلا الله ...

ويقول... بن...: مؤلفاً وطابعاً وناشرأ وزارة: " داخل هذه الأهواء التي خلقها رب، في الأزمنة الموجلة في القدم، ثم نسيها فيما بعد، لتراكم مشاغله، التي لا تُحدّ في بلاد العرب وحدها، حيث الزمن يدور على عقيبه منذ ألفي عام" .  
و " أقام الله مملكته الوهمية في فراغ السماوات" ..

و "الله الله يا ولدي يا داود...لقد غفرت لك...انكح كل صبيان بونة، وأنا شفيعك يوم القيمة" ..  
و "خلع الجلد المتخلّف والبالي الذي خاطه الإسلام فوق جلوتنا القديمة" ..  
و "إن حبل السرة ما يزال موصولاً مع الأزمنة الرعوية، وأزمنة عبادة الله الواحد القهار في السماء والأرض، وذلك الذي يقول للشيء كن فيكون" ..

آه؛ يتصدع لها القلب، ويتحطم الفؤاد، وتنكسر الروح ..  
برح الحفاء يا ناس، وهذا وقت المفاصلة، إما إيمان، وإما كفر ..  
للوهلة الأولى .. والدوار يكتتفني، قلتُ لنفسي: اذهب إلى الأزهر على الفور،  
واصعد منبره، واصرخ: مَنْ يَبْعِينِي عَلَى الْمَوْتِ ..

ثم آخذ الرهط الذي يجتمع حولي، وأتوجه بهم إلى قصر الرئيس مبارك .. عراة صدورنا، نازفة قلوبنا، دامعة عيوننا، عُزَّلَ أيدينا .. نسأله، والسؤال دم: ما هي الحدود بين الإسلام والكفر ..؟ ما هي التخوم بين التنوير والتعفير ..؟ ما هي الطخوم بين تجفيف المنابع، والخروج من الملة ..؟ ما هي البيون، بين أن تكون مصر قائدة للتثوير حقاً، يرتضيها العرب والمسلمون، وبين أن تكون... ، للكفر والفسق والعصيان ..؟

نهفت فيه: أنت ولِيُّ الأمر... وليس لنا أن نقيم الحدَّ على الفجرة الكفرة الفسقة بأيدينا...  
تَسَلَّلَ إلى نفسي أمل ميت .. أن يكون ثمة ليس قد حدث أمام صحفة الأسبوع، عندما فجرت هذه الفضيحة منذ أسابيع قليلة .. لعل الكتاب طبع في إسرائيل مثلاً .. وقلتُ لنفسي أن الإسلام يأمرني بالثبت .. بحثتُ عن الكتاب .. ووجدته:

(وليمة لأعشاب البحر .. حيدر حيدر.. سلسلة آفاق الكتابة .. العدد 35 - الهيئة العامة لقصور الثقافة .. وعنوانها كما هو مثبت: 16 شارع أمين سامي - قصر العيني - القاهرة)

ت : 3564841 - 3564842 - فاكس 3564202 . أما الطابع فهو: شركة الأمل للطباعة والنشر، أما قائمة . . . ، المكتوبة على صفحات الكتاب الأولى، فتجمع: رئيس مجلس الإدارة: علي أبو شادي، أمين عام النشر: محمد كشيلك، رئيس التحرير: إبراهيم أصلان، الإشراف الفني: د. محمود عبد العاطي، مدير التحرير: حمدي أبو جليل) . . .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . .

كنتُ أظن أنني محتاج لقراءة الرموز بين السطور كي أكشف الشرك الخفي . . حتى جاء هذا الكتاب ، وفجرت صحيفة الأسبوع قضيته ...  
ليس الشرك الخفي ، بل الكفر الباوح . . .  
هو الخيانة لله ولرسوله . . هو الخيانة للأمة وللوطن . . هي العمالة الصريحة المباشرة ،  
لأمريكا وإسرائيل . . .

هو التسلل إلى عقول أبنائنا ، لإخراجهم من الإسلام تماماً ، كما قال (زويم) . . هو نشر  
الإباحية والسفالة والشذوذ ، وقتل روح الأمة ...  
إن . . لا يلحق بوزارة الثقافة فقط . . فتضامن المسؤولية الوزارية ، يجعل مجلس  
الوزراء كله مسؤولاً ، وكل وزير مسؤول . . ورئيس الوزراء مسؤول . . و . .  
لكن . . . يكتب و . . . ينشر أن "القرآن خراء" . . و "خرابيك" . . ثم يجد من يدافع  
عنه . . أما من وزير يستقيل ... ؟!  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . .

يا جلاله ملوك وفخامة رؤساء الدول الإسلامية... قولوا له إن ما نشرته وزارة الثقافة  
المصرية لم يذبح المسلمين في مصر فقط ، بل في العالم الإسلامي كله .. مَنْ لَمْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ  
ذَلِكَ ، فَلِيَأْتِ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالْقُرْآنُ خَصْمُهُ ... !

مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُحِبُّ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، فَلَيَدْفَعْ عَنِ الْقُرْآنِ ...  
مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُذْنِبًا ، فَلِيَكُفُّرْ عَنِ ذَنْبِهِ ، بِالْدَّفَاعِ عَنِ الْقُرْآنِ . .  
يا شيخ الأزهر . . لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . يا فضيلة المفتى . . يا شيخ الأزهر ، ويأطلبة جامعة  
الأزهر . . يا خطباء المساجد . . لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . .  
يا كل هيئة ومؤسسة وصحيفة في العالم الإسلامي ... اكتبوا أنتم في بلد الأزهر ينشرون  
أن القرآن خراء . .

يا شيخ يوسف القرضاوي ... دافع عن القرآن بما أنت له أهل ... إن الأمة تنتظر فتاواك ،  
في كل مسؤول (كما وردت في المقال) عن نشر هذا الكتاب ... أصرخُ فيك ... أهتفُ فيك :

مصر لم تَعْدْ بخير.. مصر لم تَعْدْ بخير.. مصر لم تعد بخير... فالنجدـة النـجـدة، والـغـوث  
الـغـوث ... فإـنـه القرآن ... ولا إـلـه إـلا الله ...  
يا سـيـادـة الرـئـيـس ... أـطـفـئـ الفتـتـة ...

واعـلمـ، هـدـانـا وـهـدـاكـ اللـهـ، أـنـ الـأـمـرـ لـيـسـ أـمـرـ وزـيـرـ...، أوـ وزـارـةـ...، بلـ هوـ منـهـجـ مـشـركـ  
تـسـلـلـ إـلـىـ النـظـامـ، مـسـؤـولـيـتـكـ (كـماـ وـرـدـتـ فـيـ المـقـالـ) أـمـامـ اللـهـ أـنـ تـزـيلـهـ، وـأـنـ تـخـارـبـهـ، حـتـىـ لوـ  
استـشـهـدـتـ دـوـنـهـ.. منـهـجـ مـشـركـ، لـاـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ وزـارـةـ، وـلـاـ يـقـومـ بـهـ مـجـرـدـ أـفـرـادـ... . . .  
مـقـتـطـفـاتـ مـنـ مـقـالـ آـخـرـ، دـ. محمدـ عـبـاسـ:

صـحـيـفـةـ الشـعـبـ : 5/5/2000 مـ، تـصـدـيرـ المـقـالـ :  
الـجـرـيـةـ مـسـتـمـرـةـ ..

ثـلـاثـةـ الثـقـافـةـ فـيـ مـصـرـ :  
الـكـفـرـ وـالـعـهـرـ وـالـتـطـبـيعـ ..

هـلـ اللـهـ جـلـيـسـ أـطـفـالـ.. وـيـعـلـمـنـاـ الحـبـ ؟ !  
وـهـلـ الـأـنـبـيـاءـ آـبـقـونـ .. ؟ !

الـجـرـيـةـ مـسـتـمـرـةـ ... وـسـوـفـ تـخـطـطـونـ خـطـأـ مـرـوـعـاـ إـذـاـ ظـنـنـتـ أـنـ مـجـرـدـ كـتـابـ دـاعـرـ فـاجـرـ كـافـرـ  
أـفـلـتـ .. وـأـنـ الـأـمـرـ قـدـ لـاـ يـتـكـرـرـ مـرـةـ أـخـرىـ ..

لـيـسـ مـجـرـدـ الـكـتـابـ، بلـ إـنـهـ الـمـهـجـ.. مـنـهـجـ مـتـعـمـدـ مـقـصـودـ.. مـنـهـجـ أـخـطـبـوـطـيـ، يـنـقـذـ  
بـالـضـبـطـ تـعـالـيمـ الـمـسـتـشـرـقـينـ وـالـمـبـشـرـينـ، وـالـاسـتـعـمـارـ فـيـ صـورـتـهـ الـخـدـيـثـةـ.. مـنـهـجـ يـلـدـرـكـ، أـنـ  
أـخـطـرـ مـاـ فـيـ إـلـسـامـ وـالـقـرـآنـ، هـوـ ذـلـكـ الـإـيمـانـ الـيـقـيـنـيـ الـذـيـ يـجـعـلـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ بـشـراـ، يـكـنـ أـنـ  
يـتـفـقـوـاـ حـتـىـ عـلـىـ الـمـلـائـكـةـ، وـيـجـعـلـ مـنـ الـمـنـاقـقـينـ، أـشـبـهـ بـ... وـتـلـكـ هـيـ النـقـطةـ، الـتـيـ تـثـيـرـ عـجـبـ  
وـحـنـقـ الـمـنـاقـقـينـ عـنـدـمـاـ يـلـاحـظـونـ اـسـتـعـلـاءـنـاـ عـلـيـهـمـ، مـهـمـاـ أـدـبـرـتـ عـنـاـ الدـنـيـاـ، وـأـقـبـلـتـ عـلـيـهـمـ ..  
اـسـتـعـلـاءـ الـبـشـرـ عـلـىـ...، وـلـقـدـ أـدـرـكـ الـغـرـبـ مـنـذـ قـرـونـ أـنـ هـزـمـ فـيـ الـمـواجهـةـ الـمـسـلـحةـ مـعـ الـخـضـارـةـ  
الـإـسـلامـيـةـ.. وـأـنـهـ لـاـ سـيـلـ أـمـامـهـ إـلـاـ إـفـرـاغـ إـلـسـامـ مـنـ مـحتـواـهـ.. وـلـقـدـ اـسـتـعـانـ عـلـىـ ذـلـكـ حـيـنـاـ  
بـالـاسـتـعـمـارـ، حـتـىـ اـطـمـأـنـ إـلـىـ أـنـ رـبـيـ بـيـتـنـاـ نـخـبـةـ فـاسـدـةـ مـفـسـدـةـ، فـتـرـكـهـاـ لـتـنـوـبـ عـنـهـ.. وـهـمـ  
مـنـاـ، لـكـنـ قـلـوبـهـمـ قـلـوبـ ذـنـابـ ..

لـيـسـ مـجـرـدـ كـتـابـ يـاـ أـمـةـ .. الـجـرـيـةـ مـسـتـمـرـةـ وـلـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ ...  
الـجـرـيـةـ مـسـتـمـرـةـ ... وـالـثـقـافـةـ فـيـ بـلـدـنـاـ تـهـدـيـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ أـشـيـاءـ لـاـ تـنـسـوـهـاـ:  
أـنـ تـكـوـنـ حـرـيـةـ التـفـكـيرـ مـرـادـفـةـ لـلـكـفـرـ ..  
وـأـنـ تـكـوـنـ حـقـوقـ الـمـرـأـةـ مـرـادـفـةـ لـلـعـهـرـ ..

الجريمة مستمرة يناس.. وسأعرض عليكم على الفور نماذج لا تقل سفاله ويشاعة عمّا عرضتُ عليكم في المقالة الماضية... فلتناول معاً كتاباً أخرجه وزارة الثقافة أيضاً، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، (كتابات نقدية ، العدد 97 ، ديسمبر 99) ، والكتاب معروض عند باعة الصحف ، وإن كنتُ أحسب أن السيد الوزير ، الذي يطلقون عليه (زين الرجال) ، سوف يأمر بسحبه غداً ، قبل انتشار الفضيحة .. عنوان الكتاب : شعر الخدابة في مصر ، قائمة .. للهيئة المشرفة عليه ، هي ذات قائمة .. ، التي نشرناها في الأسبوع الماضي ، وعلى رأسها أيضاً: علي أبو شادي) ..

ولقد وفر علينا إدوارد الخراط مؤونة البحث في عشرات من إصدارات وزارة الثقافة المصرية ، لعشرات الشعراء المصريين - وأغلبهم والله ليسوا شعراء ، ... - حين استعرضها في هذا الكتاب : 700 صفحة تقريباً .. وسعره خمسة جنيهات .. وتذكروا يا قراء ، أن هذه الكتب هي التي يخرؤونها - إذا صحَّ التعبير- لتشكيل وجдан الأمة ..

فلندلف معاً إلى كلمات السفالة والشذوذ والكفر البوح .. فلندلف دامعين إلى السخرية ، من الذات الإلهية والمرسلين .. فلندلف إلى محاكاة هازلة هازلة ، كمحاكاة مسلمة الكذاب .. فلندلف إلى خيوط الشبكة التي يصطادون بها الأمة .. إلا أنني أجذر لزاماً عليَّ أن أنه القراء أن ما سيقرؤونه على الفور بالغ الفحش ، وأن يبعدوه عن أيدي أبنائهم ...

(لم نشا أن نورد شيئاً مما اقتبسه المؤلف من أمثلة على شعر الخدابة في مصر ... حيث أن ما يطرونه من تصويرات وتشبيهات ، تتشعر منها جلود الذين كفروا ، وهي لا تقل سفاله وانحطاطاً ، عن الرواية السابقة ، بل تفوقها أحياناً) .

ويستطرد الكاتب قوله :

لم ينتهِ الهراء بالقرآن ، ولكنني أكفي - مؤقتاً - بما ذكرتُ ، لنتقل إلى السخرية ، من الأحاديث النبوية الشريفة :

• زمليني أنا العاشق المرتبط ... و: دثريني وخلبي .. تحرث قلبي بنصلين من وبر ..  
و: نمضي إلى الوادي المقدس ، أنبياء آبقين ، نأمر بالمنكر ، وننهى عن المعروف ، دون أن ننظم الغيط ، أو نعفو عن الناس .. (مراجعة هذا الشاعر هي التوراة ، حيث أتهم فيها الأنبياء بالفحش والكفر) .

• دثريني دثريني .. ورطبي لي جيبني .. النار في عيوني .. والريح في يقيني ..  
هذا هو تنوير وزارة الثقافة المصرية ، يا مسلمون ويا عرب .. هذا هو ما يحاربون به الإسلام .. .

تصوّرتُ يا ناس أن نشر المقال سيسفر عن نصف كل مؤسسات وزارة الثقافة على الفور..  
لكنَّ تصوّري كان أملاً جهِيضاً في القلب.. وعلى العكس.. وجدتُ من المثقفين  
والنخبة مَنْ يدافع عن الكفر البوح...  
لقد احتفظت حضارتنا بتراث أوغل في الفحش، بل والكفر..  
مقططفات من مقال آخر، د. محمد عباس :

صحيفة الشعب : 12/5/2000م، تصدر المقال:  
لا إله إلا الله..

يا سيادة الرئيس : الفتنة تُطلُّ.. فأطغناها..  
يا شيخ الأزهر : دافع عن دين الله..  
يا فضيلة المفتى : صمتُكَ مُدْهِلٌ..

إن وزيرة في الحكومة المصرية هي التي صرَّحت أن 17% من طالبات الجامعة قد تزوجن  
زواجاً عرفياً...

فكم يا ترى لم يحتاجن إلى ورقة التوت المغشوشة، يغطين بها سوءاتهن؟..  
ولماذا نندهش لذلك، إذا كانت مطبوعات وزارة الثقافة تتدنى حتى تنشر الفسق  
والفجور، وتصف بعهر كل ما يهدِّم القيم والثوابت؟..

لماذا نندهش، عندما تتحدث بعض الدراسات إلى أن أكثر من 50% من طلاب الجامعة،  
يتناطون بالنجو (مخدر)؟!.

وبرغم ذلك كله، فإن اعتراضنا على تشبيه القرآن بالخراء، لم يتركز على المؤلف، ولا  
على روایته.. فليذهب إلى...، ما دام قد اختار الطريق إليها.. لقد انصبَّ اعتراضي على  
قيام وزارة الثقافة المصرية بإعادة نشر الرواية في مصر.. والرواية التي تُباع في الأسواق،  
بثلاثين أو أربعين جنيهاً، دعمتها وزارة الثقافة حتى بيعت بأربعة جنيهات.. هل هذا هو  
الفكر، الذي نقله وتعلمه لأنبائنا؟!

نعم.... المسؤولون في وزارة الثقافة، وكانت مجلاتهم وصحفهم.... لقد صرَّحوا  
 بأن الرواية مسموح بها، في كل الدول العربية... .

لكنَّ أخبار الأدب تذكر بالنصَّ على لسان حيدر حيدر: "عشتُ في بيضة تحاربني، على  
المستوى الديني، ولا يقولون إنني علماني ولا عقلاني وتنويري، بل يقولون ملحداً..

ويسألونه : هل كنتَ تجد صعوبة في نشر أعمالك ؟ فيجيب : " صعوبة شديدة جداً ...  
فقد عشتُ أنا وكتبي في حالة من مستمر من بلاد عربية كثيرة ... "

اقرؤوا (كما وردت في المقال) أيضاً في نفس العدد من أخبار الأدب تعليق الأستاذ محمود أمين العالم : " أخذتُ أقلبُ بين يدي رواية وليمة لأعشاب البحر، أو نشيد الموت، للأستاذ حيدر حيدر. بحثاً عن اسم ناشر أو مطبعة، فلم أجده، وأخيراً؛ علمتُ أن دور النشر العربية جميعاً رفضت نشر هذه الرواية، فقام هو بطبعها على نفقةه، ولكن؛ يبدو أن المطبعة التي قامت بطبع هذه الرواية قد آثرت هي أيضاً السلام، فاكتفت بالطبع، وامتنعت عن ذكر اسمها. صدرت الرواية مجھلة (كما وردت في المقال)، إلا من اسم مؤلفها. ولقد علمتُ كذلك أن الرواية، تكاد تعتمد في توزيعها على اليد. وعلى العلاقات الشخصية، كما توزعُ المhydrات أو المنبهات المحظورة ."

فلماذا... أجهزة وزارة الثقافة... ؟

لماذا... الوزير نفسه كل يومين .. لقد صرّح أولاً بأن الرواية مصادرة، منذ متصرف نوفمبر الماضي .. وفي نفس يوم تشریفاته، كان بيان علي أبو شادي، يقول: إن الرواية صدرت في متصرف نوفمبر .. .

لماذا حاول الوزير باستمرار، أن يخلط بين طبعة مصرية، هو الذي أصدرها ورعاها، وباعها بعض ثمنها، وبين طبعات لبنانية، لم نسألها، ولم نطلب حسابه عنها، رغم أنه بحكم مسؤوليته الوزارية، مسؤول (كما وردتا في المقال) عما يدخل إلى البلاد، من عناصر الثقافة؟!

...

إن القانون الإنجليزي مثلاً يجرم الاعتداء على التوراة والإنجيل .. وهم لا يعتبرون القرآن كتاباً سماوياً مقدساً .. هم وشأنهم .. لكن؛ لا يحق للقرآن في بلاده أن يُقدس .. لقد منعَ فيلم العشاء الأخير للمسيح في لندن، وخرجت المظاهرات تُحطمُ دور السينما التي تعرضه في باريس .. .

لماذا جأ بعض مثقفينا (المدافعين عن وزارة الثقافة) إلى هذا الهجوم الضاري ؟ ...  
لماذا اعتبرتم.... فرعونكم، فرُحْتم. كالكهنة القدامي - تدعون لعبادته من دون الله ؟ ...  
وأقول لكم على الرغم مني بناس، إنهم حققوا بعض النجاح في خطتهم .. فقد وعدتكم في الأسبوع الماضي أن أتناول اليوم كتاباً من كتب وزارة الثقافة تدعوه فيه كاتبته إلى تعديل القرآن، كي يتواافق مع النظام العالمي الجديد، ومواثيق حقوق الإنسان ...

وإن مولاء الناس، ينظرون إلى الإسلام وإلينا، كما ينظر مبدعهم حيدر حيدر، الذي يقول في صفحة 510، من كتابه المعنون:

ـ ضحك الرجل وهو يرمي جثة البدوي فيه: لكتني مُلحدٌ كما تعرفين.. الشرف والبكارة، وأخلاق المسلمين في مؤخرتي، من عشرات الأعوام ـ

ـ لا تعترضوا يا قراء.. فنَقادنا الجهابذة يرون أن هذا الكلام السافل البذيء إبداعاً..

ـ في تلك الليلة تحدث عن تحطيم الأوثان التي أقامها الآباء والأجداد، وضرورة الانفصال عن الدين والله، والأخلاق والتقاليد، والأزمنة الموحلة والجنة والجحيم الخرافيين، وطاعة أولي الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائل الأكاذيب والطقوس التي رسمتها دهور الكذب ـ

## بيان مجمع البحوث الإسلامية

### بيان الأزهر

الأزهر / مكتب الإمام الأكبر / شيخ الأزهر، بيان مجمع البحوث الإسلامية بشأن، رواية (وليمة لأعشاب البحر) لمؤلفها السيد حيدر حيدر. طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، التابعة لوزارة الثقافة بالقاهرة.

تم عرض موضوع الرواية المشار إليها على لجنة البحوث الفقهية، فكلفت اثنين من أعضائها المتخصصين بكتابة تقريرين منفصلين عن الرواية، لعرضها في جلسة استثنائية لمجمع البحوث الإسلامية، حدد لها يوم الأربعاء 17 مايو سنة 2000، وقد تم عرض هذين التقريرين والرواية، على المجمع في جلسته الاستثنائية، وتبيّن ما يأتي:

أولاً: إن وزارة الثقافة التي نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأي الأزهر الشريف، أو مجمع البحوث الإسلامية، مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة، وذلك على خلاف ما يقضي به القانون 103 لسنة 1961 ...

ثانياً: إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التي تُحرّم وتهين جميع المقدسات الدينية، بما في ذلك، ذات الله سبحانه وتعالى، والرسول صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، واليوم الآخر، والقيم الدينية.

ومن ذلك أنها تستهزئ بذات الله، مثل وصفه بأنه فنان فاشل (ص: 219)، وأنه نسي بعض مخلوقاته، من تراكم مشاغله التي لا تُحَدُّ في بلاد العرب وحدها (ص: 257)، وأنه أقام مملكته الوهمية في فراغ السماء ليدخل في خلود ذاته (ص: 426).

كما يفترى على الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأنه تزوج أكثر من عشرين امرأة، ما بين شرعية، وخليلة، ومتعة (ص: 148)، وأنه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها (ص: 426، 427).

وأنه حرف في آيات القرآن الكريم، ونسب إليه، ما ليس منه، كقوله "والله تعالى قال في كتابه العزيز: "إذا بليتم بالمعاصي فاستروا" (ص: 148)، كما أن الرواية تحرّض صراحة، على الخروج على الشريعة الإسلامية، وعدم التمسك بأحكامها، وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد والأزمنة المولحة، والجنّة والجحيم الخرافيين، وطاعة أولي الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التي رسمتها دهور الكذب (ص: 348).

ثالثاً: إن الرواية خرجت على الآداب العامة خروجاً فاضحاً، وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع، واستعمال الألفاظ في الواقع، وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها، وكتابة نصها حفظاً على الحياة العام الذي انتهكته الرواية.

رابعاً: إن الرواية لم تكتف بذلك، بل حرضت صراحةً، على إهانة جميع الحكام العرب، ووصفتهم بأبشع وأقذر الأوصاف، مما يعف المقام عن ذكرها، وطالبت بالخروج عليهم، والثورة ولو بيارقة الدماء.

خامساً: اتضح لمجمع البحوث الإسلامية، من كل ما سبق، أن ما ورد برواية "وليمة لأعشاب البحر" ، مؤلفها حيدر حيدر، خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشائع السماوية، والأداب العامة، والقيم القومية، ويشير الفتنة، ويزعزع تماسك وحدة الأمة، التي هي الركيزة الأساسية لبناء الدولة، ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية، دون استطلاع رأي أهل الاختصاص، المسؤولية الكاملة، عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينياً واجتماعياً، وذلك على النحو الموضح تفصيلاً، بالقريرين المقدمين من عضوي مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.

والله ولِي التوفيق . . تحريراً في 13 من صفر سنة 1421 هـ . . الموافق 17 من مايو سنة 2000م، شيخ الأزهر: الدكتور محمد سيد طنطاوي .

### تقرير عن رواية (وليمة لأعشاب البحر) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُقْوِّلُ أَنَّهُمْ وَكُنُّوا مَعَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ .

المؤلف: حيدر حيدر، طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة.

تقع في (690) صفحة، من القطع المتوسط، وهي القصة الخامسة والثلاثون، في سلسلة آفاق الكتابة، وسعر البيع 4 جنيهات، بتكليف من لجنة البحوث الفقهية بالجمع، في جلسة الأربعاء 10/5/2000، قرأتُ هذه الرواية قراءة محايدة في خمس وعشرين ساعة، وقد وجدت فيها ما يأتي :

أولاً: الدعوة إلى الشيوعية والكافح المسلح والاستيلاء على السلطة بالعنف والدماء : (ويورد صاحب التقرير 12 موضعًا من الرواية للدلالة).

ثانياً: الاستهزاء بثوابت العقيدة الإسلامية وإهانتها، (الله، والرسول، والقرآن، واليوم الآخر) : (ويورد صاحب التقرير 19 موضعًا في الرواية للدلالة).

ثالثاً: إهانة حُكَّام العرب، ووصفهم بأقذع وأقبح الأوصاف : (ويورد صاحب التقرير 3 مواضع في الرواية للدلالة).

رابعاً: عبارات فاضحة في الجنس، ومنافية للأداب العامة : (ويورد صاحب التقرير 14 موضعًا في الرواية للدلالة).

وبعد : فإنه من غير المعقول أن تقوم وزارة مسؤولة في نظام حكم بلد مسلم، بطبع ونشر هذه الرواية (وليمة لأعشاب البحر)، وأن تدعمها مالياً، لِتُسْرِرَ قراءتها للجميع، وقد نقلتُ منها ما يدعو ويدعو للأفكار الآتية :

1- الدعوة إلى الشيوعية، والكافح المسلح، والاستيلاء على السلطة بالعنف، وإراقة الدماء، استجابة لتعاليم ماركس ولينين ! الأنبياء الجدد.

2- الاستهزاء بثوابت العقيدة الإسلامية وإهانتها بجرأة وبناء نادرة : الله، الرسول، القرآن، اليوم الآخر. كل مواريث الآباء والأجداد.

3- إهانة الحُكَّام العرب، ومنهم حُكَّام مصر، ووصفهم بأقذع وأقبح الأوصاف، مع سيل من الشتائم المتناهية في القبح.

4- دعوة فاضحة إلى الجنس العاري من أي غلالة، واستباحة قاموس الألفاظ الصريحة في الواقع، وأعضائه للذكر والأنثى ولا حياء.

قلتُ : غير معقول أن تقوم هيئة مسؤولة في نظام الدولة، بطبع ونشر وتدعم مثل هذه الرواية. ولعلها لا تدرى ما فيها، وأن الذين اختاروها خدعوا رئاستهم، ولكن الشاعر يقول : إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة . وإن كنت تدرى فال المصيبة أعظم .

ولو أن أحداً أدخل هذه الرواية خلسة، وضُبِّطَت عنده حاكمته الدولة على جلب هذه المفاسد التي تصيب وحدة هذه الأمة، وتدعو إلى الفتنة وال الحرب والدم بين أبنائهما... فهل صرنا في زمن اللامعقول؟!! نرجو ألا يكون.

أ. د. عبد الرحمن العدوبي: عضو مجمع البحوث الإسلامية .

تقرير عن رواية (وليمة لأعشاب البحر) :

بقلم: الدكتور محمد رافت عثمان / عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة / عضو مجمع البحوث الإسلامية .

الرواية: من تأليف حيدر حيدر، كاتب سوري، طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، سنة 1999، وهي مكونة من 690 صفحة، عدا الفهرست، من القطع المتوسط.

والانطباع العام عن هذه الرواية أنها مكتوبة بأسلوب ركيك غامض في كثير من صفحاتها، لا فكر فيها، ولا تبني عن مملكة فنية عند كتابها، مليئة بالعبارات الفاحشة الخادشة للحياء، والتي تحقر وتهين المقدسات الدينية، ما بين الاستهزاء بذات الله تبارك وتعالى، والسخرية بأحكام شريعة الإسلام، وإهانة القرآن الكريم، وتبين ذلك مما يأتي:

(ويورد صاحب التقرير 32 موضعًا في الرواية للدلالة).

ويستطرد قائلاً: وبعد، فهذا قليل من كثير، مُلئت به هذه الرواية النحطة، في التعبير والفكر والفن، وأرى مصادرتها، ومحاكمة مؤلفها، وكل الذين ساعدوه على نشرها، بل أرى كفر مؤلفها، لذكره العبارات الساخرة بذات الله تبارك وتعالى، وبرسوله، وبالقرآن، وبالإسلام كله.

وإذا كان بعض المدافعين عن هذا النوع من الكتابة الساقطة، يقولون إنه يحكي ذلك على لسان أبطال روایته، فالرد:

أولاً: أن بعض العبارات التي تؤدي إلى السخرية من الله عزّ وجلّ، ومن رسوله، ومن القرآن، والإسلام، جاءت على لسان الكاتب نفسه.

ثانياً: العبارات التي قالها المؤلف، على لسان أشخاص روایته، التي تؤدي إلى كفر قائلها، تؤدي أيضاً إلى كفر المؤلف، وذلك لأن ذكر الكفريةات، سواءً أكانت أقوالاً أم أفعالاً، إما أن تكون على سبيل الحكاية، عن إنسان قالها، أو صدرت منه فعلًا، أو تكون على سبيل التخيل والاختراع، لقول أو فعل، لم يحدث في الواقع.

- فإنْ كان ذكر الكفرات حكاية عن إنسان قالها، أو صدرت منه فهذا جائز، فيما يأتي :
- أولاً: إذا كان ذكر هذا، في مقام بيان قبح، هذا القول أو الفعل.
  - ثانياً: إذا ذكر هذا في مقام بيان حكمة.
  - ثالثاً: إذا ذكر هذا في مقام بيان الرد عليه.
  - رابعاً: إذا ذكر هذا في مقام الشهادة.
  - خامساً: إذا ذكر هذا في مقام بيان آراء الفرق والمذاهب.

وإما إن كانت الكفرات، قد عَبَرَ بها المؤلف، على سبيل التخييل، ولم ينطق بها صاحبها، أو يفعلها في الواقع، وإنما هو فقط على لسان المؤلف، فهذا محرّم، بل ويصل في رأيي إلى درجة الكفر، بدليل أنه لا يجوز لمؤلف روایة أو قصة مثلاً أن يتخيّل إنساناً معيناً حقيقياً، موجوداً على قيد الحياة، أو توفاه الله، في موقف مهين، ويكتب عنه في الرواية أو القصة، أنه كان يزني مثلاً، ويجري حواراً بينه، وبين من يتخيّل أنه يزني بها، فإن هذا يُعدُّ جريمة قذف في الشرعية والقانون، مع أنه أجراء في قلب روائي.

ولا يشفع له أنه يتخيّل ذلك، وليس على سبيل الحقيقة والواقع، فإذا كان هذا لا يجوز بالنسبة للإنسان، فهل من المقبول أو المقبول أن يكون ذلك جائزًا بالنسبة إلى ربنا تبارك وتعالى ؟ فأي عبارة تُكتب تخلياً، ولو على لسان شخصية وهامة، من شخصيات الروايات أو القصص، أو غير ذلك، يصدر عنها عبارة أو فعل، فيه سخرية بالله عزّ وجلّ، أو برسوله صلى الله عليه وسلم، أو بالقرآن، أو بأحكام الإسلام، تؤدي إلى كفر مؤلفها، وقد وجدنا علماءنا رضي الله عنهم، قد يبنوا أنه إذا قال شخص عن عدوه : " لو كان ربى ما عبدته " فإنه يكفر، وكذا لو قال : " لو كان نبياً ما آمنتُ به " ، مع أن هذه العبارة، هي فرض لما قد يحدث.

إن الإبداع في الكتابة لا يكون بالسخرية من ذات الله عزّ وجلّ، أو بإهانة المقدسات، وإنما الإبداع تعير سام راق، عن فكر محترم دينياً، يتفق وتقاليد المجتمع وثقافته ومثله العليا، وأما غير ذلك، مما يريدوننا أن نوافقهم عليه فهو ليس إبداعاً، ولا ينتمي إلى الأدب، بل أخرى أن يوصف بقلة الأدب، بل بانعدام الأدب.

### **القرضاوي يطالب مبارك بالتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة :**

ناشد فضيلة العلامة د. يوسف القرضاوي الرئيس المصري حسني مبارك أن يتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة - حسب وصفه - عند حدتها، وشدد فضيلته على أهمية الحرص على وحدة الأمة، كما حيّا شيخ الأزهر، والأزهر، ورئيس جامعة الأزهر، والطلاب

والطالبات، الذين وقفوا موقفاً موحداً، ضدَّ رواية الكاتب السوري، وليمة لأعشاب البحر، التي طبعتها وزارة الثقافة المصرية، وتسبَّبت في حالة الهياج التي شهدتها الشارع المصري مؤخراً، وعدَّد القرضاوي في خطبة الجمعة أمس أن الرواية تدخل في باب الكفر، مستنداً في ذلك على بيان الأزهر الشريف، ورأى فضيلته أن هذا العمل كفر، يُغصنُ النظر عن الأشخاص، وعدَّ من قاله، ورضي به كافراً.

- كلُّ ما في وليمة لأعشاب البحر مُنكر.

العلامة القرضاوي في خطبة الجمعة (15 صفر 1420 - 19/5/2000) ... انتهى الاقتباس.

#### حذار الفساد والإفساد !

من الواجب سرد بعض النقاط، والتي نرى أنها تؤلمنا كمسلمين في مشاعرنا، وعقيدتنا، ولا يرضها الله ورسوله، في محاولة لدفع الفساد والإفساد، والإضرار بالإسلام وال المسلمين، على مستوى العالمين العربي والإسلامي، في مصر خاصة والوطن العربي عامة، والذي تُمثل في كثير من المجالات، ونذكر منها على سبيل المثال :

- التخلَّي عن الحضارة الإسلامية وتراثها وقيمها، والاعتزاز بالانتساب إلى حضارات أخرى كالفراعنة الذين ظلموا أنفسهم، فأخذهم الله بذنوبهم، وتقديس آثارهم وأوثانهم التي ما تركها الله إلا عظة وعبرة. وبأبي عالم الكيمياء المصري أن يتسلَّم جائزة نوبل إلا تحت سفوحها، تعظيمًا منه لها ولبناتها، واعتزازًا بالاتتماء لهم.

- نشر رذائل الأخلاق، وتعيمها كنموذج يُحتذى بين أبناء الأمة الإسلامية، من خلال السينما والمسرح والغناء وبالأخص اللقطات الفلبمية المصاحبة للأغاني - الفيديو كليب . (الطريق الأكثر انتشاراً لتجارة الرقيق الأبيض)، بالإضافة إلى ما يطرحوه من أفكار يُعلِّمونها لأبنائنا وبناتنا، لا تألف مع ديننا وعقيدتنا وحتى عاداتنا وأعرافنا.

- تشويه صور أولياء الله، من الرسل والأئمة والعلماء، والديْن عامة، في الأفلام والمسلسلات والبرامج الدينية، من خلال الغياب التام للقدرات الانتاجية أو الإخراجية وحتى التمثيلية في هذا المجال ، بالإضافة إلى فكرة المثل الشامل والتي تختتم عليه لعب الأدوار المختلفة لتجد مثلاً بين الخمر والنساء ، في موضع ، ومن ثم تتجده في موضع آخر ، بين كتب التفاسير ومجالس الذكر ، متهنأ قدسيَّة الدين وشعائره . فالأفضل لأولئك إن لم يستطيعوا أن يقدموا الإسلام بجماليه أن يبتعدوا بفنهن وأعمالهم عنه .

- تمجيد وتقديس الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات والأخذ عنهم، فبمجرد أن يكتشف الواحد منهم أن الله أعطاها موهبة ما، وبدأ يقدمها، تتسابق عليه المحطات التلفزيونية لتجري معه جلسة أو لقاء، وبدأ لعلم الثقافة والاقتصاد والسياسة وحتى تعاليم الدين، ففي أحد تلك اللقاءات مع أحد المطربين، وبعد أن قدم آخر أغانياته مع رقصة طبعاً، شرح كيف قام بالعمرة برفقة فنان آخر صديق له، ومقدار ما شعر به من المتعة والروحانية...، ولتبين فكرة التمجيد والتقديس بوضوح حاول أن تتشتت أحد عمالقة الفن العربي في حضور أحد المصريين.

- تأليه وعبادة أصحاب المال والسلطة من البشر.

- موالة المغضوب عليهم، الذين نكثوا عهوداً مع الله قبل البشر، والضالين.

وغير ذلك الكثير، وإننا إذ نعرض لهذه النقاط نؤكد أننا لا ندعى الصلاح، ولكن؛ كان هذا من قبيل التناصح، والتواصي بالحق، كما أمر الله في كتابه والرسول. والذي نخشاه أن تكون قد عشنا المشهدتين السابقتين من المشاهد التي عرضتها الآيات وهما الشك واللعب، وظهور الدخان، ووصلنا إلى المشهد الثالث. وفي هذا المشهد يُتهم خير الأئم، عليه الصلاة والسلام، بالتعلم والجنون والسحر. فنكون كقول الله تعالى: «فَذَرْهُمْ مَخْوِضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلْقَوْا بِمَا هُمْ يُوعَدُونَ» (83 الزخرف).

أو قوله عَزَّ من قائل: «فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلْقَوْا بِمَا هُمْ الَّذِي فِيهِ يُضَعَّفُونَ» (45 الطور).  
ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون.

### خليل عبد الكريم

فيما يلي نورد جزءاً يسيراً من التغطية الإعلامية التي نشرت أواخر العام المنصرم عن خليل عبد الكريم وكتابه. ومنها صحفة القدس العربي، والأهرام الاقتصادي وصحفة أخبار الأدب.

### الإسلام الشيوعي

#### سبعة كتب مشبوهة للمفكر اليساري خليل عبد الكريم

بقلم بدر الشبيبي:

ـ خليل عبد الكريم، كاتب يساري أو شيوعي أو تقدمي، يكتب في الإسلام.. ولا يأس أن يكتب، كائن من كان، عن الدين الحنيف، ولكنَّ السؤال هو: ماذا يكتب؟ وقد كان خليل عبد الكريم عضواً في جماعة الإخوان المسلمين، منذ سنوات طويلة خلت، ولكنه ترك موقعه هذا، وتحول من أقصى اليمين، إلى أقصى اليسار، فأصبح عضواً

في اللجنة المركزية، لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، وهو حزب يساري يقول عنه الإسلاميون: إنه حزب شيوعي.

ومنذ عشر سنوات أو أكثر يثير خليل عبد الكريم عاصفة في مصر وخارجها بكتبه التي يضعها عن الإسلام.. وتتعرض هذه الكتب للمنع والمصادرة والهجوم العنيف، ومع هذا، فإن الرجل لم يتوقف عن الكتابة، ولم يتوقف عن تغيير خطه الفكري، الذي يصلم الجميع. ورغم أن عدداً من أساتذة الجامعات الكبار، قد حاولوا كشف ما في دراساته هذه، من زيف وافتراضات على الإسلام، إلا أن شيئاً، لا يمنع الرجل من الاستمرار، بل إنه يزداد غلواً، مع كل كتاب جديد، غير عابئ بما تثيره كتبه من رفض عنيف.

ويستخدم خليل عبد الكريم لغة جارحة في كتبه، كما يطرح آراء وأفكار لا يمكن أن توصف إلا بأنها خروج على الله، وعلى رأي الجماعة، وعلى رأي الجمهور.

وهو ينطلق في هذا من مقوله: إننا يجب أن نتمتع بالجرأة العقلية، وأن نطرح كل الأفكار وكل الشخصيات، على مائدة التشريح العقلي الموضوعي، بعيداً عن الهوى، وعن الأفكار الجاهزة، التي يكتب بها المؤرخون والدارسون للإسلام، عن الدعوة والرسالة وسيدينا محمد.. يقول خليل عبد الكريم، في صدر كتاب أخير له.. "آمل.. وهذا أمر متوقع.. لا يسيء البعض فهم هذه الدراسة، على نحو لم يرد على خاطرنا، وكنا قد طالبنا بضرورة كتابة التاريخ الإسلامي كتابة علمية موضوعية بدأية بالحبيب المصطفى، وكررنا أن الكتابة بطريقة معايرة للكتابات التقليدية يتبعين أن تقابل بأفق رحيب وعقلانية بعيدة عن التشنج، ونذكر هؤلاء بأن الأمين نفسه أكد أن من اجتهد وأخطأ فله أجر، ونحن نأمل في أن نحظى بالأجرتين.. أجر الاجتهد، وأجر الإصابة".

وفي ظل ما يدعوه من جرأة عقلية على هذا النحو، فإن خليل عبد الكريم يضي في هذه الكتابات، التي لا نجد لها مثيلاً في تاريخ الإسلام. ونحن لا ندعو بالطبع إلى مصادرة هذه الكتب، أو الحجر على حرية الرجل، ولكننا ندعو المتخصصين وعلماء الدين وشيوخ الأمة، إلى مناقشة أفكار الرجل، ودحض ما فيها من شبهات، بشكل علمي هادئ، بعيداً عن التروع والتخويف والإرهاب الفكري.

وهناك الآن، ما لا يقل عن سبعة كتب هامة أصدرها الرجل في السنوات الأخيرة، وهي تستحق المناقشة والتحليل، لعرض ما فيها من آراء والرد عليها.

ولستنا هنا بالطبع، في معرض تحليل هذه الكتب أو مناقشتها، فليس هنا، ولا الآن، يتم هذا الأمر، ولكننا قد نكتفي بالتعريف السريع بها، خصوصاً أنها تكون الآن مشروعًا فكريًا، لهذا الرجل. والكتب السبعة التي سنعرض لها هنا، هي:

### **أولاً: كتاب (للشريعة لا لتطبيق الحكم):**

وهذا الكتاب يقوم على فكرة واحدة أساسية، هي أن تطبيق الشريعة الإسلامية لم يعد صالحًا في هذا العصر، لأن هذا التطبيق سوف يجرّ علينا من المشاكل ما لا حصر لها. ومع أن الإسلام، وكما جاء في القرآن العظيم، هو الدين الخالد، الذي يصلح للبشر كافة، ويصلح في كل زمان ومكان، إلا أن خليل عبد الكريم له رأي آخر، فهو يقول بالحرف: "إن الإسلام ليس عبادات فقط، بل هو أيضاً تشريعات وعقوبات ونظام سياسي"، وهنا الخطورة من وجهة نظره، إذ يرى أن تطبيق الشريعة، سوف يؤدي بنا إلى أضرار تفوق -مثلاً- الأضرار التي تترتب على إهمالنا لتطبيقها. وتلك هي دعوة العلمانيين واللادينيين، الذين يفضلون القانون الوضعي على الشريعة الإسلامية.

### **ثانياً: كتاب (المجنور التاريخية للشريعة الإسلامية):**

وهذا الكتاب، يعتبر استكمالاً وتأصيلاً لكتاب الأول، إذ أنه ينطلق من نفس الفكرة التي ترفض الشريعة الإسلامية، وترفض تطبيقها، وهنا يقول خليل عبد الكريم: "إن هذه الشريعة التي ينادون بها هي مجرد تعاليم، كان يقول وأخذ بها عرب الجاهلية، ثم جاء محمد فأخذ هذه التعاليم، وأعمل فيها عقله وفكره، حتى بدت وأنها شيء جديد". ولهذا، فإن السؤال الذي يطرحه خليل عبد الكريم هو: هل تصلح هذه التعاليم، التي كان يطبقهابدو الصحراة، قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، لكي تحكمنا اليوم؟! على أن ما هو أخطر من هذا السؤال، ما معناه وخلاصته، أنه ليس ثمة شيء منزلاً من السماء، بل إن الأشياء كلها من صنع سيدنا محمد ... !!

### **ثالثاً: كتاب (الأسس الفكرية لليسار الإسلامي):**

وفي هذا الكتاب يقول خليل عبد الكريم صراحة، "إن الإسلام ليس شيئاً غير العبادات"، مع أن طلبة المراحل التعليمية الأولى يعرفون أن الإسلام يقوم على دعامتين، هما: العبادات، والمعاملات. ولكنه يحصر الإسلام في العبادات فقط، ولهذا؛ فإن ميدانه الأصلي هو المساجد والجوامع والتکايا والحسينيات، أو الخلاوي والخانقاهات والزوايا والمصلیات، وحضرات الصوفية وحلقات الذكر، ومحالس دلائل الخيرات. ومعنى هذا أن الإسلام دين للعبادة، وليس ديناً للحياة. إنه يحصر وظيفته في دور العبادة، أما شؤون الناس وتصريف حياتهم، فليس للإسلام شأن بها. وهنا نعود إلى مقولات المفترضين الذين يقولون إن الإسلام ليس ديناً ودولة، بل هو دين فقط.

#### **رابعاً: كتاب (مجتمع يثرب.. العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي):**

وهذا كتاب معايير، لأنه يُسوّه الإسلام في أعظم عصوره، أي في مرحلة النبوة، وصدر الإسلام، والخلفاء الراشدين. وسوف يلاحظ القارئ، في اللحظة الأولى، أن الكاتب يستخدم، كلمة (يثرب) ولا يستخدم اسم (المدينة المنورة) علمًا بأن الاسم الأول قد نسخه الإسلام، وألغاه النبي، وأطلق عليها هذا الاسم الجديد الجميل. ولكن؛ ليست هذه هي المشكلة في هذا الكتاب، ولكن المشكلة هي في الدراسة الاجتماعية المزعومة التي قدمها، والتي شوّهَ بها، ومن خلالها، أعظم المجتمعات وأعظم العصور وأعظم الشخصيات، حين نكتشف أن المجتمع في مدينة رسول الله، وهو المجتمع الذي أقام دولة، ونشر ديناً، هذا المجتمع ورجاله، لم يكونوا مشغولين بشيءٍ قدر انشغالهم بالمرأة والجنس معاً...!

#### **خامساً: كتاب (قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية):**

وهذا الكتاب، ينزع عن النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، صفات الرسالة والنبوة والوحى جمعياً، إذ يحاول المؤلف أن يثبت أنه ليس هناك شيءٌ من هذا كله، ولكنَّ الأمر كان ينحصر في رغبة قريش في أن تقيم دولة، وأن تسود على القبائل العربية، في شبه الجزيرة وما حولها. وقد تم هذا وفق تخطيط محكم قام به رجل داهية هو جد النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو عبد المطلب الذي جاء بحفيده "محمد"، ولم يكن أقل منه ذكاءً، وصنع منه حاكماً ومؤسسًا لهذه الدولة. لقد أراد عبد المطلب أن يصنع ملكاً، فصنع نبياً، أي أن الحكاية كلها هي الحكم، وهي السيطرة، وهي السيادة إلى جوار ملوك وأباطرة، يحيطون بقبائل العرب، ابتداءً من كسرى حتى هرقل.

#### **سادساً: كتاب (شدو الريابة بأحوال الصحابة):**

وهذا كتاب لا يقل سوءاً، إن لم يزد عن الكتب السابقة، وهو أيضًا يأتي استكمالاً لكتابي مجتمع يثرب، وقريش القبيلة والدولة. وفي هذا الكتاب الجديد، يعرض المؤلف لأحوال صحابة رسول الله، فيقول فيهم كلاماً، لم يرد في كتب السيرة، ولا في كتب التاريخ، ومنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يختلي بالصحابي الجليل سلمان الفارسي، لأيام طويلة لكي يأخذ منه، ويتعلم على يديه، لأن سلمان، فيما يقال كان من كبار مثقفي عصره، وكان عالماً بالعقائد والأديان، وكان يحيط بالمذاهب المختلفة. وقد جلس النبي

بين يديه، كما يجلس تلميذ بين يدي أستاذه، ليتعلم منه كل الأسس والقواعد والتجارب والتاريخ والسير، التي استفاد منها النبي بعد ذلك في رسالته الإسلامية المحمدية.

#### سابعاً: كتاب (فترة التكوين في حياة الصادق الأمين):

وهذا هو آخر كتب خليل عبد الكريم، ولعله من أخطرها جميعاً. ويقوم هذا الكتاب على فكرة واحدة أساسية، هي أن سيدنا محمد ليس نبياً، ولكنه تلميذ عقري لمجموعة من الأساتذة هم: السيدة خديجة، وابن عمها ورقة بن نوفل، وبقية أفراد الأسرة وهم: ميسرة، والراهب بحيرا، والراهب عداس، والبطرك عثمان بن الحويرت.. وكلهم مسيحيون.. ولقد قامت هذه المجموعة النصرانية على "صناعة" هذا النبي، بعد أن عكفوا على تعليمه، لأكثر من خمسة عشر عاماً، حفظ فيها كتب الأولين والآخرين، وعرف التوراة والإنجيل، والمذاهب والعقائد، وانتهى هذا كله بنجاح "التجربة" أي الرسالة، وصنع هذا العقري، الذي أصبح نبياً، ووضع كتاب حير العاملين، على امتداد القرون هو القرآن الكريم.

ويقول خليل عبد الكريم بالحرف الواحد: "وهذا الكتاب، يقدم رؤية جديدة، نزعم أنها غير مسبوقة، حل هذا اللغز الذي ملا الدنيا، وشغل الناس، وقد بدأنا بمحمد قبل أن يلتقي أبوه بأمه، حتى التقته سيدة قريش، بعد أن توسمت فيه - بفراسة يعز مثلها. أنه هو القادم المنتظر، ثم قيامها بمعونة سخية، من ابن عمها القدس، بدور لا يجد له في تاريخ الأديان مجرد شبيه، إنها ملحمة خالدة سلخت من عمر الطاهرة والقدس عقداً ونصف العقد من الزمان، في الإعداد والتصنيع والتهيئة والتأهيل، حتى طرح ذلك العمل الصبور الدؤوب المتأني المخطط، والرسوم بدقة متناهية ثمرته الناجحة، وحدثت واقعة غار حراء، بصورة فذة معجبة، أدهشت حتى فاعليها، وهما سيدة نساء قريش، وورقة بن نوفل، لأنها جاءت بصورة، لم تخطر لها على بال، ولا شك أن هذا النجاح، ينوب بنسبة كبيرة إلى موضوع التجربة، وهو "محمد" فقد كان عقرياً، لا يفري فريه أحد، ذلك أن سيرته الذاتية، وخبراته الشخصية وملكاته العقلية والنفسية واللسانية، كانت ركائز أساسية في فلاح التجربة".

- لا يفري فريه أحد: (أي لا يكذب كذبة أحد، بمعنى جاء بكذبة لم يسبقه إليها أحد من قبله، حيث كان يُسمى الصادق الأمين في مكة، وبذلك ينفي عنه الكاتب هاتين الصفتين، فيكون إبرادهما في عنوان الكتاب، من قبيل الاستهزاء والاستخفاف، به ويمَن صدقوه على مدى 1400 سنة).

ويقول أيضاً في نفس الكتاب... "أما في المساء، وفي ليل مكة الطويل شتاءً، فكأن مع الطاهرةـ أي خديجةـ بمفردها أحياناً، وبحضور القس أحياناً أخرى، حيث تم في تلك القعدات مذاكرة الإصلاحات مباشرة (التوراة والإنجيل)، ثم إدارة الحوار بشأنها، إما بتلقيها من الأم الرؤوم والزوجة الخنون خديجة، التي لا شك أنها أجادت القراءة والكتابة، وقد قرأت تلك الإصلاحات، وخرّتها في ذاكرتها، أو أنها طفت تقرؤها له مباشرة. وكل هذا يدور بالنهار، في الأسواق والحوانيت والأعياد، وما يتم سماعه من القس ورقة، وخدية من الإصلاحات التي عرّبها القسُ في الليالي الطوال، (التخرج في شكل سور القرآن)، وما يعقبها من شروح وإيضاحات (السنة النبوية)، وحوارات بالجلسات، التي قد تستمر حتى بزوغ الفجر. نقول إن كل هذا، كان يجري تخزنه ويرمجته في ذاكرة العبرى، الذي لم تر جزيرة العرب له مثيلاً، ولم تشهد له ضرباً، ولم تعain له شيئاً أو نداً، خاصة وقد آمنا أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، والأميـ أي أميـ يتمتع بذاكرة حديدية، وحافظة واعية أشد الوعي، مما بالك إذا اجتمعت الأمية والعبرية الفلنة، في شخص واحد؟!!

ويقول في موضع آخر.. "ومهما كانت الجهود التي بذلتها الطاهرة، وعارضتها فيها ابن عمها القس، فإنها لا تفي عن التجربة، وفي مقدمتها حادث النار، جانبها الغبي وناحيتها الميتافيزيقية (المتافيزيقية)ـ لفظ توصف به الظواهر الخارقة الطبيعية، التي عادة ما تتأتى على أيدي الكهان والسحراء والمشعوذين والدراوشـ ومحضري الأرواح، وذلك لنفي الوحيـ، إذ لا تعارض بين الأمرين، بل إن كلاً منها يكمل الآخر ويدعمه. ويقول أيضاً.. "حتم علينا أن نقر ونعرف بمهارة خديجة في المزج بين الأمومة الفياضة بالحب والحنان، وبين الإعداد الكريم الدقيق، لتلقى التجربة (النجاح)، ولو لا هذا الخلط البارع لما قدر للتجربة الفلاح والنجاج الذي ملا الدنيا، وشغل الناس منذ أربعة عشر قرناً، وما زال يشغلهم حتى الآن، وربما لأمد بعيد، ما لم تبدل جذرياً أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وما لم يتحلل حراس الأساطير، وجلاس التراث المبارك، عن أماكنهم الميمونة".

ثم يقول خليل عبد الكريم في موضع آخر وأخير.. "كان أنسى محمد المرير على فقد خديجة أمراً بديهياً، لأنها الأم الرؤوم، والزوجة الحبيبة، ولو لاها ما أكمل التجربة حتى نهايتها، وهي التي أتاحت له التماس مع ورقة وعداس ويعيرا، وقضاء الليالي الطوال مع ابن نوبل في المدارسة والمذاكرة والمحاورة، وهي التي كانت تقرأ له الصحف التي عرّبها القس نوبل، وهي التي هيأت له الاختلاط بأصحاب جميع الملل والنحل والعقائد والأديان الذين اكتنفتهم مكة، ولو لا التفرغ الدائمـ. وهو أحد عطايا أم هندـ. لما افسحت له الفرصة

الثمينة . ولا شك أن الخلطة بأصحاب الديانات ، شكلت جزءاً من الخطة المرسومة . لما انضمت عليه الخطة ، من ترس واستماع ، وحفظ وحوار ومدارسة وتخزين معلومات . لقد أدركت خديجة ، منذ فجر التجربة ، أن احترافه التجارة لا يدع له فسحة من الوقت ، في حين أن التجربة تحتم ضرورة التفرغ الكامل ، وطلاق كل ما يشغلها عنها ، طلاقاً بائناً ببنونه كبرى .

وبعد .. فهذه مجرد وقفة سريعة ، عند كتاب خليل عبد الكريم .. وليس منها كتاب أقل خطورة من الآخر .. ولكن؛ ربما كان هذا الكتاب الأخير هو أخطرها .. فسوف نلاحظ هنا ، أن سيدنا محمد ، صلى الله عليهم وسلم ، ليس نبياً يُوحى إليه ، بل هو رجل عقري تَمَّ صناعته على يد السيدة خديجة وجماعتها ، وهم مجموعة من أقباط مكة ، وأنه تم تحفيظه الكتب السماوية التي سبقته كلها ، فكان النتاج هو هذا الرسول . وأغرب من هذا أن الكتاب كله لا ترد فيه كلمة "الرسالة" ، للدلالة على الدين الحنيف ، بل هو يُسمّيها " التجربة " .. فلقد نجحت "تجربة" خديجة ومن معها ، بما يعني أنها شيء أرضي ، وليس شيئاً علوياماً متزاً ، من فوق سبع سماوات . وفي هذا السياق ، فهو يُسمّي السيدة خديجة باسم "الظاهره" تيمناً باسم مريم العذراء التي ظهرت بها رب العزة والجلال ، واصطفاها على نساء العالمين ، ودلالة الاسم هو أن السيدة خديجة كانت نصرانية ، وبعد هذا ، فهو لا يتورع عن وصف الوحي الذي نزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في غار حراء بأنه حادث غبي ميتافيزيقي !

## بين الإبداع والحرية

بعلم: الأستاذ بدر الشيب.

الإبداع أمر لا يختلف على أهميته اثنان ، والاحتفاء بالمبدعين دأب المجتمعات الحضارية ، التي تنشد الرقي والتقدم دائماً وأبداً .

ولكن؛ كيف يكتسب عمل ما صفة الإبداع ؟ هذا سؤال جوهري ، ينبغي على المهتمين ، بالشأن الثقافي والفلسفي الإجابة عليه ، لأنه أصبح أكثر إلحاحاً من ذي قبل ، بخاصة مع ظهور موجة في العالم العربي ، ترى الإبداع في الخروج على المألوف ، والحدث في المskوت عنه ، وذلك في مجالين اثنين لا ثالث لهما (الدين والجنس) .

فباسم الإبداع وحرية النشر والتعبير تقذف لنا دور النشر كتاباً هنا ، ورواية هناك ، يكون هذان المجالان محورهما ، مع كثير من التطاول ، على حرمة المقدسات والرموز الدينية ، وكثير من الإسفاف والابتذال ، والخروج على الآداب العامة .

وَقَائِمَةُ الْأَسْمَاءِ طَوِيلَةٌ، تَبْدِأُ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَلَا تَنْتَهِي فِي الْمَغْرِبِ، وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِ الْقَائِمَةِ، جَمْعُ مِنَ الرَّوَايَيْنِ أُمَّالٌ حِيدَرٌ حِيدَرٌ (وَلِيْمَةُ لِأَعْشَابِ الْبَحْرِ)، مُحَمَّدٌ شَكْرِيٌّ (الْخَبِيزُ الْحَافِي)، مِنْ فِيَاضٍ (فَخُ الْجَسْدُ)، إِلَهَامٌ مُنْصُورٌ (أَنَا هِيَ أَنْتِ)، ... إِلَخ.

وَأَمَّا الْكُتُبُ فَهُمْ كَثُرٌ أَيْضًا (نَوَالُ السَّعْدَادِيُّ، لَيْلَى الْعُثْمَانُ، نَصْرُ حَامِدُ أَبُوزَيْدُ، خَلِيلُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، ... إِلَخُ).

وَلَعِلَّ هَذَا الْآخِيرُ، أَعْنِي خَلِيلَ عَبْدِ الْكَرِيمِ، هُوَ أَخْرُ الْمَطَاطَوِلِينَ فِي كِتَابِهِ (فَتْرَةُ التَّكْوِينِ فِي حَيَاةِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ)، حِيثُ يَتَنَاهُ مِرْحَلَةُ مَا قَبْلِ النَّبُوَةِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ (صَ) مَحَاوِلًا النَّيلَ مِنْ قَدْسِيَّةِ الرَّسُولِ (صَ)، وَالتَّشْكِيكُ فِي كُونِهِ مَرْسَلًا مِنْ عَنْدِ اللَّهِ.

وَالْمَلَاحِظُ أَنَّ هُؤُلَاءِ الْكَتَابُ وَالرَّوَايَيْنِ يَؤْسِسُونَ لِكِتَابَاتِهِمْ بِمَصْطَلِحَاتٍ تَبُدُّ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى حَضَارِيَّةً وَتَقْدِيمَيَّةً، مِنْ مُثْلِ الإِبْدَاعِ وَحُرْيَةِ النَّشْرِ وَالْتَّعْبِيرِ، وَإِعَادَةِ قِرَاءَةِ النَّصوصِ الْتَّرَاثِيَّةِ، بِمَا فِيهَا الْقُرْآنُ، بِالْإِسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَنَاهِجِ الْتَّارِيْخِيَّةِ، وَالْمَدَارِسِ الْأَلْسِنِيَّةِ الْحَدِيثِيَّةِ.

وَلَكُنَّا حِينَ نَتَأْمِلُ فِي مَجْمُلِ إِنْتَاجَتِهِمْ، نَجْدُهَا تَهْدِفُ أَوْلًَا وَآخِرًا، إِلَى الْمُسْنَّ مِنَ الْمَقْدَسِ الْإِسْلَامِيِّ، وَجَعَلَهُ غَيْرَ مَقْدَسٍ، وَإِلَى هَدْمِ قِلَاعِ الْحَيَاةِ وَالْعَفَةِ، فِي الْجَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَلَا فَيْ مَعْنَى لِحَصْرِ الإِبْدَاعِ، فِي كُلِّ مَا مِنْ شَأنَهُ الْحَطَّ، مِنَ النَّذْوَقِ الْجَمَالِيِّ الرَّفِيعِ، بَدْلًا مِنْ أَنْ يَكُونَ الإِبْدَاعُ أَسَاسًا، لِتَدْرِيبِ الذَّانِقَةِ وَتَنْمِيَتِهَا؟!

وَسُؤَالٌ آخِرٌ يُطْرَحُ نَفْسَهُ: هَلْ يَحْقُّ لِكُلِّ أَحَدٍ، أَنْ يَكْتُبَ فِي الدِّينِ، وَيَنْاقِشَ مَسَائِلَهُ؟! وَلِمَاذَا يَصْبِحُ النَّصُ الدِّينِيُّ مِبَاحَةً لِكُلِّ أَحَدٍ؟ أَلَسْنَا نَعِيشُ عَصْرَ التَّخَصِّصِ؟

وَأَخِيرًا، لِمَاذَا يَغْضِبُ هُؤُلَاءِ الْكُتُبُ عَنْ دَرْفَعِ دُعَوَى حُسْيَةَ (كَمَا وَرَدَتْ فِي الْمَقَالَ) ضَدَّهُمْ أَمَامَ الْقَضَاءِ، إِذَا كَانُوا مَتَّخِذِيْنَ فَعَلًا؟ أَلَيْسَ التَّقَاضِيُّ أَسْلُوبًا حَضَارِيًّا؟

وَنَقْطَةُ أُخْرَى هَامَةٌ يَنْبَغِي الإِشَارَةُ إِلَيْهَا هُنَّا، فَنَحْنُ لَا نُسْتَطِعُ أَنْ نُعَمِّمَ عَلَى جَمِيعِ الْكُتُبِ، تَهْمَةُ التَّأْمِرِ ضَدَّ الْإِسْلَامِ وَالْمَجَمِعِ الْمُسْلِمِ، فَهُنَّاكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْكُتُبِ، تَنْشَدُ الْحَقَّ، وَلَكُنَّهَا تَخْطُئُ الْوَسِيلَةَ وَالْمَنْهَجَ، وَ(لَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ).

نَحْنُ لَسْنَا ضَدَّ الْإِبْدَاعِ، وَلَسْنَا ضَدَّ الْإِسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَنْتَجَاتِ الْثَّقَافِيَّةِ لِلْأَخْرَينِ، وَلَا نَرِيدُ هَنَا أَنْ نُؤْسِسَ لِفَقْهِ الْمَاصِدَرَةِ، وَلَكُنَّا نَرِيدُ أَنْ نُؤْسِسَ مِنْهُجًا مُنْتَلِقًا مِنْ ثَقَافَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصِيلَةِ، فِي تَعْرِيفِ مَصْطَلِحِيِّ الْإِبْدَاعِ وَالْحُرْيَةِ وَحْدَوْهُمَا، فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي نَدْعُوْ فِيهِ، لِإِعَادَةِ صِياغَةِ فَقْهِ الْحَسْبَةِ، بِلُغَةِ عَصْرِنَا، وَبِهِ فِي أَوْسَاطِ الْمَجَمِعِ.

وهذا التأصيل ضروري، لكي نتعرف على قيمة المنفعة والمعنة وغيرهما، في تحديد أيادعية العمل، وكذلك للتعرف على الأطر التي تعمل الحرية في حدودها، إذ لا يمكننا الاعتماد على المنهج الغربي الذي يكيل بآلف مكيال، فيحتفي بسلمان رشدي، باعتباره مبدعاً، ويضيق صدراً بروجيه جارودي، فيسنُ قانون (جيسو- فابيو) ليقدمه للمحاكمة، لأنَّه كتب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)، كما لم يتسع صدره له (دافيد إيرفنج)، المؤرخ البريطاني، الذي شكَّلَ في أرقام الهولوكوستَ .

### جولة الصحافة: الجزيرة نت، ثورة المشايخ :

ـ الكلام الوارد، في كتاب فترة التكوين في حياة الصادق الأمين لا يتحمل حكماً آخر، غير الكفر .

د. يحيى إسماعيل، الأهرام العربي.

ونشرت المجلة ملفاً عن الثورة التي أحدثها كتاب فترة التكوين في حياة الصادق الأمين، لخليل عبد الكريم، الكاتب اليساري، الذي ينسب نفسه إلى ما يُسمَّى بـ "اليسار الإسلامي" أو "الإسلام المستير" .

وأصدر مجمع البحوث الإسلامية من جهة تقريراً عن الكتاب، أوضح فيه أن الكتاب، يُعد إنكاراً لرسالات الأنبياء. ويعرض الكتاب لحياة الرسول الكريم بشكل مزري، حيث صار فاقد الإرادة أمام زوجته السيدة خديجة، ثم خضع خضوعاً تماماً، لما أرادته هي وابن عمها ورقة بن نوفل، من تصويره نبياً، تدين له جزيرة العرب وغيرها.

وانتهى التقرير إلى التوصية بمصادرة الكتاب الذي يُمثل عملاً عدوانياً على عقيدة الأمة الإسلامية، ينكر مبدأ الرسائل السماوية إنكاراً قاطعاً، ويزعم أن جميع الأنبياء صناعة أرضية بشرية. من الجدير بالذكر، أن التوصية بالمصادرة صدرت بإجماع آراء علماء مجمع البحوث. من ناحيته، أكد د. يحيى إسماعيل الأمين العام لجامعة علماء الأزهر أن الكلام الوارد في الكتاب لا يتحمل حكماً آخر غير الكفر. وأضاف قائلاً: لسنا أمام ثقافة أو فكر، ولا يمكن أن تكون الواقحة إيداعاً.

وليمة جديدة: وفي الإطار نفسه، نشرت صحيفة الوفد تقريراً تحت عنوان "وزارة الثقافة تطبع كتاباً يهاجم الإسلام" ، ويقول التقرير: إن مجمع البحوث الإسلامية طلب مصادرة

كتاب "المرأة والجنسنة في الإسلام" ، والذي قامت بتأليفه، ليلى أحمد باللغة الإنجليزية، وطبعته وزارة الثقافة على نفقتها بعد ترجمتها.

وكشف التقرير أن الكتاب يزعم أن القرآن اقتبس مادته التاريخية من التوارىء، وأن الإسلام سلب حقوق المرأة . واتهم التقرير المؤلفة بالتشكيك في سماوية القرآن ، وبالتحريف المتعمد لواقع السيرة النبوية . وطلب التقرير مسألة المجلس الأعلى للثقافة، عن إضاعة أموال الدولة في عمل يدعوه لهم الإسلام .

### معارك الإسلاميين

#### جزء من مقال في صحيفة القدس العربي :

... واندهاش الدكتور عبد العظيم المطعني ، الأستاذ بجامعة الأزهر ، من الحملة العنيفة ضدّ صحيفة النبا ، بسبب نشرها موضوع الراهب برسوم المحرقي ، وغلقها وإسقاط عضوية ، أصحابها مدوح مهران من نقابة الصحفيين ، وتقديمه للمحاكمة ، والحملة التي تعرّضت لها الدكتورة نوال السعداوي ، بينما لم يحدث تحرك ضدّ خليل عبد الكريم ، بسبب كتابه فترة التكوين في حياة الصادق الأمين .

المهم أن الدكتور المطعني قال : د. نوال اخترقت جانباً من حصن العقيدة والتشريع ، وجريدة النبا اخترقت جانباً من الإطار الأخلاقي ، بما يُعدُّ تحريضاً على الفسق والفجور ، وخدشاً للحياء وإساءة إلى مشاعر الشعب المصري كلّه ، مسلمين وأقباطاً ، أما خليل عبد الكريم عبد الناصر (الكاتب) ، ومحمد هاشم (الناشر) ، فإن جريمتهما أفضّل جريمة يشهدها المجتمع المصري ، جريمة تدعو إلى تقويض وهدم حقائق الإيمان ، ومحوها من الوجود ، حيث تُصوّرُ كلّ آنبياء الله ورسله ، على مدى التاريخ النبوى كلّه ، بأنّهم صناعة أرضية بشرية مفبركة !! وليست لهم صلة بولي الله ، بل هم المصنّفون والمقلّدون (كما وردتا في المقال) في ورش بشرية ، تخصصت في إنتاج الأنبياء والرسل المخدوعين !!

هذه الجريمة الفظيعة لم تتجاوز مواجهتها - حتى الآن - سوى الرفض الإعلامي القولي ، ولم يتخد ضدّ أطرافها أي موقف رسمي حاسم ، لوقف هذه المهاارات المشبوهة ، التي تمسّ نظام المجتمع من الجذور ، والواجب أن يُحاسبَ قانوناً ، كُلّ من المؤلف والنّاشر ، وأن تمحّلو نقابة المحامين حذو نقابة الصحفيين بشطب اسم خليل عبد الكريم من جدول المحامين ، وأن يتّخذ اتحاد النّاسرين قراراً برفع دعوى لسحب ترخيص مكتبة ميريت للنشر والمعلومات من مزاولة مهنة النّشر . أجل ، إن خليل أولى بالمحاكمة من نوال ، وإن ميريت أولى بالإغلاق من

النبا، وإنما فإن نجاة خليل ومحمد هاشم من المساءلة الرادعة سوف يفسح المجال للعشرات من أمثال خليل في مجال التأليف المخرب، وللعشرات من أمثال محمد هاشم من الناشرين المخربين. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

في نيجيريا تخرج الملايين من الناس ، لتجتمع في صعيد واحد مطالبة بتطبيق الشريعة، فبدأ ولاية تلو أخرى بتطبيقها، بالرغم من معارضة الغرب النصراني ، أما في مصر أم الدنيا ، بلد الأزهر ، كما يسمى بها الأشقاء المصريون ، وفي أرض الكثافة كما يسمى بها الأشقاء العرب ، فالشريعة الإسلامية لديهم انتهت مدة صلاحيتها ، لذلك يتوجب علينا أن نلقاها في سلة المهملات ، ليكون مصيرها الحرق في مقاالت قمامنة القاهرة .

في مصر تصدر المحكمة الإدارية في القاهرة ، في مطلع شهر 7 / 2001 م ، قراراً بإغلاق صحيفتي (النبا) و (آخر نبا) ، لأنها أساءت لشاعر الأقباط ، بنشر صور فاضحة ، انحرافات جنسية لراهب مطرود من الدير ، مما أثار تظاهرات غاضبة للأقباط . وهذا القرار عادل بلا أدنى شك ، فديتنا لا يقبل هذا الفعل .

ولكن ؟ ماذا عن إساءة مشاعر المسلمين ؟ ! وماذا عن الإساءة لكتاب الله ؟ ! وماذا عن الإساءة لرسول الله ؟ ! وماذا عن الاجتراء على الله ؟ ! لقد رفعت قضايا ضدَّ من قاموا بذلك ، ولكن ؛ هل اتخذت تلك المحكمة قراراً مشابهاً . . . ؟ ! الذي نعلم أنه تم إغلاق الصحف التي دافعت عن مقدسات الأمة ، بدعوى الإرهاب الفكري للمبدعين . . . !!

وفي خضم هذه الموجة ، ومع ضعف نور الإسلام ، وأفول شمسه ، وتحوُّل النفاق إلى كفر بواح ، وتلاشي تام للخجل . حينها تكون بطشة ربك الكبرى ، على الأبواب ، بما كسبت أيديهم ، لنعود إلى قوله تعالى : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهِلْكَ الْقَرَى حَتَّىٰ يَتَعَثَّثَ فِي أَمْهَارِ سُلُّوْكٍ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ أَبَيَّنَتَا وَمَا كُنَّا مُهِلِّكِي الْقَرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَلِيمُونَ » (59 القصص ) ، ورحمة من ربكم ، بعث رسلاه الكرام ، مبشرين بعظيم ثواب الدنيا والآخرة ، ومنذرين من بأسه الشديد في الدنيا والآخرة ، ول يكن الدخان نذيراً لأهل مصر ورحمة بهم ، حتى يوقظهم من غفلتهم لعلمهم يرجعون ، مصداقاً لقوله : « ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهِلْكَ الْقَرَى بِظَلَمٍ وَأَهْلُهَا غَنِيَّوْنَ » (131 الأنعام ) ، قوله : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهْلِكَ الْقَرَى بِظَلَمٍ وَأَهْلُهَا مُضْلِلُوْنَ » (117 هود ) . « قَدْ كَفَرُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » .

قال تعالى : « وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهِيَ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدُنْ أَدُنْ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ أَمْتُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَعْدَ أَبِيهِمْ مُخْلِفُوْنَ بِاللَّهِ

لَكُمْ لِيَرْضُوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوْهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ مُخَادِدُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ حَلِيلًا إِبِهَا ذَلِكَ الْجِزَى الْعَظِيمُ ﴿٢﴾ مَنْذَرُ الْمُتَفَقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَزِّلُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَغْفِرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذِرُونَ ﴿٣﴾ وَلِئِن سَأَلْتُهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَحُنُ خُوْصٍ وَلَنْعَبْ قُلْ أَبِإِللَّهِ وَإِبِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنَّمْ تَسْتَغْفِرُونَ ﴿٤﴾ لَا تَعْذِرُوا فَقَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَالِيفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبْ طَالِيفَةً بِأَهْمَمِ كَانُوا مُخْرِجِهِمْ ﴿٥﴾ الْمُتَفَقُونَ وَالْمُتَفَقِّهُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَاونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَوْقِضُونَ أَنْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْهُمْ إِنَّ الْمُتَفَقِّهِنَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَفَقِّهِنَ وَالْمُتَفَقِّهُونَ الْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ حَلِيلِهِنَ فِيهَا هِيَ حَسِيبَهُرْ وَلَعَنْهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٧﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ فُؤَادًا وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدَا فَأَسْتَمْتَعُوا بِحَلِيقِهِمْ فَأَسْتَمْتَعْ بِحَلِيقَكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِحَلِيقِهِمْ وَحَضْتُمْ كَالَّذِي حَاضَوْا أَوْلَئِكَ حَبَطْتُ أَعْمَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿٨﴾ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمُ أُولَاءِ بَعْضُ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ الْصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَرَةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ سَيِّرَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِ تَحْرِي مِنْ خَتِّهَا الْأَنْهَرُ حَلِيلِهِنَ فِيهَا وَمَسِكِنَ طَيِّبَةَ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾ يَأْتِيَ الَّذِي جَهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُتَفَقِّهِنَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِقَسْ الْمَصِيرُ ﴿١٢﴾ مَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفَّرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُوا بِمَا تَرَبَّلُوا وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوْبُوا إِلَيْكُمْ خَيْرٌ لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا إِعْذِبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا هُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ قَلِيلٍ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لِيَرْتَءِ إِنَّا أَتَنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَدِقَنَ وَلَنَكُونَنَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا آتَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَحْلِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُغْرِضُونَ ﴿١٥﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْلَّقْوَنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِرَهُمْ وَنَجْوَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَمَ الْغَيْوَبِ ﴿١٧﴾ (78 التوبه).

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْدَ لَهُمْ عَذَابًا ثُمَّهُنَّا» (٥٧ الأحزاب).

## الفصل الرابع:

### يوم نبطش البطشة الكبرى

وهكذا تكون قد عايشنا أجواء المشهد الثالث، قبل الأخير، من فصول سورة الدخان، وبقي المشهد الرابع والأخير، المشهد الأكثر رعباً، إنها البطشة الكبرى، التي ينتقم فيها رب العزة ممن آذوا رسوله، وهو وعد خاص لمحمد عليه الصلاة والسلام، ولا يخالف الله وعده، قال تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَدُ» ، وقال: «فَلَا تَحْسِنَ اللَّهُ مُحْكِفٌ وَعَدِيْدٌ رَسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ» (47 إبراهيم).

أما المؤمنون، فربهم أعلم بهم، وهو كفيل بأن يقيهم العذاب، حيث وعدهم بالنصر كما وعد رسالته «وَلَقَدْ أَرَزَّنَا مِنْ قَاتِلِكَرِسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا أَنْصَرُ الْمُؤْمِنِينَ» (47 الروم)، ووعدهم بالنجاة كما وعد رسالته، قال تعالى: «فَهُنَّ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ فَلِيهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوْا إِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُنْتَظَرِينَ شَهِيدٌ نَّجَّحَ رُسُلُنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» (103 يونس).

وبعد جدال طويل، لمؤمن آل فرعون، مع أئمة الكفر من قومه، في حوار يتد من الآية 28 في سورة غافر وحتى الآية 44، يقول لقومه: «فَسَتَدْكُرُوْنَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَنْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَنَهُ اللَّهُ سَيِّقَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِهِمْ فِرْعَوْنُ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعَرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوْا وَعَشِيَا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخُلُوا إِلَى فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ».

#### ماهية هذه البطشة:

البطشة وصفها الله تعالى بالكبرى، ونعلم أن بطش الله شديد، وقد وصف عذاب قوم لوطن بالبطشة، أما هذه فوصفها بالكبرى، فتخيل مدى عظمة هذا الأمر. وهي إما أن تكون بفعل إلهي خاص وظاهر، كعذابات الأقوام السابقة، كالخسوف والزلزلة والصيحة والريح وغيرها، أو تكون بأيدي جنود الله من بشر أو غيره، يُنْقَدُونَ تلك البطشة. أو غير ذلك، والله أعلم.

ولكن؛ هل سيكون مكانها هو مصر؟ ويكون حيث ظهر الدخان؟ وهل سيتمتد إلى غيرها من البقاع؟، لنقرأ معاً ما ورد في أسفار التوراة من أخبار تنذر بخراب مصر وحريقها بالنار، وجفاف النيل وروافده، عبر النصوص التالية:

- نص من سِفْر إِشْعَيَا، وَهُوَ السِّفْر الأَقْل تشويباً وَتُحْرِيفاً، وَهُوَ السِّفْر الَّذِي مازال يحتفظ بنصوص البشرى ، بِمُحَمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِلَيْكَ نَصْهُ :

إِشْعَيَا : 19 : 16.1 : نُبُوَّة بَشَانْ مِصْر، هَا هُوَ الرَّب... يَرْكِب سَحَابَةَ سَرِيعَةٍ، فَتَرْجِفُ أَوْثَانَ مِصْر فِي حَضُورِهِ، وَتَذُوبُ قُلُوبَ الْمُصْرِيِّينَ فِي دَاخْلِهِمْ، وَأَثْيُرُ الْمُصْرِيِّينَ عَلَى الْمُصْرِيِّينَ فِي تِحْارِبَوْنَ، وَيَقُولُ الْوَاحِدُ عَلَى أَخِيهِ، وَالْمَدِينَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَالْمَلَكَةِ عَلَى الْمَلَكَةِ، فَتَذُوبُ أَرْوَاحَ الْمُصْرِيِّينَ فِي دَاخْلِهِمْ، وَأَبْطَلُ مُشَوِّرَتِهِمْ، فَيَسْأَلُونَ الْأَوْثَانَ وَالسُّحْرَةَ وَأَصْحَابَ التَّوَاعِيدِ وَالْعَرَافِينَ، وَأَسْلَطَ عَلَى الْمُصْرِيِّينَ مَوْلَى قَاسِ، فَيَسُودُ مَلْكٌ عَنِيفٌ عَلَيْهِمْ، هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُ الْقَدِيرُ.

وَتَنْضَبُ مِيَاهُ النَّيلِ، وَتَجْفُ الأَحْواضُ وَتَيَسِّ، تُتَنَّ القَنَوَاتُ، وَتَتَاقِصُ تَفَرَّعَاتُ النَّيلِ وَتَجْفُ، وَتَتَلَفُ الْقَصْبُ وَالْأَسْلُ، وَتَذَبَّلُ النَّبَاتَاتُ عَلَى ضَفَافِ نَهْرِ النَّيلِ، وَالْحَقْولُ وَالْمَزَرُوعَاتُ كُلُّهَا تَجْفُ، وَكَانَهَا لَمْ تَكُنْ مَخْضُرَةً. فَيَشَنُ الصَّيَادُونَ وَطَارِحُو الشَّصْوَصِ فِي النَّيلِ وَيَنْجُونَ، وَيَتَحَسَّرُ الَّذِينَ يُلْقَوْنَ شَبَاكِهِمْ فِي الْمَيَاهِ، وَيَتَوَلَّ الْيَأسُ قُلُوبَ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الْكَتَانَ الْمَشْتَطَ، وَيَفْقَدُ حَائِنُوكُ الْكَتَانَ الْفَاخِرَ كُلَّ أَمْلٍ، وَيُسْحَقُ الرِّجَالُ، أَعْمَدَةُ الْأَرْضِ، وَيَكْتُبُ كُلَّ عَامِلٍ أَجَيرٍ.

رُؤْسَاءُ صَوْعَنْ حَمْقِيَ، وَمُشَوِّرَاتُ أَحْكَمِ حَكْمَاءِ فَرْعَوْنَ غَيْبَةً ، كَيْفَ تَقُولُونَ لِفَرْعَوْنَ، نَحْنُ مِنْ نَسْلِ حَكْمَاءِ، وَأَبْنَاءِ مَلُوكِ قَدَامِيَ؟! أَيْنَ حَكْمَاؤُكُ يَا فَرْعَوْنَ، لِيَطْلُعُوكُ عَلَى مَا قَضَيْتُ بِالْرَّبِّ الْقَدِيرِ عَلَى مَصْرِ؟! قَدْ حَمِقَ رُؤْسَاءُ صَوْعَنْ، وَانْخَدَعَ أَمْرَاءُ نُوفِ، وَأَصْلَى مَصْرُ شَرْفَاءَ قَبَائِلُهَا. جَعَلَ الْرَّبُّ فِيهَا رُوحَ فَوْضَى، فَأَضْلَلَوْا مَصْرَ فِي كُلِّ تَصْرِفَاتِهَا، حَتَّى تَرَنَّحَ كَرْتَاجُ الْسَّكِرَانَ فِي قِيَمِهِ، فَلَمْ يَقِنْ لِعُظُمَائِهَا أَوْ أَدْنِيَائِهَا مَا يَفْعَلُونَ فِيهَا. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَرْتَعُ الْمُصْرِيُّونَ كَالنِّسَاءِ، خَوْفًا مِنْ يَدِ الْرَّبِّ الْقَدِيرِ الَّتِي يَهْزِئُهَا فَوْقَهُمْ .

- وَمَقْتَطِفَاتٌ مِنْ نَصِّ آخِرِ إِرْمِيَا، يُنْبَئُ بِخَرَابِ مَصْرِ:

إِرْمِيَا : 46 : 13. : النُّبُوَّةُ الَّتِي أَوْحَى بِهَا الرَّبُّ إِلَى إِرْمِيَا النَّبِيِّ، عَنْ زَحْفِ نَبُوَّخَذِ نَصْرِ الْهَاجِمَةِ مَصْرُ: أَذْيَعُوا فِي مَصْرَ، وَأَعْلَنُوا فِي مَجْدَلٍ، خَبَرُوا فِي مَغْفِسٍ، وَفِي تَخْفِنِيسٍ، قَوْلُوا: قِفْ مَتَاهِيَا لَأَنَّ السِّيفَ يَلْتَهِمْ مِنْ حَوْلِكَ. ... فَنَقُولُ بِقِيَةِ الْيَهُودِ آنَذَاكَ: "قَوْمُوا النَّرْجِعَ إِلَى قَوْمَنَا، وَإِلَى أَرْضِ مَوْطَنَنَا، هَرِيَا مِنَ السِّيفِ الطَّاغِيِّ". وَيَهْتَفُونَ هَنَاكَ: "إِنْ فَرْعَوْنَ مَلِكُ مَصْرِ، لَيْسَ سَوْي طَبْلَ أَجْوَفِ، أَضَاعَ فَرْصَتَهِ". ... تَاهِبُوا لِلْجَلَاءِ يَأْهُلُ مَصْرَ، لَأَنَّ مَغْفِسَ مَصْرِ، سَتَصْبِحُ أَطْلَالًا، وَخَرِيَا مَهْجُورًا. مَصْرُ عَجْلَةٌ فَاتَّنَةٌ هَاجِمَهَا الْهَلَاكَ مِنَ الشَّمَالِ، حَتَّى مَرْتَزِقَهَا فِي وَسْطِهَا كَعْجُولٌ مَسْمَنَةٌ، قَدْ نَكْصَوْا عَلَى أَعْقَابِهِمْ هَارِبِينَ مَعًا، وَلَمْ يَصْمِدُوا لَأَنَّ يَوْمَ بِلَانِتِهِمْ، قَدْ حَلَّ بِهِمْ فِي وَقْتِ عَقَابِهِمْ ... .

- ومقططفات من نص آخر لحزقيال، يُنبئ بخراب مصر:

حزقيال: 30: وأوحى إلى الرب بكلمته قائلاً: يا ابن آدم، تنبأ، وقل: ...، إن يوم الرب بات وشيكاً، ...، إنه يوم مُكْهَر بالغيوم، ساعة دينونة (نهاية) للأمم، إذ يُجرِّد سيف على مصر، فيعم الذعر الشديد إثيوبيا، عندما يتهاوى قتل مصر، ويستولي على ثروتها، وتُقْضى مصر، ثم تسقط معهم بالسيف، إثيوبيا وفوط ولود، وشبه الجزيرة العربية وليبيا، وشعوب الأرض المتحالف معهم ... فيتهاوى سُكّانها من مجده إلى أسوان... فتصبح أكثر الأرضي المفترسة وحشة، وتُضحى مُدُنها أكثر المدن خراباً ... في يوم هلاك مصر، الذي لا بد أن يتحقق.

لأنني سأفي جماهير مصر بيد نبوخذنصر ملك بابل، إذ يُقبل جيشه، أعني جيوش الأمم لخراب ديار مصر، فيُحرِّدون عليها سيفهم، ويلقون أرضها بالقتل، وأجفف مجرى نهر النيل، وأبيح الأرض لقوم أشرار، وأخرب البلاد فيها يد الغرابة، أنا الرب قد قضيت. ثم أحطم الأصنام، وأزيل الأواث من عفيس، ولا يبقى بعد، رئيس في ديار مصر، وألقي فيها الرعب. «ولقد أندَرُهُم بِطَشَّتَنَا فَتَمَازَوْا بِالنُّذُرِ».

قال تعالى في سورة القمر: «كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٌ بِالنُّذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا لُوطٌ مُحِبِّتُهُمْ يَسْخَرُونَ نَعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ تَخَبَّرُ مِنْ شَكَرٍ» ولقد أندَرُهُم بِطَشَّتَنَا فَتَمَازَوْا بِالنُّذُرِ ولقد رَوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ، فَطَمَسْنَا أَغْيِبَتِهِمْ فَذَوَفُوا عَذَالِيَّ وَنُذُرٍ ولقد صَبَحُهُمْ بَكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقْبَلٌ فَذَوَفُوا عَذَالِيَّ وَنُذُرٍ ولقد يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ» (40 القمر). «فتَمَازَوْا بِالنُّذُرِ»: الماء، هو الإكثار في الجدال بلا طائل، بغية إلباس الحق بالباطل، والصورة التي تشكلت لدينا مما جاء من معاني في لسان العرب هو أن قوم لوط عندما انزفهم وحذَّرُهم عليه السلام من العذاب، استهزَّوا به وتحذيره، بل وطبقوا في مجالسهم يتبارون فيما بينهم أقوى حجة، بكل ما أتوا من ملكات وبيان، لاستخراج واستبطاط البراهين، لتفنيد ما يدعوه لوط من قدرة ربِّه على إهلاكهم، دون أن يألوا جهداً في التشكيك بذلك، مظهرين أكبر قدر من الصلابة والثبات، في مواقفهم المخالفة للوط عليه السلام، وأكبر قدر من الخصومة لما يدعوه من الحق، فيما يقول. وهذا ما يقوم به - عادة - المدافعون عن الباطل، لإضلال الناس، ونخشى أن هذه الصورة كثيراً ما نراها في هذه الأيام. قال تعالى: «وَمَا تُرِيمُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَمُجَدِّلِينَ كَفَرُوا بِالْبَيْطِلِ لَيُذْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَأَخْذُوا بِآيَتِيَ وَمَا أَنْذَرُوا هُرُوا» (56 الكهف).

ولكن؟ هل يفيد هذا الإنذار، السابق للعذاب؟ نقول: نعم، لولم يكن فيه فائدة، لما أنزله الله في

كتابه:

أولاً: إذ لو عادوا عما هم عليه، لرفع عنهم العذاب، كما رُفع عن قوم يonus عليه الصلاة والسلام، وأما التأكيد على أنهم سينزل بهم، كان لسبق علم الله، بما سيكون من إصرارهم على ما هم عليه، بعد كشف الدخان.

ثانياً: وربما سيكون هناك عودة، على المستوى الفردي، فيغفر الله لهن يشاء ويغفر من يشاء.

ثالثاً: ليكون في هذا كله عبرة لمن يعتبر. قال تعالى: «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلآخَرِينَ» (الزخرف: 56).

### مسألة إهلاك العامة والخاصة:

قد يستذكر البعض إهلاك الله للعامة، كونهم مسلمين ... ! نقول إن ربهم أعلم بهم، وهو الأقدر على كيفية التعامل معهم، وحكمه في خلقه عدل، وقضاؤه فيهم حق.

- وما قاله رب العزة في سنن إهلاك القرى، موضحاً أسباب استحقاق أهلها للعقاب بفعل ساداتها :

قال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَبَرَ مُجْرِمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا يُنْفَسِيُّونَ وَمَا يَشْعُرُونَ» (آل الأنعام: 123)، وقال: «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُتَرْفِهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقٌّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَذَمِيرًا» (آل الإسراء: 16).

- وأما أسباب استحقاق العامة للعقاب، كما يبيّنها لهم بأنفسهم :

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنِ الْكُفَّارِ وَأَعَدَ لَهُمْ سَعِيرًا حَلَّلِينَ فِيهَا أَبْدَأَ الْمَجْدُونَ وَلِيَاوَلَا نَصِيرًا تَوْمَ تُقْلِبُ بُوْجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلِيلَنَا أَطْعَنَا اللَّهُ وَأَطْعَنَا الرَّسُولُ وَقَالُوا زَيْنَاتَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضْلَلُنَا السَّيْلًا زَيْنَاءَ اهْرَمْ ضَعْفَنِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنَانَ كَبِيرًا يَتَأْيَأُّهُ الَّذِينَ أَمْنَرُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ أَذَّا مُؤْمِنَ فَبَرَاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهًا يَتَأْيَأُّهُ الَّذِينَ أَمْتَوْا أَنْقُوا اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» (آل الأحزاب: 70).

وقال تعالى أيضاً: «فَكَيْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَافُونَ وَجَنُودُ إِنْلِسِ أَجْمَعُونَ فَالْأَوَّلُو هُمْ فِيهَا مُخْتَصِمُونَ تَالَّهِ إِنْ كُنَّا لِيَ ضَلَّلُ مُبِينًا إِذْ نَسُوْكُمْ بِرَبِّ الْعَلَمِينَ وَمَا أَضْلَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ وَلَا صَدِيقِ حَمِيمٍ» (آل الشعراء: 101).

وقال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ نُؤْمِنَ بِهِنَّذَا الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّلَمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ آسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ آسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْشَأْتَ لَكُنَا مُؤْمِنِينَ» (آل سباء: 31).

وذلك بسبب طاعتهم وتاليهم لسادتهم وكبارهم من المجرمين، ورضاهم واتباعهم لنهج كبارهم، سواء كان ذلك كرهاً أم طوعاً، وممارستهم للفساد والإفساد؛ كُلٌّ حسب طاقته. وفساد الحكام عادة ما يكون مسبواً بفساد الشعوب وانحرافها، وليس العكس كما يتصور الكثير من المنظرين، الطامعين في السلطة، صابين جام غضبهم على الحُكَّام، والأجدى بهؤلاء والأجدر بأن يشعروا بالرثاء حال الملوك، والإشراق عليهم من حسابهم العسير، بين يدي ملك الملوك، إن كانوا من الظالمين، ولصلحوا أنفسهم أولاً، ورب العزة كفيل، بأن يولي عليهم من هو خير منهم. قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الرعد: 11).

وتدبر دعاء نوح عليه السلام على قومه، حيث شملت دعوته من هم في ظهور آبائهم: «إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضْلُّو عَبَادَكَ وَلَا يَلِدُو إِلَّا فَاجِرًا كَفَارًا» (نوح: 27).

وتفكر وتدبر في قصة أصحاب السبت، فيما يلي من آيات:

«وَسَفَّهُمْ عَنِ الْقَرْنَيْهِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَخْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبِّتِهِمْ شَرُعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَئْنُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَبْلُوُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴿٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُمْ لَهُمْ لَمْ تَعْظُمُنَّ قَوْمًا أَنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مُعَذِّرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَقَّدُونَ ﴿٣﴾ فَلَمَّا أَشْوَأُوا مَا ذَكَرُوا بِهِ أَهْبَطْنَا الَّذِينَ يَتَهَوَّنُونَ عَنِ الْأَشْوَاءِ وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيْسِرٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴿٤﴾ فَلَمَّا عَتَّوْا عَنْ مَا نَهَوْنَا عَنْهُ فَلَنَا لَهُمْ كُوْنُوا قَرَدَةً حَسِيْرِينَ» (الأعراف: 166).

إذن؛ هناك نجاة لمن ينهون عن السوء أولاً، ومن ثم هناك عذاب للذين ظلموا ثانياً، بما كانوا يفسدون، والفسق اصطلاحاً هو الخروج من الدين، ولاحظ هنا أن النجاة، كُتُبَتْ لِمَنْ أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فهل نجزء أو نقوى هذه الأيام على فعل ذلك، وإيمان الواحد منا على حرف، وخوفنا على فقدان متع الحياة الدنيا، أشدُّ من خوفنا من أمر الله ...؟

قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأْنَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ذَلِكُ هُوَ الْحُسْنَانُ الْمُتَّيْنُ» (الحج: 11).

وعن حُذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكَتَبَ أَسْأَلَهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةِ وَشَرِّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَذِبِي، تَعْرِفُهُمْ وَتَنْكِرُهُمْ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ دُعَاءً إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مِنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدْفُوهُ فِيهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدِنَا

وَيَتَكَلِّمُونَ بِالسِّنَّةِ، قَلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَذْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قَلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَرَفْتُ بِإِنْكَ الْفِرَقَ كُلُّهَا، وَكَوْنَكَ تَعَصُّ بِأَصْلِ شَجَرَةً، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ». رواه البخاري ومسلم، وأخرجه الترمذى والنمساوى وأبو داود وابن وأحمد.

وعن سعيد الخدري رضى الله عنه، قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وما له، قالوا: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتغىي الله، ويبدع الناس من شره». رواه البخاري ومسلم، وأخرجه وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

وقال تعالى: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (25 الأنفال).

«وَلَا تَحْسَبْنَ اللَّهَ غَيْرَلَا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ» .

قال تعالى: «وَلَا تَحْسَبْنَ اللَّهَ غَيْرَلَا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤْخِرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ ۖ مَهْطِيعِنَ مُقْبَيِرُهُ وَسِرْمَ لَا يَرَنُ إِلَيْهِمْ طَرْفَهُمْ وَأَفِيدُهُمْ هُوَ إِنَّمَا يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّا أَخْرَنَا إِلَى أَجْلِ قَرِيبٍ يُغْبَتُهُ عَوْنَكَ وَنَتَّيَعُ الرَّسُلُ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَفَسَتمُ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ رَوَالٍ ۖ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۖ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرُهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَرْزُولُ مِنْهُ أَجْيَالٌ ۖ فَلَا تَحْسَبْنَ اللَّهَ مُحْلِفًا وَعَدِيهِ رَسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ» (47 إبراهيم) ....  
 «هَذَا أَبْلَغُ لِلنَّاسِ وَلَيَسْرُوا بِأَيْمَانِهِ وَلَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُرِئَ إِلَهٌ وَجَدْ وَلَيَذَكِّرُ أُولَئِكُمُ الْأَنْبِيَاءُ» (52 إبراهيم).

مَنْ هُمُ الظَّالِمُونَ؟ وَمَنْ هُنَّ الْقَرِي الظَّالِمَةُ؟

جاء في إهلاك القرى الظالمه :

«وَسَكَنَيْنِ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخْدَنْتُهَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» (48 الحج).  
 «وَكَذَلِكَ أَخْدُرِيكَ إِذَا أَخْدَ الْقَرِي وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخْدَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» (102 هود).  
 «فَتَلَكَ بَيْوَتُهُمْ خَاوِيَّةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (52 النمل).  
 «وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا مَاخْرِبَنَ» (11 الأنبياء).  
 «وَكَذَلِكَ نُؤْلِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۖ ... ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبِّكَ مُهِلَّكَ الْقَرِي بِظَلَمِهِ وَأَهْلَهَا غَيْلُونَ» (131 الأنعام).  
 «قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَتَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهَرَهُ هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا قَوْمٌ الظَّالِمُونَ» (47 لأنعام).

- بعض من صور الظلم من المنظور الإلهي، على المستويين الفردي والجماعي:
- ادعاء البشر للألوهية: «وَمَن يَقُلُّ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ مِنْ دُونِهِ، فَذَلِكَ تَجْزِيهٌ جَهَنَّمَ كَذِيلَكَ تَجْزِي
  - الظَّالِمِينَ**» (29 الأنبياء).
  - الشرك بالله: «وَإِذَا قَالَ لَهُمْ لَقَمْنُ لَأَبْنِيهِ، وَهُوَ بِعِظَمَهُ يَبْشِّرُهُمْ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَتَظْلِمُهُمْ عَظِيمٌ» (13 لقمان).
  - الشرك في الدعاء: «وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَسْعُكُ وَلَا يَصْرُكُ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ
  - الظَّالِمِينَ**» (106 يونس).
  - التكذيب على الله أو بآياته: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِغَايَتِهِ إِنَّهُ لَا
  - يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**» (21 الأنعام).
  - الإعراض عن آيات الله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذِكْرِ بِغَايَتِ زِينَةِ ثُمَّ أَغْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنْ
  - الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**» (22 السجدة).
  - الكفر بعد الإيمان: «كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهَدُوا أَنَّ الْرَّسُولَ حَقٌّ
  - وَجَاءَهُمْ أَلْيَتْتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (86 آل عمران).
  - إنكار البعث وقدرة الله على الخلق: «أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ
  - عَلَى أَنْ خَلْقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَبِّ فِيهِ فَأَبْيَانِ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا» (99 الإسراء).
  - التكذيب المسبق بدون علم، من أخذتهم العزة بالإثم: «بَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ
  - وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذِيلَكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ الظَّالِمِينَ» (39 يونس)
  - الخوض في آيات الله: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ مَخْوِضُونَ فِي مَا يَتَبَشَّرُونَ فَأَغْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْوِضُوا فِي
  - حَدِيثِ شَيْرِهِ وَإِذَا رَأَيْتَ الشَّيْطَانَ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الْذِكْرِي مَعَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (68 الأنعام).
  - تكذيب الرسل: «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَبُوهُ فَأَخْذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ»
  - (113 النحل).
  - اتهام الرسل بالمس، إنكاراً للوحى: «إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّ تَشْيَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا»
  - (47 الإسراء).
  - اللهو والتجمニー على الرسل في السر والعلن: «لَا هِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا الْتَّجْوِيَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
  - فَلَمْ هَذَا إِلَّا بَنَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُوكُمْ الْسِّخْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» (3 الأنبياء).
  - اتهام الرسول بالكذب والتعلم من البشر: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ أَفْتَرَهُ
  - وَأَعْانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُ وَظُلِمُوا وَزُورُوا» (4 الفرقان).

- الإعراض عن هدي الرسل واتباع سبلهم: «وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُونَ عَلَىٰ يَدِنِيهِ يَقُولُ يَأْتِيَنِي أَخْتَدُتْ مَعَ الْرَّسُولِ سَيِّلًا» (27 الفرقان).
- منع ذكر الله في المساجد والسعى في خرابها: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنْ نَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَهُ وَسَعَىٰ فِي حَرَابِهَا» (114 البقرة).
- كم ما أُوتِي الناس من علم من عند ربهم: «فَلَمَّا آتَنُّمُ أَعْلَمَ أُمِّ الْلَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَثَمَ شَهَدَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ» (140 البقرة).
- شهادة الزور: «فَيَقُسِّمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتْهُمَا وَمَا آعْتَدَنَا إِنَّا إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ» (107 المائدة).
- اتباع الهوى: «فَبِلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا هُمْ مِنْ تَصْرِيرِينَ» (29 الروم).
- اتباع أهواء أهل الكتاب: «وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ» (145 البقرة).
- معصية أمر الله: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ» (35 البقرة).
- الاعتداء على حدود الله: «فِتْلُكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (229 البقرة).
- القتل وسفك الدماء: «إِنَّ أَرِيدُ أَنْ تَبُوا بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ» (29 المائدة).
- الحكم بغير ما أنزل الله: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (45 المائدة).
- الاستكاف عن القتال في سبيل الله: «فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» (246 البقرة).
- خيانة العهد ونكران المعروف: «وَرَدَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقْتُ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّ أَحْسَنِ مَقْوَايِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» (23 يوسف).
- موالة الذين يقاتلون المسلمين، ويخرجنهم من ديارهم: «إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَرِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنَّ تَوَلُّهُمْ وَمَنْ يَتَوَلُهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (9 المتنحة).
- موالة اليهود والنصارى: «يَأْتِيَنَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشْخُذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلُهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (51 المائدة).

- موالة الكافرين ولو كانوا أولي قربى : « يَتَأْبِيَ الَّذِينَ أَمْنُوا لَا تَسْخِذُوا أَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلَيَاءِ إِنْ أَسْتَحْبُوا الْكُفَّارَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (23 التوبية).

- ازدراء فقراء المؤمنين والإعراض عنهم : « وَلَا تَنْهَرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوَةِ وَالْعَيْنِي بُرِيدُونَ وَجَهُهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابٍ هُمْ مِنْ شَنِئِي وَمَا مِنْ حِسَابٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَنِئِي فَنَتَرُدُّهُمْ فَتَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ » (52 الأنعام).

- الاستهزاء بالآخرين والتقليل من شأنهم : « يَتَأْبِيَ الَّذِينَ أَمْنُوا لَا يَسْخِذُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نَسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونُ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِرُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابِرُوا بِالْأَلْقَبِ بِشَنِئِ الْأَسْمَمِ الْفَسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَتَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (11 الحجرات).

- الاستعاضة عن الإيمان بالله واليوم الآخر، والجهاد في سبيله، بخدمة الحاجاج : « أَجَعَلْنَا سِقَابَةَ الْحَاجَ وَعَمَارَةَ الْمَسِيْدَ الْحَرَامَ كَمَنَ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » (19 التوبية).

- حمل القرآن والعمل بتفصيل ما جاء به : « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الْتُّوزُرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْتَمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْتَمِلُ أَسْفَارًا بِشَنِئِ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَدُّبُوا بِعِيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » (15 الجمعة).

ولو رجعنا إلى الوراء قليلاً، واستذكرنا تلك الأقوام التي أهلكت لما « عَتَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ » (8 الطلاق)، لوجدنا أن أشكال الظلم التي مارستها تلك الأقوام تشابه إلى حد كبير، إن لم تكن تقل عمما تمارسه الأقوام المعاصرة. فهل تستحق الأقوام المعاصرة الهلاك؟ وإن كانت كذلك أليس هلاكها بقرب؟!.

« وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةٌ مِمَّا تَعُدُونَ » .

قال تعالى : « إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَرُوقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَرُ وَبَلَقَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظْهَنُونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا » (10 الأحزاب)، كان هذا حال صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، أكثر الناس إيماناً وعزيمة وصبراً وثباتاً على دينهم، لقد بلغ منهم الخوف مبلغاً عظيماً، حتى ساورتهم الشكوك والظنون، في غزوة الأحزاب، عندما تألف عليهم من بأقطارها، من ملل الكفر والشرك، جمعها اليهود الحاقدون، لمواد دولة الإسلام الحديثة، خوفاً من ضياع السيطرة اليهودية على مجريات الأمور في الجزيرة العربية، بإثارة الفتنة والحروب بين القبائل، حيث كان اليهود المرجعية الاستشارية لشركي قريش وغيرهم من القبائل، فيما يتعلق بأساطير الأولين.

وفي العالمين العربي والإسلامي - شرقاً وغرباً - يشعر بعض الناس بالإحباط واليأس. والخوف، من الوضع المتأزم الذي يعيشونه في السنوات الأخيرة إجمالاً، وفي هذه الأيام على وجه الخصوص، وهم يشاهدون ما يجري على أرض الإسراء والمعراج وغيرها، من هجمة شرسة يشنها الصهانية في الشرق، مدعومين بصفاهنة الغرب، مثل أولئك في هذا الزمان يقول سبحانه وتعالى قبل ما يزيد على 1400 سنة، في كتابه المجيد، في نهاية سورة النحل، قبل أن يبدأ في الإخبار عن وعد الآخرة في السورة التي تليها:

**﴿وَإِنْ عَاقِبَتُمُّ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوْقَبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾** **﴿وَاصْبِرُوهُمَا صَبَرْتُكُمْ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَخْرُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَنْكِفْ ضَيْقِيَّمَا يَمْكُرُونَ ﴾** **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ آتَقْوَا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾**.

وفي معرض تعقيبه على وعد الآخرة، يقول:

**﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنَ بِالشَّرِّ دُعَاءً، بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولاً﴾** (11 الإسراء).

ويقول أيضاً في السورة نفسها: **﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ أَغْرَضْنَاهُ تَجَانِبِيهِ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوْسَأُ﴾**.

ويقول في سورة قُصْلَتْ: **﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ أَغْرَضْنَاهُ تَجَانِبِيهِ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوْسَأُ﴾**.

وعن صحيب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبنا لأمر المؤمن، إن أمره كلهُ خيرٌ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً لهُ، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً لهُ». رواه مسلم.

كثير من الناس - بعدهم عن القرآن والسنة - لا يفهمون الكثير من الغايات والمقداد الإلهية ، من تصريف أمور الناس بالشكل المنظور والمحسوس ، وخاصة فيما يتعلق بالابتلاء ، سواء بالخير أو الشر ، **﴿وَتَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾** (35 الأنبياء) مع أن الله - سبحانه وتعالى - وضح وبين في كتابه العزيز للمؤمنين أن عاقبة الأمور هي ما يجب أن نُركّز عليه أنظارنا وعقولنا وقلوبنا ، وأن نتعلق آمالنا دائمًا وأبداً على العاقبة؛ أي المتهنى الذي ستؤول إليه الأمور فيما بعد ، سواءً في الدنيا أو الآخرة ، مهما طال الزمن أو قصر ، ولا نتعلق آمالنا على الواقع الذي نعيش فيه ، بعد غزو الأحزاب التي زعزعت قلوب المؤمنين فتحت مكة ، وكانت تلك الفتنة المؤمنة الصابرة والثابتة هي نفسها التي قادت جيوشاً للتزلزل عروش أكبر دول الكفر والطغيان ، في ذلك الزمان .

كان يوسف عليه السلام قد أُبعد عن أبيه طفلاً، ورمي في البئر، وأخذ من قبل أناس غرباء إلى أرض غريبة، ويع عبداً بدارهم قليلة، وعاش غريباً حتى بلغ أشده، وأتهم بمراده زوجة سيده، وألقى في السجن سنتين طويلة. ولكن؛ بعد تلك المعاناة كلها، وفي نهاية المطاف، كان الأمر مختلفاً كلياً «وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ ثُمَّ صَبَرَ حَتَّى تَبَعَّدَ مَنْ نَشَاءَ وَلَا تُضِيقَ أَجْرَ الْمُخْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا جُرْأَآخِرَةَ خَيْرَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَقَوَّنَ» (57 يوسف).

ويؤكد سبحانه بأن بداية التمكين ليوسف كانت منذ دخوله لبيت العزيز، مع كونه دخله عبداً «وَقَالَ اللَّهُذِي أَشْرَنَهُ مِنْ يَصْنَعُ لِأَمْرِهِ أَكْثَرُهُ مَتَوْهُ عَسَى أَنْ يَنْقُعَنَا أَوْ يَتَخَذَهُ، وَلَدَّا وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْعَلَّمُهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»، ولكن الناظر إلى يوسف عبداً سجينًا قابعاً في زوايا النسيان والإهمال، ولو كان أكثر الناس تفاؤلاً، لم يكن يخطر بباله، أن حال هذا العبد السجين، المتهم بالخيانة، سيقلب رأساً على عقب، ليصبح وزير مالية مصر، أكبر دول العالم القديم؟! ولكن حكمة الله اقتضت، عكس ما قد يتصوره، أغلب الواقعيون من أناس ذلك العصر، وعلى رأسهم العزيز وامرأته. لذلك أكد سبحانه أن الناس - خاصة غير المؤمنين بالله تعالى - يُعانون في الغالب من قصر النظر والفكير بأنه قادر على تنفيذ مشيتيه في أقسى الظروف وأحلکها واستحالتها ، مخالفًا كل معطيات الواقع ، فهو الخالق لتلك الظروف والمعطيات والقوانين والأسباب ، لذلك قال في تكميلة الآية «وَاللَّهُ عَالِيُّ عَلَىٰ أُمُرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ، وفي سورة الروم ، يُوضّح سبحانه ، حقيقة ما يعلمه الناس ويؤمنون به ، في قوله «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» ، وظاهر الحياة الدنيا ، هو الواقع المشاهد.

أما بالنسبة لواقع الأمة الإسلامية الحالي ، وما يواجهه الشعب الفلسطيني من معاناة ، من قبل المفسدين الصهابية في الغرب والشرق ، فإن الله وعد المؤمنين بالنصر من عنده ، ووعد عدوهم قبل ثلاثة آلاف سنة بالعذاب إن أفسدوا في الأرض ، وقد أفسدوا فيها ما يزيد على خمسين سنة ، وبلغ إفسادهم هذه الأيام عنان السماء ، فهذا وعدان صدرًا ممَّا لا يخلف الميعاد ، ولكنَّ الأمر يحتاج إلى الإيمان بالله ، والصبر والثبات على الدين ، وعلى مواجهة عدوهم ، وحسن ظفهم بالله .

يقول سبحانه في شأن المفسدين في الأرض مخاطبًا رسوله وأمهاته : «وَتَسْتَغْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةٌ مَمَّا تَعْدُونَ» (47 الحج) وقال: «فَاقْصِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَمَا هُنْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ هَنَاءٍ بَلَّغُ فَهُنْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ» (35 الأحقاف).

## الفرق بين الميقات السماوي والميقات الأرضي:

عادة ما يشعر الإنسان -في حالات الفرح- بأن الزمن يتضمن كلمح البرق، فالأسبوع يمر وكأنه يوم، واليوم وكأنه ساعة، والساعة وكأنها دقيقة، أما في حالات الفراغ أو الحزن، فيشعر بأن الزمن يسير ببطء شديد، ويقاد أن يتوقف، فالدقيقة تمر وكأنها ساعة، والساعة وكأنها يوم، واليوم كأنه شهر، فالإحساس بالزمن أمر نسبي يعتمد على الحالة النفسية التي تعتري الإنسان بين حين وآخر.

وحتى لا يتخبط الإنسان في تقديراته للزمن تبعاً لحالته النفسية، اُخذت الأيام والشهور والسنون، وهي مقاييس ثابتة ومنتظمة، لاعتمادها على الحركة المنتظمة، والثابتة للأجرام السماوية التي أبدعها رب هذا الكون. وبقيت مسألة كيفية تقدير الزمن، بالنسبة لليوم الواحد، فاصطُلح على تقسيم اليوم إلى 24 ساعة، وال ساعة إلى 60 دقيقة، والدقيقة 60 ثانية. ويرى كثير من المسلمين أن فترة الظلم والإفساد على الأرض طالت جداً، وربما استطول أكثر عند البعض. وتقول هي في الميقات السماوي قصيرة جداً، وببساطة بسيطة، فإذا كان اليوم في الميقات السماوي يساوي ألف سنة بمقاييسنا، فقد مضى على دخول اليهود إلى فلسطين أقل من ساعة ونصف في الميقات السماوي ! .

لذلك؛ يشعر الناس على الأرض بطول الزمن وامتداده، فتجدهم يستعجلون الوعود الإلهية، بإهلاك القرى الظالمه وبنصر المؤمنين، ويعجبون من تأخرها، وأما أهل السماء فهم على العكس تماماً يرون أن العذاب أو النصر يتنزل على الناس بسرعة كبيرة جداً، وأن الأحداث تجري كلمح البصر، وهذا ما يؤكده الإخبار الإلهي عن الساعة في القرآن، حتى ظن صحابة رسول الله -من كثرة ما أكد سبحانه وتعالى على قربها- أن ستفعل في زمانهم، لذلك كان الناس آنذاك يُكثرون السؤال عنها، إشارةً من أمرها، وهذا قد مر أكثر من 1400 سنة، ولم تقم بعد، وهذه الحقيقة هي ما يقرره سبحانه وتعالى في مطلع سورة المعارج، حيث قال: (سَائِلُ بَعْدَابٍ ۝ سَأَلَ سَأِلَّ بَعْدَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مَرَّ اللَّهُ ذِي الْمَعَاجِ ۝ تَرْجُّ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً ۝ فَأَضَبَرَ صَبَرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَرَزَنَهُ قَرِيبًا ۝) (7 المعارج)، وقال تعالى: «فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِيُونَ» .

## الفصل الخامس:

### الطوفان الأُخِير وطوق النجاة

قال تعالى: «إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَخْتَلَطَ بِهِ، نَبَاثُ الْأَرْضِ مِمَّا يَكُلُّ النَّاسُ وَالْأَنْعَمُ حَتَّىٰ إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَّنَتْ وَظَرَّ، أَهْلُهَا أَهْلُمُ قَدِيرُونَ عَلَيْهَا أَنْهَا أَمْرَنَا لِيَلًاً أَوْنَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَغْرِبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ تُفْصِلُ الْأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (24 يونس).

هذه الآية تحمل في ثناياها سنة إلهية جاءت على شكل شرط وجواب للشرط ، والشرط ، «أَخْدَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَّنَتْ وَظَرَّ، أَهْلُهَا أَهْلُمُ قَدِيرُونَ عَلَيْهَا» ، هو أن تأخذ الأرض أبهى صورها ، وأن يُصبح أهلها منشغلين بظاهرها ، مفتونين بجمالها ، يبذلون قصارى جهدهم في تحصيل متاعها ، غافلين عن شكر خالقها وبيارتها ، ظانين أنهم قادرين - وبلا منازع - على تصرف شؤونها ، وشئون من على ظهرها من المخلوقات ، منتقدين قدر وقدرة ، خالقهم وخالقها.

أما جواب الشرط ، فهو مجيء أمر الله ، «أَتَتْهَا أَمْرُنَا لَيَلًاً أَوْنَهَارًا» ، وما هي أمر الله تتبين من النتيجة ، في تعقيبه سبحانه وتعالى ، «فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَغْرِبْ بِالْأَمْسِ» ، وهي خراب الأرض ، بزوال زينتها وزخرفها ، التي أشغلت الناس عن عبادة الله ، وهي تشمل كل ما تراه من حولك ، من مفاتن الحياة ، التي اغتر بها الناس ، إلا من رحم ربى .

وهذه السنة الإلهية قد تمضي في عصرنا ، كما مضت مراراً وتكراراً في الأمم ، كلما ابتعد الناس عن الغاية الإلهية من جعل الإنسان خليفة في الأرض ، ويعقب سبحانه أنه فصل الآيات ، وأن هذا الأمر المفصل في الآية مطروح للتفكير فيه ، بمعنى أنك متى عاينتَ ما أخبرت عنه الآيات ، متمثلاً على أرض الواقع ، فتوّقع أمر الله في أي لحظة ، هذا إنْ كنتَ مِنْ يَتَفَكَّرُونَ .

**الأمة الإسلامية فسقت عن أمر ربها وموعدة بالعقاب أيضاً:**

قال تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَفَتُمُوهَا وَتِبْيَرَةً تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسِكَنَ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ أَنْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، صُوا فَكَرَدَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهُدِي الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ» (24 التوبية).

وهنا شرط آخر خاص بأمة الإسلام، فإن تتحقق منها ما تُخبر عنه الآيات، فأمر الله أَنْ  
وأَفْلَهَ شَيْءٍ مِّنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ، وَنَقْصٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثِّمَرَاتِ، وَأَكْثَرُهُ الْهَلاَكُ  
الْعَاجِلُ فِي الدُّنْيَا، وَنَارُ جَهَنَّمُ فِي الْآخِرَةِ، هَذَا لِمَنْ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، مِنْ أَمْةٍ مُّحَمَّدٌ عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَمَّا مَنْ ضَرَبَ بِمَظَاهِرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَرْضَ الْحَاطِنَ، وَتَاجَرَ بِمَا عَنْدَ رَبِّهِ، فَأَمَّنْ  
وَصَبَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَأُولَئِكُمُ الْبَشَرُونَ مِنْ رِبِّهِمْ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءً نَّارًا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ  
هُمْ عَنْ إِيمَانِنَا غَافِلُونَ ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (8 يومن).

#### صراع بين مذهبين:

مررت البشرية بعدة محطات. بدأت بهبوط آدم عليه السلام. بعدهب إلهي يدعوه إلى الصلاح والإصلاح، وهبوط إيليس بمذهب شيطاني يدعو إلى الفساد والإفساد. ومنذ ذلك اليوم بدأ الصراع الحقيقي بين مذهبين، الخير والشر، وكل له جنده، وترك للبشر حرية الاختيار في تحجيد أنفسهم لنصرة أحد المذهبين، وكل من الفريقين سيتحمل تبعه اختياره.

حين بدأت الحياة البشرية على الأرض كان مقام آدم - عليه السلام - في أرض الجزيرة العربية، حيث كانت جنة الله في الأرض، فقام بناء أول بيت وضع لعبادة الله، في مكة المكرمة. وتتاسل فيها وكثير أولاده وأحفاده. ومع مرور الزمن، بدأ مذهب الشر يتشر في نسله، ومذهب الخير يضمحل شيئاً فشيئاً. وبعد وفاة آدم - عليه السلام - استفحَل مذهب الشر، حتى عمَّ أرجاء المعمورة، التي لم تتجاوز حدود الجزيرة العربية آنذاك.

في هذه الأجواء، بعث سبحانه نوحًا عليه السلام، لدعوة قومه، فلم يستجب له إلا قلة من المستضعفين، ولما واجهوه ياصرارهم على الكفر، واستمرارهم بالإفساد في الأرض، ولما انقطع رجاؤه في هدايتهم. هنالك دعاريه ليقطع دابر الكافرين، فأمر بصناعة الفلك. وبدأ بإقامته وسط اليابسة، حيث أقرب بحر يبعد آلاف الأميال، وإقامة الفلك في ذلك المكان هو الجنون بعينه، فما كان من قومه إلا أن سخروا منه ومهمن معه، وهم لا يعلمون، وعن عاقبتهم غافلون. وفجأة ... انقلب كل شيء رأساً على عقب، كان الطوفان الذي رافقه انقلاب كوني هائل في جغرافية الأرض، جعلت من الجزيرة العربية صحراء قاحلة.

ورست سفيته على جبل الجودي، في الموصل شمالي العراق، فنزل الذين انتصروا لمذهب الخير، واستوطنوا العراق في بادئ الأمر . ومع مرور الزمن، ومن هناك بدؤوا

بالانتشار شيئاً فشيئاً في شتى بقاع الأرض . وعادت الأمور بعد الطوفان كما كانت في بداية عهد آدم عليه السلام ، وبدأ الناس في التناسل والتکاثر .

وبعد نوح عليه السلام ، ومع مرور الزمن ، بدأ مذهب الشر دورته الثانية ، أخذ سبحانه يبعث الرسل تباعاً إلى تلك الأقوام التي كانت محصورة في هذه منطقة الهلال الخصيب والجزيرة العربية ، حيث أن المناطق الأبعد لم تكن مأهولة آنذاك ، وأخذت معظم أقوام الرسل السابقين بالعذاب ، ومن ثم بدأ الناس -منذ تلك اللحظة - في الانتشار إلى البلدان الأبعد شيئاً فشيئاً ، حتى عمروا الأرض كلها في عصرنا الحالي ، ومع ذلك ؛ بقيت الكثافة السكانية آنذاك ، متمركة في هذه المنطقة ، ولذلك اخضّت بالرسالات السماوية دون غيرها . ومن ثم بُعث إبراهيم - عليه السلام - إلى قومه في بلدة أور جنوب العراق ، فلم يؤمنوا به ، فتركهم وهاجر إلى الأرض المقدسة ، ليُسلم الرأبة إلى نسله من بعده .

وبعد مرور الزمن ، وبعد ضلال بنى إسرائيل - أثناء تواجدهم في مصر - عن شريعة آبائهم إبراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام ، بُعث فيهم موسى عليه السلام ، فلم يؤمنوا به ولا لِمَنْ بعده إلا قليلاً . وبعد سنتين طويلة من انتصار بنى إسرائيل لمذهب الشر بُعث فيهم عيسى - عليه السلام - رسولاً مجدداً ، فلم يؤمنوا به ، بل حاولوا قتله ، فتوفاه الله ، ورفعه إلى السماء ، ليعود آخر الزمان ، وينهي آخر حلقات مسلسل الطوفان الأخير .

ويكمل مذهب الشر مشواره مع مرور الزمن ، وفجأة ؛ يتغطّل هذا المذهب في هذه البقعة من العالم ، لفترة دامت ما يقارب (1350) عام ، يبعث نبي الهدى عليه أفضل الصلاة والسلام ، بخاتمة الرسالات السماوية ، ومن ثم يتوفاه الله ، ليترك لنا هذا القرآن العظيم ، جلاً متنبأً محدوداً ما بين السماء والأرض ، لِمَنْ ابتغى الهدى ، ووُجُد في نفسه العزم والقدرة . فدُحر ذلك المذهب اللعين وولى هارياً . وفي السنوات الأخيرة ، تقترب أمة الإسلام من أن تخذو حذو سابقيها من الأمم ، وتحتضن ذلك المذهب لينبُت في هذه البقعة من العالم ، وينمو ويزدهر مشمولاً بالعناية والرعاية ، بحجة التقدم والحضارة والحرية وغيرها ، ليعود ذلك المذهب إلى الانتشار مجدداً .

وفي نهاية الطوفان ، يُبعث عيسى بن مریم عليه السلام ، ليعيد الأمور إلى نصابها ، وتستعيد الأرض بركتها ، ويمضي عيسى عليه السلام بعد أن يبلغ سن الكهولة ، وتبقى القلة المؤمنة ، فيبدأ مذهب الشر من جديد ، وينتشر انتشار النار في الهشيم في نسل تلك القلة ، وتخطف ريح لينة أرواح البقة المؤمنة ، وتبقى الأغلبية الكافرة ، وتجري الأزمنة مسرعة إلى حيث الساعة .

هذا الطوفان الذي تتحدث عنه هو ما سيعيد البشرية إلى ما كانت عليه، بعد الطوفان الأول زمن نوح عليه السلام، ليعيد التاريخ نفسه مرة أخرى. وهو يختلف بعض الشيء عن سابقه، فمنذ هذه اللحظة ....

**ابداً - هدانا وهداك الله - بصناعة الفلك:**

وابذلْ قصارى جهدك في إتقان صنعته .. فلعلك تنجو من الغرق .. كلفته ليست باهظة جداً .. أو لا تُقدر بثمن .. أو لا تُشتري بمال .. وحتى لو كانت كذلك .. فالنجاة أغلى وأثمن ... هذا الفلك ... خشبة صفحاتٌ من ذهب .. محصورةٌ بين دفتَي كتاب .. يقع في إحدى زوايا المنزل .. ومساميره كلماتٌ من نور .. وشراعهُ سُنةُ الهادي عليه السلام .. إذا عرفتَ ما هو .. ستتجدُ فيه رسالةً أُنزلت من أجلك .. واجتهدَ كثيرون من الناس .. في حملها وبيانها ... على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان .. لا يصلحها إليك .. فلا تُذهبْ جهدهُم أدراجَ الرياح ..

قال تعالى : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءاْمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنْ أَحْقَىٰ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُورٌ » (16 الحديـد).  
وقال : « قُلْ يَعْبَادُوا الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ حَيْثُماً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (53 الزمر).

وقال: «فَمَنْ تَعَيَّنَ هُدَىٰ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُجُونَ» ... وَشَرِّ الصَّابِرِينَ (١٥٥ البقرة).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والصلوة والسلام على سيد المرسلين .

منتدي اقرأ الثقافي

---

*www.iqra.ahlamontada.com*



هل كان انهيار برجي مركز التجارة العالمي نبوءة؟  
ما مصير من دعا إلى ضرب مكة المكرمة بقنبلة نووية؟  
ما العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبوخذ نصر؟  
ما قصة النبوءات في آخر الزمان؟  
ما هي تلك النبوءات الإنجيلية والتوراتية والقرآنية؟  
وما علاقتها بالسياسة العالمية؟  
ماذا يفعل اليهود والمسيحيون والمسلمون أمام نبوءاتهم؟  
كيف تبدو نهاية اليهود و(إسرائيل) من خلال التوراة والتلمود  
والإنجيل ونُوستراداموس والقرآن الكريم؟  
العراق وبابل واليهود ونُوستراداموس،  
هل نسي اليهود كيف أسرهم نبوخذ نصر وسباهم إلى بابل؟  
هل يحاول اليهود (أمريكا - بريطانيا) الانتقام من العراق؟  
المسيحية الصهيونية - نشأتها ومشاهيرها  
بروتوكولات حكماء صهيون  
السياسيون الأميركيون ونبوءات التوراة والإنجيل ونُوستراداموس  
معركة هرمدون وال الحرب العالمية النووية الثالثة  
المؤامرات اليهودية الأمريكية  
فلسطين واليهود والتوراة والتلمود ونُوستراداموس  
هل بدأ يوم القيمة؟!  
لنتعرّف الحقيقة المذهلة خلال كتاب الحقيقة بين النبوءة والسياسة.